

لجنة التأليف والترجمة والنشر

جَزِيرَةُ الْعَرَبِ

٢١

القرن العشرين

طبيعة جزيرة العرب وحالتها الاجتماعية الحاضرة . دعوة الوهابيين وتاريخهم ومبادئهم . الحكومات العربية التي تعاقبت على الجزيرة في العصور الحديثة . الثورة العربية . آل سعود وتاريخهم وأعمالهم . مؤتمرات الصلح والمعاهدات . الوثائق الرسمية التي دارت بين حكومة الأشراف وآل سعود وبريطانيا . الخ

تأليف

مافط زهير

الوزير المفوض والمندوب فوق العادة
للمملكة العربية السعودية بلندن

الطبعة الأولى

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

فهرس الكتاب

صفحة

١ جزيرة العرب :

موقعها — أجزاؤها — مناخها — سكانها — التقسيمات الإدارية

١٦ الحجاز :

طبيعة البلاد — الجو — السكان — التجارة والصناعة — موانئها — الأقاليم الشمالية — المنطقة الوسطى — القسم الجنوبي — مكة — وصف شامل لها — تاريخ تشييد الكعبة

٤١ عسير :

موقعها — وديانها — سكانها — الزراعة — التجارة — أشهر مدنها — خلاصة تاريخية عن حكومتها

٥١ نجد :

موقعها — مناخها — سكانها — الأدوات المحلية والمصنوعات — إيالات نجد — العارض — أشهر بلدان العارض — وادي الدواسر — بلدات الوادي — القسم — أشهر مدنها — جبل شمر — سكانه — المحصولات والتجارة — البلاد المشهورة

٧٨ الاحساء :

الوصف الطبيعي — الجو — أشهر البلدان — الهفوف — المبرز — سكان المبرز — أهم عشائر المنطقة — نبذة تاريخية — التقسيم أشهر بلدان القسم

٨٨ الكويت :

حدود الامارة — الوصف الطبيعي — الجو — السكان — الصناعة والتجارة — مقاطعات الكويت — جزر الكويت — بلدان الكويت — خلاصة تاريخية

١٠٣ إمارة البحرين :

موقعها — الجو — السكان — الصناعات والتجارة — جزيرة البحرين — بلدان البحرين — نبذة تاريخية — آل خليفة — الحكومة البريطانية والبحرين

صفحة	
١٢١	<u>العواشر والأفكار :</u>
	الألقاب -- المساواة -- الكرم -- الأكل
١٣١	المرأة في بلاد العرب
١٣٦	الطب في بلاد العرب
١٤٣	العلوم والمعارف في جزيرة العرب :
	علماء الدين -- الصناعات
١٥٥	<u>الحكومات العربية :</u>
١٦٤	السياسة الخارجية
١٦٦	أشراف مكة
١٧١	العرب والترك :
	الجمعية القحطانية -- جمعية العهد -- حزب اللامركزية -- المؤتمر العربي بباريس
١٧٦	الثورة العربية :
	مقررات النهضة -- الوثائق المتبادلة في سبيل ذلك
١٩٠	مؤتمرات الصلح :
	موقف الملك حسين من مؤتمر الصلح -- الأمير فيصل بباريس -- الأمير فيصل في لندن -- إعلان الملكية في دمشق
٢١١	أثر الثورة العربية في الحرب العامة
٢١٨	المعاهدة البريطانية مع الملك حسين
٢٢١	المسألة الفلسطينية
٢٢٥	العرب واليهود
٢٢٦	الملك حسين وجيرانه
٢٢٨	ابن سعود والملك حسين
٢٤٠	سياسة الملك حسين الداخلية

٢٤٣ آل سعود :

وفاة الامام عبد العزيز — صفات الامام — سعود بن عبد العزيز — بدأ الخلاف مع المصريين والأتراك — وفاة الامام سعود — عبد الله بن سعود — أسباب سقوط الدولة السعودية — رأى علماء نجد — أثر الدولة السعودية في نجد — الدولة السعودية الثانية — تركي بن عبد الله — فيصل بن تركي — صفاته — وفاته — الحرب الأهلية بين عبد الله وسعود — الدور الثالث لآل سعود — عبد العزيز بن عبد الرحمن

٢٧٨ ابن سعود وجيرانه :

ابن سعود والكويت — ابن سعود والأشراف — مؤتمر الكويت — دور المؤتمر الأول — الدورة الثانية للمؤتمر

٢٨٦ غزوة الحجاز والمؤتمر الإسلامي

كيف نشأت فكرة الغزوة — العدول عن المؤتمر — فشل المؤتمر — ابن سعود وإمام صنعاء

٣٠١ حياة الملك عبد العزيز الشخصية

٣٠٦ أعماله الإصلاحية

٣١١ الإخوان :

أول مؤتمر للإخوان — فتوى علماء نجد — ابن نجد يرسل رسولا إلى ابن سعود — الثورة — الدويش يطلب الصالح — مؤتمر خباري واضحة — الدويش في حضرة ابن سعود

٣٣١ الدعوة الإصلاحية في نجد :

الشيخ محمد بن عبد الوهاب — نجد في أيامها الأولى — ماهي تعاليم الوهابية ؟ — ما ينسب إلى النجديين وهم أبرياء منه — أثر التمسك بالشريعة الإسلامية في الحياة العامة

٣٤٨ المراجع العربية

٣٤٩ المراجع الإنجليزية

٣٥٠ ذيل خاص بالوثائق والمعاهدات التي جاء ذكرها في الكتاب

جزيرة العرب

بلاد العرب أو جزيرة العرب كما تعرف عند علماء العرب هي الأراضي المحاطة ببحر الهند ، والبحر الأبيض المتوسط ، ثم دجلة والفرات ^(١) . أما علماء الفرنج فيجعلون النفود الشمالى الفاصل بين نجد الشمالية ، وصحراء سوريا هو الحد الطبيعي لجزيرة العرب من الشمال

يبلغ متوسط عرض الجزيرة ٧٠٠ ميل ، ومنتهى طولها ١٢٠٠ ميلا ، وتزيد مساحتها عن مساحة الهند ، وبلاد العرب من البلاد القليلة التى حافظت على تقاليدها وعاداتها وطرق معاشها منذ أقدم عصور التاريخ ، وإن ما انتابها من التغير لا يكاد يذكر ، وذلك بسبب العزلة التى يفضلها العرب على كل شئ سواها وجزيرة العرب مشهورة بصحاريها الواسعة ورمالها التى يقصر الطرف عن مداها ، وتشغل هذه الصحارى قسما كبيرا من مساحتها

وأهم هذه الصحارى : الدهناء ، النفود ، الصحراء الجنوبية أو صحراء الربع الخالى ، وهذه الصحارى وإن كانت رملية إلا أن تربة بعضها خصبة بحيث تصبح بعد الأمطار من أفضل المراعى للحيوانات ، وقد اخترقنا الدهناء بضع مرار من الشمال فقطعناها فى ١٣ ساعة على الأبل ، ومن جهة الاحساء فقطعناها فى ست ساعات ، كما أنى قطعنا النفود من بعض نواحيه من جنوب الزلفى إلى شقراء وهو أشق من عبور الدهناء ، وقد قطعنا الدهناء فى رحلتى الأخيرة إلى نجد فى ثلاث ساعات بالسيارة (٢ يناير سنة ١٩٣٥)

ولست طبيعة التربة فى الدهناء والنفود متجانسة من كل وجه ، فونالك بعض

(١) يسميه العرب بحر الشام . ياقوت : جزيرة العرب ، والقاموس : مادة جزر

الجهات لا ترى فيها غير الرمال المرتفعة التي تكاد تبتلع المسارة لنعومتها وعدم تماسكها ، فيتجنبها المسافرون ابتغاء سلامة أرواحهم وأموالهم
ويوجد ببلاد العرب هضاب يبلغ ارتفاع بعضها أكثر من ثمانية آلاف قدم في شالي وجنوبي منطقة البحر الأحمر — مدين والين — أما قلب الجزيرة فالارتفاع فيه تدريجي — فمستوى البلاد في نجد يبلغ حوالى ٢٥٠٠ قدم . بينما يصل في بعض الجهات كأجا في الشمال إلى خمسة آلاف قدم ، وفي نهاية الجنوب الشرقى توجد هضبة عالية يتكون منها الجبل الأخضر ، وفي الوسط الشرقى يوجد مرتفع طويل يقابل الغرب يسمى جبل طويق ، ويبلغ ارتفاعه نحو ٦٠٠ قدم

الوديان

لا يوجد في بلاد العرب أنهار بالمعنى المعروف ، ولكن بعض مجار أو نهيرات صغيرة دائمة في عسير والين وجهات عدن والأحساء ، وعمان ونجد ، ووديان لا عداد لها مما تجرى فيها المياه إبان المطر ، وهي في الغالب طويلة وغير عميقة . وأطول هذه الوديان وادى الرمة الذى يبدأ قريباً من المدينة ويمر فى القصيم ، ثم إلى شط العرب . ووادى حنيقة الذى يبدأ من منحدرات جبل طويق الغربية إلى اتجاه الخليج الفارسى (وهو لا يصل إليه) فهذان الوديان يمكن أن يُعبر مجراهما أثناء فيضانهما الواطئ والمتوسط بدون صعوبة ، وهما يحفظان الماء فى باطن مجراهما ؛ حيث يمكن الوصول إليه بحفر آبار تختلف أعماقها باختلاف المكان ، وفي بعض الأماكن كما فى القصيم (وادى الرمة) والخرج ووادى حنيقة تعلو المياه سطح الأرض ، وهناك تتكون سلسلة من الواحات

أما الوديان التى تتجه نحو البحر الأحمر ، فأنها ذات مجرى أعماق وأكثر انحداراً ، وهى تكاد تكون معدومة النفع ، وهى عتبة فى سبيل المرور من الشمال

إلى الجنوب . وهي لا تتكوّن واحات مثل مياه الأودية الأخرى بسبب ما تجلبه المياه في انحدارها من الأتربة وغيرها مما يتراكم بعضه فوق بعض بسرعة ، بحيث لا تستطيع حرارة الشمس أن تؤثر في صلابته . ووديان غربي اليمن ومنطقة قسم البحر الأحمر من هذا النوع — من مدين إلى حضرموت

المناطق الداخلية الخصبة

بين الصحارى المترامية الأطراف ، وبين الأودية والمنحدرات توجد مناطق خصبة عامرة بالسكان ، تجود بقسط من حاجات السكان الضرورية وأهمها :

١ — جبل شمر :

هو إلى جنوبي النفود الشمالية ، وتنحدر إليه المياه من جبالى طى الشهيرين « أجا وسلّمى » اللذين يمتدان من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى وتشغل مدينة حایل ، ومدينة قَيْد^(١) القديمة ، وعدة قرى أخرى صغيرة وكبيرة في المنطقة المجاورة لسلسلتى الجبال

٢ — القصيم :

واقعة إلى ما بعد المنحدرات في جنوبي جبل شمر ، فالقسم المنخفض ترجع خصوبته إلى المياه الموجودة في باطن الأرض باستمرار ، وإلى المياه التى تفيض عليه أحيانا من وسط مجرى وادى الرثمة . وتمتد منطقة القصيم في خط يبلغ طوله أكثر من مائة ميل ، تتخلله بعض ألسنة النفود فتفصله عن بعضه . وفي هذا الخط تقع أكبر مدينتين تجاريتين في قلب الجزيرة ، وهما : عنيزة وبريدة ، وعداهاتين المدينتين يوجد أكثر من خمسين بلدة كبيرة وصغيرة

(١) أنظر ياقوت

والقسم المرتفع غنى بمراعيه الواسعة ، ويعتمد على الآبار التي توجد في أكثر من أربعين بلدة

٣ — نجد :

وهذه بلا نزاع أكبر مجموعة من المناطق الخصبة ، وتبلغ مساحتها بما في ذلك بعض المنحدرات أكثر من عشرة آلاف ميل ، وهي تتكوّن من سلسلة مناطق واقعة عند أطراف جبل طويق ، وتمتد سلسلة من البلدان والقرى من سدير في الشمال وتنتهي في الجنوب إلى وادي الدواسر . ومجموعة المناطق الخصبة تحيط بها الدهناء شرقاً وجنوباً ، والنفود ، والمنحدرات من الشمال ، ومنحدرات من الغرب . ومنطقة الحصوبة أوسع على جانب شاطئ البحر الأحمر وفي الجنوب الشرقي ، ففي الشرق تجد أن هذه الحلقة رقيقة وتفصلها حواجز واسعة ، فثلاث شاطئ الخاليج الفارسي من الكويت إلى القطيف أرض جرداء ، وبعد ذلك تبدأ سلسلة عيون في الداخل حيث منطقة الاحساء ؛ ولا يوجد على الشاطئ إلا مناطق صغيرة قليلة الحصوبة . ومن نقطة رأس الجبل تبدأ عمان التي تنحدر إليها المياه من مرتفعات الشاطئ الشرقي وجبال عمان غرباً ، كما ينزل المطر فيها في فصول معينة . كذلك الجبل الأخضر الممتد على الشاطئ تجاه رأس الحد . وكذلك في المنطقة الواقعة شمالاً خاف شاطئ اليابنة توجد وديان خصبة وغنية وسهلة عريضة من الأراضي الخصبة ؛ وفي الجنوب توجد الصحراء ممتدة على طول الشاطئ حتى رأس الحد . ولكن لما كانت الأرض تأخذ في الارتفاع تدريجاً تجاه خط تقسيم المياه الغربي ، فإن ودياناً وأرضاً خصبة تبدأ في الظهور ولكنها غير متصلة . وبعد عبور مدخل وادي حضرموت تأخذ الأرض الخصبة في الظهور بشكل متقطع ومن مدخل وادي حضرموت فصاعداً يعتبر القسم الغربي من شبه الجزيرة ،

ونجد أممنا عند ما ندور حول الزاوية الجنوبية الغربية للجزيرة منطقة ساحلية منخفضة خصبة في المواضع التي تنحدر منها الوديان من المرتفعات . ويوجد وراء هذه المرتفعات مرتفع خصب (صُنْعًا ٧٥٠٠ قدم) . تكتنفه جبال عالية هي خط تقسيم المياه ، وتمتد هذه المناطق الحصبة إلى ٢٠٠ ميل من الشاطئ الغربي . ثم تأخذ المنحدرات تتلاشى حتى تختفي في الربع الخالي . وهذه المنطقة هي ما كان يطلق عليها قديماً العربية السعيدة ، والتي يطلق عليها الآن اسم اليمن ، وعَدَن والمَكَلَّاء من جهة ، وعدير من جهة أخرى . وعلى أية حال فإن الحصوبة تنتهي عند مدينة الليث على شاطئ البحر الأحمر . ومن هذه النقطة شمالاً لا تشمل رياح المونسُون هذه المنطقة ؛ ومن هنا تبدأ مناطق الواحات منفصلة عن بعضها وعليها قوام حياة السكان . وفي بعض المنطقة الواقعة بين مكة والمدينة يوجد بعض مناطق خصبة صغيرة في باطن بعض الوديان ، وإلى مائة ميل شمالاً من المدينة تنتهي سلسلة المناطق أو الواحات المنعزلة بمنطقة خيبر والاعلا . أما بالنسبة للشاطئ من جدة فليس فيه إلا مداخل الوديان التي عند ما تنحدر فيها المياه وتتخلل باطن الأرض تمكن بعض السكان من حفر آبار للارتواء ،

الجو

• يعتبر الجو في الجزيرة على العموم ، ما عدا بعض نقط على الشواطئ صالحاً للحياة — فالحرارة التي تشتد نهاراً والبرودة التي تشتد ليلاً تقتل أغلب الميكروبات التي تحارب بني الانسان في جهات أخرى : والحياة على وجه العموم في الجزيرة ، وبالأخص في المناطق الحصبة طويلة ، ولكن حياة البدو الرحل الذين يعيشون على المنحدرات شاقة تقصر الأجل ، وكذلك الحال في هضبة اليمن التي يبلغ ارتفاعها ما بين ٧ — ٨ آلاف قدم

والشئ الذى يميز الجو فى الجزيرة هو الجفاف ، فان بلاد العرب واقعة بين البحار . ومع هذا فليس لها أى أثر فى جو الجزيرة ، وتستفيد اليمن من رياح المونسون فى الصيف ، وينزل فى عمان قدر كاف من الأمطار بينما المنطقة الواقعة إلى غربى خط تقسيم المياه لا ينزل فيها المطر إلا نادراً

أما باقى الأقسام فان أكبرها حظاً من المطر النفود الشمالى وجبل شمر ، فالأمطار تهطل فى الشتاء ، وكذا رياح البحر الأبيض المتوسط تسبب المطر فتنبت أعشاب الربيع . وأما الصحراء الجنوبية فربما لا يصيبها الرذاذ ساعة واحدة كل ثلاث أو أربع سنوات

ومن ظواهر الجو أيضاً فى الجزيرة الحرارة : فالنصف الجنوبى من الجزيرة تبلغ الحرارة فيه نهايتها فى شهرى يوليو وأغسطس . أما تأثيرها فى الانسان فيختلف تبعاً لارتفاع المنطقة التى يعيش فيها وأشد المناطق حرارة شاطىء عمان وتهامة اليمن ، ولكن الجو فى شاطىء الخليج والمحيط الهندى ليس طيباً

السكان

عدهم — الحضرة والبدو

لم يعمل احصاء للسكان فى جزيرة العرب : ولذا لا يمكن معرفة عددهم بالضبط ، وإذا قلنا إن عدد السكان لا يقل عن سبعة ملايين ، فربما كنا إلى الصواب أقرب . وهم موزعون فى مناطقهم كما يلى :

ثلاثة ملايين فى منطقة البحر الأحمر من مدين إلى اليمن ، ومليون ونصف فى المنطقة الجنوبية والساحل البحرى ، بما فى ذلك حضرموت وعمان ومليونان ونصف فى وسط الجزيرة

الحضر

إن كثرة ارتحال القبائل وغزواتها العديدة ، ترك عند الناس فكرة خاطئة عن عدم وجود مدن وبلاد في جزيرة العرب ومناطق زراعية ، وكثير من الناس من لا يعلم بوجود مدن سوى مكة والمدينة وجدة وصنعا ،

إن المناطق الساحلية في الجنوب الشرقي والجنوب الغربي من الجزيرة أراض زراعية أهلة بالقرى والمدن ، والأهالي يشتغلون بالزراعة والتجارة ، ويوجد علاوة على ذلك مستعمرات أو واحات عديدة في وسط الجزيرة ، يتجاوز سكان الواحدة منها سبعة آلاف نسمة ، وهذا عدا الأماكن الأخرى المبعثرة المملوءة بالسكان . ومما لا شك فيه أن حياة الحضر في داخل الجزيرة متأثرة إلى درجة ما بحياة البدو الرحل لاتصال الفريقين في كثير من المرافق ، فان الفريقين كثيراً ما يتصلان بالمصاهرة والتجارة

والحضر تختلف طباعهم باختلاف المناطق التي يعيشون فيها ، وظروف الحياة التي تحيط بهم ، فأهل حایل أقرب مظهرًا إلى البداوة ، وأهل مكة والمدينة واليمن العالية أبعد مظهرًا عن البداوة من البلاد الأخرى العربية ، وأهل القصيم ألين عريكة من أهل العارض ، لأنهم كثيرو الأسفار ، كثيرو الاختلاط والتعامل مع البلاد الأخرى كالشام وفلسطين ومصر ، ولذا فترى موظفي ديوان الملك المكافين بالمقابلات والتشريفات من أهل القصيم أو حایل

وأهل الرياض أرق بكثير من أهل الدواسر الذين لم يفارقوا بلادهم ولم يعرفوا شيئًا عن أحوال العالم الخارجي

والحضر في تنافس وتفاخر دائم ، فأهل القصيم يفضلون أنفسهم على سائر سكان نجد بالعلم والمعرفة وسماحة الخلق والإحاطة بأحوال العالم . وأهل العارض

يفضلون أنفسهم بالشجاعة والصبر على المكاره والمحافظة على شمائل العرب وأنهم جند التوحيد الموالون لأهله في أوقات الشدة

وأهل البحرين يفاخرون أهل الكويت بكرمهم فيقولون : إذا حضر عندنا الكويتي دعونا له وذبحنا له ولم نقبل له عذرا ، ودعونا معه أصدقاءه ومعارفه . أما الكويتي فإذا قابلك في بلده قال لك مرحباً ! متى الوصول ؟ كيف حالك ؟ في أمان الله ! ثم انصرف . وإذا لم يجد مفراً من الدعوة لروابط العمل والصدقة المتينة فإنه يدعوك ويشتري اللحم من السوق ، أى لا يذبح لك الخروف

وأهل الكويت من جهة أخرى يرمون أهل البحرين بالبساطة ؛ وحضر نجد وبدوهم ينالون من أهل الكويت والاحساء والبحرين ، ويقولون لقد أضاعوا مفاخر العرب ، لا يعرفون الخيل والجمال ولا الكر ولا الفر ، ولا يحسنون إلا قيادة السفن

والحضر يعيب بعضهم بعضاً بلهجاتهم ، وربما كانوا مجمعين على النيل من لهجة أهل الاحساء والبحرين لما فيها من الرخاوة والميل إلى الامالة

ويغلب على الحضرة الخلق التجارى ، وبعض الجهات يمتاز عن بعض في هذا الخلق ، فأهل القصيم والزلفى وشقرا أنشط من أهل نجد في التجارة ، فقوافلهم تقصد سائر الجهات العربية ، وتجارهم كثيراً ما يسافرون إلى الهند ومصر في سبيل التجارة ، والتجار النجديون المعروفون في الهند ومصر والعراق من أهل هذه البلاد . أما أهل الكويت فنشاطهم في التجارة البحرية ، وقد كانت لهم أساطيل بحرية في الماضي لنقل الحاصلات العربية إلى الهند وبعض سواحل الخليج الفارسي وجلب السلع الهندية والأوروبية إلى بلاد العرب ؛ وقد قضت السفن التجارية على هذه الأساطيل وقللت من أهميتها ومع ذلك فلا تزال للكويت بعض السفن تنقل عليها تمر العراق إلى الهند ، وتأتى من الهند حاملة الأرز وأدوات السفن وسائر الحاجيات الأخرى

أما في فصل الصيف فتكاد السفن تقتصر على الغوص لاستخراج اللؤلؤ
و يمرن الحضر أولادهم على التجارة من الصغر : يمنح الوالد ابنه الصغير مبلغاً
من المال للتعامل به تحت إشراف أبيه وإرشاده ، وكثيراً ما يشارك الوالد ابنه
في بعض السلع التي يراها رابحة ، فيشب الفتى وقد مرّن على الأعمال التجارية
وشعر بكثير من المسؤوليات ووقف على الطرق التي تدر عليه النقود وعرف المشقات
والصعوبات التي قد تعترض التاجر والتي عاناها أهلوه ، فاذا مات رب العائلة حل
محلّه ابنه الذي لم يصبح غريباً في محيطه الجديد

ويغلب على حضر الجزيرة — وعلى الأخص أهل خليج فارس — التعاون
التجاري ، سواء بين الأهالي بعضهم مع بعض أو بين الأمراء والأهالي ، فمن التعاون
المألوف في الكويت أن يدع تجار اللؤلؤ نقودهم بعد بيعه عند أصدقائهم في التجارة
لتثميّره على مسئوليتهم الخاصة . وحكام الكويت : جابر وسالم والشيخ الحالي له
مبالغ طائلة عند رعاياه التجار لا يتقاضى من ورائها ربحاً أو فائدة ؛ وقد كان حكام
البحرين كاخوانهم حكام الكويت عندما كانت يدهم مطلقة في شئون البحرين
الداخلية والمالية . وحكام نجد وتطّر لهم مثل هذه الأيادي على رعاياهم البدو

أما البدو فهم القبائل^(١) الرحل المتنقلون من جهة إلى أخرى طالباً للمرعى
أو الماء ، والطبيعة هي التي تجبر البدوى على المحافظة على هذه الحياة
وحياة البدوى حياة شاقة مضنية ، ولكنه وهو متمتع بأكبر قسط من الحرية
يفضلها عن أى حياة مدنية أخرى

هذه الحياة الخشنة هي التي جعلت القبائل يتقاتلون في سبيل المرعى والماء ،
وهي التي جعلت سوء الظن يغلب على طباعهم ، فالبدوى ينظر إلى غيره نظرة العدو
الذي يحاول أخذ ما بيده أو حرمانه من المرعى

(١) سنكتب فصلاً في الجزء الثاني عن القبائل العربية وأناسبها وأما كين إقامتها

إن البدوى فى الصحراء لا يهتم إلا المطر والمرعى . فأزمته الحقيقية انحباس المطر وقلة المرعى ، ولا يبالى بما يصيب العالم فى الخارج ما دامت أرضه مخضرة ، وبعيره سميناً وغنمه قد اكتنزت لحماً وقد طبقت شحاً

أما إذا نما السكان وضافت بهم الأرض أو لم تجد أراضيهم بالمرعى ، فليس هناك سبيل إلا الزحف والقتال ، أو الهجرة إن كان هنالك سبيل إليها ، وكذلك القبيلة التى غلبت على أمرها وحرمت من مراعيها وأراضيها ، ليس أمامها سبيل آخر سوى الهجرة ، وهذا يفسر الهجرة من وقت لآخر إلى العراق وسوريا ومصر واستعمار الجزء الشمالى الغربى من أفريقيا . وتدفع شمر إلى ما بين النهرين ، وقبائل عنزه إلى الحماة ، فكلها نتيجة تغلب غيرهم عليهم من القبائل ، واضطرارهم إلى ترك أراضيهم التى لم يعد لهم سبيل فى الإقامة بها لضيق وسائل الحياة

ومن الحوادث البارزة فى القرون الأولى ، والتى تشبه ما يجرى فى بلاد العرب من وقت لآخر اغارة الساميين على بابل ، والكنعانيين على سوريا ، والهكسوس على مصر ، والعبرانيين على فلسطين

لقد كان البدو قبل ثلاثين سنة فى غارات وحروب مستمرة ، كل قبيلة تنتهز الفرص للاغارة على جارتها لنهب مالها ، وتعدد الإمارات وتشاحن الأمراء وتخاصمهم مما يشجع البدوى

ولهذا كان للعصبية قيمتها فى بلاد العرب — فالإنسان يقوى بأبنائه وأبناء عمومته الأقربين والأبعدين ، وإذا كانت العصبية ضعيفة أمكن تقوية القبيلة بالتحالف مع سواها حتى يقوى الفريقان ويأمنوا شر غيرها من القبائل القوية

وقد جرى العرف أن القبائل تعتبر الأرض التى اعتادت رعيها ، والمياه التى اعتادت أن تردها ملكاً لها ، لا تسمح لغيرها من القبائل الأخرى بالدنو منها إلا بإذنها ورضاها ، وكثيراً ما تأنس إحدى القبائل من نفسها القوة فتهاجم بلا سابق



جماعة من البدو مجتمعين في الصحراء (بين الرياض والاحساء)



رعاة غنم في طريقهم إلى الماء

إنذار على قبيلة أخرى ، وتنتزع منها مراعيها ومياها
إن قبائل العرب ليسوا كلهم سواء في الشر والتعدي على السابلة والقوافل ،
فبعضها قد اشتهر أمره بالكرم والسماحة والترفع عن الدنيا ، كما اشتهر بعضها
بالتعدي وسفك الدماء بلا سبب سوى الطمع فيما في أيدي الناس
ومع أن الدين الاسلامي أبطل كثيراً من العصبية القديمة وأحل محلها الأخوة
في الدين (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو
كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) فقد عادت العصبية بشروطها
في بلاد العرب مرة أخرى . والفضل الآن في استتباب الأمن والضرب على أيدي
المفسدين يرجع إلى جلالة الملك عبد العزيز وسهره وإقامة أحكام الشريعة ، وسرعة
تنفيذها

ليس للبدوي قيمة حرية تذكر ؛ ولذا كان اعتماد الأمراء على الحضر ، فهم
الذين يصمدون للقتال ويصبرون على بلائه وبلوائه . وكثيراً ما كان البدو شراً
على الأمير المصاحبين له ، فإن ذلك الأمير إذا ما بدت منه الهزيمة كانوا هم البادئين
بالنهب والسلب ويحتجون بأنهم هم أولى من الأعداء المحاربين ؛ ولقد جرى كثير
مثل هذا في الحرب الانجليزية العراقية مما كان يندهش له الضباط الانجليز ، لأنهم
لم يعرفوا أن صديقاً ينهب صديقاً ؛ ولكن البادية لا تعرف شيئاً غير النهب والسلب ،
وعندها الغنيمة مقدمة على كل شيء . والبدوي لا يرى حياة أسعد من حياة
البادية ، ويرى الحاضرة حبساً لحريته وتنقله حيث يريد ، كما أن أهل الحاضرة
يرون البداوة شقاء لا يعادونها شقاء ، ويصفون البدو بأنهم جفاة غلاظ القلوب

والبدوي إذا لم يجد ساطة تردعه أو تضرب على يده يرى من حقه نهب
الغادي والرائح ، فالحق عنده هو القوة يخضع لها ، ويخضع غيره بها . على أن لهؤلاء
قواعد للبادية معتبرة عندهم كقوانين يجب احترامها ، فالقوافل التي تمر بأرض قبيلة

وليس معها من يحميها من أفراد هذه القبيلة معرضة للنهب ، ولذا فقد اعتادت القوافل قديماً أن يصحبها عدد غير قليل من القبائل التي ستمر بأرضها ، ويسمون هذا رَفِيقاً

والبدوى يحتقر الحضري مهما أكرمه ، كما أن الحضري يحتقر البدوى ، فإذا وصف البدوى الحضري فإنه في الغالب يقول : حُضيرى تصغيراً لشأنه ومن عادة البدوى الاستفهام عن كل شىء ، وانتقاد ما يراه مخالفاً لذوقه أو لعاداته بكل صراحة ، فإذا مررت بالبدوى فى الصحراء استوقفك وسألك من أين أنت قادم ؟ وعن وراءك من المشايخ والحكام ؟ وعن المياه التى مررت بها ؟ وعن أخبار الأمطار والمراعى ؟ وعن أسعار الأغذية والقهوة ^(١) ؟ وعن فى البلد من القبائل ؟ وعن العلاقات السياسية بين الحكام بعضهم وبعض

ومع أن البدو قد اعتادوا النهب والسلب ، فإنهم كثيراً ما يعفون عن أهل العلم خوفاً من غضب الله عليهم ، وبعض البدو لا يحاف كاذباً مهما كانت النتيجة لقد شاهدت كثيراً من القضايا فى الأحساء وغيرها كان البدوى ينكر إذا وجد مجالاً للانكار ، ويفات بمهارة من الاجابة عما يسأل ، ولكن إذا وجه له اليمين وكان لا مفر له اعترف بجرمه إذا كان مذنباً ، ولا يحاف بالله كاذباً ، وهذا أمر يدعو إلى الغرابة والاكبار أيضاً ، فإنه يدل على شعور عميق بالخوف من الله ، وأن هذا الشعور إذا أحيط بالعناية والرعاية ، فإنه ربما يوجه إلى الخير ، أو على الأقل إلى الاقلاع عن الشر

وقبائل نجد على العموم لا يزال فيهم الكثير من الصفات الطيبة التى اشتهر بها العرب الأقدمون : يعرفون حقوق الصحبة والرفقة ويثمر معهم عمل المعروف ، فلا تسمع فى نجد أن جملاً قتل رفيقه فى السفر كما اعتاد الناس أن يسمعوها فى الحجاز

وليس أعدل من البدوي في تقسيم الغنيمة حتى قد يتأفون الشيء ، تحرياً للعدل
يقسمون السجادة بينهم كما يقسمون القميص أو السروال ، كل هذا إرضاء لضمائرهم
ودفعاً للظلم ؛ إنهم يعرفون الخيام حق المعرفة لأنها بيوتهم التي يعيشون فيها . ومع
ذلك فهم يقسمونها مراعاة للعدل — أما الابل والغنم فإنهم يقسمونها إذا أمكن
القسمه ، أو يقومونها بثمن إذا لم يكن هنالك سبيل للقسمه

والبدو لا يفهمون الحياة حق الفهم كما يفهمها الحضري ، لا يفهمون البيوت
وهندستها ، ولا يفهمون فائدة الأبواب والنوافذ الخشبية ، حتى أن البدو الذين
كانوا في جيش الملك حسين في الثورة العربية كان عملهم بعد الاستيلاء على
الطائف نزع خشب النوافذ والأبواب ، لا لبيعها والاتفاع بثمنها بل لاستعمالها وقوداً
إما للقهوة أو الطبخ أو التدفئة ، وبدون نجد قد فعلوا مثل ذلك تماماً ، فعند
ما أسكنت الحكومة بعض القبائل في شكنة جرّول ، اكتشفت الحكومة أن
النوافذ الخشبية والأبواب تنقص بالتدريج ، وأنها استعملت للطبخ وتحضير القهوة
فأخرجهم جلاله الملك توماً من الشكنة وأسكن الحضر فيها ، والحضر بطبيعتهم يفهمون
مألاً يفهمه جهلة البدو عن النوافذ والأبواب

وللبدو مهارة عظيمة في اقتفاء الأثر ، وكثيراً ما كانت هذه المعرفة سبباً في
اكتشاف كثير من الجرائم ، ولا تكاد تخلو قبيلة من طائفة منهم ، وأشهر القبائل
براعة قبائل المرأة ، وهم قصص كثيرة لا تخلو من المبالغة ، فانهم يزعمون أن الخبير
له من الخبرة ما يمكنه من معرفة الذكر والأنثى ، والبكر والثيب ، والحامل والحائل
والقبائل العريقة المشهورة من حضر وبادية تحافظ على أنسابها تمام المحافظة
وتحرص عليها كل الحرص ، فلا تصاهر إلا من يساويها في النسب ، والقبائل
المشكوك في نسبها لا يصاهرها أحد من القبائل المعروفة

أما حكام العرب فيترفعون عن سائر الناس حضرم وبدوهم ، لا يزوجون

بناتهم إلا لقرباهم . أما هم فيتزوجون ممن يشاءون ، وطبقات الحكام يترفع بعضها عن بعض : الأشراف يرون أنفسهم أرفع الخلق بنسبهم ، وآل سعود يرون أنفسهم أرفع من الأشراف ، وأرفع من سواهم من حكام العرب الآخرين ، ومع أن العرب المحفوظة أنسابهم كلهم أكفاء لبعض ، فلا تزال أمثال هذه العادات متأصلة في البادية أكثر من الحاضرة

وهنا ترى الروح الصحيحة البدوية التي لا تملك شروى تغير ترفض الزواج من غنى لأنه ابن صانع أو أنه من سلالة العبيد ، أو لأن نسبته القبلى يحوطه شيء من الشك ، فسلطان المال لا قيمة له عند العرب . ومع وجود هذه الروح الارستقراطية التي تتجلى فقط في الزواج ورياسة القبيلة والحكم ، فانه لا يكاد يوجد فارق في طرق المعيشة الأخرى ، فالفرد وشيخ القبيلة والأمير يأكلون جميعاً الأرز واللحم واللبن والتمر ، ويلبسون جميعاً الثوب والعباءة والعقال والقتر (الكوفية) ، ويتمتع أفرادهم بحرية لاحد لها ، فالبدوى يقف أمام الحاكم فيجادل في سبيل حقه ويستعمل كل الأساليب التي يراها موصلة إلى ما يريد

التقسيمات الادارية

يجمع العرب وحدة اللغة والدين والنسب أيضاً ، وهم إن اختلفوا في بعض العوائد وفي نظام المعيشة ، فهناك صفات عامة وسجايا تكاد تكون مميزة للشعب العربي لقد اصطلح القدماء على تقسيم البلاد العربية إلى خمس ولايات أو مناطق : الحجاز . نجد . اليمن . تهامة . اليمامة . . . ولكن حدود هذه الولايات موضع اختلاف الباحثين بين القدماء ؛ وكما قدمنا أن العرب بالرغم من تعدد إماراتهم وتنازعهم فيما بينهم ، فان هذا كله لا يقضى على ما بين الشعب العربي من مميزات الوحدة ولا سيما اللغة والدين وكثيراً من الصفات الأخرى

أما الحوادث التي سنعرض لها فهي خاصة بالحجاز ونجد وملحقاتها ، أو ما يطلق عليه اليوم البلاد العربية السعودية ، والكويت والبحرين على الخليج الفارسي . والحوادث التي وقعت في هذه البلاد في العشرين سنة الأخيرة هي أهم الحوادث في التاريخ العربي الحديث ، فقد غيرت الحالة العربية عما كانت عليه تماماً قبل الحرب العامة ، وأوجدت للعرب شخصية دولية محترمة يرعاها الآن الملك عبد العزيز



الحجاز

يقع الحجاز من جزيرة العرب في ناحيتها الشمالية والغربية ، وهو يمتد من معان ماراً برأس خليج العقبة إلى نقطة بين الليث والقنفذة^(١) على شاطئ البحر الأحمر . أما حدوده من الجهة الشرقية فلم تكن معروفة تماماً ؛ بل كانت تمتد وتتقلص تبعاً لقوة الأتراك والأشراف ، ومبلغ سيطرتها على البلاد

وفي البادية يطلقون الحجاز على المنطقة الجنوبية للطائف ، فإذا قالوا : إن هذا البدوي حجازي ؛ يعنون أنه من جنوبي الطائف ، وهذه التسمية لها وجه ؛ فإن جبال السّراة الممتدة من اليمن إلى الشمال هي حجاز ؛ بمعنى أنها فاصلة بين الغور وهو تهامة ونجد

والمساحة التقريبية للحجاز تبلغ زهاء ٧٠٠ ميل طولاً (من الشمال للجنوب) و ٢٥٠ ميلاً عرضاً (من الشرق للغرب)

طبيعة البلاد

تتكون الحجاز من عدة مناطق طبيعية محاذية بعضها البعض وهي :

١ — المنطقة الساحلية : الممتدة بمحاذاة شاطئ البحر الأحمر (تهامة) ،

وتحفظها شعاب مرجانية

(١) في الحرب الحجازية الأخيرة ضمت العقبة ومعان إلى شرقي الأردن ، ولكن الحكومة العربية السعودية لم تعترف بهذا الضم ، واتفقت مع الحكومة البريطانية صاحبة الانتداب على شرقي الأردن على حل هذه المشكلة بالمفاوضات السياسية

٢ — منطقة جبلية عالية : تأخذ في الانخفاض التدريجي حتى تصل إلى ما بين جدة ومكة ، إذ لا يزيد ارتفاعها هنالك عن ألف قدم

٣ — منطقة نجرية : (واقعة بين جبال) مرتفعة جداً في الشمال ؛ ومغطاة بالحُمم (السائل البركاني) من العُويرِض ، ولكنها تأخذ في الانخفاض في اتجاهها للجنوب ؛ فيصل ارتفاعها في غربي مكة والطائف إلى نحو ألف قدم

٤ — الوحدود الرئيسية : الأجزاء المرتفعة منه مغطاة بالحُمم كما هو الحال في الحرمه ، والعُويرِض ، وخيبر (٦٠٠٠ — ٨٠٠٠ قدم) ، ولكنه لا يزال محتفظاً بارتفاع لا يقل عن خمسة آلاف قدم خلف مكة

٥ — المنطقة الوُهميرة : وهي أعلى حافة المنحدر الشرقي في اتجاه قلب الجزيرة ، ففي المنطقة الأولى والثالثة تقع المدن الآهلة بالسكان ، فميناء العقبة والمُويلح والوجه ، وأملج ، وينبُع ، ورابع ، وجدة ، والليث واقعة في المنطقة الأولى وميناء العلا ، والمدينة ومكة واقعة في المنطقة الثالثة

ويوجد في الحجاز واحات خصبة متفرقة هنا وهناك ، وهي على الأغلب واقعة على خط بين المنطقة الرابعة والخامسة ، ومنها الحائط ، والحويّط (فدك) وخيبر والحناكية ، والطائف ، ووادي فاطمة (مرّ الظهران) ، والصفراء

الجو

إن كميات المطر التي تنزل في الحجاز قليلة وغير كافية بالمرة ؛ ولهذا فانه يكاد جميعه يكون قاحلا ؛ إلا حيث توجد الواحات . وفي الطائف وبخاصة في الجنوب لا توجد أمطار دورية تنزل فيه ، كما هو الحال في عسير والين

ودرجة الحرارة في أجزاء الحجاز الواطنة أخف منها في تهامة الين ؛ ومتوسطها

هو من ٨٠ — ٩٠ ف ، والهواء رطب ، ونظراً لأن مكة منخفضة الارتفاع (٧٠٠ — ٨٥٠ قدماً) ومحاطة بمرتفعات صخرية جرداء ؛ فانها شديدة الحر صيفاً ، بخلاف المدينة ؛ فان درجة الحرارة فيها لا تزيد عن ٧٠ ، وهي بلد صحى والطائف أحسن بلاد الحجاز قاطبة ، جاف الهواء — والمرتفعات فيما وراء مكة والطائف جوها بارد

السكان

يمكن تقدير عدد سكان الحجاز : بدو وحضر بمليون نسمة ونصف ؛ ثلثهم يشتغلون بالزراعة أو يقيمون فى المدن ، والثلثان قبائل متنقلة

التجارة والصناعة

تكاد تنحصر التجارة فى الحجاز فيما يحتاجه القاصدون للبلاد المقدسة من الحاجيات ، وكلها ترد إلى الحجاز من الخارج . ويصدر الحجاز بعض حاصلات من التمر والجلود والحناء والصمغ ، ولكنها قليلة جداً بالنسبة للواردات وترد البضائع من كل الجهات إلى مكة التى تعتبر أهم مركز تجارى فى قلب الجزيرة ؛ نظراً لموقعها الجغرافى والدينى

وتعتبر جدة لقربها من مكة أهم موانى الحجاز . وفى غير موسم الحج تشتغل جدة بالتجارة مع سوريا والهند ومصر ؛ وأفريقيا وبريطانيا ، وممالك جنوب أوربا . وإلى جدة يصل أكبر عدد من الحجاج ، ومنها يقضون أغلب ما يلزمهم فى سفرهم إلى مكة

وشركات البواخر التى تمر بميناء جدة فى الوقت الحالى هى شركة مصر للملاحة البحرية ، والخليوية ، والإيطالية ؛ وهناك شركات أخرى تمر بواخرها كلها مست الحاجة

ينبع :

هى الميناء الثانية للحجاز ، ومنها يصدر للداخل جزء غير قليل من التجارة مع أواسط الجزيرة . وهى الميناء الطبيعية للمدينة المنورة وما جاورها ، وتمتد على الميناء البواخر السابقة

المدينة :

وتسمى طيبة أيضاً ، هى العاصمة الأولى للمسلمين فى عهد الرسول وخلفائه الثلاث ، وهى معقل الاسلام ، وبها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما نزلت المدينة ومركزها فى الحركة الإسلامية الأولى فضلها بعض العلماء على مكة

تبعد المدينة عن ينبع ١٣٠ ميلاً ، وعن مكة ٣٠٠ ميل تقطع بالإبل فى عشرة أيام ، وبالسيارة فى نحو ثلاثين ساعة

يبلغ طول المدينة ميلاً واحداً ، وهى قسبان : المدينة القديمة ويحيط بها سور ، وهى فى الشمال الشرقى ؛ والبلدة الحديثة ، وتفصل المناخة بينهما ، وللمدينة خمسة أبواب

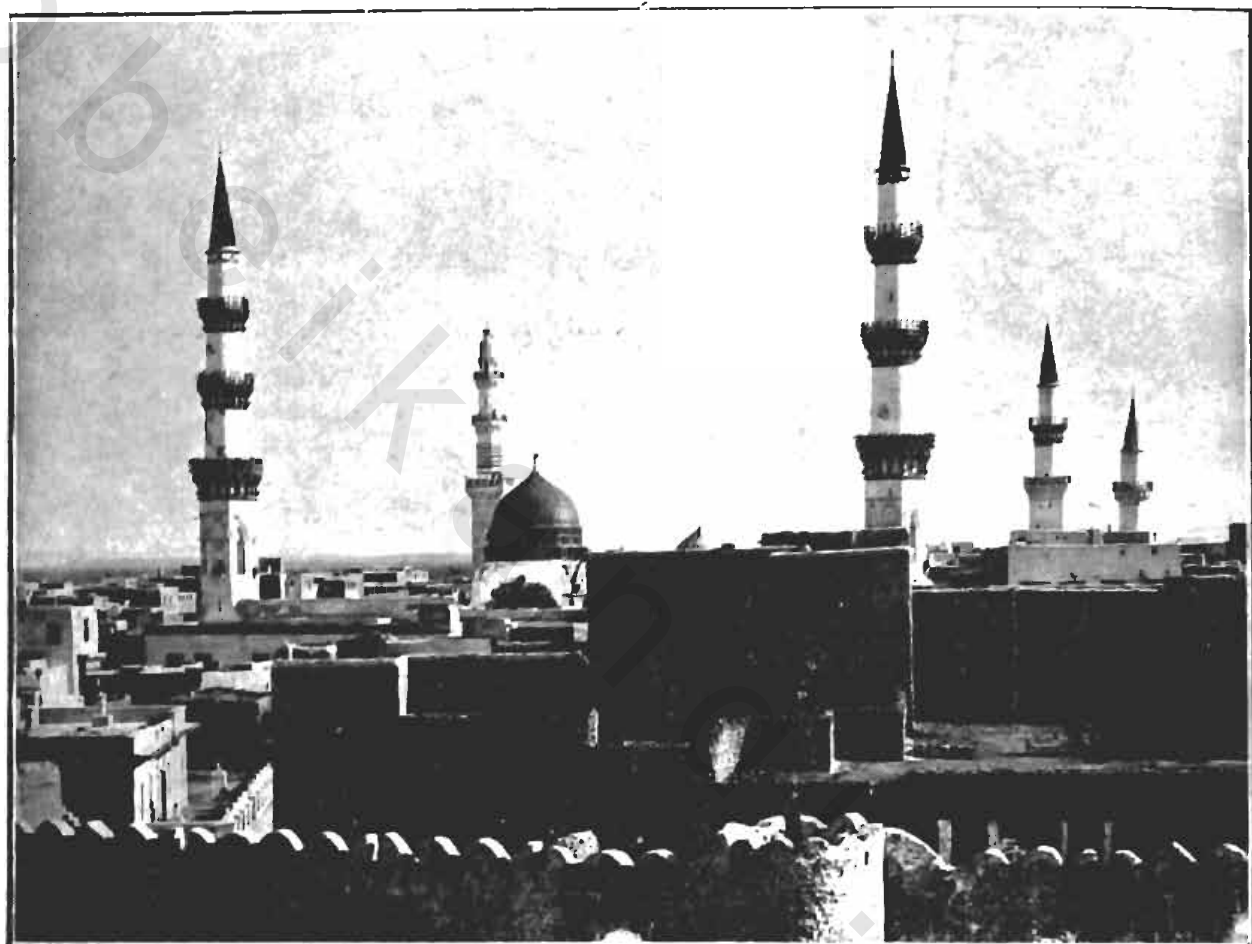
والمدينة محاطة بالمزارع من جهاتها الأربع إلا الجهة الغربية ، وتمتد المزارع حولها إلى عدة أميال ، وبها عين الزرقاء ، منبعها من قباء على بعد ميلين من المدينة يبلغ سكان المدينة عشرين ألفاً ، وقد بلغ سكانها قبل الحرب العظمى بعد اتصال السكة الحديدية بها ٨٠ ألفاً ، ولكن مصائب الحروب أفقرت المدينة من السكان ومن العمران . وبالمدينة كثير من قبور الصحابة وآل البيت ، وأئمة الحديث والفقه ؛ وقد كان مشيداً على قبور هؤلاء القباب والمباني ، فهدمتها الحكومة الحالية فى السنة الأولى من فتح الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ — سنة ١٩٢٦ م ، تنفيذاً لوصايا الرسول وأوامره بتسوية القبور ، ولقد أثار هذا العمل نائرة المتعصبين للقبور ،

ولكن الحكومة لم تأبه لاحتجاجاتهم ، ولقد عرض كثير من الأمراء والجمعيات الإسلامية في الهند وغيرها استعدادهم لإرجاع القباب وبناء القبور ، ولكن الحكومة في سبيل رضا الله رفضت جميع الاقتراحات الخاصة بهذا الموضوع

مسجد الرسول :

هو أهم ما في المدينة من المساجد ، وقد بنى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده جذوع النخل ، وقد كانت مساحته سبعين ذراعا في ستين ، وزاد فيه عمر ، وبناء على بنيانه في عهد النبي باللبن والجريد وأعاد عمده جذوعاً ؛ ثم غيّر عثمان فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبني جداره بالحجارة المنقوشة والقصة (أى الجص) ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج ؛ وامتدت الزيادة حتى دخلت فيه بيوت أزواج النبي ، ومنها بيت عائشة الذي دفن فيه النبي وصاحبه ، فبنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد

وزاد فيه الوليد بن عبد الملك من ٨٨ — ٩١ هـ ، والمهدى (سنة ١٦٦ هـ) من جهة الشمال ، والمأمون (سنة ٢٠٢ هـ) ، وفي سنة ٦٥٤ هـ احترق المسجد ، فاهتم الخليفة العباسي المستعصم بالله عبد الله بن المنتصر بالله ، فبدأ تجديد المسجد سنة ٦٥٥ هـ وما زال المسجد موضع عناية ملوك وأمراء المسلمين بناء وترميم وتجديدا . والبناء الحالي هو بناء السلطان عبد الحميد العثماني ، بدأ بناءه سنة ١٢٦٥ هـ ، وانتهى البناء سنة ١٢٧٧ هـ ؛ وهو بناء بديع جمع بين الفن والجمال ، وهو يفضل بناء المسجد الحرام بمكة كثيرا ؛ وقد حدث بالبناء الحالي تصدّع ، فاهتم ملك مصر فؤاد الأول بأمر المسجد ، ولم ير الملك عبد العزيز أى غضاضة في أن يقوم بهذا الشرف ملك آخر ؛ فان الاهتمام بالحجاز والمحافظة عليه وعلى مساجده أمر يشترك فيه المسلمون جميعاً : ملوكا ، وأمراء وأفرادا ؛ كل بالقدر



منظر المسجد النبوي من خارج المدينة

الممكن ، والملوك أقدر من غيرهم على القيام بالواجب
ولقد كان بالحجرة النبوية والمسجد الحرام كثير من الهدايا الثمينة ، تقدّر بثلاثة
ملايين من الجنيهات ، نقلها قائد المدينة فخرى باشا إلى الإستانة خشية أن تقع في
أيدي الملك حسين

وفي مباحثات مؤتمر لوزان طلب اللورد كرزون بالنيابة عن الملك حسين رد
الأمانات التي وضع الأتراك يدهم عليها ؛ ولكن الأتراك أجابوا بأن هذه المسألة
من المسائل الإسلامية الخاصة بالمسلمين
ولم نعرف أن الملك حسيناً بعد ذلك دخل في مفاوضات مع الأتراك لاسترداد
هذه الأمانات الخاصة بالحرم النبوي والمهداة إليه من ملوك المسلمين

الأقاليم الشمالية

ينحصر هذا القسم الواقع في شمال الحجاز ما بين خط العرض ٣٠ شمالاً ، وهو
قسم جبلي ، لا يقيم به من السكان إلا نفر قليل ممن يعيشون في أكواخ صغيرة ؛
وخط سكة الحديد الحجازية المار في هذا القسم لا يوجد به مدن في المحطات
الواقعة عليه ، فمن معان إلى دار الحمرَاء (٢٥٠ ميلاً تقريباً) لا يوجد فيه مدينة
أو قرية إلا في تبوك ، فإن بها نحواً من ٨٠٠ ساكن
والساحل في هذا الجزء عبارة عن أرض منبسطة يبلغ عرضها من ٧ أميال
إلى ١٥ ميلاً ، وليس به مزارعات إلا في قم الوديان ؛ ولكن به بعض الآبار القديمة
التي كان يردها حجاج مصر قديماً
وأهم المدن والقرى هي :

١ — العقبة :

تقع على الشاطئ الشرقي من خليج العقبة ، قريباً من رأس الخليج الذي

يشبه نصف دائرة قطرها ثلاثة أميال ، وبها قلعة قديمة على شكل مربع ، وهي تحتوى على ١٠٠ منزل ، وبها بساتين ومزارع نخيل

٢ - المويِّلِح^(١) :

قرية وقلعة على بعد ١٥٠ ميلا إلى الجنوب ، وبها سوق للحبوب ، ونحو مائة عائلة يسكنون الأكواخ ، وبها بساتين ومزارع نخيل ، ومياهها من الآبار . ومن المويِّلِح توجد طريق قوافل لتبوك وللمدينة المنورة

٣ - ضُبَا :

تقع إلى جنوب المويِّلِح وهي المحل الرئيسى لقبيلة الخويَّطات ، اتخذها الأتراك قديماً مركز دفاع عن الشاطئ . بها آبار ومزارع نخيل

المنطقة الوسطى

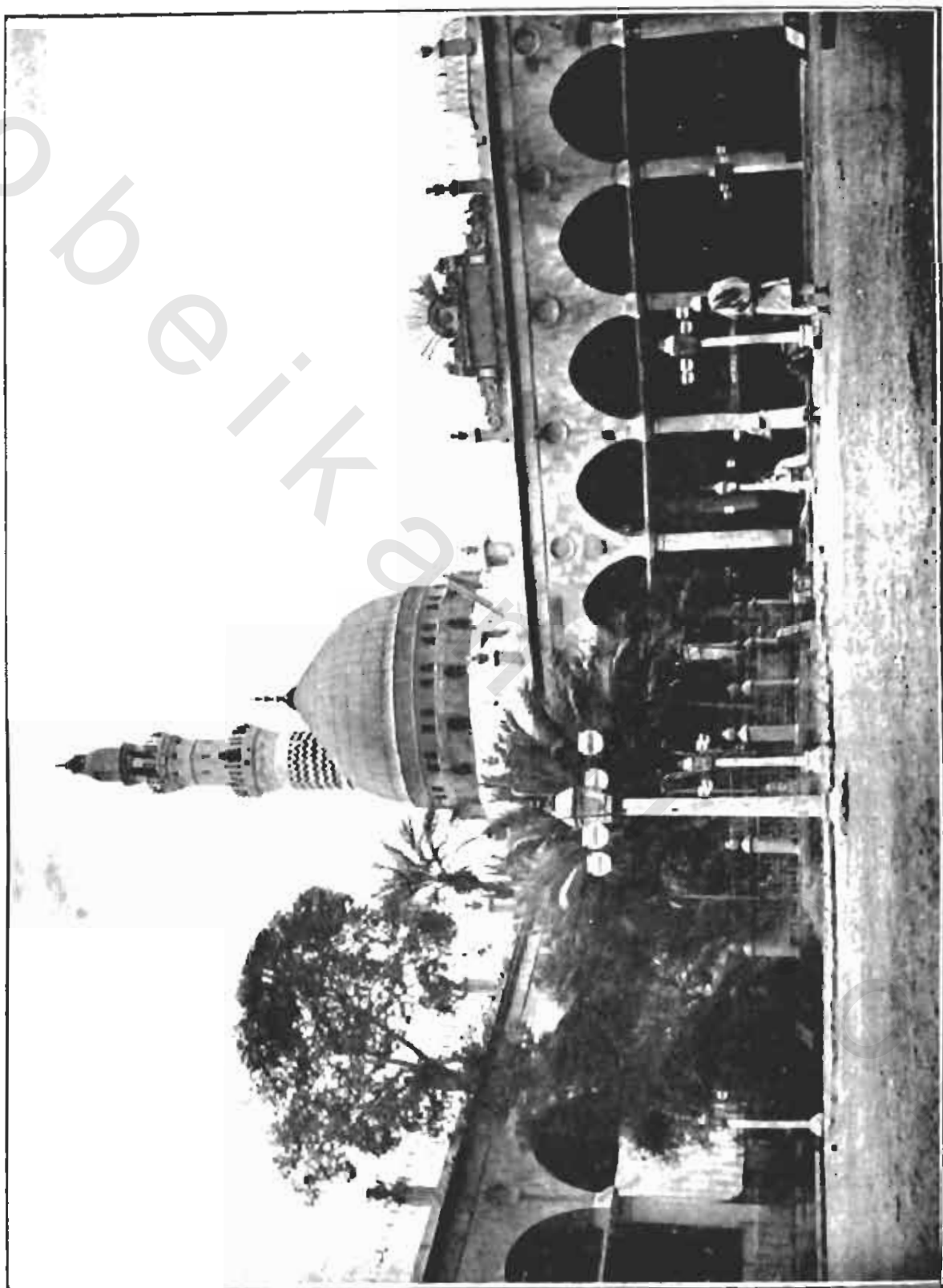
يقع ضمن هذا الجزء جميع البلاد الواقعة بين خطى عرض ٥٧° و ٢٤° شمالاً ويمتد هذا الجزء نحو مائتى ميل ، وجميع الوديان ومجارى المياه فى هذه المنطقة تنفذ إلى البحر الأحمر بواسطة منفذ واحد ، هو وادى الحَمْض الذى يقع فيه إلى جنوبى الوجه بثلاثين ميلا

ووادى الحمض نفسه ينحدر إلى البحر من العويرِض وخيبر والبلاد الرئيسية فى هذه المنطقة هى :

الوجه :

وهى بلدة صغيرة تحتوى على بضعة بيوت مبنية من الحجر . سكانها نحو ألفى نسمة ، وبها قلعة وسوق ، ومياهها تميل إلى الملوحة

(١) إليها ينسب صاحب سيرة ابن هشام



المسجد النبوي من الداخل

أُمْلُج :

قرية بها نحو مائة منزل ، بها قلعة صغيرة ، وأمامها تقع جزيرة حَسَّان التي من رملها يصنع الزجاج ، بها مزارع نخيل ، ومنها تمتد طريق في الداخل إلى اصطبل عَنَتَر ، إحدى محطات سكة حديد الحجاز (١٢٠ ميلا) ؛ وإلى المدينة المنورة (١٤٠ ميلا) والأراضي هنا خصبة وبخاصة في وادي عين الواقع إلى شمال جبل رَضَوَى

ينبع البحر :

مبنية على سهل واقع بين البحر والجبل ، وهي مسورة من جهة الداخل ؛ بيوتها مبنية من الحجر الجيري ، سكانها نحو ٥٠٠٠ نسمة ، والمسافة بينها وبين المدينة تقطع بالسيارة في ست ساعات ، ويجلب إليها الماء من مياه تسمى المُسَيَّحِي تبعد عن البلدة نحو أربع ساعات . وقد أنشأت الحكومة الحالية (كُندَانَسَا) لتقطير المياه من البحر محافظة على صحة الحجاج وتوفير وسائل الراحة لهم

ينبع النخل :

هي واحة نخيل مياهها كثيرة ، وهي مقر عرب جهينة وحَرَب ، ويتبعها نحو عشرين قرية أهلة بالسكان

العَلَا :

تقع في شمال سكة حديد الحجاز وسكانها نحو ٣٠٠٠ نسمة ، والبلدة نفسها صغيرة وضيقة ، ولكن الواحة تمتد حولها إلى ثلاثة أميال ، وبها نهير صغير درجة حرارة المياه فيه ٩٢ ف . ومحاصيلها كثيرة يشترىها البدو الرحل في الشمال ، وبها بساتين قليلة

خير :

هي قرية أو مجموعة قرى في واحة تسمى باسمها ، واقعة في حرة على مرتفع يبلغ ٢٨٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وهي على بعد ستين ميلاً من شمالي المدينة المنورة والبلدة نفسها تقع في وادي زَيْدِيَّة أكبر وديان خير ، وبها قلعة قديمة تسمى الحصن ، وبها عيون ماء جارية كثيرة

وخير اسم مشهور من قديم في الاسلام ؛ فقد وقعت فيها معارك . وسكانها ٣٠٠٠ نسمة أكثرهم مولدون ، والعرب لا يحبون الإقامة فيها خوف الحمى والواحة غير صحية ، وقد كانت خير موطن اليهود في صدر الاسلام

الحناكية :

موطن صغير في جنوب خير ، وعلى مقربة من رأس وادي الحمض ، وقد كانت قديماً تابعة لقبيلة الرُّؤلة ؛ ولكنها الآن أصبحت موطناً للعوالى ، وبها نحو خمسين منزلاً ، بها مزارع للنخيل . وهي واقعة على إحدى الطرق ما بين المدينة وْبُرَيْدَة

القسم الجنوبي

يمتد هذا القسم من خط عرض ٢٤° إلى خط عرض ٢٠° شمالاً حيث تبتدئ حدود عسير من هذا الخط . وأهم مدنه

رابع :

هي عبارة عن مجموعة من البيوت الصغيرة ، ولكن بها مزارع نخيل واسعة تمتد في الداخل إلى بضعة أميال

جُدَّة :

هى مدينة مسورة ، وتقع ميناؤها فى منتصف طول البحر الأحمر تقريباً ، وهى ميناء مكة ، والمسافة بينهما خمسة وخمسون ميلاً ؛ ويبلغ سكانها حوالى ثلاثين ألف نسمة

أسس جدّة الخليفة الثالث عثمان . وميناؤها خطر لكثرة الشعوب الموجودة فيها وقد كان بمجدّة قبر ينسب إلى حواء أم البشر ، وقد كان الحجاج يزورون هذا القبر ويتبركون به ، كما أن أهل جدّة أنفسهم كانوا يقصدون هذا المكان للتعظيم ، وقد هدمت الحكومة الحاضرة القبة الموضوعة على القبر ، كما أزالوا البنيان الذى على القبر ، ومنعت الناس من التمسح به أو إتيان أى عمل لا يتفق مع الشريعة الإسلامية

ولقد زار العلامة ابن جبير الأندلسى جدّة فى حجه (سنة ٥٧٩ هـ) فذكر بعض آثار جدّة ، ومنها الموضع الذى شيد عليه « قبة عتيقة » يقال إنه كان منزل حواء أم البشر عند توجهها إلى مكة ، ولم يذكر ابن بطوطة شيئاً عن قبة حواء عند مروره بمجدّة فى طريقه إلى اليمن (سنة ٧٣٠ هـ) ولم تقف على تاريخ تشييد القبة ؛ وعلى كل حال فليس هنالك حجة تاريخية على صحة هذه النسبة

ويحيط بمجدّة قرى صغيرة فى الجنوب والشمال ، أكثرها مؤلف من بيوت صغيرة أو أكواخ يسكنها البدو ، والجمالون وكثير من الزوج

وجدّة ليس بها نهر أو عين لشرب السكان ، ولكن بها آبار كثيرة خارج البلد ، يملك أكثرها الأشراف والأهالى ، وهى تملأ بماء الأمطار ؛ كما أن البيوت بها صهاريج تملأ بما ينحدر إليها من سقوف البيوت ، وهذه المياه غير صحية ؛ ولذا فقد كان الأغنياء يجلبون ماءهم من الآبار البعيدة

وقد شيدت الحكومة التركية آلة على البحر لاستخلاص الماء الحلو ؛
فساعد أهل جدة والأوربيين المقيمين بها على الحصول على ماء صحى نقى ؛ وقد
اشترت الحكومة الحالية ما كينتين كبيرتين لهذه الغاية بالنظر إلى قدم العهد على
الآلة الأولى ، فتوفرت المياه العذبة للسكان وللحجاج ؛ وفى السنتين الماضيتين
أوصلت الحكومة الحالية ماء عين الوزيرية إلى جدة ، وهى تعمل لا يصلها إليها
بالأنابيب الحديدية ، وهى على وشك الانتهاء من هذا العمل الجليل

وقد كانت جدة فى القرن الماضى مركزاً تجارياً هاماً ، تجلب البضائع إليها
من الهند وغيرها ؛ ومنها توزع إلى بلاد العرب ومصر والسودان وغيرها ، ولكن
شأنها ضعف بعد أن وضع محمد على باشا يده على الحجاز . وفتح السويس للتجارة .
وقد أضعف شأنها كثيراً فتح ميناء بور سودان ، فأصبح هو الميناء الأول
فى البحر الأحمر

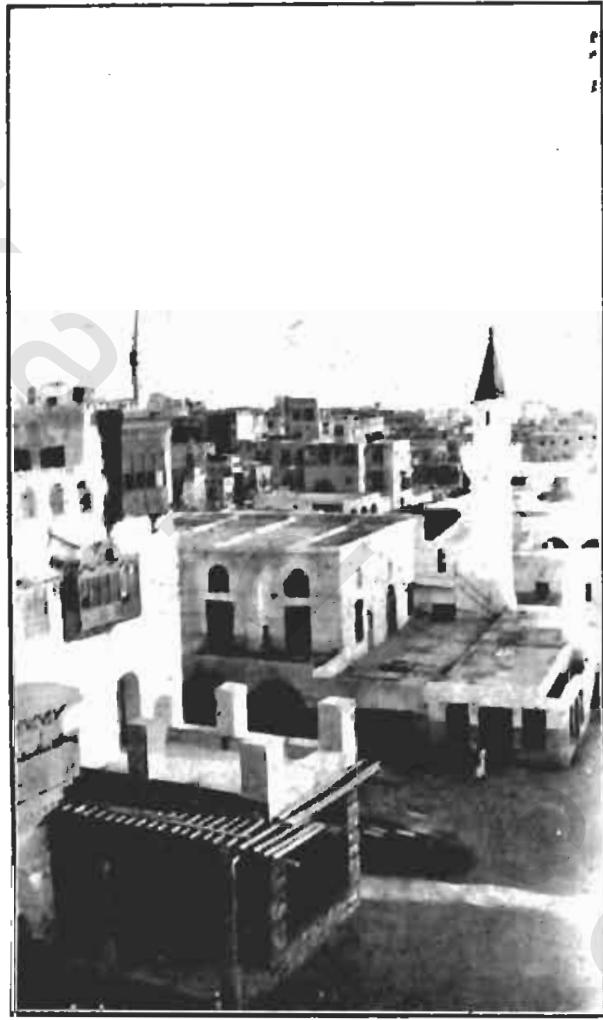
الليث :

قرية تبعد عن الميناء نحو ميل ونصف ، يوتها من الطين ، شاطئها منخفض
ورملى ؛ وفى الداخل تبدأ الأرض فى الارتفاع إلى الشمال حيث تتحول إلى جبال
عالية بعد مسافة

مكة :

وتسمى بكة وأم القرى ، أشهر مدن الحجاز ، بها بيت الله والمسجد الحرام ؛
وتقع مكة فى واد ضيق عميق يتجه شمالاً مع ميل قليل إلى الشرق ، والتلال المحيطة
به ترتفع إلى مئات من الأقدام ، وتحيط بالوادي إحاطة كاملة ، أغنت السكان
والأمراء عن بناء سور لحمايتها ؛ وقد شيدت عدة ضواح شمالى مكة

يبلغ سكانها نحو ١٠٠ ألف نفس ، وقد عمل احصاء لمكة (سنة ١٣٥١ هـ) —



منظر من مناظر جدة

٢٩٣٣ م) ولكن النساء^(١) لم يدخلن في هذا الاحصاء ، وعلى كل حال فالاحصاء ،
تقريبى ، وجو مكة حار جداً وجاف ولكنه صحى

وأهم مافى مكة من المباني والآثار : الكعبة المشرفة ، والمسجد الحرام
فالكعبة أو بيت الله أو البيت العتيق ، بناء مربع تقريباً ، بنى فى أوسع
نقطة من الوادى ، والآن يحيط بها المسجد ، والمسجد من حيث السعة والبناء
والجمال والفن العمارى لا يفوق غيره من المساجد الأخرى الموجودة فى الشرق ،
ولكن الاحترام والتقديس إنما هو للكعبة

يبلغ ارتفاع الكعبة ١٥ متراً ، وطول جدارها الشمالى ٩,٩٢ متراً ، والجنوبى
١٠,٢٥ متراً ، والغربى ١٢,٢٥ متراً ، والشرقى ١١,٨٨ متراً ، وفى الجدار الشرقى
بابها ، ويرتفع عن الأرض مقدار مترين وعتبته مصفحة بصفايح الفضة ، وكذلك
مصراعا الباب ، إلا أن صفايح الفضية مطلية بالذهب

ويلاصق جدار الكعبة من أسفلها بناء من الرخام ، يسمى بالشاذروان ، أقيم
تقوية للجدران ، وهو محيط بها من جميع جوانبها ، ولا يعلم بالضبط متى بدى البناء
على أصل الشاذروان ، وقد جدد البناء عليه مرارا ؛ وفى الركن الجنوبى الشرقى
للكعبة من الخارج الحجر الأسود ، وهو مبدأ الطواف ، ويرتفع عن الأرض متراً
ونصفاً ، وهو كاسمه أسود ، وقد عمل له غطاء من الفضة (سنة ١٢٩٠ هـ) بسبب
التشقق الذى حدث منه ؛ وقد قال سيدنا عمر فى تقبيل الحجر : إنك حجر لا تنضر
ولا تنفع ، ولولا أننى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك

(١) وتذكرنا حوادث استثناء النساء من الاحصاء بما حاولته ادارة الصحة من وجوب
الكشف على الأموات قبل الدفن فاحتج أهل مكة على سريان هذا القانون على النساء وساعدن
علماء نجد على رأيهم فلم تستطع الحكومة تعميم الكشف ، واضطرت أخيراً لاستخدام بعض
السيدات الملمات بأصول الطب لهذا الغرض وبعض الأغراض الأخرى الخاصة بالسيدات

أما تاريخ تشييد الكعبة والغرض الأساسى من بنائها ، فانه يشغل قسما هاما من التعاليم الإسلامية ، والتاريخ العربى والدينى ؛ غير أن الروايات الكثيرة التى وردت فى ذلك يحتاج أكثرها إلى بحث علمى دقيق ؛ فان الروايات الخاصة بهذا الموضوع كثيرة ومتناقضة ، وبعضها لا يتفق مع قواعد العلم^(١)

إذ أن المكان الذى شيدت عليه الكعبة قد أرجعه الرواة إلى آدم أبى البشر ، ومع أن هذا لا يستند إلى خبر صحيح ، فانه يدل على أن بناء الكعبة قديم يرجع إلى ما قبل التاريخ

والتاريخ الحقيقى للكعبة يبتدىء من عصر ابراهيم عليه السلام ، وسنلخص فيما يلى ما رواه البخارى لما له من المركز الممتاز عند مؤرخى المسلمين ، وللدقة التى كان يتوخاها فى تمحيص الروايات :

قال البخارى : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل ، اتخذت منطقاً لتعفى أثرها على سارة ، ثم جاء بها ابراهيم وبانها اسماعيل ، وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت ، عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد ، وليس فى مكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعها هنالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ؛ ثم قفا ابراهيم منطقاً ، فتبعته أم اسماعيل ، فقالت : يا ابراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شئ ؟ وقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ، ثم رجعت . فانطلق ابراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه ، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ، ورفع يديه فقال : (ربنا إني أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم) حتى بلغ (يشكرون) . وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما فى السقاء عطشت ، وعطش

ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلو ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر : هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ؛ فهبطت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت : هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات ؛ فلذلك سعى الناس بينهما . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً ، فاذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه ^(١) ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف ، فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافي الضيعة فان ها هنا بيتاً لله بينه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأتيه السيول فتأخذ من يمينه وشماله . فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم ، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء ^(٢) ، فنزلوا في أسفل مكة ، وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أليات منهم ، وشب الغلام وتعلم العربية منهم ، وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجته امرأة منهم ، ثم طلقها وتزوج من أخرى ، ثم جاء إبراهيم وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة من زمزم ، فلما رآه قام إليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد . ثم قال : يا إسماعيل ! إن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ولما بنيا القواعد وبلغا مكان الركن ، طلب إبراهيم من ابنه حجراً فأظهر كسله ، فانطلق إبراهيم يطلب الحجر ، فجاءه جبريل بالحجر الأسود من الهند ،

(١) أى تجعل موضعاً يجتمع فيه الماء (٢) جبل بأعلى مكة

* هذه الزيادة ليست من رواية البخارى ، وإنما ذكرها المؤرخون والمفسرون ، وهي بلا شك أشبه بالأساطير . (صحيح مسلم)

وكان أبيض ياقوتة بيضاء ، وكان آدم هبط به من الجنة فاسودّ من خطايا الناس
وقد همت قريش ببناء الكعبة سنة أن بلغ رسول الله خمساً وثلاثين سنة ،
ولكنهم كانوا يهابون هدمها ، وإنما كانت رضا فوق القامة ، فأرادوا رفعها
وتسقيفها ، فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها ، قام ابن وهب ، أو أبو وهب بن
مخزوم ، أو المغيرة بن مخزوم ، وقال : يا معشر قريش ! لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم
إلا طيباً ، لا يدخل فيها مهر بغي ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس
فأخذت قريش تجمع الحجارة ، كل قبيلة على حديثها ، حتى بلغ البنيان الحجر
الأسود ، فاختصموا فيه : كل قبيلة تريد أن تمتاز بهذا الشرف ، حتى كاد الأمر
يفضى بهم إلى القتال ، وأخيراً أشار عليهم أبو أمية بن المغيرة أن يتركوا الفصل في
هذا النزاع إلى أول داخل من الباب ، فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : هلم إلى ثوبا ، فأتى
به ، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من
الثوب ، ثم رفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه
ولم تزل الكعبة على بناء قريش حتى احترقت في أول إمارة عبد الله بن الزبير ،
وفي آخر ولاية يزيد بن معاوية لما حاصر ابن الزبير في مكة ورمأها بالمنجنيق ،
فحينئذ تقضها ابن الزبير إلى الأرض ، وبنائها على قواعد إبراهيم ، وأدخل فيها الحجر
وجعل لها باباً شرقياً وباباً غربياً ملصقين بالأرض ، كما سمع ذلك من خالته عائشة
عن رسول الله . ولم تزل كذلك مدة إمارته حتى قتله الحجاج ، فردّها إلى ما كانت
عليه بأمر عبد الملك بن مروان . وقد أراد هارون الرشيد أو أبوه المهدي ردها إلى
بناء عبد الله بن الزبير ، فاستفتوا الإمام مالك في ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك ، لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها ، فترك ذلك الرشيد

وقد عملت ترميمات عديدة في أيام الخلفاء العباسيين ، وسلاطين مصر المماليك ، وسلاطين آل عثمان ، بسبب السيول والأمطار ، وتجد في داخل الكعبة وخارجها ما يشير إلى ذلك

وتغسل الكعبة من الداخل مرتين في السنة : في رجب وذى الحجة ؛ يقوم بهذا العمل الشيخ الشَّيْبِي سادن الكعبة ، ويدعو لحضور هذا العمل الذي يعد من حفلات مكة الهامة حکام البلد وأعيانها ، وبعض البارزين من الحجاج ، ويزدحم الناس حول الكعبة في ذلك اليوم ازدحاماً يدل على ذلك الأثر الديني العميق في النفوس ، على أن هنالك بعض أشياء تحدث من العامة وغير الواقفين على العقيدة الإسلامية الصحيحة ، من شرب ماء الغسيل والاغتسال به ، ولكن الجهل آفة كل شيء ؛ وقد حضرت هذا الاحتفال مراراً أثناء إقامتي بالحجاز

ويجمع الشيخ الشَّيْبِي ماء الغسيل ويضعه في قوارير يهديها مع المكناس للحكام وكبار الحجاج ، وتكسى الكعبة كل سنة ؛ وليس من موضوع الكتاب التوسع في وصف الكسوة وتاريخها في الجاهلية والإسلام ، فقد أفردت كتب كثيرة في العربية واللغات الأخرى في وصف مكة والمدينة وكل ما يتعلق بهما

مقام ابراهيم :

لا يعلم بالضبط هل موضع المقام الحالي هو موضعه الأصلي أو كان ملصقاً بجدار الكعبة ، ثم نقل إلى موضعه الحالي

فبعض الرواة يرجحون أن المقام كان ملصقاً بجدار الكعبة ، ونقل من مكانه في خلافة عمر ؛ وروى الأزرقي أن موضعه الحالي هو موضعه في الجاهلية وفي عهد أبي بكر وعمر ، إلا أن السيل ذهب به في خلافة عمر ، فجعل في وجه الكعبة ، إلا أن عمر رده إلى موضعه بمحضر من الناس ؛ ويذكر ابن جبير أن الذي صرفه إلى موضعه الحالي هو النبي صلى الله عليه وسلم

والناس يصلون خلف مقام ابراهيم ركعتين بعد الانتهاء من الطواف ، وكثير من الحجاج من يقبل الحجر المسمى مقام ابراهيم ويتبرك به ، حتى المنتسبين إلى العلم منهم ؛ فالرحالة ابن جبير الأندلسي الذي حج في (٥٧٩ هـ) يذكر مقام ابراهيم ويصفه ويقول : عايناه وتبركنا بلمسه وتقيله ، وصب لنا في أثر القدمين المباركين ماء زمزم فشربناه نفعا الله به

ولقد فعل فعلته السيد احمد السنوسي سنة ١٣٤٤ هـ — سنة ١٩٢٥ م ، فقامت عليه قيامة الإخوان النجديين ونهره الملك ابن السعود على فعلته ، لأن الملك عبد العزيز في سبيل التوحيد والأمر بالمعروف لا يراعى أحدا ؛ فان مبدأ الدين قبل كل شيء ، ورضاء الله مقدم على رضاء الخلق

المسجد الحرام :

إن ساحة البيت وهو المسجد كان فضاء للطائفتين ، ولم يكن عليه جدر أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر من بعده ، ثم كثر الناس فاشترى عمر دوراً هدمها وزادها في المسجد ، وأدار عليها جداراً دون القامة ، وفعل مثل ذلك عثمان ، ثم ابن الزبير ، ثم الوليد بن عبد الملك ، وبناء بعمد الرخام ، ثم زاد فيه المنصور ، وابنه المهدي ؛ وما زال المسجد موضع عناية الحكام والملوك والسلاطين من عباسيين ومماليك وأتراك وعرب وغيرهم ، يتولونه بالتعمير والترميم من وقت لآخر كلما مست الحاجة إلى ذلك

بئر زمزم :

قد تقدم في قصة بناء الكعبة أن الملك فخرها لإسماعيل بعقبه ، وقد طمرها الحارث بن مضاض ، وجددها عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ويروون في ذلك قصة تشبه القصص الأخرى التي تروى عن أمثال هذه الأماكن التي لها

ما لزمن من الاحترام في نفوس الناس ، ويقولون : إن عبد المطلب رأى رؤيا منامية^(١) ، فسمع هاتفاً يهتف في أذنه أن احفر طيبة ، فاستيقظ من نومه ، ثم غلب عليه النوم فسمع للمرة الثانية أن احفر برة ، فاستيقظ ثم غلب عليه النوم فسمع للمرة الثالثة ، احفر المذنونة ، ضننت بها على الناس إلا عليك ، بنقرة الغراب الأعصم ، وإنها بين الفرث والدم ، وعند قرية النمل ، إنها لا تنضب أبداً فلما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قرية النمل ، ونقرة الغراب ، ولم ير الفرث والدم ، فبينما هو كذلك نذت بقرة لجازرها فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام فحفرها في الموضع الذي رسم له ؛ فسال هنالك الفرث والدم ، فحفر عبد المطلب حيث رسم له ، وقد عثر على غزالين من الذهب كانتا مهداتين من الفرس للكعبة ، وكان قد دفنهما الحارث بن مضاض

وذكر الزهري أن عبد المطلب اتخذ حوضاً لزمن يستقي منه ، وكان يخرب بالليل حوله ، فلما غمه ذلك ، قيل له في النوم ، قل : لا أحلها لغتسل ، وهي لشارب حل وبل ، وقد كفيهم ، فلما أصبح قال نعم ، وكان بعد من أرادها بمكروه رمى بداء في جسده حتى انتهوا عنه ، والمسلمون يعتقدون في ماء زمزم البركة ، وقد كانوا يحملونه إلى بلادهم بعد الحج ؛ لأهدائه إلى أصدقائهم وأقاربهم ويعدون ذلك من أغزر الهدايا ، ولكن إدارة (الكورتينيات) تمنع دخول ماء زمزم إلى البلاد التي يفدها الحجاج

ولا يزال الماء يستخرج من زمزم بالدلاء الجلدية حسب العوائد القديمة . ولقد فكر جلالة الملك عبد العزيز (سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م) في الاستعانة بالآلات الحديثة لتكثير الماء وتوزيعه بطريقة صحية ، وصيانة الحرم مما يتعرض له في موسم الحج من الازدحام والمخاضة ، وما يتبع ذلك من فقدان النظافة ، فأمر جلالاته

(١) مسالك الأبصار ج ١

فى تلك السنة بتركيب آلة رافعة للماء ، وأحضر مهندساً من مصر لهذه الغاية . ولكن لما كان هذا العمل يؤثر فى كسب طائفة الزمازمة والسقائين ، وعملهم محصور فى اخراج الماء بالدلو من البئر وتوزيعه على الحجاج ، ولا يرضى الجامدين الذين لا يرضون بجديد ولو كان نافعاً ، قامت قيامتهم ضد هذا المشروع النافع . ولقد ابتدأ العمل بالفعل وجرى الحفر بالحرم لوضع الأنابيب ، وأرسل إلى مصر لشراء الآلة والأنابيب والأحواض الكبيرة التى يوزع منها الماء ، وأخيراً أثار الزمازمة أهل نجد وألبسوا عليهم الأمر ، وأن بئر زمزم سينضب ماؤها بعد تركيب هذه الآلة الرافعة ، ولا شك أن هذا العمل سيجلب عليهم سخط المساهين ، فألح أهل نجد المقيمون بمكة على الملك بإلغاء هذا المشروع ، وإبقاء القديم على قدمه ، حتى لا تجرى هذه المصيبة فى أيامهم . فلم ير الملك من المصلحة إغضابهم فى هذا الوقت الذى بدأت فيه حركة الإخوان ، فأمر بإيقاف المشروع والعدول عنه . ولعل الحكومة تبعث المشروع من جديد لتضمن توزيع ماء زمزم بطريقة صحيحة

بيوت مكة :

ولقد كان فى مكة كثير من الآثار التاريخية مثل : مولد النبى ، بيت خديجة ، بيت أبى بكر ، وغيرها من الآثار . ولكن الإخوان هدموا هذه الآثار مع ما هدموه من القباب والقبور ، لأن هذه الأماكن اتخذت مصدراً لا يتراز أموال الحجاج ، فسدا للذريعة أزالوا كل أثرها . ويقول المؤرخون للحركة السعودية الأولى : إن مكة والمدينة فى أثناء الحكم السعودى فى القرن التاسع عشر الماضى ، قد أزيل منهما كل الآثار التاريخية التى كان يتبرك بها الحجاج

وبيوت مكة من الحجارة ، وهى فى نواحيها خير من سائر بيوت جزيرة العرب ؛ غير أن نظام المراحيض لا يتبع النظام الصحى . وقد عمل سلاطين الأتراك مجرى



سقاء بالصفائح في مكة

كالجاري التي تعمل في المدن ، ولكنه ليس عامًا من جهة ، وغير واف تمامًا من الوجهة الفنية .

ونظام الشرب على الطريقة القديمة ؛ فالسقاؤون هم الذين ينقلون الماء إلى البيوت ، إما بالقرب أو صفايح الغاز

ومكة كالبصرة والقطيف في كثرة البعوض ، ولكنه من النوع الذي لا يحمل جراثيم الملاريا كما هو الحال في بعض المدن الحجازية الأخرى ، ولم تعمل إدارة الصحة أو البلديات حتى الآن عملاً جدياً لإبادته ؛ فلعل هذه الإدارات تشمر عن مساعد الجد وتقوم بحملة عنيفة لتخليص البلاد من هذا العدو الخبيث ؛ ولا شك أن جلالة الملك صاحب المهمة القعساء سيكون أكبر معاون للعاملين

ومكة مملوءة بالحمام لحمة صيده ، وتجذ في الحرم منه أسراباً أسراباً ، وهو يشبه في إفه للناس أنواع الطيور التي توجد في الحدائق العامة في أوروبا . وكثير من الحجاج يعتقد أن من مكملات الحج تقديم الحبوب لحمام الحرم ، كما أن لكثير من الناس اعتقاداً بأن الحمام لا يعلو الكعبة ، ولا يقف على سطحها ، ولا يقدرها . أما المسجد ولا سيما الأروقة المحيطة به ، فكلها أعشاش للحمام ، ولا يخلو حاج من أن يصل إليه شيء من أقدار الحمام ؛ ويعتقد بعض الجهلة أن من أصابه شيء من أقدار الحمام سيكسى كسوة جديدة ، وهي تعزية لطيفة !

وأهل مكة والمدينة يعنون بنظافة بيوتهم ، كما يعنون بنظافة أبدانهم وملابسهم أكثر من سواهم من سكان جزيرة العرب . ويعيش أهل مكة على ما يكسبونه من وفود الحجاج ، وهو مصدر خير عظيم إذا كثرت الحجاج ، أما إذا قلّ عددهم فلا يتصور أحد ما يعانيه هؤلاء من صنوف الضيق

لقد أولى المسلمون عنايتهم بمكة والحجاز وأهله عناية عظيمة في القرون الأولى والوسطى ، فلا تزال عين زبيدة وغيرها من العيون ناطقة بتلك المكرمة التي

أسداها أهل الخير لسكان البلاد المقدسة والوافدين

وكان الخلفاء والسلاطين يولون الحجاز عنايتهم ، فكانوا يمدّونه بالصدقات والأوقاف على اختلاف أنواعها ، مما لا يزال بعضه باقياً حتى الآن ؛ ولكن بلغ الإهمال بالمسلمين في القرون الأخيرة ما جعل الحجاز في مستوى أقل مما يجب له من العناية والإجلال ؛ فالمسجد الحرام الذي يؤمه المسلمون من كل ناحية ليس في جمال مساجد الآستانة والقاهرة والمهند

ومدينة مكة في طرقها ومبانيها ونظامها الصحي ليست كالقاهرة أو دمشق أو بغداد ، وهذا التقصير تقع تبعته على المسلمين عامة ، وعلى الحكومة التركية التي حكمت البلاد قروناً عديدة ؛ ولا شك أن أشراف الحجاز يتحملون قسطاً من التبعة ، لأنهم كانوا الحكام الحقيقيين لمكة ؛ فقد كان بوسعهم لو كانوا ذوي بصائر نافذة ، وعقول راجحة ، وعلم بتطورات العالم ، أن يجعلوا الحجاز وسكانه في مستوى خير من مستواه الحالي ؛ ولكن الأشراف سلطوا مطامعهم على الحجاج وعلى سكان بلد الله الحرام ، وحالوا في كثير من الظروف دون ترقية البلاد . ولسنا نرمي فئة خاصة من الأشراف ، فان الأشراف الذين حج في أيامهم الرحالة ابن جبیر في القرن السادس ، وابن بطوطة بعده ، كانوا مثل أشراف القرون الأخيرة

الرقيق في مكة :

كانت مكة أكبر سوق للرقيق في جزيرة العرب ، وكان العرب يحرصون على شراء الجوارى والعبيد منها ، لأن لأهل مكة عناية خاصة بترية الجوارى والعبيد ، وتمرينهم على الخدمة المنزلية ، وقد تتجاوز قيمة العبد ستين جنيهاً ، والجارية مائة وعشرين جنيهاً ، وأفضل العبيد والجوارى المجلوبون من الحبشة ، لأنهم أخلص في الخدمة وأوفى لسادتهم



زِي من أزياء النساء في مكة

والرقيق الذى يرد للحجاز وجزيرة العرب ، هو الغنيمة من الغزوات والغارات فى بلاد الحبشة الواسعة الأطراف . فالتجار يشترون الرقيق هنالك من الغزاة ، ثم يجلبونه إلى بلاد العرب بوساطة السَّائِيك^(١) إلى السواحل العربية ؛ وبالرغم من مطاردة هؤلاء التجار ، وإنزال أشد العقوبات بمساعدتهم ، فإن التجار لا يزالون يُغامرون فى هذا النوع من التجارة . والغالب شراء الرقيق للخدمة المنزلية أو الخدمة فى البساتين ، وقد تشتري الجوارى لأغراض أخرى ، وهذا على الأكثر فى عسير . وأمراء العرب يكثرون من الرقيق رجالا ونساء ، فالرجال للخدمة على اختلاف أنواعها وللحراسة الخاصة ، والجوارى للخدمة المنزلية وغيرها .

على أن تحرير الرقيق من الأعمال المحبوبة شرعا ، والتي لا يزال العرب يعدونها من أفضل القربات إلى الله ، فقلما يموت أحد ولا يوصى بتحرير بعض عبيده وجواريه مع شيء من المال يساعدهم . وفى الغالب يفضل الرقيق الذى يحرر أن يبقى فى بيت أهله ويأبى أن يغادر من عاش فى كنفهم .

لقد جرت محاولات لأبطال الرق فى بلاد العرب . وفى سنة ١٢٧٢ هجرية أمرت الدولة العثمانية بمنع الرقيق ، فحصل هرج ومرج بمكة ، جعل الحكومة التركية تعدل عن أمرها .

وفى أيام الملك حسين جرت مفاوضات بينه وبين الحكومة البريطانية لإبطال سوق الرقيق فى الحجاز ، ولكن الملك حسيناً كان يحتج بأن الرقيق ليس مصدره مكة ، فإن امتنع وروده إلى الحجاز بطل بالتدريج .

وفى سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م اتفقت الحكومة البريطانية والملك عبد العزيز على التعاون على القضاء على الرقيق ، فوضع الملك عبد العزيز بعض القيود للتجارة فيه فضعفت هذه التجارة .

والمسألة في الواقع اقتصادية ، فلو أن الخدم يتوفرون في مكة و بلاد العرب ما لجأ الناس إلى الرقيق ، ولكن أهل مكة يفضلون خدمة الحجاج ، لأنها تدر عليهم من المال ما لا تدره عليهم الخدمة الأخرى ، وقلما تجد خادماً في مكة للخدمة المنزلية

وأعتقد أنه ليس في إمكان أية حكومة أن تأمر بإلغاء الرقيق ، وتحرير العبيد في جزيرة العرب دفعة واحدة ، فان ذلك قد يؤدي إلى ثورة أهلية ، ولكن إذا قضى على التجارة في السواحل العربية ضعفت في الداخل . وعلى كل حال فان الرقيق يتناقص عدده في كل سنة ، وسيقضى عليه لا محالة . ومن الغريب أن بعض الأوربيين في إقامتهم في بلاد العرب تصل إليهم عدوى الرقيق ، فيحوزون الرقيق كغيرهم من العرب ويستعملونه في الوجوه التي يستعملها فيه العرب

منع غير المسلمين من دخول الحجاز :

لقد جرى العرف على ألا يدخل البلدين المقدسين : مكة والمدينة غير المسلمين . ومنشأ هذا ما روى عن ابن عباس أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرض موته : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب . وأن عمر سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً . وأن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : آخر ما عهد النبي أنه قال : لا يترك بجزيرة العرب دينان ، وأن ابن عمر قال : إن عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وأنه أجلى يهود خيبر إلى تيماء وأريحيا . وحكى الحافظ ابن حجر في الفتح في كتاب الجهاد ، أن الذي يمنع منه المشركون من جزيرة العرب هو الحجاز خاصة ، وهو مكة والمدينة واليامة وما والاها ، لا ما سوى ذلك مما يطلق عليه جزيرة العرب ، لاتفاق الجميع أن اليمن لا يمنعون منها مع أنها

من جملة جزيرة العرب . وعن الحنفية يجوز مطلقاً إلا المسجد . وعن مالك يجوز دخولهم الحرم للتجارة . وقال الشافعي : لا يدخلون الحرم أصلاً إلا بأذن الامام لمصلحة المسلمين

وذكر في المغنى أنه لا يجوز لغير المسلمين دخول الحرم بحال ؛ وبهذا قال الشافعي . وقال أبو حنيفة : لهم دخوله كالحجاز كله ، ولا يستوطنون به ؛ ولهم دخول الكعبة . والمنع من الاستيطان لا يمنع الدخول والتصرف
وذكر صاحب المغنى أيضاً أنه يجوز لهم دخول الحجاز للتجارة ، لأن النصارى كانوا يتجرون إلى المدينة في زمن عمر
ويؤيده ما ورد في كتاب أخبار مكة للأزرقي ما نصه :

« » وأخبرني جدى قال : أول من عمل القبة التى بين زمزم وبيت
الشراب ، المهدى فى خلافته ، عملها لهم أبو بجر المجوسى النجار ، وكان جاء به
عيسى بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنه إلى مكة من العراق «
وما ورد فى كتاب تاريخ المدينة للمطرى :

« » وأرسل الوليد إلى ملك الروم فقال : إنا نريد أن نعمار مسجد
نبينا الأعظم ، فأعنا بعمال وفسيفسيا . فبعث إليه ثمانين عاملاً : أربعين من الروم
وأربعين من القبط ، وثمانين ألف مثقال ، وبأحمال من الفسيفسيا ، وبأحمال
من سلاسل للقناديل «

وقد وضعت الحكومة الحالية تشريعاً ، من مقتضاه ألا يدخل الحجاز من
يدخل فى الاسلام إلا بعد مضى سنة على إعلان إسلامه ، منعاً لبعض الأوربيين
الذين يدعون الدخول فى الاسلام بقصد زيارة مكة أو المدينة فقط

الطائف :

هى مدينة مسورة واقعة فى سهل رملى محاطة بتلال منخفضة ، وتقع على بعد

٧٥ ميلاً إلى الجنوب الشرقى من مكة ، على ارتفاع خمسة آلاف قدم من سطح البحر ؛ وهى مصيف رجال الحكومة ، وبيوتها مبنية من الحجر ؛ والمدينة تغص بالسكان زمن الصيف فقط ، وجوها أبرد بكثير من مكة ، والمياه فيها غزيرة ، وهى فى جوها وتربة أرضها تشبه الأراضى العالية فى عسير واليمن . والأمطار الغزيرة تسقط هناك فى فصل الخريف ، والآبار كثيرة ، ومنها تروى الأراضى الزراعية البعيدة عن مجارى المياه

يبلغ عدد السكان نحو خمسة آلاف نسمة ، وأغلبهم من ثقيف وعُتيبة ، ويشغلون بزراعة البساتين والخضر . وفاكهة الطائف مشهورة بجودتها فى سائر البلاد العربية ، ففيها العنب والرمان والخوخ والليمون الحلو والشمش والسفرجل . أما زراعة النخيل فى الطائف فلا تجود لشدة البرد

وينمو الورد فى الطائف ، ويستخرج منه عطر فاخر يباع على الحجاج فى موسم الحج



عسير

يطلق « عسير » على الجهة الغربية من بلاد العرب الواقعة إلى جنوب الحجاز وشمال اليمن . وقد كان هذا القسم أيام حكومة الأتراك غير محدود تحديداً واضحاً . فمع أن الأتراك قد كوّنوا متصرفية^(١) عسير وجعلوها تابعة لولاية اليمن فقد كان أشرف الحجاز يدعون تبعية بعض المناطق المجاورة للحجاز ، كما كان أمراء نجد أيضاً يدعون ملكية بعض المناطق من الجهة الشرقية . أما اليوم فإن عسيراً أصبحت من المملكة العربية السعودية ، حسب معاهدة الطائف الأخيرة

ومنطقة الحجاز الرملية الموازية للشاطئ* تمتد إلى بلاد عسير بعرض يختلف من ٢٥ — ٣٠ ميلاً ، ثم تتصل بتهامة اليمن . أما المنطقة الثانية والثالثة والرابعة في الحجاز^(٢) فإنها لا تظهر بجلاء في بلاد عسير ؛ ويكاد لا يكون هناك تمييز بين هذه المناطق الثلاث

وعلى بعد نحو ثمانين ميلاً من الشاطئ* توجد سلسلة مرتفعات عالية ، يبلغ ارتفاعها نحو ٦,٠٠٠ إلى ٧,٠٠٠ قدم ، ومن هنالك تأخذ الأرض من جانبها الشرقي في الانحدار شيئاً فشيئاً ، حتى تتصل بصحارى نجد

ونظراً لما يصيب بلاد اليمن من المطر الموسمي في الحريف ، ونظراً لقرب عسير منها ، فإنه يصيبها من هذا المطر غير قليل . ولذا فإن وديانها الكثيرة الشاسعة تعتبر من الدرجة الأولى في الحصوبة . وأهم هذه الوديان هو :

وادي رانية — وادي ييشة — وادي شهران — وادي عقيق

(١) متصرفية : مديرية في عرف مصر

(٢) راجع التقسيم الطبيعي لولاية الحجاز

وأغلب الوديان الكبيرة تجري فيها المياه ، إما فوق سطحها أو قريباً منه .
وحالة الوديان تختلف عنها في الحجاز ، لأن البلاد خالية من النفود^(١)
وتجري الوديان الرئيسية في اتجاه وادي الدوّاسير الواقع في جنوبي نجد ؛ والبلاد
الداخلية في غاية الخصوبة ، وخصوصاً من تنوّمة إلى كَمَنِيّة . وهي تضارع أحسن
وأخصب البلاد العالية في اليمن . والمزروعات على اختلاف أنواعها من حبوب
وبقول وفاكهة تجود في الوديان

والجزء المجاور لشاطئ البحر وإن كان رملياً ، فإنه أحسن بكثير من نظيره
في الحجاز ، ففي أجزاء كثيرة منه تنبت المزروعات ، ويعيش كثير من السكان
عليها . وينزل مطر غير غزير في جنوبي تهامة وتهامة الوسطى في شهرى فبراير
ومارس . وفي شهر يونيو تنزل أمطار غزيرة . أما في الشمال سواء في الداخل أو في
البلاد الساحلية ، فإن المطر ليس دورياً جليل الفائدة

السكان

يبلغ عدد السكان تقريباً حوالى مليون ونصف . والأهالى كلهم شافعيّو
المذهب ؛ إلا النادر القليل جداً في الشمال الشرقى ؛ فإنهم حنابلة سلفيون . ويشغل
غالب الأهالى بالزراعة ، والبدو الرحل قليلون جداً في عسير . والاختلاط في
الأنساب قليل فيها ، إلا ما كان منه في المدن الكبيرة . وحدود القبائل بعضها
من بعض معينة تعييناً دقيقاً ليس له نظير في غير عسير . وأقوى القبائل وأكثرها
عدداً يحتل صلب البلاد ، ورءوس الوديان الداخلية ، والجزء الأعلى من العقبات

الزراعة

تتوقف الزراعة في تهامة على أمرين : الأول نزول الأمطار المحلية ، والثانى

(١) النفود جبال رملية

سيول المياه من الوديان المنحدرة إلى البحر . وفي مجرى أغلب الوديان الكبيرة تقام السدود لحجز المياه ، وتوجيهها في اتجاه الأراضي المراد زراعتها . وتحصد الأرض مرتين ؛ في الربيع وفي الصيف . وثلاث مرات في بعض الأحيان والمزروعات هي الدخن والأذرة والسمسم والقطن . وكل أنواع الخضار المحلية . وأخصب الأجزاء في تهامة هو الجزء الواقع بين حلي والبرك . وفي الداخل يزرع القمح والشعير والأذرة والفواكه ، وشجر البن ؛ ولكن بكمية قليلة لا تنق بالقدر الذي يستهلك في داخل البلاد

والماشية والغنم والماعز والجمال تربي بكثرة في عسير ؛ سواء في تهامة أو في الداخل

التجارة

وموانئ الواردات إلى عسير هي : القنفذة ، والبرك ، والشقيق ، وجزان الجعافرة ، والمضايأ ، وتغشّر ، والموسم ، والقرنية وواردات عسير قليلة ، وأهمها البضائع القطنية ، والسكر ، والبتروول ، والأرز وأدوات الطبخ ، والأسلحة والذخائر

أما الصادرات فأنها أقل وهي : القمح ، والدخن ، والأذرة ، والسمسم ، والسمك المقدد ، ويصدر إلى جدة أثناء موسم الحج . كما يصدر إلى مصوع وعدن السمن والجلود والسمسم والصوف والتمر والصمغ وبعض الدواب

البلاد

بلاد عسير المشهورة هي ما يلي : —

١ — ييشة :

بلدة زراعية مكونة من جملة قرى ، واقعة في الوادي المسمى باسمها ، وهي

على بعد ٢٤٠ ميلاً من شرق الجنوب الشرقى لمكة ، وهى نقطة هامة على الطريق من وادى الدّوأسر إلى الحرمين ، وأهم مكان بين الطائف وصنعاء ، ويعتبرها العرب مفتاح اليمن . وتروى الواحة بوساطة نهير صغير يسير متجهاً نحو الشمال الشرقى حيث ينحدر إلى وادى الدوأسر مع سواه من النهرات الأخرى الصغيرة ، وقد حكم الأشراف قديماً هذه المنطقة ؛ قبل الحركة الاصلاحية ، فى نجد . فى تايخ العصامى ، كثير من أخبار الأشراف فى بيشة ، وللاتصال الشديد بين بيشة ووادى الدوأسر كانت هذه المنطقة موضع نزاع بين الأشراف ونجد

٢ - تَرْبَة :

تقع على بعد تسعين ميلاً من جنوب شرق الطائف ، وهى على الطريق العام من نجد إلى اليمن ، وهى مدينة مسورة ، وتقع فى حجم الطائف ، وتحيط بها الأراضى الزراعية ، ومزارع النخيل ، وتروى بمياه غزيرة . وبجوارها عدة تلال ؛ يزرع على سفوحها الشعير والأذرة . وقد اشتهرت تَرْبَة بمقاومتها العنيفة لقوات محمد على سنة ١٨١٥ م ، كما اشتهرت بمعركتها الشهيرة بين جنود نجد والملك حسين فى ٢٤ مايو سنة ١٩١٩ م

٣ - أَبْهَا :

مدينة بيوتها مبنية من الحجر ، على تل فى وسط عسير ، وهى على بعد نحو ١٣٩ ميلاً من قلعة بيشة ، وكانت مركزاً للمتصرّف^(١) زمن حكم الأتراك ، وهى مركز هام للمواصلات وطرق القوافل فى عسير

٤ - محَايِل :

بلدة فى داخلية عسير تبعد عن القُنْفُدة بنحو ٧٢ ميلاً ، وهى ملتقى عدة طرق : من أَبْهَا ، ومن القنفدة ، ومن حِلِي ، ومن البرّك

(١) المدير فى عرف مصر

٥ — خَمِيسَ مُشَيْط :

هى أكبر مدينة فى أخصب جزء من جنوبى عسير ، وهى واقعة بين التلول إلى جنوب وادى يشة ، وهى على بعد ١٢٥ ميلا من شرق الجنوب الشرقى للقنفدة التى تتصل بها بواسطة درب للقوافل ، مياها وفيرة ، وهى مركز لتصريف تجارة التمر

٦ — أَبُو عَرِيش :

أشهر بلدة فى تهامة ، ولها تاريخ هام فى القرن التاسع عشر عصر النهضة الدينية الأولى ، وكانت عاصمة للشريف 'حمود الذى لعب دوراً هاماً فى ذلك العصر ، وهى على بعد ٧٠ ميلا شمالى اللحيّة ، وهى مقر المركز المسمى باسمها ، وأكثر بيوتها مبنى بالحجر ، مياها غزيرة وزراعتها واسعة

٧ — صَبْيَا :

على بعد عشرين ميلا فى الداخل ، وهى إلى الجنوب الشرقى من جيزان ، وكانت عاصمة الأدارسة ، وبها قلعة قديمة بنيت أيام الحكومة الأولى وقد أصابها الحكومة الحالية بعد القضاء على ثورة الأدارسة الأخيرة (سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م) وسكانها نحو عشرة آلاف نسمة ، مياها غزيرة ومزروعاتها واسعة

٨ — القنفدة :

بلدة صغيرة مسورة ومكونة من جملة بيوت وأكواخ على شاطئ البحر الأحمر وهى على بعد ٢٠٠ ميلا إلى جنوب جدة ، وسكانها زهاء أربعة آلاف ، وتجلب المياه من حفائر على بعد ميلين ونصف فى الداخل ، وهى ميناء أبها ، وتقع على بعد ٧٢ ميلا من محائل

٩ - حِلِّي :

هي الرأس الغربية لخليج مَحْمِيٍّ من رياح الشمال والشرق ، وتقع على بعد أربعين ميلاً من جنوب الجنوب الشرقي للقنفذة ، وهي قرية صغيرة قرب الشاطئ ، وبقربها توجد قمة جبل حِلِّي المشهورة ، وهي على شكل مخروطي

١٠ - جِيزَان :

ميناء صغيرة على بعد ٢٠٠ ميل من جنوب الجنوب الشرقي للقنفذة ، وهي واقعة أمام مجموعة جزائر فرسان ، ويحيط بها من جهة الداخل جبل جيزان ، وبالبلدة بعض مبان بالحجر ، ولكن الجزء الأكبر من بيوتها مبني بالطين ، والمياه في البلدة قليلة جداً ، ولكن على بعد ثلاثة أميال ونصف من شمال شرقي البلدة توجد آبار مياه وحفائر ، وسكانها يبلغون ألف نفس ، وهم يشتغلون باستخراج اللؤلؤ ، وبقرب جيزان جبل ملح حَجَرِي

١١ - مِيدِي :

قرية مكونة من بيوت قليلة وأكواخ ، ومنها تذهب القوافل شرقاً إلى صَعْدَة وصنعاء ، وهي الآن من حدود اليمن ، ويتبع منطقة عسير جزائر فرسان

خلاصة تاريخية عن حكومة عسير

كانت مقاطعة عسير متصرفية ، تابعة لولاية اليمن أثناء الحكم التركي ، ولكن الحقيقة أن هذه المقاطعة كانت يتنازعها نفوذ شريف مكة وإمام اليمن والإدريسى وبعض الأمراء المحليين ، الذين كان يتمتع بعضهم بشبه استقلال ، غير أن الجميع كانوا يعترفون بسلطة الحكومة التركية

فأمير مكة كان نفوذه يمتد إلى قبائل غامد ، وبنى شهر ، وشهران . وكان على أتم صلة بمشايخ هذه القبائل ، غير أن هذا النفوذ لم يعد التأثير المعنوي . أما طريقة الإدارة والحكم ، فلم يعرف أنه كان لأمير مكة أى أثر فى ذلك . وفى سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١٠ م اتصل بالقبائل الضاربة بين الليث وأبها أثناء الحملة التركية ضد الإدريسي ، تلك الحملة التى كان للشريف يد ظاهرة فيها ، وعلى كل فان الأتراك أنفسهم لم يكن لهم نفوذ على غير القنفذة على الساحل ، ومحائل وأبها فى الداخل ، وبعض البلدان الصغيرة القريبة منهما ، والطرق الموصلة بينها

أما المنطقة التى كان يمتد نفوذ الإدريسي عليها فتشمل قبائل فحطان فى القسم الجنوبى من عسير ، والقسم الأكبر من تهامة ، من البرك إلى الحديدة حيث يبلغ طول هذه المنطقة من الشمال إلى الجنوب نحو ٣٥٠ ميلا وعرضها نحو ٧٠ ميلا واتخذ الإدريسي مقاطعة صَبِيَا كعاصمة ، وميدى ورجيزان ميناءين . وقبل أن يقوم محمد على الإدريسي بحركة تأسيس حكومته فى عسير كان القسم الأعظم من المنطقة الممتدة من ظهران إلى الطائف خاضعة لنفوذ عائلة بنى مُغَيْط (Mugheid) وعاصمتهم مُنَاطِر ، أو أبها كما تسمى اليوم . واشتهر من بنى مُغَيْط فى القرن الماضى عايض بن مَرْعى الذى كانت له مواقف مشهورة فى الحملة المصرية فى عسير سنة ١٨٣٤ م ، وبقيت البلاد حرة من هذه السنة حتى سنة ١٨٦٩ م حيث رجع اليها النفوذ التركى ، فتقلص نفوذ آل عايض وأصبح سلطانهم لا يكاد يعدو منطقة أبها

أما ما يطلق عليه الخلاف السليمانى ، فكان مستقلا مدة طويلة ، وبقي محافظاً على هذا الاستقلال ضد الحكومة التركية ، والقبائل اليمنية من جهة ، وضد القبائل الضاربة فى الجبال الداخلية من جهة أخرى

وبين سنتي ١٨٣٠ و ١٨٤٠ م خضعت أبو عريش للشريف على ، الذي اتفق مع المصريين على التخلص من نفوذ عايض بن مرعي ، وفي أثناء حكمه وصل السيد أحمد الإدريسي المغربي — أحد رؤساء الطرق — إلى صبيّا (وكان قبل ذلك مقبلاً بمكة منذ سنة ١٧٩٩ م واعظاً ومرشداً إلى طريقته) وأقام بها إلى أن توفي سنة ١٨٣٧ م . وفي أثناء إقامته في صبيّا نشر فيها وفي عسير تلك الطريقة التي تلقّنها في مكة سنة ١٨٢٣ ، وقد ترك السيد أحمد لأولاده من بعده ثروة مادية ومعنوية لا يستهان بها ، ظهر أثرها في أيام ولد السيد أحمد وحفيده ، بعد انهزام الشريف حسين ، حاكم أبو عريش ، وقد تصاهر الإدريسي مع العائلة السنوسية المنتشرة في السودان ومصر قرب الأقصر . والحقيقة أن نفوذ الإدريسي لم يقتصر فقط على الخلاف السليمانى بل امتد شمالاً وجنوباً حتى أن بعض القبائل الضاربة حول صعّدة انتشرت بينها تعاليم الإدريسي . هذا ما تركه السيد أحمد الإدريسي الكبير من الأثر في عسير والذي استغله من بعده السيد محمد على الإدريسي حفيده

ولد السيد محمد على الإدريسي في صبيّا سنة ١٨٧٦ م وتلقّى تعاليمه ما بين الأزهر والكُفّة مقر السنوسى ، ثم رجع إلى صبيّا واضماً نصب عينيه انتزاع عسير من يد الأتراك ، والاستقلال بها . وفي سنة ١٩١٠ م طرد الترك من كثير من البلاد ، غير أنه لم يوفق في الاستيلاء على أبها ، حيث لم يقو على الوقوف في وجه الحملة التي سيرها الأتراك بقيادة أمير مكة الشريف حسين بن على . على أن ذلك لم يقل من عزيمه ، فانه انتهز فرصة اشتغال الأتراك بمحاربة الإيطاليين في طرابلس ، فقام محاولاً الوصول إلى غرضه الذي وضعه نصب عينيه ، مستعيناً بالإيطاليين . إلا أن هذه المحاولة لم تثمر الثمرة المطلوبة ، فان أمير مكة الذي كان له بالمرصاد ، كان أكبر عقبة في سبيل الوصول إلى ما يريد ؛ ومع ذلك فان الإدريسي

قد استطاع أن يبسط نفوذه الأدبي و بعض نفوذه المادى فى أثناء الحرب البلقانية ، وقد حاول أن ينال من الأتراك اعترافاً بحكومته ففشل ، ولم يعترفوا به إلا فاقتمام^(١) على صيبا ، وأبى عريش ، فاكنتى بذلك متحييناً الفرص الملائمة ؛ وفى أثناء الحرب العامة انضم إلى الحلفاء ضد الأتراك ، وعقد معاهدة مع القيم فى عدن فى شهر مايو سنة ١٩١٥^(٢) ، وأخذ يغير على الأتراك فى المناطق الجنوبية حتى وصل إلى اللحية ؛ وبعد إمضاء الهدنة ترك له الإنجليز الحديدة ؛ التى احتلوها أثناء الحرب اعترافاً بخدماته التى قام بها أثناء النضال العالمى . وقد استطاع السيد محمد على الإدريسى أن يقف فى وجه الشريف حسين من الشمال ، والإمام يحيى فى الجنوب ، مدة حياته بالتحالف مع سلطان نجد سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م)

توفى محمد على الإدريسى فى شعبان سنة ١٣٤١ هـ ، وولى الأمر بعده ولده السيد على الإدريسى ، فوقعت البلاد فى فوضى ، وحاول الملك حسين والإمام يحيى أن يوسع كل منهما منطقته على حساب الإدريسى فلم ينجح الملك حسين ، لأن الفرصة لم تساعده كما ساعدت الإمام يحيى

وفى ربيع الأول من سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) دخلت جيوش الملك عبد العزيز مكة ظافرة ؛ وظلت الجيوش سنة وبضعة أشهر تتعقب الأشراف لإجلالهم عن الحجاز ، فاتتهز الإمام يحيى هذه الفرصة السانحة فاحتل الحديدة ، وتابع زحفه شمالاً حتى وصل ميدى ؛ فلما وجد الأدارسة ما حل بهم عزلوا السيد على الإدريسى ، وولوا مكانه عمه السيد الحسن الإدريسى أخا السيد محمد على لم يجد السيد الحسن نفسه قادراً على الوقوف فى وجه الإمام يحيى ، فأرسل من قبله السيد مرغنى الإدريسى مندوباً إلى مكة للاستنجاد بالملك عبد العزيز ،

(١) نظير مأمور فى عرف مصر

(٢) تجد نص هذه المعاهدة فى ذيل الكتاب

فاجتمعت بالمرغنى ووضعنا معاً معاهدة الحماية فى سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) لانتقاد ما بقى من ملك الأدارسة . وفى سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) طلب السيد الحسن أن تضم البلاد إلى مملكة جلالة الملك عبد العزيز ، وأن يكون حكمه فيها مباشراً . ومن ذلك التاريخ أصبح ذلك القسم من عسير ملحقاتاً بمملكة نجد والحجاز ؛ التى يطلق عليها الآن المملكة العربية السعودية ، وطويت صحيفة الأدارسة كما طويت صحيفة آل عايض من قبلهم



نجد

هى أكبر قسم من بلاد العرب ، ويشمل صحراء العرب الوسطى ، ومع أن حدود نجد غير معروفة تماماً فى الجغرافية العربية لكثرة الأقوال وتعدد الآراء . فان نجداً اليوم تشمل الأراضى الممتدة من قُرَيَّاتِ المِلح شمالاً ، إلى وادى الدواسر جنوباً ، ومن حدود الأحساء شرقاً ، إلى حدود الحجاز غرباً

وفىها كثير من الجبال والأودية والصحارى ، وهى ليست قاحلة كما كان يتصور الناس قديماً . فمن الشمال ابتداء من حُورَان إلى شواطئ الفرات ؛ أرض منبسطة تسمى الحَمَاد ، ليس بها أقل ارتفاع ، كما أنه لا يوجد بها قرى أو مدن . ويظهر للمارِّ بها أحياناً بعض الأعشاب الصغيرة . وهذا القسم لا يزال كما كان منذ ٢٣٠٠ سنة

ويوجد بها من الحيوان : الحُبَارَى ، والنَّعام ، وابن آوى ، وبقر الوحش ، وحمار الوحش . وتقع صحراء الأحقاف جنوبى نجد ، فنجد على هذا محاطة من جميع جهاتها بسهول رملية ، مترامية الأطراف ؛ ونجد مشهورة بمراعيها الجيدة ، وبها كثير من العيون الغزيرة المياه ، وبها كثير من الأطلال القديمة التى لم تمسها حتى الآن يد البحث والتنقيب

وأشهر إِيَالَاتِ نجد من الجنوب إلى الشمال : وادى الدواسر ، الأَفْلَاق ، الحَرِيق ، الخَرْج ، العارض ، الوشم ، سُدَيْر ، القَصِيم ، جبل شَمَر ، الجَوْف ، قُرَيَّاتِ المِلح .

ويبلغ امتداد نجد من الشمال إلى الجنوب ، أى من قرىات الملح إلى

وادی الدواسر نحو ٨٠٠ ميل ، ويبلغ عرضها من الغرب إلى الشرق ، أى من
الوشم إلى سدير نحو ٢٢٠ ميلاً

الجو

تغنى الشعراء قديماً بهواء نجد ، وأسهبوا في وصف نسيمه ، وهو على العموم
جاف معتدل ، غير أن إقاييم نجد يختلف هواؤه باختلاف المنطقة ، وموقعها الجغرافى ،
فالحرىق كاسمها شديدة الحر . ووادی الدواسر كذلك

أما العارضُ فهو هواؤها معتدل جاف فى السهل ، شديد البرد فى مرتفعات
طويق . والجو فى القصيم جاف بارد فى الشتاء ، ومعتدل فى الصيف ، وليالى
القصيم فى الصيف كليالى الصحراء ، نسيم عليل ، وساء صافية ، ونجوم تسطع فى
السماء ، تلذ رؤيتها للشعراء والمولعين بالهدوء الصحراوى البديع

أما هواء جبل شمر فشديد البرودة ، ولذا فإن بشرة سكان نجد الشمالية تميل
إلى البياض عكس سكان الجنوب

والأمطار فى نجد لها الشأن الأول فى الحياة ، وهى قليلة على العموم إذا قيست
ببعض المناطق الجنوبية ، وكثيراً ما تكون الأمطار محلية ، وقاما تكون عامة .
فالأمطار شاملى النفود قاما تمتد إلى جنوبى جبل شمر ، وحديث الناس ؛ أمراهم
وبدوهم وحضرهم ، هو المطر . وسؤال القادم يبدأ بالمطر والمرعى . ومن يعيش فى
بلاد العرب يعرف الأثر العظيم الذى يحدثه المطر ، والتعاسة التى يسببها تأخره .
فأهل نجد لا يأبهون لشيء إذا رزقهم الله المطر ؛ تحيا به زروعهم وحيواناتهم ،
وتشملهم السعادة بكل معانيها

أما إذا انقطع المطر ؛ فلا يمكنك أن تتصور ما يصيب الحيوان من الضعف
والموت أحياناً



سازية يستقى منها الماء فى نجد

والرياح التي يكثر هبوبها ؛ الرياح الغربية ، وتميل إلى الجنوب في الجهات الشمالية القصوى

السكان

يبلغ سكان نجد من حضر وبدو مليون نفس تقريباً ، فالحضر هم سكان المدن ، وهم في الأصل من البدو ، توطنوا في مساكنهم من قديم وأهم العشائر النجدية آل مرّة ، وبنو خالد ، والعجمان في الشرق ، وقحطان في الجنوب ، والجنوب الغربي . وسُبَيْع والسهول في الغرب . ومُطَيْر في الشمال الغربي وشمّر في الشمال . وعُنَيْبَة في الشمال الغربي . وحرّب في الشمال الشرقي . وعَنْزَة في الشمال الشرقي أيضاً

وأهل حائل ينتمى أكثرهم إلى شمّر . وأهل القصيم يرجعون في الغالب إلى بني خالد وبني تميم ، وأهل الجنوب ينتمون في أنسابهم إلى عَنْزَة ، وأهل الوسط إلى الدواسر وبني تميم ، وأهل الجنوب الغربي ينتمون إلى الدواسر وقحطان

الأدوات المحلية والمصنوعات

هذه الأدوات قديمة العهد في نجد ، كما هي في باقي بلاد الجزيرة العربية لم يشملها التحسين والتجديد .

وفي مقدمة السكان حضارة أهل عُنَيْزَة ^(١) في القصيم ، وآخرهم حضارة سكان وادي الدواسر والسَّلِيل

جميع المباني من اللبن ، ويقل سمك الحائط في مرتفعه ؛ إلا في القرى الموجودة في الجنوب ، فإنهم يستعملون جذوع النخل . والسقوف مسطحة وهي

(١) عَنْزَة : اسم للقبيلة ، وعُنَيْزَة : اسم للبلدة

من الطين الموضوع على جذوع النخل ، أو فروع الأثل . والنوافذ عبارة عن فتحات صغيرة على شكل مثلث لإدخال النور ، وكل منزل له فناء كبير يستعمل لحفظ الدواب المنزلية ولحفظ السماد . والمنازل ذات الطابقين قليلة جداً ، والأثاث في البيوت بالمعنى المعروف في البلاد المتقدمة غير معروف إلا في بيوت العائلات الكبيرة . فالرجال يجلسون وينامون على الحصير المصنوع من خوص النخل ، ونصف أرضية المكان تبقى عارية ؛ والملاعق والسكاكين والشوك لا تكاد تستعمل في نجد ، والنور الكهربائي غير معروف إلا في قصر الملك وعائلته ، وأغلب السكان يستعملون مصابيح تضاء بالبتروول ، وهي واردة إليهم من الخليج أو الحجاز ؛ وأواني الطبخ من النحاس غالباً ، وقد يستعمل الألومنيوم أحياناً ولا سيما في القصيم ، ويصنع بعض أنواع الفخار في نجد ، ويصنع الخبز على شكل مسطح رقيق ، وهو إما أن يسوى على الحجر ، أو يسوى على لوح من الصاج ؛ أما أواني القهوة فتزد من الأحساء والشام ، وتصنع الخناجر والسكاكين في حائل أو الخليج ، أما الأسلحة النارية فتزد من الخارج

وأما خامات الملابس فكلها ترد من الخارج ، إلا ما يصنع من الصوف ، ويستعمل في عمل العباءات والعقالات ، ويصنع من الصوف الخيام ، وأخراج الجمال ، وأحسن أصناف العباءات ترد من الأحساء . ويكتفون من الملابس الداخلية بقميص من القطن ، ولا يستعملون النعال كثيراً . وأغلب المصنوعات الجلدية ترد من الخارج ، إلا ما يلزم لقراب المياه والدلاء ، والسروج ، والنعال ، فإنها تصنع في نجد . ويصنع أيضاً الحصير والمراوح من الخوص ، ولكن هذه الصناعة متقدمة نوعاً ما في القصيم ، ولا سيما عنيزة . ومع ذلك فإن أنواعها أقل بكثير مما يصنع في موانئ الخليج الفارسي

والطعام العادي في نجد هو التمر واللبن والخبز ، وأحياناً الأرز واللحم

إيالات نجد

العارض :

ويعرف في الجغرافية القديمة بِجَوّ ، والعَرُوض ، واليامة ، ويقع بين سُدير شمالاً ، والخَرَج والحريق جنوباً ، وهو يكوّن القسم الأوسط من طَوَيْق الشَّهير ووادي حنيفة هو قلب العارض ، وفي جنوبه الغربي يقع سهل ضُرْما ، وفي شماله المِحْمَل ، والقسم المعمور من العارض تبلغ مساحته ١٠٠ ميل مربع وأهل العارض مشهورون بالشجاعة والإقدام ، واحتمال المكاره ، والحماسة الدينية ، وقوة الإرادة ، والدهاء . وهم شديداً الإعجاب بأنفسهم ، يميلون إلى العزلة ، ويفضلون عدم الامتزاج بسواهم ، يغلب عليهم سوء الظن ، وربما كان ذلك بسبب الفتن الكثيرة وما جرته عليهم من المصائب . ولكنهم مع ذلك طيبو القلب لا يحملون حقداً لأحد ، إن وثقوا بأحد صموا آذانهم عما يقال فيه ، وهم عدة آل سعود وجندهم ، يرجعون إليهم عند الملل . ويستندون عليهم عند اشتداد الكروب ، ولغلبة الخلق الحربي عليهم ترى في طباعهم شيئاً من الخشونة والصلف

أشهر بلدان العارض :

أشهر بلدان العارض في الشمال — الرياض ، وشمالها : لِن ، القرشيّة ، عِرْقَة ، الدَّرْعِيّة ، المَلَقِي ، العَمَّارِيّة ، أبو الكِبَاش وفي الشمال الغربي : الجُبَيْلَة ، العَيْنَة ، الشَّعِيب وفي الشرق : صَلْبُوخ ، مِلْهَم ، القرنيّة

وفي الجنوب الغربي : سدُوس ، حُرَيْمِلَة ، الحِمْل ، ثَادِق ، المَحَرَّقة ،
رَغَبَة ، الرّوضة

الرياض :

عاصمة نجد كلها ، اتخذها آل سعود عاصمة لهم بعد تخريب الدّرعية
سنة ١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م) ، وقد عمرت الرياض وكثرت مبانيها وسكانها في أيام
الإمام فيصل جد الملك الحالي ، ثم أهمل أمرها بعد جلاء آل سعود عنها ، فعلاً
شأن حایل في الشمال ؛ وقد استردت الرياض مكاتها ، واشتهر أمرها ، وأصبحت
كعبة آمال الغرب ، ومقصد الوافدين من جميع الأنحاء العربية ، بعد أن ساد الملك
عبد العزيز نجداً كلها وقضى على منافسيه فيها ؛ وتنخفض الأرض المشيئة عليها
عن المستوى العام بنحو ١٠٠ قدم ، حتى أن القادم من الشمال أو الشرق لا يراها
إلا من قريب . ويحيط بالرياض بساتين النخيل ، وهي وضواحيها تمتد من الشمال
إلى الجنوب نحو ميلين ، حيث تقف عند قاع وادي حنيفة أو الباطن

والرياض كسائر البلدان النجدية : محاطة بسور محصن بأبراج عديدة لحماية
البلدة من غارات البدو وعدوان الأعداء .

ومباني الرياض من الطين أو اللبن ، وهي قليلة النوافذ على الطريق العام ،
فان ذلك معدود من العيوب في البلاد العربية . ويشغل قصر الملك ومنازل العائلة
الحاكمة قسماً عظيماً من المساحة ، وهي تشبه في بنائها قصور القرون الوسطى من جهة
السعة وإقامة الأبراج عليها ؛ والقصر الحالي بناه الملك عبد العزيز على أنقاض
القصر القديم

والرياض هي مقر آل الشيخ ، أو خلفاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح
الديني ، وهم في مركزهم الديني أشبه بأعضاء المحكمة العليا في البلدان الأخرى ،



منظر داخلي لقصر جلالة الملك في الرياض



منظر خارجي لقصر جلالة الملك في الرياض

وهم المرجع الأخير في جميع المشكلات الدينية ، ويقومون في الوقت نفسه بوظيفة تدريس العلوم الدينية والآداب العربية في بيوتهم ؛ التي يقصدها طلبة العلم ويجدون فيها ما يساعدهم على الانقطاع لطلب العلم

والرياض تزخر بالزائرين ، وتعج بالوافدين من الحضر والبدو وقت إقامة جلالة الملك بها ، وقد يبلغ عدد الضيوف عشرة آلاف ، ولا يقل عدد الضيوف عن ٨٠٠ في الأيام العادية ، وكلهم تهيأت لهم سبل الضيافة ، وتوفرت لهم جميع وسائل الراحة على نفقة جلالة الملك

وأهل الرياض أشد أهل نجد صلابة في الدين وغيره على حرمانه ، وشأنهم شأن أهل نجد في المحافظة على صلاة الجماعة والضرب على أيدي المتساهلين في أدائها و يبلغ عدد سكان الرياض نحو ٢٥ ألفاً ، وقد أمر جلالة الملك في سنة ١٩٣٣ بإنشاء بلدية للأشرف على تنظيف البلد وتوسيع طرقها ، وقد ربطت بيوت العائلة الحاكمة بعضها مع بعض بأسلاك التليفون ، وأصبحت بعد إنشاء المحطة اللاسلكية فيها سنة ١٩٣١ مرتبطة مع سائر البلدان العربية ، وأصبحت على اتصال وثيق بالعالم الخارجي بعد ما كانت في عزلة تامة عن العالم

وقد زرت الرياض في ديسمبر سنة ١٩٣٢ ويناير سنة ١٩٣٥ بعد زيارتي لها سنة ١٩٢٤ ، فوجدت البلدة قد نمت نمواً عظيماً وكثرت مبانيها وعدد سكانها ، وقد تبع ذلك نمو حركة التجارة فيها

الدَّرْعِيَّة :

هي العاصمة الأولى لآل سعود تخربت سنة ١٢٣٣ هـ سنة ١٨١٨ م أما الدرعية الجديدة فتقابل البلدة القديمة ، وهي في الجهة الشمالية من وادي حنيفة ، تقع في غربي الرياض ، وتبعد عنها نحو ١٢ ميلاً

يبلغ سكانها الآن نحو ١٥٠٠ نفس ، وبها كثير من أشجار النخيل والفاكهة يروىها نحو ٤٠٠ بئر غزيرة المياه ، وأشهر ضواحيها الطَّرِيف في الجهة المقابلة من الوادى ومَرِيحَة والغُصْبَة ، وهى منفصلة عن بعضها بأسوارها الخاصة
سَدُوس :

بلدة صغيرة فى موقع كثير المياه ، خصب التربة ، وفيها كثير من أشجار الفاكهة والنخيل ، وقد اشتهرت سدوس بما فيها من الآثار ، وقد عثر فيها على تمثال يبلغ قطره ثلاثة أقدام ، وارتفاعه ٢٢ قدماً ، ويبلغ سكان سدوس نحو ألف نفس
حُرَيْمَلَة :

فى طَوَيْق أيضاً ، وفى الشمال الشرقى من سدوس ، وتبعد عنها نحو ١٢ ميلاً ، وهى أيضاً فى منطقة خصبة كثيرة المياه ، بها كثير من أشجار النخيل والفاكهة ، وآبارها عميقة ، وبها قلعة كبيرة مخربة بناها المصريون فى أوائل القرن التاسع عشر ولكنها تداعت بعد ذلك . والقسم المنخفض من البلدة فيه كثير من المنازل المتداعية ، ترى كأنها أطلال ، والطريق العام الشمالى إلى سدوس يمر بحريملة ، ويبلغ سكان حريملة ٣٠٠٠ نفس

ثَادِق :

بلدة صغيرة فى الشمال الغربى من حريملة ، تقع على جانب الوادى فى الجهة الغربية من منحدرات طويق ، يبلغ سكانها نحو ٢٠٠٠ نسمة ، وكانت من المدن الشهيرة فى العارض ، وعدا عليها عادى الدهر

العُيْنَة وَالْجُبَيْلَة :

وقد كانت الأولى زاهية زاهرة فى أيام النهضة الأولى لآل سعود ؛ وهنالك

قصص كثيرة في أسباب خرابها وهجر الناس لها ، ليس هنا محل ذكرها ، والجبيلة مشهورة بقبور كثير من الصحابة الذين اشتهروا في حرب مسيلة الكذاب

الخَرْج :

أشهر بلدان الخرج : الدلم وهي العاصمة ، منفوحة في الجنوب ، نَعْجَان ، السَّليمة ، اليمامة ، المناصف ، الضَّبْعِيَّة ، البِدْع ، فِرْزَان تقع هذه المقاطعة في الجنوب الغربي من العارض في وادي حنيفة ، وتمتد من الضفة اليمنى للوادي قرب الرياض إلى الصحراء الكبرى الجنوبية ، ومن حدود الحريق والحوطة في الجنوب الغربي إلى الصحراء الشرقية . والمنطقة المسكونة من المقاطعة يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ٨٠ ميلاً ، ومن الغرب إلى الشرق ٥٠ ميلاً ، والخرج من أغنى المقاطعات النجدية^(١) وأخصبها ؛ فيها كثير من العيون الجارية والمناطق المزروعة وقد اعتاد آل سعود من قديم أن يُسيموا خيولهم وإبلهم في الخرج . وأشهر بلدان الخرج هي :

منفوحة :

تقع في أقصى الطرف الشمالى من وادي حنيفة ، ومنازلها بعضها مبنى بالطين والبعض الآخر بالحجر . وقد كان لمنفوحة شأن يذكر في نجد في الماضي لما كانت الرياض قرية ، فقد كان سكان منفوحة أكثر من سكانها الحاليين ، إذ كانوا يجاوزون الخمسة عشر ألفاً . أما الآن فمنفوحة لا يتجاوز سكانها عشرة الآلاف ، وبها كثير من أشجار النخيل التي تزيد عن ٤٠ ألف نخلة ، وآبارها يبلغ عمقها من ٢٥ — ٧٠ قدماً حسب بعدها عن الوادي

(١) أنظر ياقوت

السَّامِيَّة :

بلدة صغيرة على مجرى عين فرزان الذي يفيض من الدَّلم على بعد ٥٠ ميلاً من الرياض ، وهي في بقعة منخفضة كثيرة المياه ، بها كثير من البساتين ، ويبلغ سكانها نحو ألف نفس

اليمامة :

مدينة صغيرة أيضاً تقع على مجرى العين السابقة ، وفي بقعة خصبة أيضاً ، كثيرة المياه ، بها كثير من البساتين ، ويبلغ سكانها الآن نحو ١٢٠٠ نفس وقد كانت اليمامة قديماً تطلق على منطقة واسعة

الدَّلم :

هي المدينة الرئيسية للمقاطعة في الوقت الحاضر ، وتقع على عين فرزان الشهيرة ، ويبلغ سكانها نحو ٦٠٠٠ نفس يشتغلون بالزراعة ، وأراضيها خصبة وعامرة بزراعة النخيل والحبوب والأرز ، ويبلغ عمق الآبار من ٣٥ — ٥٠ قدماً

الحَرِيق :

تقع منطقة الحريق غربى الخرج وجنوبى العارض ، وتبعد عن الرياض بنحو خمسين ميلاً ، وآبارها بعيدة الغور قد تبلغ نحو ١٠٠ قدم ، ويبلغ سكانها نحو ٤٠٠٠ نفس ، وقد اشتهرت الحريق بالثورة التى أثارها أبناء عم الملك عبد العزيز عليه سنة ١٩١٠ م فى الوقت الذى كان شريف مكة يهدد إمارة نجد من جهة الحجاز

الحُوطة :

بلدة صغيرة فى جنوبى الحريق ، بها كثير من البساتين يبلغ سكانها

٤٣٠٠ نفس

الأفلاج :

تقع منطقة الأفلاج غربى الخرج وشمال الحريق ، وهى سهل واسع ، وهى فى الجغرافية القديمة قسم من اليمامة ، كثير المياه والنخيل ، عامرة بالسكان ، وأشهر بلدانها هى :

لَيْلَى :

فى القسم الشمالى من المنطقة ، وهى الآن أعمر بلدان الأفلاج ، ويبلغ سكانها وسكان القرى التابعة لها نحو ٥٠٠٠ نفس ، منهم نحو ٤٠٠ من الأشراف

البديع :

فى القسم الجنوبى من المقاطعة ، ويبلغ سكانها نحو ٣٥٠٠ نفس

الرَّوْضَة :

شمال البديع ، وتبعد عنها ١٠ أميال ، وبها كثير من بساتين النخيل ، والمنطقة كثيرة المياه ، ويبلغ سكانها نحو ١٦٠٠ نفس

وادی الدواسر

يمس الوادى حافة الربع الخالى عند نقطة تبعد نحو خمسين ميلاً من جنوب شرقى السُّكَّيل ، وعلى بُعد خمسين ميلاً أيضاً من جنوب غربى المكان نفسه لطريق ومجرى الدواسر ينعدم شرقاً فى الرمال . وإلى الغرب من هذا توجد سلسلة جبال الين ، ويوجد على منحدراتها الشرقية كثير من الواحات العامرة ، ثم تنعدم هذه المنحدرات تدريجياً فى الرمال ، بينما وديان التلث و بيشة و رانيا تتجه شمالاً فى أعالى عسير ، حيث اجتماعها فى السهل يكون وادى الدواسر نفسه

منطقة السليل :

هذا الجزء واقع إلى الجنوب الشرقي لوادي الدواسر ومنخفضات المقرن ،
و إلى جنوبه فيما وراء المرتفعات تمتد أطراف الصحراء

واحة السليل :

يبلغ طول الواحة حوالي ميلين ؛ في واد رملي مكوث من التقاء الوديان في
قلب أعلى الطويق^(١) ، وأحد هذه الوديان هو وادي الدواسر الذي شق حاجز
النجد إلى شطرين من الغرب إلى الشرق

ومستعمرة السليل تتكون من أربعة قرى مربعة الشكل ، وكثير من الأكواخ
المبعثرة هنا وهناك ، وبضعة قصور منتشرة على حافة مزارع النخيل على الضفة
اليسرى لوادي المجموع . ومساحة المستعمرة ميل طولاً ، وربع ميل عرضاً
وعند طرفها الشمالي الغربي تقع قرية « قرعة » ، وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة
وعلى الطرف الآخر تقع قرية صَبْحَة أو المَحْمَد ، ودَهْلَا ، والحَنَش
والقرية الرابعة هي آل سُويْلَم ، وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة . وهي واقعة في
منتصف الواحة

ومجموع سكان الواحة لا يزيد عن ألفي نسمة ، بعضهم أرقاء تحرروا ، وهذا
التقدير لا يضم العرب الرحل الذين يفدون على الواحة زمن موسم التمر لأخذ
حاجتهم منها

وما تنتجه الواحة من القمح والتمر يكفي سكانها مؤونة العام ، وعدا ذلك فتزرع
فيها أغلب أنواع الفواكه ، وفيها يزرع القطن أيضاً

ومنطقة السليل بما فيها حَمَّا في الشمال ، وواحة « تَمْر » في الشرق هي جزء
من إمارة الدواسر

(١) طويق : جبل في نجد الوسطى

واحة الوادى :

تقع مزارع نخيل الشَّرَافَة فى مدخل الواحة من جهة الشرق ، وهى غنية بشجر الأثل والكروم ؛ وسكانها نحو خمسمائة نسمة من الدواسر ، ثم يتلوها لحاف أو مَسَرَّة ، ويفصلها عن مزارع نخيل الشرافة حواجز رملية يبلغ عرض الواحة منها حوالى نصف ميل

وتكثر مزارع النخيل فى الجهة الشرقية من الواحة بدرجة كبيرة ، وفيها توجد خمسة قرى منها : « نَعِيمَة » و « الْقَيْظ » ، وهما قريتان متلاصقتان ، وواقعتان على ضفة الوادى اليمنى ؛ وسكانهما معاً حوالى ثمانمائة نسمة

وعلى بعد نحو ربع ميل من شمالى هاتين القريتين ، وعلى سفح الضفة اليسرى للوادى تقع قرية « نَزْوَ » ، وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة

بلى ذلك مستعمرة مَحَادِم ومُقْتَلَة ، وهما غنيتان بمزارع النخيل ، وسكانها نحو ألفى نسمة

يتلو ذلك الدَّام ومَشْرِف ، وهما واقعتان على حافة الوادى القبلية ، ويفصلهما عن بعضهما مسافات صغيرة

وإلى الغرب تقع مزارع نخيل الفرعة وكرومها ، وهى تكون الحد الغربى للواحة . ففي هذه الواحة يجرى مجرى نهر الدواسر . ومجرى الوادى نفسه طينى التربة ، ولكنه مغطى بطبقة خفيفة من الرمل

وإلى الجنوب تمتد صحارى قاحلة لا نبات فيها ، وبها تلال رملية تتلاشى رويداً حتى تتلاشى فى رمال الصحراء ، وتتجه من جهة إلى الجنوب الشرقى حيث توجد النُوَيْج

بلدان الوادى

دَام :

هى عاصمة الإقليم ، وتقع على سفح المنحدر فى الجهة اليمنى من الوادى . وهى على شكل مربع تقريباً ، ومبنية على مرتفع تقع على قمته أحسن البيوت والمساكن ، وكانت محاطة بسور ولكن أغلبه اليوم متهدم . وأحسن بناء فيها هو « قصر حسين » وهو على شبه قلعة يملكه أحد الشيوخ . وليس بالبلدة سوق عام ، ولكن بضعة حوانيت ترى هنا وهناك

وسكانها نحو ثلاثة آلاف نسمة من الرُّجَبَان ، وهم قسم من الدواسر أشداء البطش والقوة ، ويعنون كل العناية بنخيلهم وكرومهم وفى الفضاء الذى يفصل « دام » من نظيرتها « مِشْرِف » يقع « البرَزَان » وهو القلعة وقصر الحاكم العام

مِشْرِف :

هى المركز التجارى العام للواحة ، وهى تنافس « دام » فى الأهمية والشهرة ويبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة ، ويحيط بالبلدة سور فى حالة أحسن من سور مدينة « دام »

وَلَامِينَ :

واقعة إلى الشمال الغربى من مشرف ، وسكانها نحو ألف نسمة ، ويفصلها عن مشرف حائط يسمى القُرَيْخ

الجُوَيْر :

فى الجنوب الشرقى من دام ، ويبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة

تَمَامِيَّة :

في شرق دام ، ويبلغ سكانها نحو ٢٠٠٠ نسمة
وفي الجهة الغربية من الواحة توجد مزارع نخيل واسعة النطاق يتخللها بعض
أشجار الأثل ، وتسمى هذه الجهة « الفرعة » ، وبها عدة قرى بعضها إلى جانب
بعض ، ويطلق عليها اسم « الحمراء » ، وهي واقعة إلى الجهة اليمنى من الوادى
ويبلغ مجموع سكان إقليم الدواسر زهاء ثلاثين ألفاً من حضر وبادية ، ويمكن
الوصول من وادى الدواسر إلى رانينا في خمسة أو ستة أيام بالإبل ، ومنه إلى وادى
بيشة في نحو أسبوعين

الْوَشْم :

أشهر بلدان الوشم : شَقْرَا (العاصمة) ، ثَرْمَدَا ، وَشِيقَر ، الْقَصَب ، غِسْلَةَ ،
الْوَقْف ، أُثَيْثَةَ (بلدة جرير الشاعر) ، الفرعة ، الحُرَيْفَة ، الدَاهَنَة

يحده من الجنوب والشرق العارض وسُدَيْر ، ومن الشمال القصيم ، وأما من
الجهة الغربية فليس هنالك شيء بارز يحدد نهايته ، ويفصله من الجهة الجنوبية
الحضاد عن ضُرْمَة من العارض ؛ ويبلغ امتداد هذا السهل من الشمال إلى الجنوب
حوالى ١٠٠ ميل ، ومن الشرق إلى الغرب نحو ٩٠ ميلاً — أما خط تقسيم المياه —
فهو السهل الرملى الواطئ الذى يبلغ عرضه نحو ١٥ ميلاً

وينتهى النفود إلى جنوب ثَرْمَدَا حيث الحد الفاصل ما بين الوشم والعارض ؛
والجنوب الشرقى من الوشم أهل بالقرى والسكان والمياه ، وفيه تقع أكبر بلدين
فى الوشم : شَقْرَا العاصمة ، وَثَرْمَدَا . أما وسط الوشم وشماله فأرضه غير خصبة ؛
ويبلغ عدد سكان الوشم نحو ١٥,٠٠٠ نسمة ينتمون إلى بنى تميم وعذرة ، وهم
يقطنون حوالى عشرين بلدة وقرية عدا القرى الصغيرة . وأشهر البلدان هي :

شُقْرَا :

في الجهة الجنوبية الشرقية ؛ يبلغ سكانها سبعة آلاف ، وسورها وأبراجها متهدمة منذ الحصار الذي أقامه عليها محمد الرشيد في سنة ١٨٩١ م ، وبساتينها صغيرة بالنسبة إلى مساحة المدينة ، وآبارها عميقة : ٦٠ — ٧٠ قدما ، ولكن ماءها لا ينضب حتى في أيام الجفاف الشديد .
وقد كان لشُقْرا في القرن الماضي مكانة تجارية عظيمة مع الهند وسوريا والعراق ؛ ولا يزال أهلها يجوبون مختلف الأقطار في سبيل التجارة

ثَرْمَدَا :

في الجنوب الشرقي من شُقْرا ، وهي تكاد تكون مخربة مما حلّ بها في سنة ١٩٠٣ ، حيث انحازت إلى ابن الرشيد . يبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نفس ، وبها قلعة وسوق ، وكثير من البيوت الجميلة ، وبها كثير من البساتين الواسعة ، وهي تروى من آبار عمقها من ٦٠ — ٧٠ قدما

وُشَيْقِر :

في الجهة الشرقية بين وسط حافة النفود وواجهة طويق ، وهي على بعد بضعة أميال إلى الشمال الشرقي من شُقْرا . بها مزارع تروى من آبار عمقها من ٥٠ — ٦٠ قدما

المِذْنَب :

في منتصف الطريق بين شُقْراء والقصيم ، وهي جملة قرى أهلة بالسكان منضم بعضها إلى بعض ؛ يبلغ سكانها نحو ٢٥٠٠ نفس ، وآبارها غير عذبة ، وبها كثير من القصور ، ولقرىها من الوشم عدت قسماً منه ، وبعض النجديين يعتبرها قسماً قائماً بنفسه

سُدِير :

هو القسم الواقع إلى شمال نجد الأصلية ، وتقع القصيم إلى شمالها وشمالها الغربي ، وخط الحدود يقع في الصحراء على بعد عشرين ميلاً من وادي الرُّمّة بين الزِّلْفِي والمِذْنَب ، وإلى غربها تقع الوشم وخط الحدود ؛ ويمكن تقدير أبعادها بمائة ميل من الشمال للجنوب ، و ٩٠ ميلاً من الشرق إلى الغرب

وسدير في الواقع هي الجزء الشمالي من « طويق » وتحتوي على أول السلسلة التي تتجه نحو الجنوب الشرق ، والجزء الرئيسي الذي يكون أغلب سدير هو السهل المرتفع الواقع في الشمال فوق السلسلة الممتدة إلى الجنوب الشرق . والقسم المأهول بالسكان هو المنخفض من هذا السهل

وهذه الوديان منفصلة بعضها عن بعض بحواجز صخرية ؛ والقرى هي في الواقع واحات صغيرة منفصلة بعضها عن بعض ، وغير ذلك توجد مزارع مأهولة خارج الحد الشرق من المرتفع ، وهي واقعة إلى شمالي وشرق الزِّلْفِي والمجمعة ، وأيضاً يوجد بعضها إلى الجنوب

ولا يمكن تقدير عدد السكان بأكثر من خمس وعشرين ألف نسمة ، وكل البلاد ذات الأهمية واقعة على الطريق الرئيسي وأهمها :

المجمعة ، الزِّلْفِي ، الغاط ، جَزَاجِل ، التَّوَيْم ، الدَّاحِلَة ، الروضة ، الحصون ، حَوْطَة ، سُدِير الجنوبية ، العطار ، العُودَة ، الحِطَامَة ، عُسَيْرَة ، تَمِير

المجمعة :

واقعة في الشمال ، وهي في الجانب الجنوبي من وادي يحري في وادي الشَّجَر ، ويبلغ عدد سكانها نحو ٤٥٠٠ نفس ، وهي مسورة ، وفيها قلعة وأبراج ، وعمق

آبارها يختلف بين ٣٥ — ٧٠ قدماً ، وبها سوق فيه ٥٠ دكاناً ، ويكثر فيها أشجار النخيل ، ويقع الأمير في بيت قريب من السور

الزُلفى :

واقعة في نهاية الطرف الشمالى فى سهل واقع بين الطويق فى الشمال الشرقى وأعلى النفود غرباً ، وتنقسم إلى بلدين يحيط بكل واحدة منهما سور . فالأولى واقعة فى عراء السهل ، والأخرى واقعة بين بساتين كبيرة واسعة على بعد ميل من الأولى . ويبلغ ارتفاع السور المقام حولها نحو ١٦ قدماً ، وعليه ثلاثة أبراج يزيد ارتفاعها عن ارتفاع الحائط بنحو عشرة أقدام ، والبوابة مرتفعة وواسعة بحيث تسمح لراكب الجمل أن يدخلها وهو راكب جملة

والقسم الشمالى الشرقى منها دارس ، وفى الجزء الباقى تمتد الشوارع من الشمال إلى الجنوب ، والبيوت ذات الطبقتين قليلة ، وبها مسجد واحد ومجموع سكان البلدين يبلغ نحو ٤٠٠٠ نسمة

الفاط :

سكانها نحو ١٥٠٠ نفس ، وفيها كثير من البساتين الكبيرة ، وهى على مسافة مسير يوم جنوباً من زلفى ، ونحو يوم إلى شمال الجمعة

جلال :

تقع على بعد ١٨ ميلاً إلى جنوب الجمعة ، وتعلو عنها نحو مائتى قدم ، وهى مدينة مسورة ، وبها قلعة ، وبها بعض البيوت ذات الطبقتين ، وبها بساتين كثيرة جداً فاقت بساتين التويم التى تبعد عنها نحو خمسة أميال إلى الجنوب الشرقى ، ويبلغ سكانها نحو ٣٠٠٠ نفس

القَصِيم :

تقع الوشم في جنوبها الشرق ومنحدرات عُتَيْبَة في الجنوب الغربى ، ويحدها جبل شمر من الغرب والشمال والصحراء الشمالية ، وتبلغ أبعادها نحو تسعين ميلا من الشمال إلى الجنوب ، وستين ميلا من الشرق إلى الغرب ويطلق على القسم الواقع في الشمال الشرقى القصيم العليا ، وتتسرب المياه إلى آبارها من المرتفعات المحيطة بها ، وبخاصة من جبل شمر ، والقصيم ملأى بالقرى الآهلة بالسكان

ومزارعها كثيرة جداً حتى أنها تشبه حديقة تحيط بها صحراء ، وتوجد في هذه الواحة المزروعات على اختلاف أصنافها ، ويقدر عدد المقيمين فيها بصفة دائمة بسبعين ألف نسمة

وتقع القصيم في طريق القوافل من مكة إلى بلاد ما بين النهرين ، وسوقها التجارية نافقة ، وتعتبر بلاد القصيم أكثر بلاد العرب الداخلية اتصالاً بالعالم الخارجى ، وأهلها من أذكى أهل نجد ، وأرقهم طباعاً ، وأكرمهم خلقاً ، وأسخام يداً ، وأكثرهم أسفاراً للخارج ، وأكثر التجار النجديين المعروفين في مصر وسوريا والهند والعراق من أهل القصيم ، وبها بعض المدارس التى تغنى بالعلوم الدينية ، وبها بعض العلماء المتبحرين في فنون الفقه والعربية

ويبلغ عدد قرى القصيم نحو ٥٠ قرية ، والمدينتان الرئيسيتان للقصيم هما : بريدة وعُغَيْزَة ، وأغلب القرى تعتمد على بريدة ولذا تسمى بأُم القصيم

بريدة :

تقع في الطرف الشمالى من القصيم العليا على الجانب الأيسر من وادى الرثمة ، وهى من أكبر المدن النجدية وأحسنها نظاماً ونظافة ، وطرقها أوسع من الرياض

ومن طرق أكثر البلدان النجدية ولكنها ملتوية ، ومبانيها من اللبن ، وهي كسائر البلدان العربية ؛ محاطة بسور يحمي البيوت والأسواق يبلغ ارتفاعه ١٥ قدماً ، وبساتينها خارج السور تمتد أكثر من ثلاثة أميال في اتجاه وادي الرمة إلى قرية الخبر ، والمياه فيها متوفرة وغزيرة ، ولكنها ليست خالصة العذوبة ، وعمق الآبار يتفاوت من ٢٠ — ٤٠ قدماً ، وتطفو الرمال من وقت لآخر على البساتين ويقع سوقها في الجهة الجنوبية من البلدة ، وبه نحو ٣٥٠ حانوتاً وهو مقسم إلى أقسام حسب نوع البضاعة ، وبها أيضاً سوق للجمال والغنم وبها ستة مساجد وبالشمال الشرقي القلعة الرئيسية للبلدة ، يبلغ ارتفاع الجدار ٤٠ قدماً ، بنيت بناء هندسياً جميلاً قبل ٦٠٠ سنة ، ويسمونها القصر أيضاً ، يسكن بها الأمير (العاقل) ويسكن بها أيضاً الملك عبد العزيز وقت إقامته في بريدة . ويربى في بريدة وما يليها الأبل والغنم ، وهي تكون جزءاً من ثروة البلاد ، ويصدرون للخارج الزائد عن الاستهلاك المحلي ، وكذلك يعني فيها بتربية الخيول ، وتصدر إلى الشرق والشمال

ويبلغ عدد سكانها ٣٠ ألفاً أكثرهم من بني تميم ، وهم ليسوا كأهل عنيزة في الكرم ولين الجانب

وتقع المدينة على مرتفع رملي ، وهي صحية جداً ، وأرضها خصبة ، وبساتينها كثيرة وتروى بسهولة

عنيزة :

تقع إلى يمين وادي الرمة على بعد ميلين منه ، وتبعد عن بريدة نحو ١٢ ميلاً في مكان خصيب يحفه النفود من الشمال ، ويحيط بالقسم الأهل من السكان من البلدة حائط داخلي ، وبه بساتين عامرة تمتد إلى الشمال نحو ميلين . وبيوت عنيزة أنظف وأحسن من بيوت بريدة

وقد اشتهر أهل عنيزة بلين الجانب وبشاشة الوجه وحسن لقائهم للأجانب ،
وهم مشهورون بالشجاعة والاستعداد التجارى بفطرتهم
يبلغ عدد سكانها ٢٠ ألفاً — اشتهرت عنيزة ببعض الصناعات المعدنية
وتجاريتها واسعة ، وبها عدد غير قليل من الأجانب (غير نجدى)
وقد كانت عنيزة تنافس بريدة فى الأولوية والأهمية ، ولكن بريدة سبقت
عنيزة الآن

ومن أشهر مدن القصيم :

الرَّس :

تقع فى القسم الجنوبى من القصيم على بعد ٥٠ ميلاً من بريدة فى الجنوب
الغربى منها ، وعلى بعد ٤٠ ميلاً من عنيزة ، وفى جنوب غربى عنيزة على الحافة
البنى لوادى الرمة ، تحيط بها البساتين من جميع جهاتها ماعدا الجهة الشرقية ،
ولها مزارع واسعة فى بطن وادى الرمة وفى جهات أخرى
ويبلغ سكانها نحو ٤٠٠٠ نفس ، وقد قاومت إبراهيم باشا سنة ١٨١٧ م
مقاومة شديدة ، وبقيت مدة طويلة تحت الحصار قبل التسليم

الخَبْرَا :

تقع على الحافة اليسرى من وادى الرمة على بعد نحو تسعة أميال شمالاً من
الرس ، وهى بلدة مسورة بها نحو ٣٥٠٠ نفس ، وبها سوق يعقد كل يوم جمعة ،
وبها ميدان كبير يجتمع به الناس فى وسط المدينة ، ويبلغ عمق آبارها حوالى ٥٠ قدماً

العيون :

فى القصيم العليا على بعد ٢٨ ميلاً من شاملى غربى بريدة وهى واقعة فى
منخفض وتمتد نحو نصف ميل من الشمال إلى الجنوب

يبلغ سكانها نحو ٥٠٠٠ نفس ، وهي مكونة من قريتين متجاورتين ، تجارتها واسعة ، بها كثير من مزارع النخيل ، تروى من آبار يبلغ عمقها ٣٠ قدماً قُصْبَة :

تقع في الشمال الشرقي من القصيم العليا في مكان منخفض ، وبها مياه غزيرة ولكنها تميل إلى الملوحة ، وبها أيضاً عين حارّة ، وبها كثير من البساتين الواسعة المساحة ، وثمرها من أجود الأنواع في نجد يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ نفس يسكنون في أربع محلات متجاورة جبل شمر :

يطلق اسم جبل شمر على السهل الواسع الممتد بين جبل أجا وسلمى ، والذي تسكنه قبائل شمر المشتغلة بالزراعة — ففي شعاب هذه الجبال توجد منابع عديدة للمياه ، والأرض خصبة صالحة للزراعة ، وفيها أشجار النخيل بكثرة حيث تنمو هنالك نمواً عظيماً

وفي السهل الكبير المنبسط بين هاتين السلسلتين توجد منابع المياه بوفرة تحت طبقة الرمال والصخور ، فتجعل الأرض صالحة لأنواع شتى من المزارعات ، ولكنها في موسم الحر تحتاج إلى ريها باستمرار

وإمارة جبل شمر هي نجد يعلو عن سطح البحر ٢٢٠٠ قدم ، وبه رؤوس مرتفعات عالية أيضاً ، والنجد منحدر من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ، والمياه تنحدر في أغلب الأوقات إلى وادي الرمة . وأهم الظواهر في بلاد الإمارة هي سلسلة الجبلين المحاذيين لبعضهما : جبل أجا وسلمى ، وهما واقعتان في شمالي الإمارة ، وتمتدان حتى طرف المقاطعة أي أن اتجاههما من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ، وهما مكونان من حجر الجرانيت ، وارتفاعهما شاهق ؛ فإن جبل

أجا يعلو عن سطح النجد نفسه بنحو ألف قدم ، ويبلغ ارتفاعه الأعلى في إحدى المواقع إلى ٥٥٠٠ قدم ، وتبلغ مساحة السلسلة حوالى ١٠٠ ميل طولاً وعشرين ميلاً عرضاً

أما جبل سلمى فإنه لا يقل ارتفاعاً عن جبل أجا ، ولكن مساحته أقل ، والمنطقة الجبلية تتجه غرباً إلى حدود النفود الجنوبية

ويوجد في جبل أجا كثير من الحيوانات الوحشية والطيور ، والهواء في الإمارة معتدل وصحى ، وتنزل أمطار غزيرة على أعلى الجبال ؛ وبذا توجد المراعى الخصبة الكثيرة . وينزل أوائل المطر في شهر نوفمبر ، ودرجة الحرارة في فصل الشتاء منخفضة

السكان

هم خليط من الحضرة والبدو يبلغون نحو ٤٢ ألفاً . ويبلغ عدد الحضرة منهم نحو اثنين وعشرين ألفاً ، والبدو نحو عشرين ألف نفس ، والسكان كأهل القصيم يميلون إلى التأنق ، ويغلب على طباعهم لين الجانب وإكرام الأجانب

المحصولات والتجارة

لا ينتج الجبل من المحاصيل الزراعية ما يكفي لقوت سكانه بالرغم من أن أكثر سكانه يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية

وتصدر الولاية عدداً كبيراً من الخيول الجيدة والجمال والغنم التى تنتج نوعاً جيداً من الصوف

ويزرع في الجبل النخيل وبعض أصناف أخرى من الفواكه

البلاد المشهورة

هى — كما سبق — الجزء الواقع بين جبلى أجا وسلمى ، وفيه تقع العاصمة «حاييل» وعلى قرب منها إلى الجنوب الغربى تقع «قِفَار» ، وهى قرية قديمة مشهورة واقعة على المنحدر الجنوبى لجبل أجا ، وبالقرب من جبل سلمى تقع مجموعة قرى منها : «فِيد» العاصمة القديمة . وفى شمال جبل أجا — بينها وبين النفود — توجد بعض واحات متفرقة ولكنها غير مهمة . وتوجد أجزاء كثيرة فى المنطقة الجبلية ولكنها لا تسكن إلا وقت موسم الزراعة ، ولا توجد منطقة مأهولة باستمرار فى الجبال إلا منطقة واحدة فى جبل أجا تسمى «عُقْدَة» ، وهو واد به جملة قرى ؛ ومزارع النخيل فيها كثيرة

حاييل :

تقع إلى الشمال الغربى من الوادى بين جبلى أجا وسلمى عند طرفه الشمالى ؛ والقسم الرئيسى من حاييل يحيط به حائط من الطين ارتفاعه من ١٥ — ٢٠ قدما ، عليه أبراج ذات شكل مستدير ؛ وقد بناه الأمير عبد العزيز الرشيد ، ويبلغ طول محيطه نحو ٣ أو ٤ أميال ، ولكن جزءاً كبيراً من الأراضى التى تقع داخل السور مزروعة قمحاً ومفروسة تيناً ، بينما يوجد جزء آخر ليس مزروعاً ولا مقاماً عليه أى بناء ؛ ولهذا السور خمسة أبواب

وعلى بعد نصف ميل إلى شرق حاييل ومياين أو ثلاثة من الجنوب تحت جبل أجا توجد بعض بساتين النخيل والقمح مسورة . وعدا النخيل يزرع الرمان والليمون الحلو والنارنج والبرتقال والبرقوق والتفاح

والمياه اللازمة للبساتين أو للاستعمال تستخرج من آبار عمقها حوالى ٩٠ قدما بواسطة الجمل . وفى شمال المدينة حيث توجد مزارع النخيل تميل مياه الآبار إلى

الملوحة قليلاً ؛ وليس للمدينة مصدر آخر غير الآبار للحصول على المياه
ويبلغ عدد السكان نحو ٥٠٠٠ نفس . ويجلب الأرز وباقي الحبوب إما من
الهند أو من العراق

فِيد :

تقع على بعد ٤٥ ميلاً من شرق جنوب شرق حايل على طريق بريدة ، وهي
واقعة على منحدر جبل سلمى الجنوبي الشرقي ، وتمتد مزارع النخيل إلى ميلين
أو ثلاثة ، وتزرع الحبوب بكثرة ؛ وسكانها نحو ١٥٠٠ نفس خليط من بني تميم وشمر
قفار :

وهي ثاني مدينة في الأهمية في جبل شمر ، وهي مساوية لحايل في عدد السكان ،
واقعة في البطن إلى الجنوب الغربي من العاصمة تحت منحدرات جبل أجا .
والواحة كبيرة ، وشجر النخيل فيها كثير جداً حتى انه يفوق نخيل حايل نفسها .
وهي مأهولة ببني تميم ، وهي واقعة على طريق تيماء
عُقْدَة :

مجموعة قرى منتشرة في مزارع النخيل في وادٍ واقع إلى الجنوب الغربي من
حايل ؛ يبلغ سكانها ١٨٠٠ نفس

مُوقَق : بها نحو ١٢٠ بيتاً مُسْتَجَدَّة : بها نحو ١٢٠ بيتاً

سَيِّفَان : بها نحو ٧٠ بيتاً الغزالة : بها نحو ٦٠ بيتاً

الجُفْنَة : بها نحو ٥٠ بيتاً الروضة : بها نحو ٦٠ بيتاً

تيماء :

بلدة صغيرة في وسط دارة (واحة) باسمها واقعة إلى الجنوب الغربي من

النُّفود على بعد ٦٥ ميلاً من شمالى العَلَا ، وهى واقعة فى منخفض من السهل المرتفع الذى يبلغ ارتفاعه ٣٤٠٠ قدم . والواحة مسورة بحائط من الطين ، وبها أبراج للدفاع مبنية من اللبن . وبالواحة أشهر عَيْن ماء فى بلاد العرب ، إذ يبلغ اتساع فُوهَتها أكثر من خمسين قدماً ، ومركب عليها سَوَانِي من جميع الجوانب ، ومياهها غزيرة^١

وأرض تيماء خصبة وصالحة للزراعة ولزراعة النخيل ، ويزرع فيها القمح والشعير والأذرة والفواكه على اختلاف أصنافها ، وتتم تيماء جيد ويعتبر من أجود أصناف التمر

عدد سكانها نحو ٢٥٠٠ نسمة ، وأغلبهم من ولد سليمان ، وبها بعض الموالى وبعض التجار من جبل شمر ، وبعضهم يحضرون لتصريف تجارتهم التى يجلبونها من بغداد وساحل الخليج ، والأهالى يبيعون محاصيلهم للبدو الرحل ، والهواء فى تيماء جيد جداً وصحى

الجَوْف^(١) :

هى المدينة الرئيسية وسط منطقة زراعية كبيرة واقعة إلى شمال النفود على رأس وادى السَّرْحَان ، والواحة واقعة فى منخفض يقع نحو ٥٠٠ قدم تحت سطح الصحراء المحيطة بها

وتوجد واحات صغيرة أخرى تابعة لواحة الجوف ، واقعة إلى الشمال الشرقى منها فهى : سِكاكه ، وقَادَة ، والطَّوِير ، وجَاوَه ؛ وسكاكه هى الأكبر ، ومزارع النخيل فيها تكثر جداً حتى إنها تفوق تلك التى فى الجوف نفسها

ويبلغ طول واحة الجوف نحو ٣ أميال فى نصف ميل عرضاً ، وهى تمتد من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ، وكلها حدائق وبساتين ، وبينها نحو ١٢ قرية

(١) الجوف : هو السى قديماً دومة الجندل

وبها نحو ٤٠٠ منزل ، وليس بالقرية شوارع ولا أسواق
ومن مظاهر القرى هنا أن بعض بيوتها يقام إلى جانبه برج يبلغ ارتفاعه
حوالى ٤٠ — ٥٠ قدما و ١٢ قدما عرض حائطه ، وله مدخل صغير وبه منافذ
صغيرة ، وفي بعض البيوت يكون البرج جزءاً من البيت نفسه
وموقع الجوف الجغرافى مهم جداً ، لأنه يقع على الطريق المباشر ما بين سوريا
ووسط بلاد العرب ، وهى منفصلة إذ تقع فى المنتصف ما بين الفرات وطريق الحجاز
الحديدى ، وبين جبل شمر وجبل الدروز ، وعلى بعد نحو ٣٠٠ ميل من كل من
هذه المواقع وهى الواحة الوحيدة الواقعة ما بين العقبة وبغداد



الاحساء *

كانت هذه المنطقة تسمى قديماً البحرين وهجر ، وكانت تطلق على المنطقة الممتدة من البصرة إلى عُمان . أما اليوم فتطلق الاحساء على المنطقة الممتدة على الساحل الغربي من خليج فارس ، من حدود الكويت الجنوبية إلى حدود قطر وعُمان وصحراء الجافورة ، حيث يحدها من الغرب الصُّمان

الوصف الطبيعي

القسم الأكبر من الاحساء سهل صحراوي ، يرتفع في الجهة الغربية عن ساحل البحر ، حيث تتشابه البلاد مع تهامة ، ويوجد كثير من التلال غير المتصلة بعضها ببعض تستخدم كحدود للمناطق ، وترتفع الأرض في القسم الداخلي إلى غربي المنطقة عن باقي السهل

ويوجد خط من التلال على طول وادي المياه وجبل الطَّفّ ، ممتدة إلى الجنوب ، ويمتد مرتفع الصُّمان الصخري موازياً لساحل الخليج الفارسي ، متوسطاً بين الاحساء وبين الدَّهْنا حيث يفصل هذا القسم عن نجد

وأهم أودية إقليم الإحساء هو وادي فرُوق في الجنوب الغربي ، وهو قسم من وادي المياه

والمنطقة الساحلية سبخة على العموم ، ويوجد بها عدد عظيم من الآبار ماؤها قريب من سطح البحر ، والمراعي وافرة أيضاً ، والأقسام الصحراوية من المنطقة

* هذه المنطقة مشهورة بعيونها الفوارة (ارتوازية طبيعية وقليل وجود أمثالها في العالم)

أهله بالبدو ، وأغنى بقاع المنطقة واحتا الاحساء والقطيف في الجنوب حيث تكثر المياه من آبار وعيون وأنهار صغيرة تشبه البحيرات

جو الاحساء

يشبه جو المناطق المنخفضة ، والقسم الشرقي من الإحساء يشبه جوتهامة ، وتزداد الحرارة في بعض المناطق كالقطيف منها في بعض المناطق الأخرى ، وتتراوح درجة الحرارة في منطقة الاحساء ما بين ٤٠° إلى ١١٠° ف ، وتبدأ الحرارة في الارتفاع من ابريل حتى تصل نهايتها في شهرى يوليو وأغسطس ، وتهبط ابتداء من سبتمبر وموسم البرد ما بين نوفمبر ومارس

والقسم الأكبر من هذه المنطقة غير مزروع ، والقسم الخصب المأهول بالسكان المشغول بالزراعة يبلغ امتداده نحو ١٢ ميلاً إلى شرق الهفوف والبرز ؛ غير أن هنالك مناطق أخرى مزروعة في الشمال غير متصلة بعضها ببعض محاطة بالعيون ومنطقة الاحساء مشهورة بمياهها الكثيرة في المناطق المزروعة وعيونها العديدة الدافئة والحارة ، وجميع المنطقة تكاد تغص بالعيون ، والأرض لا تكاد تشكو الظمأ من كثرة المياه ، والطرق تمتد على شواطئ العيون ، والأشجار والخضرة أينما سار الانسان . وقد ساعدت كثرة المياه على زراعة الأرز وغيره من الحبوب

أما المحصول الرئيسى في الاحساء فهو التمر : وهو أنواع كثيرة أفضلها النوع المعروف بالخلاص ، ويزرع بها أيضاً الحنطة والشعير

وأشهر فواكه الاحساء الأترنج ، والليمون ، والخوخ ، والمشمش ، والمان ، والعنب ، والتين . وفي الاحساء كثير من الخيل العربية ، وأفضل الحير والبقر ، وفيها الإبل والغنم بكثرة . وفي الاحساء يطعمون البقر بعض أنواع من الأسماك الصغيرة ، كما يعلفون بعض الحيوانات التمر القديم . وأشهر بلدان الاحساء هي :

الهفوف :

وهي قاعدة المنطقة في الزاوية الجنوبية الشرقية من المنطقة المزروعة ، وتنقسم البلدة إلى ثلاثة أقسام : الكوت في الشمال الشرقي ، الرقعة في الشرق ، النعائل في الجنوب والغرب

والكوت^(١) هو مقر الإمارة ، محوط بسور عظيم يبلغ ارتفاعه ٢٤ قدماً ، مشيد عليه أبراج عديدة بناها إبراهيم باشا لحماية البلدة . وقد كان الكوت مقراً للحامية التركية حتى سنة ١٣٣٠ ، سنة ١٩١٣ م . ويبلغ عدد بيوت الكوت نحو ١٥٠٠ بيت وبيوت الرقعة نحو ٢٣٠٠ بيت ، وهي أعلى منطقة وأصحها ويسكن بها أهل الثراء والنبل من أهل الاحساء . أما النعائل التي فيها نحو ٢٠٠٠ بيت ، فتحتوي على القسم الأكبر من الطبقات الفقيرة ، وتضم أكبر مسجد للشيعة ، وفي الجهة الشرقية من الكوت السوق وحوائيت التجارة ، وينصل الكوت عن النعائل من جهة الجنوب غابة من النخيل

ويحيط بباقي البلدة سور آخر يبلغ ارتفاعه ١٢ قدماً . وتبنى بيوت الاحساء في الغالب من الحجارة والجص ولكل بيت بئر ، وحائطه المرتفع لحمايته ، وطرق الاحساء ضيقة

ويوجد خارج البلدة من جهة الشمال سوق الخميس وهو مكان يجلب إليه أهل البلد والبدو حاصلاتهم ومصنوعاتهم حيث تعرض فيه يوم الخميس يبلغ سكان الهفوف ٣٠٠٠٠ نفس ، وهم ما عدا النجديين المقيمين في الاحساء مزيج من العرب ومن أجناس أخرى فارسية وتركية وكردية ، ويبلغ أهل السنة ثلاثة أرباع السكان والشيعة نحو الربع

(١) الكوت : الفلعة (كلمة برتغالية) كثر استعمالها بعد دخول البرتغاليين خليج فارس واستيلائهم على بعض الأماكن



منظر المياه والنخيل في الاحساء



سوق الخميس في الاحساء

٢ - المبرز :

يقع المبرز على بعد ميلين من شمال الهفوف ، مزروعة كلها من الغرب ، ومحاطة بسور متهدم ، له بابان من جهتي الشمال والجنوب . وتوجد خارج السور لجهة الغرب قلعة صاهور

وتشتمل المبرز على خمسة أقسام : أكبرها العيون في الوسط ، وفي الجنوب الغربي السوق والخوانيت التجارية ، ومباني المبرز كمباني الهفوف من الحجارة في الغالب . ويبلغ عددها ١٨٠٠ بيت ، يسكنها نحو ٩٥٠٠ نفس . والعمل الرئيسي لأهل المبرز هو الزراعة . وهناك سوق يقصده البدو المجاورون كل يوم جمعة لقضاء حوائجهم الضرورية

واشتهرت الهفوف والمبرز بمركزهما العلمي والأدبي مدة طويلة فكانتا مقصداً لطلاب العلم من سائر أنحاء الخليج الفارسي ، ولعلمائها مراكز ممتازة في جميع بلدان الخليج الفارسي يقابلون بالإجلال والترحيب ، ويكرمون بأحسن أنواع الإكرام أينما حلوا

ومن العائلات التي اشتهرت بالعلم في تلك المنطقة عائلة آل مبارك ، ولا يزال أفرادها يحافظون على تقاليد العائلة من دراسة العلوم الدينية والأدبية

السكان

يبلغ سكان منطقة الاحساء نحو ٢٥٠ ألفاً ما بين حضر وبادية ، ويبلغ البدو نحو ثلاثة الأرباع ، والمميز الرئيسي بين السكان هو المذهب ، فالسكان ينتمون إلى المذهب الشيعي ، وإلى مذهب أهل السنة والجماعة حيث يكونون الأكثرية الساحقة في القطيف وتاروت ، وحيث يبلغون النصف في الاحساء

ولقد اختار بعض القبائل العربية الإقامة في بعض الأماكن بصفة مستديمة

فعدد من قبائل بني خالد يبلغ نحو ٦ آلاف يقيمون في جزائر المسلمية وجنة وتاروت وفي قصر الصبيح والكلاية والجشة في الاحساء ، وفي أم الساهك في القطيف ، وفي وادي المياه يقيم نحو ١٤٠٠ نفس من قبائل شتى ؛ وأهم العشائر الضاربة في منطقة الاحساء

العجمان :

ويقيم منهم في منطقة الاحساء نحو ٤٥٠٠٠ و يقيمون في جنوب المنطقة

٨٠٠٠

آل مرة

١٢٠٠٠

بني خالد

٦٠٠٠

بني هاجر

العوازم : الرشيدة : وهؤلاء يقيمون في شمال المنطقة

أما قبائل الدواسر : السهول ، مطير ، سبيع ، عتيبة ، قحطان ، فانهم ليسوا من قبائل الاحساء بل يأتون إليها لأغراضهم الخاصة

نبذة تاريخية

كان يسكن هذه المنطقة قبل الفتح الإسلامي خلق كثير ، من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم^(١) ، وكانت إذ ذاك تحت حكم الفرس ، فوجه إليها الرسول صلى الله عليه وسلم العلاء بن عبد الله الحضرمي حليف بني عبد شمس ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية ، فأسلم أهلها العرب وبعض الجوس ، وصالحه الباقر على الجزية

وأول من عمر الاحساء وجعلها قسبة هجر أبو طاهر القرطبي^(٢) وبقيت الاحساء

تتنازعها الأيدي الحاكمة ، وتعبث بها أيدي البدو إلى أن فتحتها آل سعود في دولتهم الأولى فساد الأمن وانقطع الفساد ، وبقيت في حكمهم إلى أن انتزعها منهم المصريون بعد دخولهم الدرعية سنة ١٢٣٣ ، ثم استردها منهم الامام فيصل ، وبقيت في حكمه زمن ولايته وصدر ولاية ولده عبد الله ، ثم استولى عليها مدحت باشا في سنة ١٨٧١ م وألحقها بولاية البصرة . وفي ٥ مايو انقض عليها الملك عبد العزيز واستولى عليها وطرد الحامية التركية منها ؛ وباستيلائه عليها ساد الأمن وانقطعت غارات البدو على القوافل والسكان

٣ — القطيف :

تقع واحة القطيف في الجهة الشمالية الشرقية من الاحساء ، ويحدها شمالا وغربا صحراء بياض ، وجنوبا برّ ظهران ، ويبلغ طول هذه الواحة ١٨ ميلا ، ومتوسط عرضها ٣ أميال ، وتقع مدينة القطيف في الوسط ، ويرتفع سطحها بضعة أقدام فقط عن سطح البحر

القسم الأعظم من المساحة رملي مشبع بمياه العيون العديدة في المنطقة . أما القسم المزروع فينتهي بستة أميال جنوبى مدينة القطيف ، غير أن هنالك مناطق أخرى مزروعة غير متصلة ببعضها ، سيأتى الكلام عنها

وهواء القطيف كثير الرطوبة غير صحى وينتشر فيها حمى الملاريا ، ولذا فان العشائر التى تقصدها فى الصيف تفر منها أول الخريف ، لأنه فصل الحميات حسب تجاربهم

يبلغ سكان القطيف نحو ٣٠٠٠٠ نسمة وكلهم من الشيعة تقريبا ، وهنالك بعض العرب من بنى خالد يسكنون أم الساهك ، وقليل من العرب الخلط — يطلق عليهم حوكة — يسكنون فى مدينة القطيف

والزراعة وبالأخص زراعة النخيل هي العمل الرئيسي للسكان . والقسم الأعظم منه يصدر إلى عمان والبحرين والهند وفارس ؛ وأشهر بلدان القطيف :

١ — مدينة القطيف :

وهي (Giparro) القديمة التي كانت مخزناً كبيراً مشهوراً للأفاويه والعطريات الواردة من تاروت (Taroot)^(١) ؛ تقع مدينة القطيف على خليج يشمل أيضاً جزيرة تاروت ، وتمتد المدينة على الساحل مسافة عشرة أميال ، منها ميلان شرق المدينة خاليان ، وبهما أطلال قلعة قديمة ، وفي الشمال يوجد ثلاث قنوات متصلة بالبحر ، منها ممر يوصل إلى المدينة ، والبحر غير عميق ؛ ولذا فالسفن الكبيرة تلتقي مراسيها بعيداً عن الساحل

ومن أقسام المدينة القلعة : وهو القسم المحصن من البلدة ، ويبلغ سكان المدينة وضواحيها ١٢ ألف نفس ، كلهم من الشيعة تقريباً ، وليس بها من أهل السنة إلا الأمير وحرسه وموظفو الحكومة وبعض التجار النجديين والاحسائيين وقد مر الرحالة ابن بطوطة بالقطيف^(٢) سنة ٦٣٢ هـ فوصفها بأنها مدينة كبيرة حسنة ذات نخيل كثير يسكنها طوائف من العرب وهم رافضة غلاة

٢ — سيّحات :

على الساحل في الجنوب الشرق من عنك ، وهي كغيرها من المدن العربية مسورة بسور ضخيم يضم نحو ٧٠٠ بيت ، وبها كثير من العيون الغزيرة ، وسكانها يعيشون على الزراعة

(١) مدينة صغيرة شرق القطيف

(٢) ضبطها ابن بطوطة بالتصغير . أما القاموس وياقوت فضبطاها بغير تصغير كما يلفظها

أهلها الآن

٣ — العُقَيْر :

ميناء في الجنوب الغربي من مدينة القطيف ، تبعد عنها أربعة وستين ميلاً وليس بالعُقَيْر بيوت ولا سكان ، وكل ما فيها من المباني هو الجرك ، وبناء آخر (خان) لسكنى وكلاء التجار ، ويعتبر العُقَيْر ميناء الاحساء ونجد الجنوبية ، وأهم الواردات التي ترد إليه من طريق البحرين : الأرز والسكر والبن والمنسوجات بأنواعها

والقبائل المجاورة للعُقَيْر هي : النَجْمان ، آل مُرَّة ، بنو هاجر . وقد اشتهرت العُقَيْر في السنوات الأخيرة بالاجتماعات السياسية التي كانت بين الملك عبد العزيز والسير برسي كوكس المندوب البريطاني

٤ — جُبَيْل :

ميناء في شمال القطيف سكنه قبائل بُوعَيْنَيْن أصهار بني خالد سنة ١٩١٠ على أثر مهاجرتهم من قطر ، ولم يكن لهذا الميناء شأن يذكر حتى سنة ١٩٢١ م فان الحرب الاقتصادية التي أعلنتها نجد على الكويت جعلت هذه الميناء تنمو نمواً سريعاً ، وكثرت مبانيها ، وأضعفت شأن الكويت من الوجهة التجارية ، ويبلغ سكانها ٢٠٠٠ نفس

وبقرب جبيل جزيرة المسلمية على خليج بهذا الاسم ، على بعد خمسة أميال من رأس البِدَيْع ، بها نحو ٤٥٠ بيتاً ، وسكانها من العُمائر (فرع من بني خالد) وهم يعيشون على استخراج اللؤلؤ والاتجار به

جزيرة جَنَّة :

جنوب المسلمية ، وسكانها كسكان سابقتها من بني خالد ، يعيشون على استخراج اللؤلؤ والاتجار به

جزيرة بوعلى :

في الجنوب الغربي من رأس البديع ، وهي غير مأهولة بالسكان ، تمتد ١٢ ميلا من الشرق إلى الغرب ، محاطة بمغاصات اللؤلؤ ، ويطلق على الساحل الغربي من الكويت إلى ظهران اسم عدان ، كما يطلق اسم قطر على الساحل الممتد من العقير إلى اخوار بني ياس ، كما يطلق أحيانا على القطيف اسم الخط أشهر قرى مستعمرة القطيف عنك على الساحل تبعد أربعة أميال عن جنوب شرق مدينة القطيف ، ونحيلها مملوك لبنى خالد

العوامية :

قرية محاطة بسور يضم نحو ٣٥٠ بيتا في الشمال الغربي من مدينة القطيف ، وفيها كثير من العيون الغزيرة المياه

الجش :

جنوب مدينة القطيف ، وتبعد عنها أربعة أميال ، كما تبعد عن الساحل ثلاثة أميال محاطة بسور يضم نحو ٣٠٠ بيت ، وبها ثلاثة عيون تروى المنطقة

صفوة :

في الشمال الغربي من مدينة القطيف تبعد عنها ثمانية أميال ، محاطة بسور يضم نحو ٤٥٠ بيتا ، وبها عين كبيرة تسمى داروش يتفرع منها سبعة أنهر

الدمام :

على الساحل الجنوبي الشرقي ، تبعد تسعة أميال عن مدينة القطيف ، وقد خربت في القرن التاسع عشر ، ولكن عاد إليها العمران مرة أخرى بعد هجرة الدواسر من البحرين سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م

حاكم منطقة الاحساء العام : هو الأمير عبد الله بن جُلوى ابن عم الملك عبد العزيز ، وأحد صحبه المختارين الذين رافقوه في مخاطراته العديدة ، ولا سيما في انتزاع الرياض من آل رشيد ، وهو مشهور بالشدة والقسوة على المجرمين وأشرار البدو ، ولقد كان إقليم الاحساء يضرب به المثل في اختلال الأمن وفساد الإدارة في أيام الحكم التركي ، فأصبح بعد حكم آل سعود كسائر البلدان النجدية يسوده العدل والأمان



الكويت

اشتهر اسم الكويت قبل الحرب العظمى بسنوات ؛ بسبب النزاع السياسي بين بريطانيا وألمانيا على السكة الحديدية التي كانت الألمان يريدون أن تنتهي إلى الكويت ، والبريطانيون يحاولون إحباط المشروع أو وقفه عند حدود ولاية البصرة ؛ صيانة لنفوذهم في خليج فارس ، ودفاعاً عن إحدى طرق الهند . وإن مركز الكويت التجاري والحربي ، وقربها من مجرى الدجلة والفرات ، واتصالها الوثيق بنجد جعل لها مركزاً ممتازاً ذا أهمية خاصة

حدود الإمارة

تكون إمارة الكويت^(١) نصف دائرة على الساحل الغربي من رأس الخليج الفارسي ، وتقع جنوبي مملكة العراق ، وشمالى مقاطعة الاحساء التابعة للدولة العربية السعودية ، تمتد حدودها الشمالية من أم قصر إلى سَفَوَان مارة قرب جبل سَنَام إلى الباطن . أما الحدود الغربية فتتبع الباطن إلى قرب الحَفَر ، حيث تتصل بالحدود العراقية والنجدية ؛ ومن هنالك تتجه إلى الجنوب الغربي حيث تتصل أيضاً بالحدود النجدية . يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ١٨٠ ميلاً ، ومن الشرق للغرب نحو ٢٥ ميلاً

الوصف الطبيعي

تربة القسم الشمالى من خليج الكويت خصبة ، وتربة القسم الجنوبى بعضها رملى وبعضها طيني ؛ وهى على العموم مقفرة خالية من الزراعة ، يوجد بها بعض

(١) فى بروتوكول المَقيَر ١٩٢١ عُنِيت حدود الكويت ونجد والمنطقة المحايدة بينهما



منظر للكويت من الجو



منظر آخر للكويت من الجو

التلال مثل تلال واره في جنوب مدينة الكويت ، وتبعد عنها نحو ٣٥ ميلا ؛
وتلال منّا قيش في غرب مدينة الكويت ، وتبعد عنها نحو ٢٥ ميلا

وليس بمنطقة الكويت ماء جار ، ولكن بها آبار مبعثرة في الصحراء يبلغ
عمقها ٢٠ قدما ، ولكنها ضاربة إلى الملوحة ؛ وربما كانت منطقة الجّهرة هي أغزر
المناطق مياهاً

وأهم أشجار الكويت السدر والنخيل ، وهناك أشجار متنوعة تستعمل
للقود ولمرعى الإبل ؛ أما الأعشاب فتجود إذا جاد المطر
وأما الحيوانات فقليلة في الكويت ، ويوجد منها الذئب والثعلب
الغزال والأرنب

الجو

جو الكويت على العموم معتدل ، يميل إلى البرودة إذا هبت الرياح الشمالية
الغربية ؛ أما الصيف فيخفف وطأته نسيم البحر وبرودة الصحراء المجاورة السريعة
ليلاً ، وأعظم درجة للحرارة هي ١١٤° ف ، وأقل درجة هي ٣٥° ، وتشتد الحرارة
من مايو إلى نوفمبر ، والبرودة من ديسمبر إلى فبراير

أما المطر فقليل في الكويت ، وقد يجود بعض السنين فتخضر الأرض ،
وينعم البدو ، ويخرج الأهالي للبر استجماماً للراحة واستمتاعاً بالحضرة

السكان

يبلغ سكان الكويت الحضر ٣٧ ألفاً ، يسكنون — عدا ألفين منهم — مدينة
الكويت ؛ ومنطقة الكويت التي تبلغ مساحتها نحو عشرين ألف ميل مربع
قاحلة ، يسكنها عدد قليل من السكان فيما وراء المدينة
أما عشائر الكويت فقد كانوا قبل سنة ١٩٢١ يبلغون نحو ١٥ ألفاً ، وقد



منظر للكويت من البحر



مقهى من مقاهى الكويت

غير أن السفن الشراعية لا تزال تقوم بقسط كبير من النقل بين الكويت والبصرة ،
وبينها وبين السواحل العربية الأخرى

وأهم هذه السفن البَغْلَة (Buffalow) والبُوم والشُّوعِي . وتحمل البغلة عادة
نحو ٢٥٠٠ طرد بضاعة من التمر ، أو من أكياس الأرز . وتحمل البوم عادة نحواً
من ٥٠٠-٦٠٠ طرد أيضاً ؛ وسفن الكويت الآن من هذا النوع . وقد بلغت
قيمة تجارة الكويت قبل الحرب العظمى ٥٧٠٥٥٨ جنيهاً ، منه مبلغ ٣٧٠٨١٧
جنيهاً للوارد والباقي للصادر ، وللهند منه النصيب الأكبر والباقي موزع على
جهات مختلفة

وأهم الواردات : المنسوجات القطنية والحريرية ، والأفاويه ، والسكر ، والبن ،
والشاي ، والحبال التي تستخدم في السفن ، والزيوت ، والدخان ، والشعير ، والماء
ويجلب إليها بالسفن الشراعية من شط العرب ، التمر ، والأخشاب
أما الصادرات فهي اللؤلؤ ، والسمن من البادية ، والخيول ؛ وقد قلّت الأنواع
الأخيرة في السنوات الأخيرة : الجلود ، والصوف ، والتمر

وقد أسست الإدارة الجمركية في عهد الشيخ مبارك الصباح ، فكانت مورداً
للحكومة لم يكن موجوداً من قبل ؛ وقد زاد هذا المورد زيادة عظيمة أثناء الحرب
العالمية ، غير أنه نقص في الخمس عشرة سنة الأخيرة بسبب المقاطعة التجارية التي
وضعها ملك نجد على جارته الكويت

وقد أسس في الكويت أثناء الحرب العالمية إدارة للبريد والتلغراف ، فارتبطت
الكويت بالعالم الخارجي ، وأصبحت تجارتها تتبع الحركة التجارية العالمية
صعوداً وهبوطاً

مقاطعات الكويت

ليست المقاطعات التي سند كرها فيما يلي أما كن مسكونة كما يتبادر إلى ذهن القارئ ، بل هي صحارى مسكونة بالذئاب أحيانا ، وبالغزلان أحيانا أخرى ؛ ولولا أن الإفرنج عنوا بكتابة أسمائها على الخرائط المصورة ما اهتممنا بها . وأكثر هذه المقاطعات مراعٍ طيبة إذا جاء المطر ، وأشهر هذه المقاطعات في الشمال هي : الباطن — في الزاوية الشمالية ، وهي قسم من الوادى العظيم المسمى بهذا الاسم ، وهي ملتقى الحدود العراقية والنجدية ؛ والشَّق ، والشَّقِيق ، واليَّاح ، وقرعة ، والمرؤ ، والزَّجْلة . وهذه كلها مقاطعات قفراء

والزَّوَر في الجهة الشمالية من خليج الكويت ، وهي عبارة عن تلال تمتد من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى قرب البجَّة

وكَبْد ، قرعة ، قَارَه ، العَدَّان ، الهَزِيم ، الدَّبْدَبَة ، أما كن قفراء أيضا ، ينزلها البدو إذا جاء المطر

ولا نريد أن نطيل الكلام بذكر باقى المقاطعات أو الآبار التي يردها البدو ، والتي تعد من الكويت ، لأن ذلك يسوقنا إلى التطويل ويخرجنا عن الغرض الأصيل من الكتاب

جزر الكويت

١ — بُويَّان :

في الزاوية الشمالية الغربية ، وهي جزيرة خالية من السكان ، وقد كانت مزارع نزاع بين شيخ الكويت والترك في سنة ١٩٠٢ ؛ ويسكنها في الصيف افراد من القوازم لصيد الأسماك بالحظور

٢ - فيلكه :

وتنطق كافها شيناً شأن أهل الكويت في النطق بالكاف . في الجهة الشرقية من خليج الكويت ، وتبعد عن مدينة الكويت نحو ١٥ ميلاً ، والمسكون من الجزيرة هو الساحل الغربي ، وباقي الجزيرة يكاد يكون خالياً من السكان وسكان الجزيرة بعضهم عرب خلص ، وأكثرهم يغلب عليهم العنصر الفارسي ، وهم يشتغلون بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ ، ويزرع بالجزيرة الحنطة والشعير ، والخضر ، والماء كثير بالجزيرة ، قريب من سطح الأرض

٣ - كُبر :

جزيرة غير آهلة بالسكان ، تبعد عن الساحل نحو ٢٠ ميلاً وبقرب الكويت بندر الشويخ وهو أفضل مرسى للسفن في الكويت ، وهناك جزر أخرى غير مسكونة تابعة للكويت لا أهمية لها

بلدان الكويت

١ - مدينة الكُويت :

هي عاصمة الإمارة ، على الساحل الجنوبي من خليج الكويت في الجنوب الشرقي من البصرة ، وتبعد عنها نحو ٨٠ ميلاً ، وفي الشمال الغربي من البحرين ، وتبعد عنها نحو ٢٨٠ ميلاً ؛ تمتد على الساحل نحو ثلاثة أميال ، مع عرض يختلف ما بين ١/٢ ميل ، وميل ونصف

وأرض الكويت غير مزروعة ، فلا ترى فيها ما تراه في الاحساء من البساتين والخضرة لقلة المياه ، وبسبب نمو السكان في الخمسين سنة الأخيرة تركت مياه الآبار التي كان يعتمد عليها السكان وأخذ الناس ينقلون حاجتهم من الماء من

شط العرب ، ولشيخ الكويت آبار خاصة يستقى منها أحياناً
ومباني مدينة الكويت كسائر المباني العربية ، من الطين أو اللبن أو من
الصخور البحرية . وأحسن المباني قصر الشيخ ، وهو مبنى من الآجر ، ومقام على
ساحل في وسط البلد تقريباً

وسوق الكويت في منتصف البلد تقريباً ، وليس فيه ما يستلفت النظر من
فن البناء أو جمال العمارة ، وبالكويت مستشفى أسسه محسنو الأمريكان ،
ومؤسسة للتبشير . وقد أدى المستشفى للبلد والبدو الضارين حول الكويت
خدمات عظيمة ، أما التبشير فإنه قد فشل فشلاً عظيماً لا في الكويت وحدها ،
بل في سائر الشرق الأدنى . وبها أيضاً مستوصف إنجليزي يؤدي مهمته الخيرية
على أتم وجه ، وبها مدرستان نظاميتان ، وبضعة مدارس صغيرة تشبه الكتاتيب
في طريقة التعليم

وبالكويت نحو خمسين مسجداً ، وأهمها ثلاث مساجد . وهي تميل إلى
البساطة في بنائها وأثاثها ، وليس لمساجدها منائر كمنائر القاهرة ، أو بغداد ،
وأكثر السكان يسكنون في المدينة ، وهم ينتمون إلى القبائل العربية الشهيرة ،
وبجانب هؤلاء يوجد ٨٠٠٠ من أصل فارسي ، وعدد قليل من الموالى . وطرق
الكويت ضيقة كثيرة التعاريج ، وأهم الطرق هو الطريق الذي يبتدىء من قصر
الشيخ على ساحل البحر ؛ مخترباً السوق إلى خارج البلدة ، وقد أسست للبلدة
بلدية من خمس سنوات لتنظيفها وتنظيمها وإنارتها ، وقد أدت خدمات جليلة
للبلدة في هذه المدة القصيرة

٢ — الجَهْرَة :

قرية كبيرة على طراز البلدان ، قرية من خليج الكويت ، وتبعد عن



في صفاء الكويت حيث ينزل البدو

مدينة الكويت بثمانية عشر ميلاً بالطريق الغربى ، وهى أهم قرية زراعية بالأراضى الكويتية ، وهى محطة للقوافل القاصدة البصرة ونجد من طريق الحفر ، وموقعها مرتفع يطل على البحر ، فترى جميع السفن التى تمخر خليج الكويت يبلغ عدد سكانها نحو ٦٠٠ نسمة يشتغلون جميعاً بالزراعة ، غير أن العدد يزيد عادة فى الصيف بما ينزل حولها من البدو

وقد كانت الجهرة^(١) قبل الإسلام مأهولة بالسكان ، غاصة بهم ، ولا تزال أطلال البلاد القديمة موجودة تحت الأنقاض ، وكثيراً ما يعثر على النقود القديمة ، وبعض الآثار عند حفر الآبار . وهذه التلال القائمة على أنقاض البلاد القديمة تمتد إلى مسافة فرسخين من الشمال للجنوب ، وفرسخ ونصف من الشرق للغرب وإلى الشمال الشرقى من الجهرة على بعد أربعة عشر فرسخاً فى اتجاه البحر توجد الصُّيَّة ، وكانت قديماً أهلة بالسكان^(٢) كما تدل عليه خرائبها ، ويشتق اسمها كما يقال من الصابئة ، ويقال إنها إحدى مدنهم التى بنيت بعد خراب بابل ، ويقال أيضاً إنها استمرت أهلة بالسكان والحضارة إلى زمن الخلفاء الأمويين ، حيث تقهقرت منزلتها وهجرها سكانها ، ويؤكد السكان أن بعض سكانها لا يزالون يعيشون فى خورستان ، ويقيم العرب فى هذه المنطقة زمن الصيف لهوائها العليل

خلاصة تاريخية

ليس للكويت تاريخ قديم معروف ، ويرجح أن تاريخه لا يتجاوز الثلاثمائة سنة . أما حكامها الحاليون آل صَبَّاح ، فتاريخهم فى سكنى الكويت لا يتجاوز سنة ١٧١٦ م ، وهى السنة التى تحالف فيها الشيخ سليمان بن أحمد رئيس آل صباح ،

(١) انظر تقرير حكومة الهند سنة ١٨٥٤ ، ولمع الشهاب النسخة الخطية بدار الكتب

البريطانية (٢) لمع الشهاب

وخليفة بن محمد رئيس آل خليفة ، وجابر العتيبي رئيس الجَلَاهِمَة ، فاستخلصوا الكويت من الفرس وسكنوها ، وسيأتى فى التفصيل الخاص بالبحرين ذكر انفصال آل خليفة عن الحلف ، واستقلالهم بالزُّبارة وحكم البحرين أما المكان الذى وفد منه هؤلاء الحلفاء ، فيظن أنه كان قريباً من شط العرب فى أم قصر ، حيث كانوا يعملون هنالك لِلقَرَصَنَة ونهب السفن البحرية ، فقد كان هذا العمل هو السائد فى ذلك الوقت فى خليج فارس ، وهو يشبه غزو القبائل بعضهم لبعض فى البر

وفى الحُسين سنة الأولى من تأسيسها نمت البلدة نمواً سريعاً فى السكان وفى الثروة وفى الأهمية ، وتمكن آل صباح وحلفاؤهم ومؤازروهم من القبائل المجاورة فى تثبيت مركزهم وتقويته ضد بنى خالد الذين كانت لهم السيادة على جميع الشاطئ الشمالى الشرقى

وقد زاد فى تقدم الكويت وعمرانها استيلاء الفرس على البصرة سنة ١٧٧٦ فقد كان ذلك مدعاة لمهاجرة الكثيرين من السكان إلى الكويت ، والزُّبارة ، وفى أثناء الاحتلال الفارسى تحولت تجارة البصرة الهندية مع بغداد وحلب وأزمير والآستانة إلى الكويت ، وما جاءت سنة ١٧٩٠ م حتى أخذت الكويت تشارك باقى موانئ الخليج الفارسى فى التجارة ؛ وقد ساعد على ذلك احتلال عرب بنى عُتْبَة البحرين سنة ١٧٨٣ م ، فصارت البضائع ترد إلى الكويت من مسقط والهند والبحرين والقطيف

وبعد استرداد الأتراك للبصرة انسحب عمال (الفابريكة البريطانية) فيها مؤقتاً إلى الكويت سنة ١٧٩٣ م لقيام بعض المشا كل مع الموظفين الأتراك وفى هذا الوقت حاول السعوديون غزو الكويت والاستيلاء عليها ، ففشلوا فى كل محاولاتهم

وفي سنة ١٨٣١ زار السائح Stocqueler الكويت ، وهو يقول بأنه الأوربي الوحيد الذي زار هذه البقاع منذ أمد بعيد . ويقول إن المدينة في زمنه كانت تمتد على الشاطئ نحو ميل ، وتحوى نحو أربعة آلاف من السكان ، وهو يظن أن الميناء ربما كانت استعملت أو اتخذت قاعدة للبرتغاليين ، بالنسبة إلى مركز الميناء المطل على مصب نهر العرب ، والتي يمكن اتخاذها قاعدة لمعاكسة التجارة التركية وتجارة فئيس مع الهند . ويقول إن المدينة في زمنه كانت تحكم بوساطة شيخ ، وليس لديه أية قوة مسلحة ؛ وكان يحصل ضريبة قدرها اثنان في المائة على جميع الواردات

عند ما وصل المصريون إلى شواطئ الخليج الفارسي في محاربتهم للسعوديين ١٨٣٨ — ٣٩ وضعوا مندوباً لهم في الكويت ، وكانت وظيفته سياسية . وكان شيخ الكويت في ذلك الوقت هو الشيخ جابر ، الذي كان على صلات طيبة مع الحكومة البريطانية إلى أن توفي سنة ١٢٧٦ ، وقد خلفه ابنه الشيخ صباح ، وفي أثناء حكمه قام الكولونيل « بلي (Pelly) » سنة ١٨٦٥ برحلته الشهيرة من الكويت ليقابل حاكم نجد في الرياض ؛ وهو أول من لاحظ مستقبل الكويت التجاري . ويقول إن الكويتيين يعتبرون أحسن وأقدر بحارة بلاد الخليج الفارسي وهم محل ثقة في أخلاقهم ومعاملاتهم . ومنذ خمسين سنة لم تكن مينائهم ومدينتهم شيئاً مذكوراً ؛ والآن أصبحت أهم موانئ الخليج الشمالي ، ورئيسها له سمعة طيبة في الداخل والخارج ، وإليه يرجع الفضل في حسن الإدارة الداخلية ، والسياسة الحكيمة . فالضرائب المنخفضة على الواردات ، والجو الصحي ، والسكان المتأخون ، وحسن الميناء ، وطرق المواصلات وقربها ؛ كل هذه العوامل حولت كثيراً من المتاجر إلى الكويت ، مما كان يرد إلى بوشهر والبصرة^(١) . وبالنظر إلى موقعها

(١) خطبة الكولونيل بلي في الجمعية الجغرافية

وحالتها السياسية كانت هذه الميناء هي المخرج البحري الوحيد لجبل شمر وقبل أن تمضى عدة سنوات أخذت شركة الملاحة البريطانية الهندية (British India Steam Navigation Company) تجعل ميناء الكويت إحدى موانئ الخليج التي تعرج عليها بواخرها ، فهذه الحركة أثارت غيرة السلطات التركية ، وجددت مخاوفهم من أن يكون تقدم ميناء الكويت سبباً في انقاص أهمية البصرة ، وعليه فقد عدلت الشركة عن جعل الكويت إحدى الموانئ التي تعرج عليها بواخرها ، ولكن هذا العدول كان إلى حين ؛ فقد علمت بريطانيا أن الروسية تنوى إنشاء محطة فحم هناك ، والمساعي كانت تبذل لدى الباب العالي للحصول على امتياز باسم الكويت ، كما سعت لبناء سكة حديدية من البحر الأبيض إلى الخليج الفارسي ، وهو مشروع لو تم لجعل للروس حقوقاً في مياه الكويت الساحلية

واققاء لما يسعى إليه الروس ، عقدت بريطانيا سنة ١٨٩٩ اتفاقاً مع الشيخ مبارك على منوال الاتفاق الذي عقده بريطانيا سنة ١٨٩١ مع سلطان مسقط ، فهذه الخطوة حركت عواهل الأتراك الذين اجتهدوا في أن يثبتوا سلطانهم في الكويت ، ولكن الشيخ مبارك قاومهم ، واستمر محافظاً على حسن علاقته مع بريطانيا وقد تميزت سنة ١٩١٠ بوصول بعثة سكة حديد بغداد إلى الكويت للبحث عن النقطة التي تنتهي إليها السكة الحديدية ، ولولا معاهدة سنة ١٨٩٩ لكان لهذا الحادث تأثير كبير في تعريض مركز بريطانيا في الخليج الفارسي لخطر كبير وفي سنة ١٩٠٢-١٩٠٣ زار الكويت بعض الطرادات الروسية والفرنسية ، ولكن هذه الزيارة لم تؤثر في الحالة المحلية كما أنها لم تؤثر فيما بين بريطانيا والكويت من صلات

وحكام الكويت الحاليون سلالة جابر بن عبد الله الملقب بجابر الكبير ،

الذي جاوز المائة ، وهم أبناء صباح بن جابر بن عبد الله واشتهر في أوائل هذا القرن من هذه العائلة الشيخ مبارك الصباح ، فقد تسم هذا الأمير حكم الكويت على جثتي شقيقه (محمد وجراح) ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٣١٣ سنة ١٨٩٦ ، فأثار بذلك نزاعاً داخلياً استمر نحو تسع سنوات ، وقد عظم شأن الكويت في أيامه ، وزاد عدد سكانها زيادة عظيمة ؛ وفي أيامه خرج الأمير عبد العزيز بن سعود واستولى على الرياض ، وغير مجرى تاريخ الجزيرة كما سيأتي في تاريخ آل سعود

كان الشيخ مبارك طويل القامة ، أسمر البشرة ، قوى الذكاء ، صلب الإرادة ، مستبداً ، طموحاً إلى نشر سلطانه ونفوذه على البلاد المجاورة ، ولكن الظروف لم تساعد . وقد اشتهر الشيخ مبارك بالتقلب وعدم الثبات على سياسة واحدة ، فقد كان يساعد آل سعود لإضعاف نفوذ الرشيد وخضد شوكتهم ، كما أنه كان يعمد أحياناً إلى تقوية صلاته بالرشيد خوفاً من توسع آل سعود ، وكان لا يعف عما في أيدي الناس ؛ فقد كان يتوسل بأوهى الأسباب لفرض الضرائب على الناس وابتزاز أموالهم ، ولكنه كان بجانب ذلك غيوراً على مصالح الكويت مدافعاً عنهم أينما حلوا ، وقد خرج في أخريات أيامه على تقاليد العرب والدين ، فكان يجاهر بالمعصية حتى في رمضان ، مما جعل أهل الكويت يضجون منه

لقد حاول الأتراك في سنة ١٨٩٧ أن يستولوا على الكويت ، وينفوا الشيخ مبارك إلى الآستانة ، ولكنه أحبط هذا المشروع بما بذله من المال في البصرة وبغداد ، غير أنه في سنة ١٨٩٨ أرسل إليه الأتراك وفداً مؤلفاً من كبار الموظفين وبعض أعيان البصرة على إحدى السفن الحربية القديمة لنقله إلى الآستانة حيث عين عضواً في مجلس شورى الدولة ، فالتجأ إلى الإنجليز فأنقذوه من الأتراك ، وأعلنوا في تلك السنة حمايتهم على الكويت

وقد أخبرني الشيخ مبارك والسيد رجب النقيب بهذه القصة للدلالة على قصر نظر الأتراك ، وسعيهم الدائم لاضعاف العرب مما اضطر هؤلاء إلى الالتجاء إلى الدول الأجنبية . غير أن بريطانيا اضطرت إلى إعلان الحماية إبعاداً لكل نفوذ أجنبي على الكويت ، نظراً لظهور الروس في الميدان

واجه الشيخ مبارك في أوائل حكمه كثيراً من الصعاب التي يقيمها في وجهه أبناء شقيقه الشيخ محمد بن صباح وجراح ، والشيخ يوسف بن إبراهيم نصيرها ، فأوعز الأتراك إلى عبد العزيز بن الرشيد بمنأوة مبارك ؛ فأخذ يغير على أطراف الكويت ، كما أخذ مبارك نفسه يغير على أطراف البقاع التابعة لأمير حائل ، ففي سنة ١٩٠٠ غزا مبارك بعض جهات تابعة لعبد العزيز آل رشيد ، وسلبهم آلافاً من الجمال ، وفي خريف هذه السنة حاول مبارك أن يقتنص قافلة كبيرة إلى العراق ، كانت مكلفة باحضار مواد غذائية ، وملابس وذخيرة لفصل الشتاء من السماوة ، ولكنه فشل في ذلك . وفي ذى القعدة سنة ١٣١٨ — ١٧ مارس سنة ١٩٠١ كانت واقعة الصّريف ؛ التي انكسر فيها مبارك نفسه بعد أن قتل فيها أخوه وأحد أولاده ، كما قتل فيها عدد كبير من أهل الكويت . وقد حاول ابن الرشيد في خريف هذه السنة أن يتقدم ويستولى على الكويت ، ولكن الظروف الداخلية والخارجية لم تساعد على تنفيذ خطته ، فالثورات الداخلية ، وسياسة بريطانيا في الخليج قضت على هذه المحاولات . وقد استراح الشيخ مبارك بعد قتل عبد العزيز بن الرشيد سنة ١٩٠٥ ، وموت عدوه الألد الشيخ يوسف بن إبراهيم سنة ١٣٢٣ في السنة نفسها ، فلم يعد له خصوم يؤبه لهم ، وأصبح السيد المطاع في الكويت

وفي سنة ١٩٠٣ زار الكويت اللورد كيرزون في رحلته إلى خليج فارس ، وعلى أثر هذه الزيارة عينت الحكومة البريطانية وكيلاً سياسياً للكويت ، فاحتج

الأتراك على هذا التعيين المأس بسياذتهم على الكويت ، ولكن لم يكن له أى أثر
وقد توفى الشيخ مبارك فى مساء الاثنين ٢٠ محرم سنة ١٣٣٤ - ٢٩ نوفمبر
سنة ١٩١٥ ، فتولى إمارة البلد بعده أكبر أبنائه الشيخ جابر بن مبارك الصباح ،
وقد اشتهر بطيبة القلب وحب الخير ، والرفق بالناس ، فحفف الضرائب ، وأزال
كثيراً منها مما فرضه أبوه ، وحسن صلاته بابن سعود ، وكان قد أصابها شئ
من التصدع أو آخر أيام مبارك

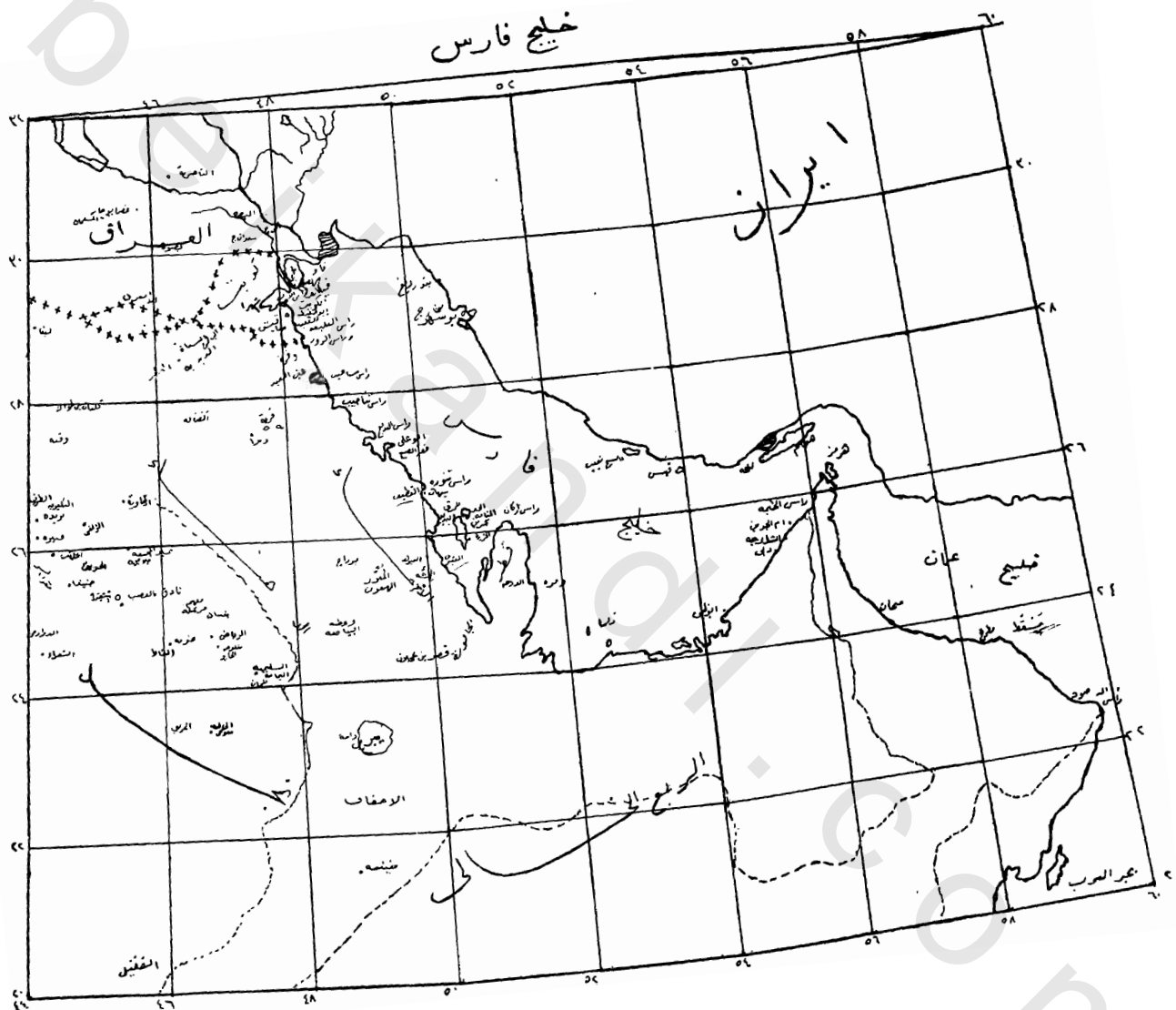
وفى الخامس من فبراير سنة ١٩١٧ توفى الشيخ جابر بن مبارك ، فأُسندت
إمارة الكويت إلى أخيه الشيخ سالم بن مبارك

كان الشيخ سالم شجاعاً مجيد الرماية وركوب الخيل ، ملماً بشئ من الفقه
وبعض قواعد النحو ، وكان طبعه يميل إلى العناد والشدة ، ولم يكن موفقاً فى
سياسته مع ابن سعود ، ولا مع الحكومة البريطانية لظنه أنها كانت تمالى ابن
سعود عليه

وقد اشتبك فى معارك حربية مع الاخوان النجديين كانت الغلبة فيها للاخوان
ففى حمض هاجم الدَّوَيْش ومُطَيْر سنة ١٣٣٧ هـ - سنة ١٩١٩ م معسكر ابن
صباح ، واستولى على ما فيه من مال وذخيرة . سنة ١٣٣٨ هـ - سنة ١٩٢٠ م
هاجموا الجهرة وحاصروا الشيخ سالماً فيها ؛ وكادوا يقبضون عليه . وفى السنة
التالية توفى الشيخ سالم بن مبارك ، فاختر الأهالى ابن أخيه الشيخ أحمد بن جابر ،
وهو الحاكم الحالى ، وهو شاب فى غاية الذكاء يميل إلى الأناة والتبصر فى أعماله ،
حتى انهم بكثرة التردد ، قابل الأهالى بدء حكمه بحماسة وارتياح ؛ لما جرت عليه
سياسة عمه من خوض غمار الحرب مع ابن سعود ، وهو حليفهم ، وصديقهم
القديم ، ويد الشيخ مبارك اليمنى فى استتباب الأمن فى جزيرة العرب وفى
نشاط الحركة التجارية

ولذا فقد جعل همه الأول الميل إلى السلم وتنشيط الحركة التجارية ، فنجح الشيخ سالم في الأولى . أما الثانية فإن النزاع مع الملك عبد العزيز أخذ طوراً اقتصادياً أدى إلى مقاطعة اقتصادية من جانب نجد للكويت كان من ورائها احياء الموانئ النجدية التي نافست الكويت ، وقضت على شطر من تجارتها . وقد كان في امكان شيخ الكويت أن يتفق مع جاره حسب الأصول الاقتصادية ، وحسب العادات المتبعة بين الدول المتجاورة ، ولكن عوج هذا الموضوع مراراً فلم يوفق الفريقان لحل يرضيهما ويصون مصالحهما





امارة البحرين

يطلق اليوم اسم إمارة البحرين على مجموعة الجزر الواقعة في وسط الخليج الفارسي منفصلة عن ساحل قطر والقطيف ، وهي الجزر التي كانت تسمى قديماً (Tylos) ، وهي جزيرة البحرين ، وجزيرة المحرق ، وأم نَعْسان وسِتْرَه ، مع عدد من جزر صغيرة صخرية لا أهمية لها

الجو

جو البحرين قرب السواحل وفي المناطق المنزرعة حار رطب لا يكاد يحتمل ، ولقد كانت البحرين حتى سنة ١٩٢١ موبوءة كالقطيف بالحيات ، ولكن منذ السنة المذكورة قامت إدارة البلدية بمجهود كبير هو ردم المستنقعات والبرك ، فتحسنت حالها تحسناً محسوساً ، وأقصى درجة الحرارة ١٠٤° في أغسطس ، وتنخفض الحرارة في ديسمبر ويناير إلى ٤٨° ، والجو من أكتوبر إلى إبريل مقبول نوعاً ، فالحرارة تتراوح من ٦٠ — ٨٠ ف ، وفي يناير وفبراير تهب الرياح الشمالية فيبرد الجو ، ويستعمل الناس النار في منازلهم للوقاية من أذاه ، وفي مايو ومنتصف يونيو يهب نسيم البحر فيخفف من شدة الحر ؛ أما من منتصف يونيو إلى آخر سبتمبر فإن الحرارة لا تكاد تنخفض عن ١٠٠° ، وعندئذ تكاد الأنفاس تنقطع ويكاد العرق لا يجف ليلاً ولا نهاراً ، ولا يلطف الهواء إلا نسيم البر ولكنه قليل والأمطار قليلة في البحرين ، وموسم المطر من منتصف أكتوبر إلى منتصف مايو والرياح التي تهب على البحرين هي البارح ، وهي رياح شمالية غربية ، ومدتها أربعون يوماً تبتدى من الأسبوع الثاني من يونيو ، وتكون شديدة هوجاء في

الشتاء حين تهب من الشمال ، وهذه تهب على البحرين من وقت لآخر في غير شدة ، ثم الرياح الجنوبية الغربية يسمونها القووس ، وهي إذا هبت في الصيف اشتد الحر ، ولا سيما في شهر أغسطس ، وهي تهب بغير انتظام من ديسمبر إلى إبريل

السكان

لم يعمل احصاء دقيق لمدن وقرى البحرين ، وربما بلغ سكانها نحو ١٢٠٩١١ نسمة : منهم ٦٨٨٣٦ من أهل السنة و ٥١٨٢٠ من الشيعة . وأكثر الشيعة من القرويين ، كما أن أغلب أهل السنة من أهل المدن . وأكثر أهل السنة من الحوالة الذين يسكنون في المنامة والمجرق والبديع والحدة ، وهم يشتغلون بالتجارة ، وليس بينهم رابطة اتحاد أو نفوذ على غيرهم

أما العُتوب (بنى عتبة) والسادة والدواسر فهم أكثر القبائل نفوذاً في البحرين ، فبنو عتبة لهم بالعائلة الحاكمة صلة النسب ، والسادة نفوذهم مستمد من اتصال نسبهم بالنبي الكريم ، والدواسر نفوذهم مستمد من سلوكهم الحسن في الجزيرة ، ومن ثروتهم التي اكتسبوها من التجارة . وهناك بعض قبائل أخرى تنتمي إلى بنى خالد

وأغلب السكان السنيين يسكنون على السواحل ، ومعيشتهم مرتبطة بالبحر أكثر من الزراعة ، وهناك أيضاً عدد من الموالى لا يقل عن ٦٠٠٠ نفس ، وجالية صغيرة من الإيرانيين والهنود

والحياة في البحرين تختلف عنها في جزيرة العرب ، فليس في البحرين كما في جزيرة العرب روح التعصب لعدم مصاهرة غير العرب إلا في العائلة الحاكمة فقط ، وليس في البحرين كما في الجزيرة البعد عن الكماليات ، وتجد في البحرين أثر الروح الفارسية والهندية في المأكل والبناء ، وفي الملابس وبعض العادات الأخرى

الصناعات والتجارة

أهم الصناعات في البحرين هو الاشتغال باستخراج اللؤلؤ من البحر، والبحرين تلي عمان في الأهمية من حيث كثرة السفن وعدد الغواصين . والغواصون وإن كان منهم عدد غير قليل يفد من الاحساء ونجد ، فان التجار الذين يمدونهم بالمال من تجار البحرين

لا يقل عدد المشتغلين باستخراج اللؤلؤ عن عشرين ألف نفس ، ويبلغ عدد السفن نحو ٩٠٠ سفينة صغيرة وكبيرة ، وموسم الغوص يتبدى في مايو وينتهى في اكتوبر حيث يبرد ماء البحر

وقد تداخلت حكومة البحرين في عشر السنوات الأخيرة في عمل الغوص والتجارة ؛ فبعد ما كانت التجارة حرة في السنين الطويلة ، أوجبت الحكومة على التجار تنظيم دفاترهم كما حددت أرباح السلف ، وكما حالت دون تحكم التجار في الغواصين الصغار ؛ والحالة على العموم في البحرين خير منها في بعض السواحل الأخرى . وقد جهزت حكومة البحرين سفينة أعدها بكل المعدات الطبية لمساعدة المرضى وتخفيف آلام الفقراء من سكان البحرين ، والمشتغلون باستخراج اللؤلؤ قد يشتغلون في غير موسم الغوص بصيد الأسماك إما بالشبك أو بالحظرة و يشتغل عدد كبير بالزراعة ، ولاسيما في عشر السنوات الأخيرة حيث أكثر الأغنياء من حفر الآبار الارتوازية

وأهم حاصلات البحرين : التمر ، الليمون ، الاترنج ، التين ، البطيخ ، ويزرع بها بعض الخضراوات

وأهم الصناعات اليدوية في البحرين : نسيج الشرع للسفن ، والعباءات وبعض أنواع أخرى من الأقمشة ، والحصر الذي يصنع من سمار الاحساء ، وبناء السفن من

الأخشاب التي تستحضر من الهند خاصة لذلك ، وكثير من هذه السفن يصنع
لقطر وعمان

ولقد تقدمت التجارة في البحرين في الخمس عشرة سنة الأخيرة بسبب بناء
رصيف للسفن الشراعية ومستودعات للبضاعة . وقد أصبحت البحرين بالنظر إلى
مركزها الجغرافي سوقاً هاماً لتجارة اللؤلؤ وغيره من أنواع المتاجر الأخرى . فتجار
اللؤلؤ من الكويت وقطر والقطيف وسائر السواحل العربية يبيعون فيها ما يجتمع
لديهم من اللؤلؤ ، حيث يصدر بعد ذلك إلى الهند فأوربا . وقد بلغت قيمة ما صدر
منه في سنة الرخاء مليونان من الجنيهات . وأما المتاجر الأخرى فتزد للبحرين من
الهند وأوربا ، ومنها يصدر قسم إلى القطيف وقطر والعمارة حيث يرسل للاحساء
وجنوب نجد

وأهم واردات البحرين : الأرز ، والمنسوجات ، والسمن ، والبن ، والتمر
والسكر ، والشاي ، والدخان ، والأفاويه ، والوقود ، والأغنام للذبح

وأهم الصادرات اللؤلؤ ، ولا يوجد صادر آخر ذو قيمة غيره ، وتكاد الهند
تستولى على أكثر من نصف الواردات ، والبلاد الأخرى — فارس والعراق
وأوربا — تستولى على النصف الآخر

وتنقل السلع التجارية من الهند بواسطة الشركة الإنجليزية الهندية وهي تكاد
تحتكر تجارة الخليج وتمر أسبوعياً بالبحرين في طريقها إلى البصرة ، وفي رجوعها
إلى بمباي ، وقد أصبحت البحرين منذ سنين مركزاً من مراكز الطيران
المدني ، فأصبحت الطائرات تمر بها كل أسبوع في طريقها إلى الهند أو أوربا ،
وأصبح في وسع المسافر أن يصل إليها في أربعة أيام من لندن ، ويوم ونصف
من الهند أو مصر

جزيرة البحرين

أو (أوال) كما كان يسميها العرب^(١) أكبر جزر الإمارة وأهمها ، كثيرة المياه ، خصبة التربة ، قابلة للنمو والتقدم ، ويمكن زيادة المناطق القابلة للزراعة فيها إذا نظم الري ، وجبت الضرائب بالعدل ؛ وقد اتسعت المساحة الزراعية في العشرين سنة الأخيرة ، وأكثر الناس من حفر الآبار الارتوازية ، وازدادت حركة شراء الأراضي سواء كان للبناء أو للزراعة ، بعد أن نجحت شركة الزيت الأميركية في استنباط البترول من أراضيها

يبلغ طول الجزيرة ٣٠ ميلاً ، وهي على العموم مسطحة ومنخفضة ، ولكنها ترتفع تدريجاً إلى نجدٍ داخلي يبلغ ارتفاعه من ١٠٠ — ١١٠ قدماً ويزرع في الجزيرة ما عدا النخيل ، الليمون ، والرومان ، والتوت ، والتين ، والبطيخ ، والأترج ، وأنواع الخضراوات

ويقال إنه كان بالبحرين ثلثمائة قرية ، وسواء كان هذا القول صحيحاً أم مبالغاً فيه ، فإن قرى البحرين اليوم لا تتجاوز المائة وهي أشبه بالأكواخ . ويوجد في بعض القرى المملوكة للعائلة الحاكمة ، أو كبار التجار بيوت مبنية بالحجارة ، ومنظمة تنظيماً حسناً ، وهي معدة في الغالب لفصل الصيف

وقد احتل البحرين البرتغاليون كما احتلوا القطيف ، واحتسكروا جزءاً كبيراً من اللؤلؤ وتجارة الخليج الفارسي ، ولا يزال في الجزيرة بقايا خزانات مما شيده البرتغاليون ولكنها تداعت كلها كما تداعى بناء القلعة التي بنوها لحماية الميناء التي هجرت واتخذت بدلاً منها المنامة

ويوجد على الشاطئ الشرقي من الجزيرة خرائب مدينة كبيرة يقال

(١) ياقوت . القاموس . المحيط

لها جَوُّ (Jow) كانت مقرّاً لشيوخ البحرين ، ولكنها تركت سنة ١٨٠٠ لأن مرفأها غير أمين ، ورحل سكانها إلى جزيرة المحرق

بلدان البحرين

المنامة :

عاصمة البحرين التجارية على الساحل الشمالى الغربى من الجزيرة ، ولكون البحر ضحلاً عند المنامة تقف البواخر على بعد أربعة أميال لتفرغ شحناتها فى السفن الشراعية التى بدورها تنقلها للساحل وفى وقت الجزر لا تستطيع السفن أن تقرب من الساحل ، وقد أنشئ فى الخمس عشرة سنة الأخيرة رصيف على ساحل البحر يمكن السفن أن ترسو بالقرب منه

وقد أنشئ بالمنامة بلدية سنة ١٩٢٠ م ، فقامت فى الخمس عشرة سنة الماضية بخدمات جُلّى للبلد ، فشيدت طريقاً على ساحل البحر ، وغرست الأشجار على الطريق الخارجى ، ووسعت الطرق الضيقة المتتوية ، كما قامت بنصيب وافر فى سبيل تنظيف البلد ، وقد نجحت البلدية فى إنارة البلدة بالكهرباء . وبالمنامة ما يزيد على ٥٠٠ دكان ، وكثير من البيوت التجارية الأوربية والهندية . وبالبحرين أيضاً بعثة أمريكية ، ومستشفى أمريكى قام بخدمات تذكر فى سبيل الانسانية

يبلغ سكان المنامة ٢٥ ألفاً أكثرهم من أهل السنة ، ونحو ١٢٠٠٠ من الشيعة وبها أيضاً نحو ألف من غير المسلمين : هنود ونصارى شرقيين ، وقليل من الأوربيين ويستقى فقراء المنامة من بئر تسمى عين مُقبِل ومن مستودع آخر للماء يسمى القفول فى غرب البلدة . أما غير الفقراء فيشربون من ماء الرِّفَاع الشرقى أو الغربى حيث ينقل بواسطة الجمال ؛ وأما الماء المستعمل للتنظيف فكل بيت لا يخلو من بئر



أبو زيدان فى البحرين

البديع :

قرب الزاوية الشمالية الغربية من جزيرة البحرين تمتد ميلا على السواحل ،
ويبلغ عدد سكانها نحو ٨ آلاف نفس أكثرهم من قبائل الدواسر ، ويشغل
أكثرهم بتجارة اللؤلؤ والعمل على استخراجها

وقد وقع خلاف بين حكومة البحرين والدواسر في أواخر سنة ١٩٢٢ م فجلا
الدواسر من البديع إلى الدمام ، وبعد سنتين رجع قسم منهم البحرين بعد استرضاء
حكومتها لهم . وأهم قرى البحرين :

البلد القديم :

في الجنوب الغربي من قلعة المنامة على ميل ونصف منها ، وسكانها من
البحارنة^(١) ، ويشغلون بالزراعة وتجارة اللؤلؤ والخياطة ، وعدد سكانها نحو ٤٠٠
وأكثر بيوتها مبنى بالطين ، وفي الجهة الشمالية الغربية يوجد سوق الخميس نسبة
اليوم الذي يقام فيه السوق ، وعلى بعد نصف ميل من القرية في الجهة الغربية
توجد عين أبو زيدان ، وبجوارها مدرسة متهدمة بهذا الاسم ومنارة يهتدى بها ،
وبها عدد كبير من أشجار النخيل

عسكر :

قرية على الشاطئ الشرقي تبعد عن جبل الدخان أربعة أميال ونصف ،
وسكانها من بُوعَيْنَيْن

بورى :

في الجنوب الغربي من المنامة تبعد عنها سبعة أميال وسكانها من البحارنة ،
وبها عدد كبير من النخيل لا يقل عن ١١ ألف نخلة

(١) تطلق هذه الكلمة على سكان البحرين

جَدَّ حَفْص :

في الجنوب الشرقى من القلعة البرتغالية المحرّبة (قلعة العَجَاج) ، تبعد عن
المنامة بثلاثة أميال ونصف وهى من القرى الكبيرة فى البحرين ، وسكانها من
البحارنة المشتغلين بغرس النخيل والتجارة واحراق الجص وتجارة اللؤلؤ ، وبها من
النخيل ما يتجاوز ١٦ ألف نخلة ، وبها أيضاً بساتين جميلة يغرس فيها الأترج
والفواكه ، وتزرع الخضر بأرضها كما يزرع (القت) البرسيم ، وبقرىها قرية
صغيرة تسمى عين الدار

المعابر :

على الساحل الشرقى ، بعض بيوتها مبنى بالحجارة ، سكانها من البحارنة
ويشتغلون بالفوص

رَفَاع الشرقى :

قرية كبيرة فى جنوب المنامة على بعد سبعة أميال منها ، وسكانها من العرب
الذين يعيشون على بيع الماء المستخرج من آبارها المسمى بالحَنِين ، ويقيم بها بعض
أعضاء العائلة المالكة ، وقد كان لهم شأن يذكّر قبل النظام الحالى فى البحرين ،
والرفاع تعتبر أصح منطقة فى جزيرة البحرين

رفاع الغربى :

مثل الرفاع الشرقى فى موقعه ويبعد عنه ١ ½ ميل وهو فى الغرب الشمالى منه ،
وسكانها سينيون أكثرهم من قبيلة بنى عُثْبَة ، وبعض أعضاء العائلة الحاكمة كانوا
يسكنونها ويحكمونها كالرفاع الشرقى ، والسكان يشتغلون بنقل الماء وبيعه فى المنامة
والمنطقة غير منزرعة

سنابس :

على الساحل الشمالى من الجزيرة بها مسجد ، وسكانها من البحارة الذين يشتغلون ببناء السفن وصيد الأسماك وتجارة اللؤلؤ

الزّلاق :

على الساحل الغربى من الجزيرة أسفل البديع ، وسكانها من الدواسر الذين يشتغلون بالغوص وبها قلعة مخربة

جزيرة المحرق :

تقع جزيرة المحرق فى الشمال الشرقى من جزيرة البحرين حيث يفصل الجزيرتين مضيق صغير يبلغ طوله ميل ونصف فقط يعبر بالسفن الصغيرة ، وقد شرعت حكومة البحرين أخيراً فى عمل جسر لربط الجزيرتين ببعضهما ببعض ، والعمل لا يزال جارياً على ساق وقدم لاتمامه

يبلغ محيط الجزيرة أربعة أميال ، وساحل الجزيرة رملى منخفض محاط بشعوب مرجانية مما جعل الملاحة إلى البحرين محاطة بشيء من الأخطار ، ولكن الملاحين من العرب فى غاية المهارة ، ولذا فالسفن التجارية القادمة من الهند ترسو بعيدة عن الساحل نحو أربعة أميال

وبالمحرق عدة ينابيع على الساحل تختفى تحت ماء البحر وقت المد وتظهر وقت الجزر ، ويبلغ سكان المحرق ٢٠ ألفاً

وبجزيرة المحرق ١٦ قرية صغيرة ملحقة بمدينة المحرق أهمها :

عرّاد :

على الساحل الجنوبى وسكانها بحارنة ، وبها قلعة متداعية قائمة على خليج عراد وبها نحو ١٥ ألف نخلة

بساتين :

على الساحل الغربي من جزيرة المحرق تبعد نحو ميل عن مدينة المحرق .
وسكانها من أهل السنة يشتغلون بالفوص وبها قليل من النخيل
الدير :

على الجهة الشمالية الغربية من الساحل تبعد ميلين عن مدينة المحرق ، وسكانها
بحارنة يشتغلون بالفوص وبها قليل من النخيل
حالة أبو ماهر :

جزيرة صغيرة جنوبي بلدة المحرق تتصل بالجزيرة وقت الجزر ، وسكانها من
أهل السنة يشتغلون بالفوص ونقل الماء إلى المحرق من عين تحت البحر ، وبها
قلعة صغيرة على نهاية الجزيرة للدفاع عن الماء
قلاني :

في الجهة الشمالية الشرقية من الساحل ، وسكانها من أهل السنة وأكثرهم
من قبائل المناعة يشتغلون بالفوص وصيد الأسماك
مدينة المحرق :

مقر العائلة الحاكمة ، مدة ثمانية أشهر ، واقعة على الجهة الغربية من الجزيرة ،
تبعد عن مدينة المنامة ميلين

ويستقى أكثر سكان المحرق من عين أبو ماهر الواقعة جنوبي المدينة في
جزيرة صغيرة تسمى بهذا الاسم ، يبلغ مساحتها نحو ٨٠٠ ياردة ، وتحاط مدينة
المحرق بالماء وقت المد العالي من الجهة الشرقية والجنوبية والغربية ، فيساعدوها
ذلك على إزالة الأقدار وتنظيف الساحل

يبلغ سكان المحرق ٢٠ ألفاً ، نصفهم من الحوالة ، وعرب المحرق ينتمون إلى بني عتبة وبنى على والزياينة ؛ وبالمحرق عدد لا يذكر من البحارنة ، ويشغل أهل المحرق بتجارة اللؤلؤ واستخراجه وصيد الأسماك والملاحة وبعض المتاجر الأخرى ، وفي موسم الصيف يهجر القسم الأعظم من أهل المحرق مساكنهم وينتشرون على سواحل جزيرة البحرين

الحِجْد :

في الجنوب الشرقى من جزيرة المحرق ، يبلغ سكانها نحو ٨٠٠٠ ، وهم من السادة وقبائل بنى ياس ، وهم يشتغلون بتجارة اللؤلؤ والغوص ، والحِجْد أكبر مركز للغوص

سِترَة :

جزيرة واقعة في شرقى البحرين ، مفصولة عنها بقناة ضيقة ؛ يبلغ طولها من الشمال للجنوب أربعة أميال ونصف ، وعرضها ميل ونصف ، وبها كثير من العيون والآبار ، وسكانها في الشمال بحارنة ، ويسكنون في سبع قرى صغيرة ، وبها كثير من أشجار النخيل

الجزيرة :

أو كما يسمونها — النبی صالح — هي جزيرة صغيرة قريبة من الساحل الشرقى من البحرين ، تبلغ نصف ميل في كل ناحية ، وهي من الأماكن العامرة بالنخيل ، فيها نحو ١٤ ألف نخلة ، وبها قريتان سكانهما من البحارنة ، يشتغلون بالزراعة والغوص وصيد الأسماك

أم نَعْسَان :

جزيرة صغيرة في الجهة الغربية من البحرين تبعد عنها نحو ميلين فقط ،

طولها من الشمال للجنوب أربعة أميال ، ونحو ميلين ونصف عرضاً ، وهي جزيرة غير مسكونة ، وبها عين ماء عذبة قرب الساحل الغربي . ويرسل سكان البديع والزلاق من قرى جزيرة البحرين حيواناتهم في الصيف للرعى فيها

نبذة تاريخية

لا يعرف شيء كثير عن تاريخ البحرين القديم ، وما يعرف عن تاريخها لا يتجاوز سنة ٤٢٠ قبل الميلاد ، حيث كانت البلدة تدار بوساطة رؤسائها الوطنيين الوثنيين ، وفي سنة ٦١٥ بعد الميلاد غزا بهرام بلاد العرب وأقام بالجزيرة مندوباً من قبله يدير شؤونها ، وقد بقي بها إلى زمن الفتح الإسلامي ، وبعد الفتح الإسلامي بمدة قصيرة استرد الحكام المحليون استقلالهم ، واستمروا في حكمهم حتى زمن هشام ابن عبد الملك ، حيث استرد الجزيرة مرة أخرى ، وأقام من جانبه حاكماً قرشياً عام ٧٢٣ م ؛ وقد استمر حكم البحرين على هذا النحو حتى آخر حكم العباسيين في القرن الحادي عشر فعاد حكم الوطنيين مرة أخرى ، واستمر حتى القرن السادس عشر ؛ وفي القرن السادس عشر استولى عليها الفرس وعينوا من قبلهم حاكماً عليها ، ثم استولى عليها البرتغاليون كما استولوا على هرمز والقطيف سنة ١٥٠٧ ، واحتكروا جزءاً كبيراً من تجارة اللؤلؤ وتجارة الخليج الفارسي . وقد طرد الفرس البرتغاليين سنة ١٦٢٢ بعد سقوط هرمز ، كما أن الفرس بدورهم طردوا منها مرة أخرى ، وما زالت الجزيرة يتقلب عليها الحكام من الفرس تارة ومن العرب مرة أخرى ، حتى تمكن عرب بني عتبة من الاستيلاء عليها ، وهم الحكام الذين تنحدر منهم العائلة الحالية

آل خليفة

إن تاريخ آل خليفة أمراء البحرين يشمل ضمناً آل صَبَاح أمراء الكويت ،

ولذا فإن البحث في تاريخ إحدى العائلتين لا يخلو من استعراض شيء عن العائلة الأخرى للارتباط الوثيق بين العائلتين في الماضي

قدمنا في الفصل الخاص بالكويت أنه في سنة ١١٢٩ هـ (١٧١٦ م) تحالفت ثلاث قبائل كبرى وهم : بنو صباح ، والجلاهمة ، وآل خليفة ، واتخذوا الكويت موطناً لهم ، واتفقوا فيما بينهم على أن يتولى آل صباح شئون الحكم ، وآل خليفة التجارة ، والجلاهمة العمل في البحر ، على أن يقسم الجميع الأربع بينهم بالتساوي . وبعد مضي خمسين سنة من الحلف سنة ١٧٦٦ رأى ابن خليفة أن ينفصل عن الحلف فعرض على حلفائه مبلغ ما يصيبهم من الغني إذا هم سمحوا له ولعشيرته الانتقال إلى الجزء المجاور لمفاص اللؤلؤ فيؤسس هنالك محلة تدر الشيء الكثير من الأرباح فيستغنى الحلفاء ، فاستولى جلال الفكرة عليهم وصرحوا لرئيس آل خليفة بترك الكويت مع بعض أفراد عشيرته ، فتركها ونزل الزبارة قرب قطر والبحرين على الشاطئ العربي

اكتشف ابن صباح — ولكن بعد فوات الفرصة — الأسباب الحقيقية التي دفعت بحليفهم ابن خليفة إلى مغادرة الكويت ، وشعروا بعظم الأسارة المالية التي منوا بها بفقد عضو من أعضاء التحالف ، ففكروا في اقتفاء أثر حليفهم ابن خليفة بالتخلص من قيود الحلف مع الجلاهمة ، فامتنعوا من مقاسمتهم الوارد ، ثم انتهى بهم الأمر إلى طردهم من الكويت ومينائها ، فلبجثوا إلى إخوانهم آل خليفة في الزبارة فأجروا لهم من الرواتب ما يتناسب مع مركزهم ، وبعد ذلك جرى بينهم وبين أهل الكويت من المعارك ما كان سبباً للقضاء عليهم وعلى نفوذهم

يسود الهدوء البحرين ، ويسود الصفاء بين الشيخ محمد الحاكم وأخيه الشيخ على آل خليفة ، ويتعاونان على قمع الفتن وإنماء حركة التجارة ، ويستمر هذا التعاون حتى سنة ١٨٦٧ ، ثم يتنافس الأخوان على الحكم فيتغلب الشيخ على على

أخيه وينفرد بالحكم ، فترك الشيخ محمد البحرين إلى الكويت مقر آباءه الأولين ،
فيسعى عبد الله بن صباح حاكم الكويت في الصلح بين الأخوين فلا يوفق ،
فتقوم الحرب بين الأخوين فيتغاب الشيخ محمد على البحرين بعد قتل أخيه الشيخ
على ، فيحبسه أبناء الشيخ عبد الله بن طريف فيتدخل الانجليز في الأمر ، فيطلقون
سراح الشيخ محمد ويحملونه مع بعض الرؤساء إلى سيلان ، ويعينون الشيخ عيسى
ابن علي حاكماً على البحرين سنة ١٨٧٠ ، ويستمر حاكماً عليها حتى سنة ١٩٢٣ ،
حيث تغل يده بالنظر إلى كبر سنه ، ثم يتولى والده الأكبر الشيخ محمد بن عيسى
وهو الحاكم الحالي ، وقد توفي الشيخ عيسى بن علي في شعبان سنة ١٣٥١ هـ
ديسمبر سنة ١٩٣٢ م

الحكومة البريطانية والبحرين

كانت سياسة الحكومة البريطانية في خليج فارس في أواخر القرن الثامن عشر
والقرن التاسع عشر قائمة على إيجاد عهد من السلم والأمان في تلك المنطقة ، فأعلنت
الحرب على القرصنة وحاربتها بشدة

وقد أرسلت الحكومة البريطانية مستر بروس Bruce^(١) عام ١٨١٤ إلى
البحرين لاستطلاع أحوالها ، فوصل إليها في ١٩ يوليو واستقبله فيها الشيخ عبد الله
ابن احمد استقبالاً ودياً . ويقول مستر بروس : إن زيارته للبحرين كانت موفقة
ومفيدة جداً ، فقد علم أن إمام^(٢) مسقط غرس في أذهان العرب أشياء كثيرة
ضد الانجليز : فقد أفهمهم أن بريطانيا ستصادر سفن البحرين التي تقصد الموانئ

(١) سنذكر في الجزء الثاني تفاصيل الانقلاب في البحرين وأثره في سائر البلاد العربية
ويلاحظ هنا أن خليج فارس في القرن السادس والسابع عشر كان عربياً من جميع الوجوه ، غير
أن هؤلاء الحكام كانوا معاً في تنازع وخصام دائم حتى أضعفهم ذلك وجعلهم لقمة سائغة
لكل قاع قوى
(٢) إمام : سلطان

الانجليزية ، ولهذا السبب كانوا معتمدين مشاركة الجواسيس في القرصنة ، وقد شرح الشيخ عبد الله أسباب الخصام بينه وبين إمام مسقط ونقض هذا الأخير المعاهدة التي عقدها معهم ، وأنه هو نفسه وأفراد قبيلته مستعدون للارتباط مع مسقط لأن مصلحته لا تتعارض وهذا الاتفاق

وقد أبان الشيخ عبد الله للمستمر بروس أنه في الوقت الذي كان إمام مسقط يتظاهر بالتعاقد معهم ، كتب سرّاً إلى إمام نجد يغريه بالبحرين لاقامة رحمة بن جابر حاكماً عليها ، وقد رفض شيخ بني ياس الانضمام للإمام في ذلك كما رفض أمراء العرب المقيمون على الساحل الفارسي ، وقد رحب شيخ البحرين بالسفن الانجليزية والتجارة البريطانية ، وصرح بأنه مستعد لدفع أي خطر عربي عن الجزيرة ، وأنه لا يشغل باله غير الانجليز ، وأن الشيخ ينتظر أن تعامل بريطانيا سفنه بنفس المعاملة التي يعامل بها سفنها في البحرين ، فطمأنه مستر بروس وأخبره — ولو أنه ليس لديه التفويض الكافي — بأنه مستعد أن يضع معاهدة تزيل مخاوف شيخ البحرين ، فوعده الشيخ بأنه سيصدر أوامره الصارمة للتشديد على سفنه باحترام العلم البريطاني حتى في أشد الأوقات حرجاً

ازداد نفوذ آل خليفة في الزبارة وآل صباح بالكويت ، ونمت ثروتهم ولا سيما بعد احتلال الفرس للبصرة سنة ١٧٧٥ م فقد انتقل بذلك جزء كبير من تجارة اللؤلؤ والتجارة الهندية إلى الزبارة والكويت ، وقد اتهمز عرب الزبارة وحاكمهم ابن خليفة فرصة موت كريم خان واشتعال الفتن في خليج فارس ، فهاجم البحرين واستولى عليها سنة ١٧٨٢ ، ولكنه ترك الجزيرة بعد نهبها ، وبعد معارك متعددة بين آل خليفة وأتباعهم ، وبين غيرهم من رؤساء العرب الموالين لفارس ، ثم تمكن آل خليفة بمعاونة حلفائهم آل صباح من أن يستولوا نهائياً على البحرين ويخضعوها لحكمهم ، وقد ساعدهم ما وقع في فارس من التقلبات على

الاستقرار في الجزيرة والتفرغ للتوسع التجاري ، وفي سنة ١٧٩٩ م هاجم إمام مسقط جزيرة البحرين ، وتمكن من الاستيلاء عليها سنة ١٨١٠ م ، وأرسل إلى مسقط نحو ٢٥ عائلة من كبار العائلات ، ولم يفد عرب البحرين استنجادهم بفارس أو تركيا ؛ لأنه كان لدى الدولتين من المشاغل ما حال دون التدخل في حوادث البحرين

وفي سنة ١٨٠١ م تمكن آل خليفة بمعاونة النجديين الذين انتشرت حركتهم وامتد سلطانهم إلى الاحساء من التغلب على قوات إمام مسقط واسترداد البحرين وفي سنة ١٨١٠ م احتل النجديون البحرين والزبارة ، وعين إمام نجد عبد الله ابن عُفَيْصان وكيلا عليهما وعلى القطيف وقطر ، ولكن شيوخ البحرين استمروا على إدارة الأحكام ، واكتفى مندوب نجد باستلام الجزية وإرسالها إلى مولاه في نجد

وفي سنة ١٨١١ م اضطر عبد الله بن سعود إلى سحب قواته من الخليج بعد غارة ابراهيم باشا ؛ فاتهز إمام مسقط هذه الفرصة ، وهاجم الزبارة وأحرقها وقبض على وكيل عبد الله بن سعود وأرسله إلى مسقط ، فاسترد آل خليفة شيئاً من سلطانهم ، ولكن نفوذ النجديين رجع بعد ذلك بقليل ، وفي سنة ١٨١٦ م حاول إمام مسقط أن يستولى على البحرين ، ويقضى قضاء تاماً على آل خليفة . وقد أوضح في كتاب له للحكومة البريطانية أن الذي دفعه إلى ذلك هو مساعدة عرب بني عتبة للقرصان واعترافهم بسيادة الوهابيين ، وقد وصل الامام إلى الجزيرة ونزلت الجنود في عرّاد ونجحت الحملة بعض النجاح ، ولكن عرب البحرين هزموه أخيراً هزيمة منكرة قضت على آماله في امتلاك الجزيرة ، وقد اكتشف إمام مسقط بعد ذلك أن حكومة فارس التي كانت تحرضه في ذلك الوقت على امتلاك الجزيرة إنما تعمل للغدر به ويبقى رؤساء العرب

ومن سنة ١٨١٦ — ١٨٤٢ م أخذ النفوذ النجدي في الجزيرة في الظهور تارة
وفي الخفاء تارة تبعاً لقوة الدول السعودية وضعفها ، وفي سنة ١٨٤٤ م ظاهر الإمام
فصل أصغر شيوخ البحرين محمد بن خليفة ضد عمه وعضده بإرسال قوة برية ضد
الإمام فاستولى عليها وأقام فيها

وقد وصف مستر بروس عرب بني عتبة في البحرين بأنهم من أقوى وأكفأ
الملاحين العرب في الخليج ، وأنهم يملكون جانباً كبيراً من التجارة الهندية ، وهم
يفضلون التجارة عن حياة القرصنة ، وتعتبر هذه السنة أول سنة وضع فيها أساس
التفاهم بين الحكومة البريطانية وبين رئيس بني عتبة حاكم البحرين . وفي سنة ١٨١٩
عقد معهم السير W. G. Ren معاهدة للتعاون ضد القرصنة ، لأن الجزيرة كانت
أكبر مركز لتصرف منهوبات القراصنة وأخذ ما يلزمهم من الحاجيات الضرورية .
وفي نفس هذه السنة عقدوا معاهدة أخرى مع إمام مسقط وتعهدوا له بدفع ضريبة
سنوية قدرها تسعة آلاف ريال . وفي سنة ١٨٤٧ م عقدت معاهدة لمنع الاتجار
بالرقيق . وفي سنة ١٨٨٠ م عقدت الحكومة البريطانية مع الشيخ عيسى بن علي
حاكم البحرين مثل المعاهدة التي عقدها مع سلطان مسقط قبل ذلك ، ثم مع شيخ
الكويت بعد ذلك ، وهي معاهدة حماية تنص على ألا يقبل الشيخ أى وكيل
سياسى غير انجليزى ، وألا يتعاقد الشيخ أو يتنازل عن قطعة من أراضيه
لحكومة أجنبية

وفي سنة ١٨٩٣ أعطى للوكيل السياسى في البحرين حق الفصل في قضايا
الأجانب ، ثم توسع هذا الحق حتى شمل القضايا التي فيها صالح الأجانب
لقد طال حكم الشيخ عيسى والد الحاكم الحالى حتى جاوز الخمسين ، وفي عهده
تقدمت البحرين تقدماً عظيماً : في التجارة والثروة ، واستتب فيها السلم بعد أن
كانت لا تعرف السلام ، وقد اشتهر الشيخ عيسى بالكرم والتقوى ، ولكنه كان

محافظاً على القديم لا يجب التغيير ويكره كل جديد ؛ ولذا فقد كان يتصادم دائماً مع الوكيل السياسى عندما يراد القيام بأى عمل عمرانى ؛ وأخيراً اتفقت الحكومة البريطانية مع أبنائه على أن يتختم الشيخ حياته السياسية ويعتكف فى بيته وينوب عنه ابنه الأكبر الشيخ حمد ، فاحتج الشيخ على هذا العمل الذى لا يتفق مع روح الصداقة ، وغضب على ولده نحو خمس سنوات ، ثم رضى عنه بعد ذلك . وقد ترك عزى الشيخ عيسى من إمارة البحرين أسوأ الأثر فى نفوس أمراء البحرين ، وقد أعقب هذا الانقلاب تغييراً فى الإدارة فوضع بجانب الشيخ مستشار انجليزى لمساعدته فى الأمور الهامة ، وأقيم على الجمارك أيضاً مدير بريطانى ، ووضع للبحرين أيضاً موازنة لموازنة الدخل والخرج ؛ وقد تأسس فى آخر عهد الشيخ عيسى فرع (لمصرف) الايسترن ، كما أسست إدارة للتعليم قامت بإنشاء مدرستين : واحدة فى المنامة وأخرى فى المحرق



العوائد والأخلاق

ذكرنا شيئاً من العوائد والأخلاق فيما كتبناه في فصل السكان ، وسنذكر في هذا الفصل بعض الصفات الأخرى المشتركة بين البدو والحضر ، أو التي يتميز بها البدو عن الحضر ، أو الحضر عن البدو ، مما لم يذكر في الفصل السابق

الألقاب

الفريق الأكبر من سكان جزيرة العرب ولاسيما البدو أو القبائل الرحل لا يعرفون الألقاب الشائعة في الأقطار الأخرى ، فهم ديموقراطيون بفطرتهم يدعون بعضهم بأسمائهم المجردة ، ويخاطبون ملوكهم وأمراءهم بأسمائهم وألقابهم العادية ، فأصغر البدو يخاطب الملك عبد العزيز بيا عبد العزيز ، أو يا أبا تركي ، أو يا طويل العمر ، وإذا سأل عن مليكه فيقول الشيخ أو الإمام ؛ والملك نفسه قلماً يعبأ بالألقاب ، فالألقاب تعرف فقط في الحواضر الكبرى مثل الحجاز

المساواة

إذا استثنينا التفاضل في الأنساب والإمارة فالناس فيما سوى ذلك يكادون يتساوون في جميع ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات ، والناس جميعاً سواء في نظر الشريعة الإسلامية ، لا فضل لشريف ولا لسيد ولا لحاكم . إذا تعدى أمير على رجل عادي فالحاكم الشرعي كفيل بإنصافه ورد الحق إليه ، وأول الناس خضوعاً للشريعة ابن السعود نفسه . على أن هذه المساواة لا تكاد تعرف إلا في نجد ، أما في غيرها فالعدل يوزن بميزانين : الأعيان والأشراف والمنتسبون إلى العائلات الحاكمة لهم ميزان خاص ، وسائر طبقات الشعب لهم ميزان آخر ، وقلما يجسر أحد

من عامة الشعب على مطالبة أو مخاصمة أحد من الأشراف أو العائلة الحاكمة ؛ لعله بأن حقه لا يفصل إليه من هذا الطريق ، بل لقد يصل الأمر ببعض أعضاء العائلات الحاكمة أن يحمى بعض المجرمين ، ولا يرى الحاكم من واجبه أن يجبر ابن عمه على طرد اللاجئ

وإنَّ مَنْ له اتصال بالخليج الفارسي والحجاز ونجد يدرك بسهولة ما نعى ، وربما كان من المفيد إيراد بعض الحوادث التي لا تزال تعلق بالذاكرة :

في سنة ١٩١٦ شكا إلى الأمير عبد الله بن جلوي أمير الاحساء رجلٌ من فلاحي الاحساء تعدى بعض الخدم عليه وعلى أبنائه ، فأحضر الأمير جميع خدمه كي يتعرفهم الشاكي ، فلم يجد من بينهم المعتدى ، فأدرك الأمير أن المعتدى قد يكون بعض أبنائه فأمر بإحضارهم فتعرف الشاكي المعتدى ، ولكنه لما علم أنه ابن الأمير تنازل عن الشكوى واعتذر بأنه لم يكن يعرف أنه ولده ، فأنبه الأمير وقال له : لقد أخطأت ، إذا لم نكن نحن مثال العدالة فكيف نطالب من الناس احترام الشريعة ؟ لقد هلك مَنْ قبلنا من بني إسرائيل وغيرهم بسبب هذه التفرقة ، أما أنت أيها المجرم (يقصد ولده) فيجب أن تلقى جزاءك . وهنا قام الأمير من مجلسه وانهاه عليه بنفسه بالعصا وهو يقول : يجب أن نصالح أنفسنا قبل أن نصالح الناس وفي سنة ١٩٢٠ شكا أحد أهل الرياض إلى الملك عبد العزيز أن زوجته — وقد حكم عليها القاضي بالرجوع إلى بيت الطاعة — لا ذت بيت فلان من أقاربه ، فأمر الملك توّاً من بلغ قريبه بالزام المرأة الرجوع إلى زوجها تنفيذاً لأمر الشرع ، وإذا أخذت هؤلاء حمية الجاهلية فانه سيدخل البيت بنفسه لتنفيذ أمر الشرع ؛ إذا لم نحترم نحن الشرع فكيف نكلف الناس باحترامه ، يجب أن نكون قدوة حسنة للناس في كل شيء

وفي جمادى الثانية سنة ١٣٤٣ — ١٩٢٢ كنت زائراً للمرحوم خالد بن لؤي

في بيت الامارة بمكة ، وكان إذ ذاك أميرها فرأيت أمام الشيخ ابن داود (وهو قاضي الخرمة وقاضي مكة في أول عهد الاستيلاء النجدي) رجلين يتخاصمان أحدهما من الأشراف من سكان الطائف والآخر من صناع الساعات ، وكان هذا الشريف أعطى الساعاتي ناظورا لاصلاحه ، ولما أصلحه ادعى أن الاصلاح لم يكن طبق الشرط ، والرجل الآخر يدعى بأنه طبق الشرط ، ويطلب تحويل المسألة إلى رجل خبير

أراد الشريف أن يجلس جوار خالد بن لؤي ، فنهده الشيخ وأمره أن يجلس تماماً مع خصمه ، وأنهما أمامه سواء ، وبعد أن سمع الشيخ الدعوى حكم على الشريف بما يقدره صانع خبير . فقال الصانع : وإن لم يقبل الشريف ذلك فأنا مستعد أن أرد إليه الناظور كما كان ، ولا أريد أن أطالبه بشيء مطلقاً جزاء اتعابي . فقال الشيخ وما تقول في هذا ؟ فارتبك الشريف ، فالتفت إليه الصانع وقال : الحمد لله إن وقوفي معك جنباً لجنب أمام القاضي يساوي عندي الدنيا وما فيها ، لقد مضى وقت الظلم ، لقد كانوا يكلفوننا بعمل الأشياء ولا يعطوننا أجرة ، بل لا يتنازلون أن يكلمونا بل كانوا يضربوننا في بعض الأحيان ، الحمد لله . فقال الشيخ القاضي : إن الناس جميعاً أمام الشرع سواء ، وإن الأشراف أولى الناس باتباع نبيهم صلى الله عليه وسلم الذي يقول : (يا فاطمة بنت محمد ، إني لا أملك لك من الله شيئاً) والله يقول : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، ويقول : (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ، وهنا أخذ خالد الناظور من الشريف ، وقال : لا نسلمه لك حتى تسلم الأجرة التي يقدرها الخبير ، فقبل الشريف ذلك مرغماً ، وخرج وهو يطلب السلامة ؛ لأنه كان محوطاً بالاخوان الذين كانوا يؤمنون على أقوال الشيخ ويسمعون الشريف همساً ما يكره من قوارص الكلم

الكرم

الكرم من الصفات المعروفة عند العرب في الجاهلية والإسلام ، ولا يزال العرب إلى الآن يتفاخرون بها . وفي الحديث الشريف : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) . ولا يكاد يخلو بيت من بيوت العرب من مضيف : (مكان يقابل فيه الضيوف) قد يكون حجرة واحدة وقد يكون بيتاً من الشعر ، وقد يكون بناء مستقلاً

واحترام الضيف وحمايته من المسائل المسلم بها في بلاد العرب ، وحق الحماية ثلاثة أيام ، كما أن حقوق الضيافة ثلاثة أيام أيضاً . لقد كان ينزل القاتل في بيت المطالبين بالتأثير فيتجاوزون عن كل شيء ما دام في ضيافتهم ، والنساء هن هذا الحق مثل الرجال ، وإذا أعطت كلمة للضيف الملائد بالبيت قبلتها القبيلة كلها ، غير أن أكثر هذه القواعد كاد يقضى عليها الآن بعد ما استتب الأمر للملك عبد العزيز ، فسلطان الشرع فوق كل سلطان ، ولا حق لأى إنسان في إيواء مجرم ، وكلهم احتراماً للشرع يساعدون على القبض على المجرم وتقديمه للشرع

لقد جرت العادة عند أمراء العرب أن يفتحوا بيوتهم لكل ضيف يقصدهم ، ولكن بعد مضي ثلاثة أيام من إقامته يسأل عن حاجته

وقد يبلغ ضيوف الملك عبد العزيز نحو عشرة آلاف ، فتمتلى بهم بيوت الرياض و بطحاءها ، وربما كان عدد الضيوف الدائمين لا يقل عن ٥٠٠ كل يوم ومن العيوب في قطر أن يأكل الرجل وبيته مغلق ، فإن اغلاق البيت من أمارات البخل ، كما أن من العيوب عندهم شراء اللحم من السوق بالرطل ، فالأربعة أو الخمسة يشتركون في ساة يشترونها ويقسمونها بينهم

وانسيد ينادى خادمه يا ولد أو يا وليد ، ولا سيما إذا كان لديه خدم كثيرون



وفود البدو في دار الضيافة في الرياض

وإذا كان يريد القهوة فانه يقول : هات قهوة ، فباقي الخدم يصيح هات قهوة ، حتى يصل الصوت إلى عامل القهوة فيحضرها ، وهذه العادة لا تزال تستعمل في سائر البلدان العربية ؛ والملك ابن سعود يستعمل الأجراس الكهربائية في قصره بدلا من النداء القديم ، ولكنه يرجع إلى العادة القديمة إذا كان في الصحراء ، أو في أحد الأماكن الأخرى التي ليس فيها أجراس

وإذا كان الملك في الصحراء للصيد ، ونزل للراحة وأراد بعض خدمه أو أحد أفراد حاشيته ، فليس هنالك وسيلة إلا النداء بأعلى الصوت ، وكل خادم يسمع النداء ينادى بدوره حتى يدوى الصوت في المعسكر ويسمع الشخص المطلوب ، فيقول : جاك أى جاك

والخادم ينادى سيده : عني ، وسيدته : عمتي
وإذا حضر الطعام وجلسوا جميعاً حول المائدة ، نادى الخادم بأعلى صوته : سم ، أى باسم الله ابتدئوا
والقهوة تقدم لكل ضيف مهما صغر مقامه ، ولكن إذا سما مقامه فان القهوة تحضر له جديدة ، ولا يصح الاعتذار عن قبول القهوة

وقد كانوا من عهد غير بعيد يعطون للضيوف بعد القهوة : إما مغلى الزعفران أو مغلى الليمون ، أو القرفة ، أو شيئاً من الحليب محلى بالسكر ، ولكن في العشرين سنة الأخيرة انتشرت عادة الشاي في البادية والحاضرة ، ويستعملونه غالباً غير حمزج باللبن ، والبادية تستعمله غليظاً مرير الطعم من كثرة غليه على النار . وأهل عمان يقدمون شيئاً من الحلوى أو البسكويت يدعونه الفؤالة

ومن حق القادم من سفر أن أصدقائه ومعارفه يزورونه في بيته ويقولون لأقرب الناس إليه : قرت عينك (أى سررت بحضور فلان) فيقول : قرت عينك ببنيك ، وعند لقائهم يقبل الأصغر أنف أو جبهة الأكبر أو كتفه ، وعادة الكتف

في البحرين والكويت ، والأنف والجهة في نجد والبادية — أما تقبيل اليد فغير معروف إلا في الحجاز ، وقد استنكرها الاخوان والعلماء النجديون عند أول دخولهم الحجاز ، ولكنهم بعد بضع سنوات تسامحوا فيها ، فأهل الحجاز الآن يقبلون يد الملك والقضاة ولا يرون في ذلك شيئاً ، وقد كان الأشراف في مكة يترفعون عن مد أيديهم للناس للتقبيل ، فيكتفي الناس بلثم طرف الثوب

والغالب أن يدعو أصدقاء القادم صديقهم إلى دعوة عشاء أو غداء أو على القهوة بعد المغرب مع جمع من أصدقائه ، وعادة الدعوة للقهوة تجدها بكثرة عند أهل نجد أينما حلوا في الكويت أو البحرين أو الهند

ومن عادة الأمراء زيارة العائلات الكبيرة في رمضان ، وقد كانت العادة في الكويت والبحرين حضور الشيخ أو أحد أبنائه المقدمين على رأس الأهالي عند إتمام بناء السفينة الكبيرة وإزالتها إلى البحر ، كما يجري أمثال ذلك في أوروبا وأمريكا ، وقد ماتت هذه العادة من البحرين والكويت ، وأصبحت مقتصرة على الأهالي يعين بعضهم بعضاً عند إنزال السفينة إلى البحر

ومن طرق إكرام الضيف تقديم القهوة ، والعادة في نجد أن يُصَبَّ للضيف بضع قطرات من القهوة ثم يتكرر الصب مرة أخرى حتى يهز الضيف يده مكثفياً ، أما في البحرين والكويت والحجاز فيصب نصف الفنجان تقريباً للضيف ، والقهوة في جميع البلاد العربية تحضر بلا سكر ، والقهوة من أمارات الكرم ، تحضر أمام الضيف في نجد والبادية ، وفي بعض البيوت الكويتية التي تمت بنسب إلى نجد ، كما جرت العادة أن يتناول الفنجان الأول صاحب البيت إن كان هو المتولى لخدمة ضيوفه ، أو الخادم المتولى للصب ؛ فهل هذا للتحقق من أن القهوة محضرة تحضيراً لا عيب فيه من حرق ، أو لا يزال ينقصها شيء من حب الهال أو الزعفران ، أو أن ذلك من بقايا العوائد القديمة : عوائد الاغتياي ؟ إني أرجح الاحتمال الأول ؛

فان العرب معروفون باحترام الضيف ومراعاته والدفاع عنه
والغالب في الضيافات أن يُرَش الضيوف بماء الورد والبخور من قبيل زيادة
الإكرام ، وإذا أحضر للضيف ماء الورد وبخور العود فلا يجوز المكث بعد ذلك ،
فمن قبيل الأمثال الدارجة على ألسنتهم : ما بَعَدَ العود من قعود ؛ ويطلقون على
المرش : قُمُوم (تركية أو فارسية) إشارة للضيف : قم ولا تجلس ؛ ولذا فإن أكثر
المضيفين يؤخرون الورد والبخور حتى يهيم الضيف بالانصراف من قبل نفسه ، وفي
بعض الأحيان يقدمون الورد والبخور قبل الأكل ليركوا للضيف حرية البقاء
أو الانصراف بعد الفراغ من الطعام ، ومن العادات الإسلامية التي لا يزال النجديون
محافظين عليها الانصراف بعد الأكل بقليل : « فاذا طعمتم فانتشروا »
والدعوة على شرب القهوة كالدعوة على شرب الشاي في البلاد المتقدمة ،
ولا شيء ينال من إحساس العربي أكثر من إهانة الضيف ، ولقد رأيت الملك
عبد العزيز المعروف بسعة الصدر والحلم ينقلب إلى رجل آخر عند ما علم أن ضيوفه
قد أهينوا من رجاله المنوط بهم إسكان الضيوف وخدمتهم وتوفير أسباب الراحة
لهم ، ولطرافتها نورد بعضها :

في صيف سنة ١٣٤٤ هـ — أغسطس سنة ١٩٢٥ م كنت جالساً في حضرة
السلطان عبد العزيز (الملك عبد العزيز) في مكة في قصره في المعابدة (المعروف
ببيت السَّقَاف) ، وكان من عادته أن يجلس على شرفة داخل البيت ، ويشرف
على الطريق بواسطة نافذة كبيرة ليرى الغادى والرائح ، فمر رجل بدوى حاول
أن يتكلم معه فنهزه ، فقال الرجل : لعلّ لم أذنب يا محفوظ ، لعلّ لم أخطئ ، لقد
بت من غير عشاء ، فنالت هذه الكلمة الجهة الحساسة منه ، فناداه : ما بالك أيها
الرجل ! أدخلوه ، فلما حضر أمام عظمتة قص قصته بالتفصيل : من أنه وصل إلى
مكة بعد الغروب بساعتين ، ثم طلب ولو تمرّاً يدفع به غائلة الجوع فلم يسعفه أحد ؛

فنادى عظمة السلطان القائمين بأمر المضيف والمشرفين عليه ، وهما : إبراهيم بن جُمَيْعَة وابن إدريس ، وثارت ثائرتة حينما رآهما ، ثم أخذ يوسعهما ضرباً بنفسه حتى كادا يهلكان ، ثم أوقفهما عن الخدمة بضعة أيام ردهما بعدها إلى الخدمة بعد توسط بعض المقربين

وفي شتاء سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م كان جلالتة في الصيد ، وكنت معه فما راعنا بعد الغروب إلا زئير جلالتة وأمره بضرب الطباخ نصّار ، والشُّويعر المشرق على المضيف والمطبخ ، فسألت عن جليلة الخبر ، فاذا بعض الضيوف يشكو من قلة الطعام ، وأنه أرز من غير سمن ولا لحم ، فسألت ماذا يضر هؤلاء لو أكثروا للضيوف الأرز واللحم إن الخير كثير . فقال لى صاحبي : ليست هذه أول فعلة لنصار وزميله ، لأن العادة الجارية أن ما يبقى من الزاد قل أو أكثر بعد انتهاء الصيد سيكون من نصيبهما ، فمن مصلحتهما التقتير على الضيوف ليكون لهما النصيب الأوفر

ولما حضرنا إلى مجلس الملك ، وكان ولي عهده الأمير سعود هورئيس الركب أخذ جلالة الملك يعطيه درساً من أنفس الدروس في المراقبة والملاحظة وعدم الاعتماد على الخدم ، ثم أخذ يقص علينا درساً تاريخياً فيما أصاب أعمامه من تركهم الحبل على الغارب للخدم الذين لم يكونوا يراعون مرا كز الناس ومشايخ القبائل ، حتى انفض الناس من حولهم

وقد اقترح الغاء هذه العادة ورد مابقى من الزاد إلى المخزن ، وبذلك نستأصل شأفة العلة ، ولكن العادات ليس من السهل الغاؤها

الأكل

والعادة في الأكل أن تقدم قصعة واحدة أو عدة قصعات إذا كان العدد كبيراً ، ويحيط عدد قليل أو كثير بالقصعة بدون تفاوت في منازلهم ، فالملك والشيخ والوزير والخدام يأكلون جميعاً بأيديهم من قصعة واحدة ، ولا يرى الملك غضاضة في أن يكون بجواره من هو أدنى منه ، لأن الجميع من آدم وآدم من تراب والعادة أن الإنسان إذا شبع يكف عن الأكل ، ولا يقوم حتى يقوم الجميع مرة واحدة ، فإذا قام واحد خطأ قام الجميع ، ويعدون بقاء البعض بعد قيام بعض الآكلين من الشره ، وقد أبطل الملك عبد العزيز هذه العادة ، فأتاح لمن شبع أن يقوم إذا أراد ، ولكن لا يزال للعادة أثرها في كثير من أنحاء نجد

والنساء في العادة لا يأكلن مع الرجال بل يأكلن على حدة ، ومن العيوب العظيمة أن تأكل المرأة مع زوجها أو الأم مع أولادها الذكور الكبار ، أما الأطفال الصغار فيأكلون مع أبيهم أو أمهم ، ولكن إذا كبرت البنات انفصلن في الأكل عن أبيهن وصرن يأكلن مع أمهن فقط ، وهذه العادة ليست خاصة بنجد ، بل الكويت والبحرين وعمان وبادية الحجاز مثل نجد في ذلك ، أما المدن الحجازية فإنها لا تتمسك بهذه العادة إلا في البيوت التي يمت أهلها بصلة إلى نجد

والعادة في الأكل أن لا يجهز بكية تناسب الآكلين ، فالبيت الذي يضم ثلاثة أنفار يحضر الطعام فيه خمسة أو ستة احتياطاً للطوارئ ، فإذا لم يحضر ضيف أعطى الطعام للفقراء أو أُلقي للحيوانات

وطريقة تحضير الطعام تختلف في نجد والحجاز وسواحل الخليج الفارسي ، فكل جهة تقتبس من الجهات القريبة منها طريقة تحضير الطبخ : ففي القصيم نجد أثر الطبخ السوري ولا سيما الحلويات ، وفي الكويت ترى طريقة الطبخ

البصرى ، وفى البحرين أثر الطبخ الهندى والفارسى ، وفى الرياض أثر الطبخ الكويتى ، وفى الحجاز أثر الطبخ الشرقى على اختلاف أنواعه ، على أن لكل بلد أصنافاً خاصة تفضلها عن سواها

والطعام الغالب فى البادية التمر واللبن والأرز واللحم فى بعض أيام من الأسبوع ، أما فى المدن فالطعام الرئيسى الأرز واللحم والسّمك والرّؤبيان فى الجهات الساحلية ، وفى أواسط بلاد العرب يستعمل الجريش (البرغل) بجانب الأرز



المرأة في بلاد العرب

المرأة على العموم في بلاد العرب غير متعلمة التعليم المعروف في البلاد الأوروبية وبعض البلاد الشرقية ، ولكنهن في الغالب يتعلمن في صغرهن قراءة القرآن وشئون المنزل ، أما الكتابة فلا تعرف إلا نادراً ، وتعد من العيوب النسائية في بلاد العرب ، ولقد قامت قيامة أهل الزبير وبعض البصريين حينما اعتزمت حكومة العراق فتح مدرسة للبنات في البصرة ، فعدوا ذلك من أعظم المنكرات ، ولكن الحكومة العراقية مضت في سبيلها ولم تأبه لشأن المعارضين ، ويزكرنا ذلك بالحملة الشديدة التي قام بها المصريون ضد قاسم بك أمين عندما نشر كتابه تحرير المرأة . والمرأة في الحاضرة تمتاز عن امرأة البادية بالحجاب الكثيف ، فالتساء يمدحن بملازمتهن البيوت وقلة خروجهن منها إلا لضرورة قصوى كزيارة الأقارب وعيادة المرضى ، ولا يكون ذلك غالباً إلا في الليل ، ومن المفاخر عندهم أن المرأة بعد زواجها لا تخرج من بيت زوجها إلا للقبر . أما في البادية فليس هنالك إلا أثر ضعيف للحجاب ، والبدوية تشارك الرجل في كل شيء حتى في الغزو ؛ فهي تقوم بقسط وافر ، وتجد البدوى يصحب نساءه ويتأبطهن في الحاضرة كما يفعل الغربيون ؛ فتجد البدوى والبدوية في أسواق الكويت والحجاز يشتركان في الشراء وفي البيع وفي المشى بدون أن يكون عنده أدنى اكتراث ، بخلاف الحضري فإنه لا يستطيع أن يفعل ذلك ، والمرأة في بعض حواضر عمان تشتغل بالبيع وتقابل الضيوف إذا كان زوجها غائباً ، ولكن سائر العرب يعيبون ذلك على أهل عمان . والمرأة في الحاضرة لا يكاد يكون لها رأى حتى في الزواج ، فأهلها يوافقون على الزوج وهي تخبر به على سبيل الإخبار فقط ، وليس لها حق الاعتراض وإن اعترضت فلا يسمع لها رأى

والغالب في الزواج التبكير في الرجل والمرأة: تتزوج البنت إذا بلغت ١٣ — ١٤ ، والولد في ١٥ — ١٦ . ومن أنواع الزواج الشائعة إجبار بنت العم على الزواج بابن عمها ، وليس لها أن تتزوج بأجنبي إلا إذا أذن ابن العم لها بذلك ، وقد يحدث النزاع بين أبناء العم أيهم أولى بالزواج . ومع أن الرسول صلى الله عليه وسلم أذن برؤية الزوجة قبل الزواج ؛ فان هذا الاذن لا يعرف مطلقاً في بلاد العرب ، فالزواج يتم بدون أن يرى الزوج زوجته إلا ليلة الزفاف أما في البادية فالأغلب أن الزوج يكون له سابق معرفة بالزوجة ؛ لأن الحجاب في البادية رقيق وشأنه ليس كشأن الحاضرة

والعادة في الزواج بعد قبول ولي الزوجة الزوج أن يرسل الزوج مبالغاً من النقود قد يكون مائتي ريال أو أكثر ، وبضعة ثياب غير مخيطة إلى بيت الزوجة ويسمى عندهم (بالدِّزَّة) أي الدمغة أو المقدمة ، وهذه الدِّزَّة تعرض في بيت الزوجة ليراها أقاربها وأصدقاؤها ، ويتفاخرون إن كانت تستحق الافتخار ، وهذه العادة معروفة في نجد وسواحل خليج فارس وبادية الحجاز ، ثم بعد ذلك يتفق على يوم الدخول ، فيعقد العقد قبل يوم الدخول ، فإذا كان اليوم المتفق عليه أعلن الزوج ذلك ودعا أصحابه وأصدقاءه إلى بيته أو بيت أحد أصدقائه أو المسجد ومن هنالك يذهب الجميع — الزوج يحيط به أصدقاؤه — إلى بيت الزوجة حيث تعد هنالك حجرة فرشت بوشير الفراش وزينت أرضها بالزرابي الفاخرة ، فيدخلون بيت الزوجة في وسط صفوف من النساء يحيين الزوج ومن معه بالهلاليل^(١) ، (وقد يكون بعض المغنيات ؛ وهذا في غير نجد) وبعد بضع دقائق من إقامتهم في الحجرة يطاف عليهم بماء الورد وبخور العود والند ، ثم ينصرفون ويبقى الزوج وحده في الحجرة ، وبعد بضع دقائق تحضر الزوجة محوطة بأقاربها وتقدم إلى الزوج



زى من أزياء النساء فى مكة

وفى ثانى يوم يقدم الزوج للزوجة هدية من الهدايا نقوداً أو غيرها ، ويمكث الزوج فى بيت الزوجة سبعة أيام إن كانت بكرًا وثلاثًا إن كانت ثيبًا ، ثم تنتقل الزوجة إلى بيت الزوج حيث يكون قد أعد فرشه وتحضيره

ولا يكاد يختلف الزواج فى البادية عن الحاضرة إلا فى المهور ، فالمهر الذى يتفاخر به فى البادية هو قطعة أو قطعتان من السجاد وجمل استجج (أبيض) ومائة أو مائتان من الريالات ، وهذا أغزر مهر فى البادية

وقد حدد جلالة الملك عبد العزيز المهر فى نجد بمائة ريال حتى يسهل الزواج للناس ، وإذا كان الزوج غنياً استطاع أن يهدى زوجته ما يشاء

أما فى الحجاز : ففي المدينة إذا رغب فتى فى الاقتران بفتاة اتفق أهلها مع أهلها ، ثم تذهب أسرة الزوج إلى منزل آل العروس ، فيقوم خطيب من قبل الأولين بخطب خطباً نثرية وشعرية يعدد فيها مفاخر الزوجة ، ويعرض فيها باسمها ، ثم يقوم خطيب من قبل المخطوبة ، فيعدد مآثر الزوج ومفاخر أسرته ، ثم يقبض المهر الذى يستحضر فى صندوق من فضة به ورقة كتب فيها مقدار المهر وقيمة الجارية التى يشتريها والد الزوج لتخدم الزوجة ، ويقدم مع المهر ملابس حريرية للزوجة مشغولة بالفضة والتلّ قد تتجاوز قيمتها مائة جنيه ، وقد يبالغون فى التكة (حزام اللباس) حتى لقد يساوى ثمنها عشرين جنيهاً ، والغالب ألا يكون يوم الدخول قبل سنة من هذه الحفلة ، ويشترط بعض الزوجات فى المهر شيشة مرصعة بالفضة والذهب ، وتقام ولية فى منزل الزوج يوم نقل الجهاز يدعى إليها أقارب العروسين والأصحاب ، ويستكثرون من الأشخاص الذين يحملون الجهاز ، وتزف العروس وقت السحر إلى منزل زوجها ، وحين تصل تزف مع زوجها داخل المنزل بحضور جمع من النساء سافرات يحملن الشموع ، ثم يدخل بها الخدع ، فإذا ما أشرقت الشمس خرج الزوج إلى منزل العروس ليتغذى فيه

ثم يرجع إلى زوجته ، ولا يباح للزوجة أن تخرج من المنزل إلا بعد سنة ، وربما تساهلوا إلى ستة أشهر ، وتقام ولائم للرجال والنساء ليلة الزفاف وليلتين قبلها وليلة بعدها ، وقد أبطلت بعض هذه العوائد في السنوات الأخيرة

وتعدد الزوجات والتسرى منتشر كثيراً في بلاد العرب بين الأغنياء والأمراء أما الفقراء فحالتهم لا تساعد على تعدد الزوجات ولا على تغيير الزوجة ؛ ولذا فإن الخصومات العائلية لا يكاد يكون لها أثر في بيوت الفقراء ، والزوجة تقوم بنصيحتها من الخدمة المنزلية ، وإذا سألت زوجة الفقير عما تتمناه في حياتها قالت : أن يبقى زوجي فقيراً كما هو حتى نعيش سُعداء ، لأنه إذا استغنى فأول ما يفكر فيه هو الزواج ؛ والغالب أن يخصص المتزوج بأكثر من واحدة لكل واحدة بيتاً ويساوى بينهما في جميع الحقوق ، فيبيت عند كل واحدة ليلة ، ويكسوهن في موسم واحد إلى غير ذلك من الواجبات المنزلية ، والمرأة قلما تعترض على هذا الزواج وإن كانت تحقد على ذلك بطبيعة فطرتها ، ولكنها تفهم أن هذا حق من حقوق الزوج يستعمله

والطلاق كثير الانتشار في البلاد العربية بين الأمراء والأغنياء فقط ، أما الفقراء فأكثرهم يحافظ على زوجة واحدة يقنع بها ويعيشان معاً في ظل السعادة والهناء . وقد يطلق الرجل امرأته فتزوج من أخيه ، وقد يطلقها هذا فترجع إلى زوجها الأول ، وأمراء العرب وشيوخ البادية على العموم كثير من الزواج سريعو الطلاق

ويجب أن نذكر هنا بمزيد الاحبار والاجلال أولئك النسوة اللاتي اشتهرن بالعقل والحكمة وسداد الرأي ، وكان لهن دور عظيم في بناء الملك وسياسة الدولة ، فمن أولئك زوجة الامام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود ، فهي التي كان لها الفضل الأول في التقارب بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين الامام محمد بن



زي من أرياء النساء في مكة

سعود ، وتحبيب الدعوة الدينية إليه ، وإليها يرجع الفضل أيضاً في تثبيت محمد بن سعود وتقوية عزيمته عند اشتداد الكروب وتآلب الخصوم والأعداء ، وتذكرنا هذه السيدة بأمثالها من نساء العصر الأول في إحياء العزائم وإذكاء النشاط والحماسة وإن شأن المرأة في نجد خير منه في الكويت والبحرين ، فقد بلغ الامتهان بالمرأة في هاتين البلدين أنه إذا ورد ذكرها في الحديث قالوا : اكرمك الله أو يكرم من سمع كما لو تحدثوا عن حيوان ، وقد يبلغ الجهل ببعضهم فيقول : أمى اكرمك الله ، كأن أمه شيء خبيث ، على أن هذه العادة قد أخذت تتلاشى ، فالأولاد المتعلمون لا يستعملون هذه الألفاظ

والمرأة في بلاد العرب على العموم إذا أنس أهلها خلاً في سيرتها فلا يصلح هذا الخلل إلا التخلص من حياتها ، والحاكم لا يرى من حقه التحقيق في هذا الموضوع ، بل يفرض دائماً أن الأقارب محقون في عملهم ، أما الولد فلا يصيبه شيء من الجزاء ، غير أن الشريعة كفيلة بمجزاء الخطي في الحالتين في البلاد التي يسودها سلطان الملك عبد العزيز

ويجب أن نقرر هنا أن ما يجري في البلاد العربية من معاملة النساء في الزواج والطلاق والميراث أكثره متأثر بالعوائد أكثر من تأثير الدين ، فالدين الإسلامي قد أعلّى شأن المرأة وجعلها مساوية للرجل في كثير من الحقوق في الوقت الذي حرمت فيه المرأة من كثير من حقوقها في الديانات الأخرى ، ولقد نقل إلينا كثير من أحكام الدين ؛ كما نقل كثير من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المنزلية بواسطة زوجاته ، ولقد نبغ كثير من النساء في القرون الأولى والمتوسطة في البلاد الإسلامية الشرقية والبلاد الأندلسية ، ولكن لما أصاب الانحلال الخلقي والديني المسلمين سرى هذا الانحلال إلى المرأة أيضاً وإلى حقوقها المقررة في الشريعة

الطب في بلاد العرب

لا يزال الاعتماد في بلاد العرب وسواحل خليج فارس العربية على الطب القديم وتجارب المجربين ، ويرجع الفضل في إيجاد الأطباء الحديثين في بلاد العرب إلى الأمريكان ، والانجليز في البصرة وخليج فارس ، وإلى الأتراك في الحجاز واليمن والاحساء ، وللملك عبد العزيز في نجد ، كما يرجع الفضل للحكومة البريطانية والتركية في إيجاد نظام الكورتيينات في جميع السواحل العربية لوقاية السكان من الأمراض الفتاكة وحصر المرض في دائرة ضيقة ، ومع ذلك فالعرب على العموم لم يقبلوا على التطبيب الحديث إلا في الجراحة فقط ، وهذا من نحو عشرين سنة فقط . أما في الأمراض الباطنية فلا يكادون يعترفون بفضل الطب الحديث ، ولا يزال القسم الأكبر منهم يعتمد على الأعشاب وعلى معالجات ابن سينا وتلاميذه

وقد كان ولا يزال كثيرون يحترفون التطبيب العربي ، وكان منهم رجال مشهورون بإخراج العظام المكسورة وتركيب عظام غيرها بدون استعمال البنج بالطبع ، وهم يستعملون الكي^(١) في كثير من الأمراض ، ولا سيما الكلب ، وفي الإصابة بالرماح يستعملون نوعاً خاصاً من الكي ، وهو أن تحفر حفرة صغيرة ثم تشعل فيها النار ، حتى إذا خفت حرارة النار وضعوا العضو المصاب داخل الحفرة بطريقة خاصة ، وهي وإن كانت من العمليات الشاقة ؛ إلا أنها في الغالب يعقبها الشفاء

(١) غير أنهم يفرطون في استعماله فهم يكادون يستعملونه في كل مرض ؛ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الإباحة والنهي عنه فينهى عنه إذا أمكن التداوى بغيره وإذا لم يمكن التداوى فيباح

وهناك نوع خاص من تطبيب الحيوانات في البادية : فأولها العزل ، وهو يستعمل في الخيل والجمال فإذا أصيبت ببعض الأمراض القتالة المعدية عزلوا السليم إلى أما كن بعيدة ، وهذا نوع من الكُرْتِينَةِ الفطرية ، وهناك مرض يصيب الغنم يسمونه (أبورُمح) يسعل الحيوان ثم يموت سريعاً ، فالبدو يذبحون الحيوان الميت ويحرقون رتيبه ، ثم يأخذون من الرئة الجففة قطعة صغيرة ويشرطون بالمشرب أذن الحيوانات السليمة ، ثم يضعون قطعة مما أخذوه فوق الأذن فتسلم الحيوانات من العدوى ، وهذا معروف في كل البادية تقريباً ، وهناك مرض فتاك يسمى (الفاقوش) يصيب الخيول ولا دواء لها إلا عزل الخيول الصحيحة في أما كن بعيدة ، أما التلقيح ضد الجدري فقد انتشر كثيراً في البحرين والكويت والاحساء وقد أخذ ينتشر في السنين الأخيرة في نجد والحجاز ، ويرجع الفضل في انتشاره في داخلية نجد للمجهودات التي يبذلها الملك عبد العزيز ، وقد كان للعلماء مباحث طويلة فيه ، وفي أنواع التلقيح ضد الطاعون والكوليرا وغيرها ، هل هي جائزة أو غير جائزة ، ولا يفهم من هذا أن هذه المباحث كانت من علماء نجد فقط ؛ بل إن علماء البحرين والاحساء ومصر كان لهم مجادلات طويلة في هذا الموضوع ، ولم يقبل أهل عمان وضع كُرْتِينَةِ عندهم وقاية من القادمين من البصرة حين انتشار الكوليرا ، ولم يقبل أكثرهم التطعيم من الجدري وقت انتشاره ، ولا تزال هذه الأمراض تفتك بالسكان الجهلاء من وقت لآخر

ومن البدهة في بلاد واسعة كجزيرة العرب لم ينتشر فيها ذبوع الطب الحديث أن يسود سوق التجارب وفيها المفيد النافع والضار الذي لا تؤمن مغيبته ، فمن الأدوية الشائعة للأمراض المستعصية ، ولا سيما الأمراض العصبية كتابة سورة من القرآن في صحن ثم محو الكتابة بماء الورد ثم سقيها للمريض ، وفي البحرين والكويت يتخذ بعض الأفاقيين هذا النوع من التداوى تجارة رابحة ، ومن

الأدوية الشائعة فيها لكثير من الأمراض حتى للقروح المستعصية أن يذهب أحد أقرباء المريض ومعه فنجان مملوء بالماء أو السمن ، ثم يقف على باب المسجد لينفث فيه كل المصلين عند خروجهم من المسجد ، فمنهم من ينفث بلا قراءة ، ومنهم من ينفث بعد قراءة ما يريد من قرآن أو دعاء . وقد كانوا ولا يزالون ينهون عن تنظيف العين المصابة بالرمد الصديدي الذي يسمى « أبو طَبَّيق » ، ويكتفون بمنع الطفل المريض من بعض المأكول ، وقد كانت النتيجة إصابة الكثير بالعمى أو غيره من الأمراض

وربما كان لأول مرة وصفت لأحد المرضى بالكويت سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) الغسل المتكرر بالبوريك ، فكانت النتيجة شفاء الطفل بعد أيام قليلة ، فكثرت استعمال البوريك بعد هذه الحادثة في الكويت . على أن للبعثات الأمريكية والانجليزية في البحرين والكويت والبصرة وسائر السواحل العربية فضلاً كثيراً في تحبيب الطب الحديث إلى الناس ؛ ولكن هذه البعثات بما يحيط بأعمالها من أغراض دينية جعل الناس يبتعدون عنها ، وجعل فريقاً من الناس يتهمونهم بالغش للعداوة الدينية المتأصلة . ويدأون مرضى الأطفال بالحصبة بحجزهم في حُجَر مظلمة لا تدخلها الشمس ، وحِمْيَةِ الأطفال حمية تامة عن جميع المأكول . ويدأون اليرقان الذي يسمونه « أبو صُفَيْر » بالسكى في أصابع اليد والرجل . ومن العقائد الشائعة في البلاد العربية أن الجروح تشم أو تتأثر بالروائح العطرية فتنتفخ وتؤذى المريض ، ولذا فالجرحى يضعون قطعة من الحَلْتَبِيت في خرقة يسدون بها أنوفهم حتى لا يشموا أو حتى لا يتأثر الجرح بالروائح الطيبة

ومن الشائع أيضاً أن لحم بقر الوحش يخرج الرصاص من الجروح ، فاذا أصيب أحد برصاصة في حرب واستعصى عليه إخراجها ، أكل قطعة من لحم بقر الوحش اعتقاداً منه بأنها هي الدواء الوحيد لإخراج الرصاص من الجرح ، ولذا فمن أوفر

الهدايا أن تقدم بقرة وحش ، وما أقلها في بلاد العرب مقددة إلى أحد الأمراء. لأن ذلك يقوم مقام مستشفى كبير للجراحة

ومن الأدوية الشائعة المعروفة عندهم أن أكل المرارة سبعة أيام على الريق يشفي من الدمامل ، وفي بلاد العرب استعمال المعاجين لا كتساب الشيخ نشاط الشباب ؛ ولذا فإذا ما قدم أحد من الهند أو من السواحل أو قدم أحد الأطباء لزيارة السواحل العربية ، كان أكثر ما يلقي عليه من الأسئلة ، وما ينهال عليه من الطلبات هو هذا الدواء.

ومما يناسب ذكره في هذا الموضع قصتان وقعتا على شخص الملك ابن السعود : الأولى في أواخر سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٢ ، والثانية بعد الأولى ببضعة أشهر : أصيب الملك ابن السعود بدمل صغير في شفته ، ولما أهملت العناية بهذا الجرح الصغير حصل تقيح شديد في الجرح ، وسبب حمى شديدة كادت تودي بحياة الرجل ، فاستعملوا له كل أنواع العلاج المستعملة في نجد من كي وغيره ، فكانت الحالة تزداد كل يوم خطراً ، فدعى الطبيب الأمريكاني من البحرين الدكتور (ديم) فعمل له عملية جراحية بسيطة شفى بعدها بعد أسبوعين ، فكان هذا خير شاهد لفضل الطب الحديث

الحادثة الثانية : أصيب جلالة الملك برمد حاد ، فبعد أن طال علاجه على يد الطبيب ، اقتنع بالعلاج المحلي الذي كانت عاقبته ظهور قرحة في العين ، غير أن الطب الحديث أصلح ما أفسد العلاج المحلي^(١) ، فعاد للعين شيء من قوتها ونورها وبعض أمراء العرب وشيوخهم لهم إلمام بالطب الباطني القديم ، فلكل واحد منهم مستحضرات خاصة يستعملها لنفسه ويشير بها على أصدقائه ومحبيه . وقد

(١) ويجب أن نذكر بمزيد الافتخار المهارة التي أبدتها أحد الأطباء المصريين الدكتور سالم هنداوى بك ، فلهارته الفضل الأكبر في نجاح العملية

كان المرحوم الامام عبد الرحمن والد الملك عبد العزيز ملماً بكثير من المعارف الطبية المستمدة من قانون ابن سينا وتذكرة داود وأشباهها ، وقد كان يرجع إليه في بعض الأمراض فيصف لها ما يعرفه من الدواء ، وقد ورث عنه جلالة الملك عبد العزيز بعض هذه المعارف ، كما ورث عنه بعض هذه الصفات ، فهناك وصفة يستعملها الملك عبد العزيز على الريق حضراً وسفراً ، وهي مزيج من خشب العود والصبر والمصطكا تمزج بالتساوى

ومن لطائف الطب التجربي القصة التالية الشائعة في البحرين ، ولعلها مختلفة للدلالة على بساطة أهل البحرين : كان يسكن جزيرة المُحَرَّق رجلٌ مُسِنَّ مصاب بالدوسنتاريا المزمنة حتى يئس منه أهله وبنوه ولم يفكروا في عرضه على الطبيب لأنهم ممن لا يؤمن بفائدة الطب ولا علاج الطبيب . طلب هذا الشيخ من ولده وقد كان ملاحاً أن يصحبه في سفينته ليستنشق الهواء ويودع هذا العالم . وصلت السفينة المَنَامَة وهناك ترك الولد السفينة وفيها والده لقضاء حاجة في السوق ، وفي أثناء غيابه حضر عبد من عبيد شيوخ البحرين المعينين للسخرة ، فسأل الشيخ المسن عن البحار لأن لديه قنّاً (برسياً) فأخبره الوالد بأن صاحب السفينة في السوق ، فاستكثر العبد هذا الجواب ، فنزل عليه بالعصا بدون رحمة ولا شفقة ، فقفز الرجل من شدة الألم إلى البحر وبقى في البحر حتى جاء ابنه الذي نقل البرسيم في سفينته إلى الجزيرة الثانية ونقل والده أيضاً إلى البيت ، فأما الوالد فقد شفى بعد هذه العملية من مرضه ؛ فاعتقد أن ظروف الحادثة هي التي شفته من مرضه المستعصى ، وصار يصف لكل مريض مصاب بالدوسنتاريا أن يذهب في السفينة ويجرى عليه ماجرى عليه

وقد أخبرني عليّ الفهد الخالد من كبار أهل الكويت . أن رجله أصيبت بقرحة استعصت على الدكتور « بنيت » الطبيب الامريكاني بالبصرة وأشار عليه

بقطعها ، فذهب إلى مزرعته بالبصرة يسوده الحزن والغم على هذه المصيبة ، فلما رآته إحدى الفلاحات استكشفت أمره وهي تعهده مرحاً فرحاً ، فأخبرها بأمره وبأمر الطبيب وبأن حياته في خطر ، فقالت : لا تحزن لقد جرّبت الطبيب نحو شهرين أفلا تجرب دوائى أسبوعاً ، فبعد تردد قبل فحضرت له مرهماً من مختلف الأعشاب ، ولم كانت دهشته حين شفى تماماً بعد أسبوعين ، وقد عرض أمره على الدكتور بنيت فوجد القرحة قد زالت تماماً ولم يبق أى أثر للتقيح ، وأخبرنى المذكور أن الدكتور حاول أن يتعرف الأعشاب المذكورة ليختبرها علمياً وعرض جائزة كبيرة على المرأة فلم تبج له بسرها

وهناك نوع من الطب له صفة التقديس ، وهو ما يسمى بالطب النبوى ، فقد ورد فى البخارى وغيره من كتب الحديث بعض الأدوية التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعملها أو يوصى باستعمالها ، فأخذت هذه الصفات صفة التقديس ، وكثير من هذه الصفات لا تنكر فائدتها ، ولا يزال الطب الحديث يأخذ بقسم منها . ولقد تكلم العلامة ابن خلدون على الطب النبوى فى مقدمته فقال : والبادية من أهل العمران طب يبنونه فى غالب الأمر على تجربة مقصورة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحى وعجائزه ، وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على فائدته طبيعى ولا على موافقة المزاج ، وكان عند العرب من هذا الطب كثير ، وكان فيهم أطباء معروفون : مثل الحارث بن كلدة وغيره ، والطب المنقول فى الشرعيات من هذا القبيل ، وليس عن الوحى فى شيء ، وإنما هو أمر كان عادياً عند العرب ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم إنما بعث لتعليمنا الشرائع ، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العادات ، وقد وقع له فى شأن تلقيح النخل ما وقع فقال : أتم أعلم بأمور دنياكم ، فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذى وقع فى الأحاديث الصحيحة على أنه مشروع ، فليس هنالك ما يدل عليه ، اللهم

إلا إذا استعمل على جهة التبرك ، فيكون له أثر عظيم في النفع ، فيكون من آثار الإيمان وليس من الطب المزاجي

ورأى ابن خلدون وإن كان يجد له أنصاراً ممن ضربوا بسهم في العلوم الطبية الحديثة ؛ فإن أنصاره قليلون في جزيرة العرب

وإن سنة ١٣٤٢ هـ سنة ١٩٢٣ م تعتبر فتحاً جديداً للطب الحديث في جزيرة العرب ؛ ففي هذه السنة عين الملك عبد العزيز أحد الأطباء السوريين طبيباً خاصاً له وللقصر أيضاً ، ولما تم لجلالته فتح الحجاز في سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٥ م نظم الإدارة الطبية فيها على أحدث الطرق ، وجعل شعباً في نجد والاحساء وعسير فضلاً عن مدن الحجاز المهمة ، وهي تقوم بمهمتها خير قيام حسب ما تسمح به موارد البلاد المادية ، وإذا كنا نأسف لانحطاط المستوى العلمي الطبي في البلاد العربية فلا يجب أن ننسى فضل العرب وما قدموه للعالم في فن الطب والعلاج ، وما أسسوه من مستشفيات لمختلف الأمراض في بغداد والشام والقاهرة والأندلس ، فلقد كانت جامعاتهم في أهم المدن العربية مرجع الطلاب الأجانب كما هي حال جامعات الغرب اليوم ، ولقد ظل الطب العربي مرجعاً للعالم مدة غير قصيرة إلى أن حلت النظريات والتجارب الحديثة محل النظريات القديمة

وإذا نهض العرب مرة أخرى وأخذوا بقسطهم العلمي في الطب وسائر العلوم المادية فانهم لا يأتون ببدعة ، بل يعتبرون كمخمين لعهد أجدادهم الذين ملكوا ناصية العلم حقبة من الزمن ، وقدموا للانسانية خدماً لا تنكر — إن ذلك دين في عنق العالم العربي يجب عليه وفاؤه . إن النشاط العربي والتطورات السريعة التي نراها في البلاد العربية تجعلنا متفائلين خيراً من المستقبل — فاللهم حقق الآمال

العلوم والمعارف في جزيرة العرب

إذا استثنينا بيوت بعض علماء نجد والاحساء فإننا نستطيع أن نقول : إن بلاد العرب كانت خلواً من المدارس بمعناها المعروف ؛ فالأتراك لم يتركوا أثراً يذكر أثناء حكمهم في بلاد العرب من هذه الناحية ، فكل مجهوداتهم انحصرت في إنشاء بعض مدارس ابتدائية صغيرة لم يكن الإقبال عليها يذكر لما كان يحوطها من الشبهات ؛ ففي إقليم الاحساء الواسع لم يؤسس إلا مدرسة صغيرة بعد إعلان الدستور العثماني . وكذلك الحال في اليمن والحجاز ؛ ولذا فالأمية تكاد تكون سائدة في جزيرة العرب ، وربما كانت أول محاولة لتثقيف العقول والقضاء على شيء من الأمية كانت من جانب السيد محمد علي زينل رضا في الحجاز ؛ فانه في سنة ١٣٢٦ هـ وما بعدها قام بإنشاء مدرستين : إحداهما في جدّة والأخرى في مكة ، ومع ما وضع في طريقه من العقبات وما أحيط بمشروعه من الشكوك من الأتراك والأشراف فان هذه المدارس قد قامت بنصيب وافر في الحجاز ، وربما كانت الشببة الموجودة في الحجاز اليوم هي من غرس هذه المدارس

وهذه المدارس وإن كانت تسير في التعليم على الطريقة القديمة العتيقة التي تركز على الحفظ لا على التفكير ، فإنها كانت المدارس الوحيدة في الحجاز ؛ على أننا لا ننسى هنا بعض المعاهد التي أسسها الهنود في مكة والمدينة ، فإنها قامت أيضاً بنصيب يذكر ؛ وكل ما كان في الحجاز هو حلقات الدروس في المسجد الحرام على نظام التدريس في الأزهر قديماً ، ولم يكن العلماء يلهون إلا ببعض العلوم الشرعية واللغوية

وفي سنة ١٣٣٠ هـ أسس أهل الكويت مدرسة سموها المدرسة المباركية ،

لأنها أسست في عهد الشيخ مبارك الصباح ، وفي السنين الأخيرة أسست بعض مدارس أخرى ولكن فوائد هذه المدارس انحصرت في تقليل الأمية فقط . وفي سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) أسس أهل البحرين مدرستين : إحداها في جزيرة المحرق ، والأخرى في جزيرة المنامة ، وهذه المدارس كلها لا تخرج عن تعليم القراءة والكتابة ، ومبادئ النحو والحساب والجغرافيا ؛ ولقد أراد المصلحون في الكويت والبحرين والحجاز إحداث انقلاب في التعليم يرمي إلى إيجاد شبّان مفكرين متنبهين يصلحون أن يكونوا نواة صالحة للمستقبل ، ولكن العقبات كانت كثيرة ، وأكثرها قائم من الجامدين الذين يعتقدون أن كل جديد بدعة وكل بدعة ضلالة

لقد قام في الكويت والبحرين خجة عظيمة من جانب العلماء على القول بكروية الأرض وحركتها ، وتعليم اللغات الأجنبية مما يذكّرنا بحوادث العصور الأولى ، ولولا أن السلطة تنقص هؤلاء لأوقعوا من العقوبات بنصوصهم مالا يقل عما وقع في القرون الوسطى في أوروبا

إن الحالة في الحجاز في أيام الشريف حسين لم تكن تختلف كثيراً عنها في أيام الأتراك ، فمع أنه وضعت أسماء كبيرة : مثل المدرسة الراقية والزراعة والحربية وغيرها من المدارس ، فإنها كانت أسماء لا تطابق الحقيقة ، وما هي إلا طلاء لا يحوى من ورائه شيئاً

في أيام الملك ابن السعود قامت حركة لا بأس بها في التعليم ولكنها أقل بكثير مما كان ينتظره الناس من رجل عظيم مثله ، على أن هذه المدارس التي أسست بالحجاز لا يشمل برنامجها أكثر من برنامج المدارس الابتدائية الأخرى ، والتعليم فيها سائر على الطرق القديمة البالية من الاعتماد على الحفظ دون التفكير

وإننا نسوق القصة التالية لتعلم مقدار الصعوبة التي يعانها الملك ابن السعود ويعانها أى مصلح يريد النهوض بالتعليم :

فى أوائل شهر يونيو سنة ١٣٤٩ — ١٩٣٠ قامت خجة بين علماء الدين النجديين ، واجتمعوا فى مكة ؛ وبعد التشاور فيما بينهم وضعوا قراراً يحتجون فيه على إدارة المعارف فى مكة ، لأنها قررت فى برنامج التعليم أولاً تعليم الرسم ، وثانياً تعليم اللغة الأجنبية ، وثالثاً تعليم الجغرافيا التى منها دورات الأرض وكرويتها

ولما كان لى شىء من الأشراف على إدارة المعارف ، فقد تذاكرت مع جلالة الملك فى الموضوع ، فرأى من الحكمة أن أجمع بكبار المشايخ وأبحث معهم الموضوع ، فاجتمعت معهم ودار الحديث على الصورة الآتية :

حافظ : لقد أمرنى جلالة الملك أن أحضر عندكم لأشرح لكم حقيقة المسائل التى رأيتم إلغاءها من برنامج التعليم ، إنكم تعلمون مبلغ حبي لكم لأنكم من أنصار السنة ، الآخذين بالاجتهاد ، الرادين كل قول يخالف القرآن أو السنة الصريجة ، ولقد مضى الزمن الذى كان قول العالم مهما كان حجة ، ولا أعتقد أنكم تريدون منا أن نقبل كل ما تقررون بدون مناقشة ؛ فإن ذلك لا يتفق مع الروح التى تدعون إليها ، ولا معنى لأن نعيب على الناس اتباعهم لعلمائهم من غير حجة أو دليل ، وهنا نسير على نفس النسق

أحد المشايخ : إن ما قلته حق وصحيح ، ولكن لقد بينا للامام عبد العزيز الأدلة والمفاسد التى تترتب على تقرير هذه العلوم . أما الرسم فهو التصوير وهو محرم قطعاً ، وأما اللغات فانها ذريعة لوقوف على عقائد الكفار وعلومهم الناسدة وفى ذلك ما فيه من الخطار على عقائدنا وعلى أخلاق أبنائنا ، وأما الجغرافيا فقيها

كروية الأرض ودورانها ، والكلام على النجوم والكواكب مما أخذ به علماء اليونان وأنكره علماء السلف

حافظ : أما الرسم فليس هو التصوير لأن المقرر في المدارس الرسم أى التخطيط ، وهى معلومات أولية ، الغرض منها تعليم الأولاد الدقة ومعرفة المسافات على الخرائط ومواقع البلدان ، وهذا أمر لا شىء فيه وقد اشتغل به كثير من علماء السلف ولم يبلغ الأولاد درجة تمكنهم من التصوير ؛ لأن علم التصوير هو من العلوم العالية التى تحتاج ممارستها إلى وقت طويل ودراسة واسعة ، أما اللغات الأجنبية فقد كان كثير من الصحابة يعرفون لغات عصرهم ، ونحن فى هذا العصر أجبرتنا الحياة على مخالطة الأجانب ، فبدلاً من أن نتخذ لنا مترجمين لا نشق منهم نعلم على أولادنا ونعلمهم اللغات ، أما علوم الإفرنج : فمنها ما هو صالح يصح أن نأخذ به وتعلمه ، ومنها ما لا يتفق مع ما نعتقد فترفضه ، وعلوم الإفرنج التى تقولون عنها قد ترجم كثير منها إلى اللغة العربية فى مصر وسوريا والعراق ، فالجهل باللغات لا يمنع الناس الاطلاع على ما كتب وترجم إلى اللغة العربية ، وإن الخوف على العقيدة الإسلامية هو رعى لها بالضعف ، لأن العقائد يجب أن تكون كالبنيان المتين لا تقوى عاديات الزمن على زلزلتها ، ونحن نعتقد أن العقيدة الإسلامية الصحيحة إذا امتزجت بالدم وتملكت مشاعر النفس ، فإن يقوى أى شىء على زعزعتها

أما الجغرافيا فأننا لا نعلم الأولاد منها إلا ما يتعلق بوصف البلدان ومواقعها وحاصلاتها ، وما يهمنا منها من الوجهة التجارية والعلمية ، وما عدا ذلك من المسائل فإنه لا يعلم فى المدارس على أنه عقيدة دينية يجب الأخذ بها ، بل على أنه نظرية مقررة

وهنا يحسن قبل أن أختم كلمتى أن أقول لحضراتكم : إن مسألة سد الذريعة قد

وسعت بدرجة قضت على كل معنى مقصود منها ، فحضراتكم كلما أردتم منع شيء ،
قلتم سداً للذريعة ، فما قولكم في العنب والتبر يستخرج الحمر منهما ، والحكومة
قد ضبطت في بلد الله الحرام من يصنع الحمر من هاتين الفاكهتين ، وقد وقع مثله
في عصر الصحابة ، ولم يقل أحد بقطع أشجار الكروم والنخيل

فلما رأى حضرات المشايخ أن البحث طال قالوا : لقد قررنا ما نعتقد ورفضناه
إلى الإمام ولسنا في حاجة إلى الجدل المنهى عنه شرعاً ، فإن قبل الإمام ما رأينا
فالحمد لله ، وإن خالفنا فليست هذه أول مرة يخالفنا فيها

أقد وقف جلالة الملك ابن السعود على هذه المناقشة واقتنع بثاقب فكره أن
ليس لدى العلماء دليل ديني يصح الاعتماد عليه ، فلم يوافقهم على رأيهم ، واستمر
تعليم اللغات والرسم والجغرافيا كما كان

ومع شيوع الأمية في بلاد العرب فإن بعضهم يتقن في طريقة ضبط معاملاته
أو حساباته بما يدل على ذكاء كامن أو بساطة في التفكير

لقد شاهدت في الكويت رجلاً من أهلها الأميين يصور عملاءه (زباينه)
بصور مختلفة : يصور أحدهم جملاً ، والآخر حماراً ، والثالث فرساً ، وهو في ذلك
لا يكاد يخطئ ، وهو لو صرف بعض وقته في تعلم القراءة والكتابة لوفر على نفسه
مؤونة الاختراع . أما الآخر وهو يمت إلى العائلة الحاكمة بالكويت فقد كان
مشهوراً بالبخل والحرص ؛ ولكي يكون أميناً على نقوده من اختلاس أبنائه كان
يضع في زاوية من زوايا بيته عدداً من الخوص يساوي عدد النقود المحبأة ، ويزيد
وينقص بقدر ما ينقص أو يزيد من النقود ، فلما اكتشف أحد أبنائه هذه الحيلة
أصبح يأخذ ما يحتاج من الدراهم مع رفع عدد من الخوص مساو لها ، وقد لبث
على هذه الحال مدة إلى أن ضبطه والده يأخذ النقود ، فأخفى الخوص من الركن
إلى مكان آخر كي يأمن شر ابنه

وقد كان علماء الاحساء والبحرين ينكرون على المدارس تعليم الجغرافيا والقول بكروية الأرض ، بل وينكرون على بعض المتعلمين قراءة الصحف السيارة ، غير أن تقارب الأمم واختلاطها قد قضى على نفوذ هؤلاء في البحرين والكويت

علماء الدين في جزيرة العرب

ليس في جزيرة العرب علماء بالمعنى المعروف في أوروبا ، وإنما يطلق لفظ العلماء على الدارسين لعلم الدين الملمين بمسائل الفقه الإسلامى وفى جزيرة العرب على العموم تُطابق هذه الطبقة على نفسها طلبة العلم من باب التواضع ، ويراد بالعلم في جزيرة العرب : التفسير ، الحديث ، الفقه ، أصول الدين ، علم العربية ، التاريخ الإسلامى . وعلماء الدين في نجد أكثر اطلاعا في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية من غيرهم من علماء الكويت والبحرين وعمان وسيرتهم في القضاء والافتاء تشبه سيرة العلماء المتقدمين ، كما أن حياتهم الشخصية في الورع والزهد تشبه سيرة علماء السلف المسلمين ، لا تأخذهم في الحق لومة لائم . وعلماء نجد أشجع علماء جزيرة العرب ولا يبالون في سبيل الحق ، ول بعضهم وقوف تام على أحوال البلاد المجاورة لنجد . وهم يكادون يصرفون أعمارهم في سبيل العقيدة الإسلامية ، والرد على مخالفينهم من الطوائف التي لا تهج نهجهم ، غير أنهم في بعض الأحيان يعنون كثيراً بالرد على بعض الفرق التي انقرضت ولم يبق لها أثر إلا في كتب العقائد

وشأن علماء نجد شأن غيرهم في هذا القرن ليسوا كطبقة الشيخ ابن عبد الوهاب في علمهم وتبصرهم ، بل شأنهم كغيرهم من علماء الدين في البلدان الأخرى يعتمدون في حياتهم العلمية على من سبقهم من المؤلفين ؛ ولذا فإن مؤلفاتهم ورسائلهم ليست كرسائل الشيخ محمد وبنيه في متانة الأسلوب وحسن التصرف وكثرة المصادر التي

كان يرجع إليها ، وهم لا يدعون الاجتهاد المطلق ، فهم مقلدون للامام أحمد وللإمام ابن تيمية وتلاميذه كابن القيم وغيره . ولعلماء الجزيرة على العموم المقام الأول عند الأمراء ، والنفوذ العظيم في نفوس العامة ، ومع أن أكثر العلماء في جزيرة العرب أميل بطبعهم إلى الهدوء والبعد عن مظاهر الدنيا ، فإن بعضهم قد يغلو في حب الدنيا بل وقد يستعمل مركزه للثراء

وعلماء الرياض أشد علماء نجد بغضاً ومقتاً للكفار

في سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) كنت مع الشيخ عبد الله بن حسن كبير علماء نجد ورئيس القضاء الآن في زيارة للتفتيش في المدينة المنورة ، فزلنا على ماء في وسط الطريق يدعى آبار بن حصاني ، وهناك التقينا بمستر فلي (قبل إسلامه) وكان آتياً من ينبع ، فبعد التحية دعوته للأكل معنا فعند ما جلس معنا على المائدة سأل الشيخ من هذا الرجل ؟ فقلت له : هذا فلي . فقال أهو نصراني ؟ قلت له نعم . فقال : أعوذ بالله أتقوم للنصراني وتصافه وتهش في وجهه وتدعوه للأكل معنا إن هذا كثير ، فلما سمع مستر فلي ذلك قام منعاً للمشاحنة ثم أخذ الشيخ يؤنبني على عملي

فقلت : أيها الشيخ مهلاً إننا نطمع في إسلام الرجل ونريد أن نستميل قلبه ولا ننفره من الدين ، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم جذب الناس إليه بخلقه الحسن ولين جانبه : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) وإن الملك عبد العزيز كثيراً ما يقوم له ولغيره تأليفاً لهم ودفعاً لشركهم وكثيراً ما يدعوهم إلى مائدته ، فقال : أما القسم الأول فحسن ، وأما الثاني فالملك قد يفعل الشيء لمصلحة يراها وهو غير حجة في عمله وتصرفاته ، وكثيراً ما أنكرنا عليه هذا وأمثاله

على أني أرى من الواجب على أن أذكر أن هذا الرجل كان لي نعم الرفيق المواسي أثناء مرضي في المدينة ، لقد كان لا يرضى إلا أن يسقيني الدواء بنفسه

كما أنه كان يصرف قسطاً من وقته في تخفيف آلامى وأسقامى مما يدل على ما فطر عليه هؤلاء من الاخلاص وطيب القلب ، لا يحملون حقداً لأحد . ولا يغضبون إلا حيث يعتقدون أن منكرأ اقترُفَ أو أن حقاً من حقوق الله قد ضيع أو أهمل وعلماء نجد يحرمون التصوير ودروس المنطق والفلسفة ، ولا يوجد لديهم من يعرف هذه العلوم ، وقليل من علماء نجد من يحيط بأسرار اللغة العربية وآدابها إحاطة تامة ، وقليل جداً من يعرف علوم البيان والاشتقاق أو أسرار البلاغة ، وقليل منهم المحيط بحوادث التاريخ الإسلامى أو التاريخ القديم ، فمعلوماتهم التاريخية لا تتجاوز السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين ، والتاريخ القديم لا يعدو علمهم فيه الطبرى وابن الأثير ، أما الاكتشافات الحديثة وما غير معالم التاريخ القديم ، فلا يكاد يعرف في جزيرة العرب كلها ، على أن هنالك روحاً جديدة في الأسرة المالكة في أبناء الملك وبعض أشقائه في اقتناء الكتب الحديثة وحب الاطلاع على المؤلفات الحديثة في التاريخ والقانون وآداب اللغة العربية

ونرى واجباً علينا أن نقول : إن الملك عبدالعزيز لولا ما يحيط به من الصعوبات من جهة استعداد شعبه لسار ببلاده خطوات واسعة في سبيل نشر الثقافة وتعميم التعليم ، وهو يفضل السير التدريجى على قدر استعداد الأمة ، ولهذه الاعتبارات فإن الحالة العلمية في الحجاز ونجد أقل مما يجب أن يكون وينتظر من ملك حكيم كالملك عبد العزيز ، ومع هذا فإن حالة العلم في الحجاز ونجد أفضل من حالة البلاد المجاورة كالكويت والبحرين وعمان واليمن . وعلماء نجد محافظون على القديم جداً ولا سيما ما يتعلق بالدين ، فهم يرون بقاء العقيدة سايمة كما وردت في الكتاب والسنة من غير حاجة إلى تأويل ، ويقولون : ليسعنا ما وسع عصر النبوة وخير القرون وترى كتبهم ورسائلهم مشحونة بالرد على الفرق التى تنجح إلى التأويل أو تطبيق النظريات الفلسفية في العقائد

ومع أن للعلم والعلماء منزلة في نفوس شيوخ العرب وعامة العرب ، فإن الشيوخ قلما يعنون بتعليم أبنائهم وتثقيفهم ، وقلما يعنون بغير الرماية والفروسية والصيد والقنص ، وبعضهم يرى طلب العلم عيباً لأن ذلك قرين الجمود والخمود وانتظار الصدقات . أما الإمارة فقرينة الحركة والنشاط والتفكير

والقصة التالية تروى في الكويت عن جابر الكبير جد الشيخ مبارك الصباح : فإنه حينما رأى أحد أبنائه يحضر مجالس العلم وصفه باختلال العقل لأن الإمارة لا تجتمع مع طلب العلم ، ولكن هذا الفتى الذي اشتهر أول أمره بالتقوى وحب العلماء تغير سلوكه ، فاستبدل بحلقات الدروس مجالس الأتس والطرب ، وبالعلماء أهل الخلاعة ، فسر والده من هذا التبدل وقال : إن دم الصباح قد تغلب عليه ، فصغيرهم للكلاب وكبيرهم لا قد تكون هذه القصة موضوعة على جابر ولكنها تعبر أصدق تعبير عن خلق كثير من أبناء الشيوخ : صغارهم مولعون بتربية الكلاب ، وكبارهم مولعون بالقنص والبطالة وقديماً قال الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجدد مفسدة للمرء أي مفسده

على أن من بين شيوخ العرب قديماً وحديثاً من شذ عن هذا السبيل فاشتغل بالعلم والأدب وقرض الشعر وبرع في فنون الشرع حتى بذ علماء عصره ، ويسرنا أن نتوه هنا بما بدا في السنين الأخيرة من اهتمام بعض الشيوخ بالعناية بتعليم أولادهم . لقد أرسل بعض شيوخ الكويت والبحرين أولادهم إلى بيروت والإسكندرية للتعلم في الكلية الأمريكية وكلية فكتوريا ، كما أن جلالة الملك عبد العزيز ما زال من وقت لآخر يبدى مزيد العناية بهذا الموضوع ويستعين برأي الخبراء في أمر التربية والتعليم

الصناعات في بلاد العرب

هى الصياغة والنجارة والحدادة والحياكة والقصابة وإصلاح البنادق والبيطرة وبعض أنواع الطبابة : كاللجامة والفصد والكي وغير ذلك

والصناعات على اختلافها معدودة من المهن الحسيسة التى تحط بقدر صاحبها ؛ ولذا فالذين يحترفون هذه الصناعات . إما من غير العرب أو من العرب الذين لا ينتمون إلى أصول مشهورة أو غير قبيل . ومما يدل على احتقار الصناعات ألفاظ السباب المعروفة عند العرب (يا ابن الصانع) إذا أرادوا تحقير إنسان وسبه بكلمة تكون مجمع السباب ، وبهذه المناسبة تذكر أن الملك ابن السعود فى مجمع كبير (وكان حائقاً على آل عايض حكاهم أبهاً السابقين لما تكرّر من خيانتهم له) قال لأحدهم هذه الكلمة ، فعند ما انصرفوا وذهبوا إلى بيوتهم ابتدرته زوجته وقالت له : لا يمكن أن أعاشرك بعد الآن ؛ لأنك من أبناء الصناع لا من أبناء القبائل وابن السعود لا يكذب . ولولا أن أفهمت فيما بعد أن ذلك كان عن بادرة غضب ما أمكن أن تقتنع بالرجوع إلى بيتها

ولقد فتك عبد الكريم السعدون بعبد الله بك الصانع مدير الداخلية العراقية ، لأن عبد الله بك — وهو من ذرية الصناع — تجاسر على الزواج بابنة أحد أبناء السعدون الأشراف ؛ ولقد عطف جلالة الملك عبدالعزيز على موقف عائلة السعدون ، ولو استطاع لغير موقف القضاء فى هذا الموضوع الذى هزّ أحسن ناحية فى جلالته وبهذه المناسبة أيضاً عند مذاكرتى فى هذا الموضوع أخبرنى المرحوم السيد رجب النقيب (نقيب أشراف البصرة) أنه فى إحدى سياحاته إلى بغداد أوصى أحد أصدقائه بأن يتوسط له فى الزواج بابنة أحد الأشراف ، فكان ذلك الصديق

يذكر له سيدة من بنات الأشراف المشهورين ببغداد كبيت باشجى وجادر جى وغيرهم ، فكان السيد يمتنع من القبول ويقول : أريد الأشراف . وما كان صديقه ليفطن لما يريد السيد ، وأخيراً قال له صديقه : لقد عرضت عليك كل أشراف بغداد فمن تريد بعد ذلك ؟ قال : أريد الأشراف ، قال : لا يوجد أشرف من هؤلاء هنا ، قال : لا ، أنت ذكرت لى أسماء الصنائع وأنا أريد أصحاب الأنساب ، قال : ها ! لو أخبرتنى بذلك لأتيتك كل يوم بأسماء عشرين بدوياً من أقدر البدو ، لقد اخترت لك أهل النظافة والمدنية واللطافة والكياسة ، أنا لا أتوسط فى هذا الموضوع ، اذهب إلى السماوة أو غيرها من البادية واختر لنفسك ما تشاء وإن من له اتصال ببلاد العرب يقف على كثير من القصص التى يمتنع فيها فقراء البدو عن الزواج بأغنياء الحضرة احتجاجاً بالنسب ، فقد رفضت إحدى البدويات الزواج بابن المشرى حاكم الزبير فى أيام الأتراك لأنه من أبناء العبيد ولا تزال التجارة فى البحرين من الحرف التى لا يصح اشتغال العربى الأصيل بها ، ولذا كانت الأيدى غير العربية هى القابضة على زمام التجارة فى البحرين . ومن الغريب أن العربى لا يزال يفضل رعاية الإبل والغنم والخدمة وراء الحير على البيع والشراء والصناعة أو فتح متجر للبيع والشراء ومن الصناعات المشهورة التى يحترفها كثير من البدو والحضر غواصة اللؤلؤ ، وغواصة اللؤلؤ لها نظام خاص فى غاية الغرابة : ليس هناك أجور معينة للعمل ، ولكن العمال يشاركون صاحب السفينة فيما يحصل ، فالذى يغوص له سهمان ، والذى يخرج الغواص — وهو ما يسمونه سيبا — له سهم ، وذلك بعد ما يخرجون خمس الحاصل للسفينة وثمان المأكول والمشرب ، ولا يمكن أن يقبل أى عامل أجراً معيناً لأنه يريد أن يجرب حظه مع صاحب السفينة ، إن كان قليلاً قليلاً ، وإن كان كثيراً فكثير . وصناعة الغوص من الصناعات الشاقة ، وهى تجرى حسب الطرق

القديمة ولا تستخدم الآلات الحديثة ، ولا يقل عدد من يشتغل بهذه الصناعة عن مائتى ألف عامل من العرب والإيرانيين لمدة خمسة أشهر . وموسم اللؤلؤ من أحسن المواسم وأجملها ، وفيه تدور الحركة التجارية ، ولذا لا يمكن أن يتصور مقدار ضيق أهل هذه الصناعة فى الأزمات الحالية لأن أكثرهم فقراء ، وليس لهم نقابات ولا شركات تعاونية مثل ما هو فى جميع البلاد المتقدمة

والطريقة المتبعة الآن فى غواصة اللؤلؤ هى طريقة الحجر : يربط حجر كبير بطرف الحبل ، فاذا أراد الغائص أن ينزل إلى الماء تمسك بالحجر ونزل إلى قاع البحر بكل سرعة ، وإذا ضاق نفسه هزَّ الحبل بيده ثم صعد بمساعدة رفيقه الآخر الموجود بأعلى السفينة والمتيقظ لكل حركة يأتىها الغائص . والغوص يشبه من جميع الوجوه بالمرعى ، فتجد فى جهة مئات السفن ، بينما ترى بعض الجهات الأخرى ليس فيها سفينة واحدة ؛ وصاحب السفينة ينتقل من جهة إلى جهة وراء المحار واللؤلؤ ، وهناك فى البحر تجدد التجار الذين يدعون « بالطواو يش » يتنقلون من سفينة إلى سفينة لشراء ما يستحصل من اللؤلؤ



الحكومات العربية

نريد هنا أن نستعرض أمام القارئ النظام الحكومى للإمارات والسلطات العربية ، والطريقة التى يدار بها الحكم فى بلاد العرب ، وهى صورة مستمدة مما يفهمه العربى العادى من الحكومة ، وهى الصورة التى لا يفهم سواها شيوخ العرب ، وسأذكر فيما يلى قصتين يتجلى فيهما كل ما هو واقع من الحقائق :

فى شتاء سنة ١٣٣٣ (١٩١٥) كنت فى حديث مع المرحوم الشيخ جابر الصباح أخى الشيخ مبارك شيخ الكويت : كنت أنكر فيه على الشيخ مبارك فداحة الضرائب وطريقة صرفها ، فان الشيخ مبارك فى أخريات أيامه خرج على كل مألوف من التقاليد الدينية والعربية ، وأخذ يستهتر بكل شئ ، كما أنه وضع ضرائب على البيوت تقضى بدفع ثلث قيمة كل بيت يباع مما لم يعرف من قبل فى بلاد العرب ، وكنت أشرح للشيخ جابر حديث : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، وإنى فى نفس الوقت لم أنس أن أذكر بعض الصفات الطيبة التى امتاز بها الشيخ مبارك من غيرته على الكويت وأهلها ، ودفاعه عن مصالح أهلها والعمل لاستقرار الأمن وزيادة حركة التجارة فيها

فقال الشيخ جابر :

إن كلامك كلام مُطَاوَع (أهل الدين) ما هى ميزة الأمير على الباعة وأصحاب الدكاكين يا شيخ حافظ ؟ خذها كلمة جامعة ! الرعية مثل الغنم كلما طال صوفها جَذَذَ نَاه . فقلت له : ولكن الغنم يا حضرة الشيخ تحتاج إلى من يعنى بها كي يتكاثر نسلها ، وأتم لا تكثفون بالصوف ، فان القص كثيراً ما يصيب الجلد . فقال : إن الحاكم يجب أن تكون يده مطلقة فى كل شئ ، فى المال وفى الأرواح

والرعية إذا استغنت وكثر ما لها طفت على الحاكم وربما أفلتت من يده ، فقلت له : أيها الشيخ ! إن الرعية والراعى متضامنان في حب الخير للبلد ، وليس أحدهما خصماً للآخر ، والحاكم والد الجميع ، ولا يولد الخزازات والضغائن سوى الجبروت . فقال : أيها الشيخ ! ليست هنالك فائدة من المناقشة ، فنحن لا نفهم من الحكم إلا ما أسلفناه لك ، وكلام أهل الدين قد سمعناه كثيراً في دروس الوعظ وخطب الجمع ، ولسنا في حاجة إلى المزيد

أما القصة الأخرى فقد حدثت في نجد بعد ١٩ عاماً من القصة الأولى في شعبان سنة ١٣٥١ — ديسمبر سنة ١٩٣٢ زارنى أحد مشايخ البدو وأخذ يسألنى عن أوروبا وما فيها من جمال ورجال ومساكين وعشب وأمطار وغير ذلك ، ثم قال : هل عليهم شيخ مثل ابن سعود ؟ فأجبته إن عليهم ملوكاً ، منهم الملوك الصغار ، ومنهم ملك بريطانيا الذى لا تغرب الشمس عن ملكه . فقال : وهل تفد عليه وفود ، وهل يجزل العطاء لفوفده ؟ فقلت : إنه لا يعطى دراهم لأحد ولا يفد عليه إلا الملوك وكبار الرجال ، ولا يمنح إلا النياشين . أما جنوده ورؤساء الجنود فلهم مرتبات خاصة يتقاضونها

— لا بد أن يكون هذا الملك غنياً ما دام ملكه لا تغيب عنه الشمس ، لا بد أن تكون قصوره مملوءة بالذهب والجواهر الكريمة . فأجبته إن الملك له ولعائلته مرتب خاص لا يتجاوزه ، والخزانة العامة تحت أمر وزير المالية وهو مراقب من مجلس الأمة ، فالخزانة يصرف منها أولاً على الموظفين الملكيين والعسكريين ، ثم على الأسطول ، ثم على سائر المعدات الحربية ، ثم التعليم والأشغال العامة والصحة وغير ذلك ، كل شئ من هذه الأشياء لها مبالغ مرصودة لا يمكن تجاوزها

— هل يقتل الملك الناس ؟ فأجبته : إن ملك إنجلترا كسائر ملوك أوروبا الآن لا يباشر الأعمال بأنفسهم ، فالمحكمة إذا حكمت بالقتل فالملك يأمر بالتنفيذ وقد

يعفو عن القتل فيستبدل الحكم بالأشغال لمدة معينة ، أما الملك بدون محكمة فلا يستطيع أن يأمر بقتل أحد ، وليس بين الملوك وبين الناس خصومة حتى يأمرؤا بقتلهم

— ليسوا هؤلاء ملوكا . إن من لم تطلق يده على الخزانة ومن تكف يده

بهذا الشكل فليس بملك

هذه هي الروح السائدة ومن هذه الروح تتكون الحكومة العربية ولا يستثنى من ذلك إلا البلاد التي كان يسودها النفوذ التركي ، فطريقة الحكم في الكويت والبحرين ونجد وقطر وعمان متشابهة ، وهي بسيطة ليس فيها من التعقيد ما في البلاد المتمدينة ، ولكن ضمان العدل يرجع إلى شخصية الحاكم وسهره وميله إلى العدل والإنصاف

والشيخ أو السلطان أو الأمير هو الحاكم المطلق مصدر السلطات كلها ، إليه ترفع الدعاوى وهو يحولها بدوره إلى الشرع وما يحكم به الشرع ينفذ ، وفي المسائل التجارية يستأنس برأى التجار فتحول القضية إلى واحد أو اثنين أو ثلاثة من التجار حسب أهمية القضية ، والشيخ بعد ذلك يأمر بتنفيذ الحكم ، وفي بعض المسائل الهامة يجمع الشيخ كبار الجماعة لأخذ رأيهم وكثيراً ما يأخذ برأيهم هذا في الكويت وعمان

أما في نجد فإن جميع القضايا تحول إلى الشرع فقط ، والقضاة أنفسهم قد يستأنسون بالعرف التجاري في البلد كذلك كان الحال في البحرين إلى سنة ١٩٢٠ ، ومنذ هذه السنة قد وضع للبلد نظام للتقاضى خاص كما وضع لها نظام إدارى جديد . وعلى كل حال فالشرع لا يزال ينفذ على الوطنيين ما عدا الحدود الشرعية

والبلدة إن كانت صغيرة مثل الكويت يعين الحاكم لها أميراً للسوق للفصل في القضايا الصغيرة ولا سيما قضايا البادية ، ووظيفة هذا الأمير تشبه وظيفة مدير

البوليس ، وإن كانت متسعة الأطراف يعين لكل ناحية أمير من قبل الملك ابن السعود وهو يحدد سلطته ، وسلطته لا تتعدى تنفيذ الأوامر الشرعية
وربما كان الأميران ابن مساعد وابن جلوى هما أكبر الأمراء سلطة ونفوذاً ،
فإن ابن مساعد يتعدى نفوذه حایل إلى القصيم والجوف وما حولها من البادية ،
والأمير عبد الله بن جلوى يمتد نفوذه على مقاطعة الاحساء والقطيف والبادية المحيطة
بها ، وهما يفرضان العقوبات البدنية والمالية حسبما يرى ، والغالب عليهما الصرامة
في العقوبة

وليس من حقوق الأمراء التداخل في الوظائف المالية ولا التعرض لبيت المال
بأى شكل من الأشكال ، ولكنهم إذا رأوا شيئاً من الغبن على الحكومة أو
الأهالى فإنهم يرفعون الشكاوى إلى الملك وهو يبحثها ويأمر بما يراه ، ولم تكن
لهذه الحكومات إيرادات تذكر إلا ما يرد من زكاة الزرع وما يؤخذ من البادية ،
وربما كانت أقل البلاد إيراداً للحكام الكويت حتى سنة ١٣١٤ — ١٨٩٧ أى
قبل تسلم الشيخ مبارك كرسى الحكم بعد اغتيال أخويه محمد وجراح ، فقد كان
شيوخ الكويت فى ذلك يتقاضون أشياء ضئيلة على التجارة لم يفرضها الحاكم
على الأهالى بل فرضها الأهالى أنفسهم مساعدة للشيخ الذى ليست له موارد تقوم
بمجااته وحاجات عائلته ، وكان شيوخ الكويت يعيشون مع الأهالى كإخوان
لهم ، وكان مفروضاً على الدكاكين ضريبة ضئيلة أيضاً للقيام بنفقات
الحرس فى الليل

وكانت البحرين كالكويت فى أكثر هذه التدابير ، ولكن حكام البحرين
كانوا أغنى وأحسن حالاً من شيوخ الكويت لكثرة أملاكهم فى البحرين ،
ولأن سكان البحرين أكثر وأغنى من الكويت
أما حكام نجد السابقين والحاليين فواردات الحكومة عندهم من الزكاة على

الزراع والحيوانات ، وما كان يوضع على الحجاج من الضرائب ، وما يدخل بيت المال من خمس الجهاد ، وما يدخل خزانة الحاكم يصرف منه على حاجاته الشخصية وعلى الأعطيات التي يجود بها على الوافدين . أما المدارس والصحة ووسائل تنظيف البلد وتجميلها فإنه مع استثناء الحجاز ونجد ، نجد الأهالي والحكام مشتركين في عدم الشعور بالحاجة إليها

أذكر أن أول مدرسة نظامية أسست في الكويت سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢) كانت من تبرعات الأهالي وإحسان بيت آل إبراهيم ، ولم يدفع الشيخ مبارك شيئاً لمساعدة أول مشروع علمي في بلاده ، وقد تبدل الحال بعض التبدل في السنوات الأخيرة لا سيما في الكويت والبحرين

ليس في البلاد العربية ما عدا الحجاز ونجداً جيوش لحمايتها من الطوارئ ، وكل ما هنالك خمسون أو مائة نفر (لحماية الشيخ) ويقومون في البلد بوظيفة البوليس ، وهذا العدد ينقص أو يزيد تبعاً لما يحس به الشيخ من الضعف أو القوة في البلد وما يحس به من أبناء عمومته نحوه . أما إذا أصبحت البلاد في حالة حرب فإن الشيخ يضع على أهالي البلد نفقات وهم يوزعونها على البلد كل بقدر ما يستطيع ، والشيخ يوزع عليهم ما ينقص من السلاح والذخيرة

وفي البلاد التي لم يعتد أهلها الحرب والطمعان مثل الأحساء والقطيف وبعض بلدان الحجاز يفرض عليها ضريبة تسمى إعانة الجهاد

وبالنظر إلى قلة الواردات التي تستوفي باسم الحاكم ، فإن بعضهم لا يرى غضاضة من الاشتغال بالتجارة : مثل شيوخ عمان وقطر وبعض شيوخ البحرين الآن . أما شيوخ الكويت والبحرين قبل سنة ١٩٢٠ وأمراء نجد فلم يسمع أن أحداً اشتغل بالتجارة وهم يعدونها عيباً

لقد كان المعروف في أكثر البلاد العربية أن كل من ينتمى إلى عائلة الشيخ

يمكن أن ترفع إليه الدعاوى وهو يحولها إلى الشرع ، وخدمه يقومون بالتنفيذ ، وقلما كان الشيخ يعترض على هذا التصرف إرضاء لبني عمومته ، وفي الحقيقة كان هذا الضرب مبعثاً للفوضى ومضيقاً للمسئولية . على أن بعض الحكام يأنس من نفسه القوة فيقبض بكلتا يديه على البلد ويمنع أى شيء سواه وسوى من يعينه لمباشرة الأحكام

فالشيخ مبارك الصباح كان هو الشخص الوحيد في الكويت المرجع في الشكاوى ، وأحياناً كان يكل بعض المسائل إلى أحد ولديه الشيخ جابر أو الشيخ سالم والملك ابن السعود أشد من الشيخ مبارك في هذا لا يسمح لأخواته أو لأولاده أن يتصرفوا في أمر من الأمور بدون مراجعته ، ولقد عين الآن النجل الأكبر الأمير سعود نائباً عنه في نجد ؛ والولد الثاني الأمير فيصل للحجاز وله الاشراف العام ولقد كانت حماية الأفراد معروفة في بلاد العرب ؛ فالشخص الذي يريد الفرار من الحكم أو التخلص مما عليه من التبعة يلتحق بخدمة أحد الشيوخ أو يحتسب بظله أو يلتجئ إلى بيته ، كانت هذه الحماية معروفة في البادية على أكمل مظاهرها كما هي معروفة في المدن ، وكان الحامي يرى من واجبه حماية من التجأ إليه ما دام يأنس في نفسه القوة والمنعة ، فإذا رأى أن ذلك يحجر عليه مشا كل تركه إلى حيث يجد السلامة ، أما تسليمه إلى من يطلبه فذلك معدود من العيوب التي لا تغفر ، فإذا كان رجل مديناً لأحد وأراد المدين أن يتخلص من المطالبة فما عليه إلا الاحتماء بأحد الشيوخ وذلك يخلصه من المطالبة ، ولكن هنالك من الشيوخ من لا يرضى بهذا العمل المزرى فيأمر تابعه بتسليم ما عليه من الدين أو يطرده من خدمته

والقاتل إذا التجأ إلى بيت من البيوت الكبيرة فانها لا تسلمه إلى المطالبين بالدم ، وهم يحمونه أو يطلقون سبيله إلى حيث يجد السلامة . وربما كان منشأ هذه

الحماية الاعتزاز بالعصبة ، والحماية وإن قضى عليها في نجد والحجاز فلا يزال لها أثر عظيم في بادية عمان

قلنا : إنه حتى سنة ١٨٩٧ لم تكن على سواحل البلاد العربية في الخليج الفارسي جمارك بالمعنى المعروف ، وكانت هناك ضرائب على البضائع لا تتجاوز ٣ ٪ ولكن كان لكل كبير الحق في جلب ما يحتاجه من أرز وقمح وقهوة وسكر وملابس بدون دفع رسوم جمركية ، وكان أهل السفن حين رجوعهم من الهند يحضرون حاجاتهم الضرورية معهم بدون دفع رسوم جمركية ما دامت لا تستعمل في التجارة ، ويكفي أن يُخبر مدير الجمرک بقدوم السفينة أو الشيء المطلوب السماح عنه ، وربما كان الشيخ مبارك أول أمراء العرب على الشاطئ الشرقي الذين غلوا في زيادة الجمارك ، فقد زادت الجمارك حتى ١٠ ٪ على بعض الأصناف

وقد اشتغل أحد أولاده بالتجارة ، وهو الشيخ ناصر المبارك ، وكانت تجارته معفاة من الضرائب ، فكان يصرفها في السوق بربح الجمرک فأثرى في مدة قصيرة ، ولكن والده بعد احتجاج التجار أمره بالامتناع عن المتاجرة أو يحصل منه الجمرک أسوة بسائر التجار

ومن المسلم به عند العرب عموماً أن فرض الضرائب على التجارة حرام ، وهم يطلقون اسم المظالم على كل نوع من الضرائب غير الزكاة ، ولذا فإن الشيخ عند ما يعين يرى إرضاء لشعبه تخفيف هذه الضرائب

فالشيخ جابر الصباح بن الشيخ مبارك عند ما تولى الحكم ألغى بعض الضرائب التي أحدثها والده ، والتي لم تعرف في غير عهد الشيخ مبارك ، والشيخ سالم بن الشيخ مبارك بعد ما تولى الحكم بعد أخيه خفف بعض الضرائب أيضاً

والبحرين إلى سنة ١٩٢١ كانت مسجلة بالضمان لأحد الهندوس ، والأمير ابن سعود لم يكن يعرف قبل احتلال الأحساء الجمارك ، ولكنه بعد ما استولى على الأحساء

والقطيف وضع الجمارك على البضائع الواردة إلى نجد والاحساء ، وكانت الضريبة لا تتجاوز ٥ ٪ وكان الجمرک التزاماً ، وفي أثناء الحرب العالمية نظم الجمارك النجدية الشيخ عبد اللطيف المنديل ، فزاد الإيراد من خمسة آلاف جنيه في السنة إلى ٢٠ ألفاً ، ثم أخذها بالضمان مرة أخرى أحد أغنياء القطيف بأربعين ألف جنيه ، وفي سنة ١٩٢٠ أخذها بالضمان بمبلغ ٧٢ ألف جنيه على شرط منع المتاجرة مع الكويت ، فأجيب إلى طلبه ثم نظمت الجمارك بعد ذلك وألغى الضمان

وهناك ضرائب أخرى في السوق العام كأن يؤخذ شيء معين على ما يرد من البادية : من السمن والغنم والجمال ، وعلى كل حال فإن بلاد العرب أقل بلاد العالم ضرائب ، وهي بلاد فقيرة لا تحتمل ما يفرض على غيرها في البلاد الأخرى ونظام نجد في تحصيل الضرائب لا يختلف عما يجري في البلاد العربية المجاورة لها ، وإن كانت نجد تأخذ من الضرائب الجركية أكثر من غيرها بالنظر لما عليها من التبعات

أما في الحجاز فالحالة تختلف كل الاختلاف عن باقي البلاد المجاورة ، لقد كان النظام التركي في الجمارك والإدارة مطبقاً في الحجاز ، ولكن وجود الأمير أو الشريف في مكة بجانب الوالي جعل للشريف شخصية أخرى ونفوذاً آخر بجانب الوالي

كان الشريف يتدخل في كل شيء في مكة ولكنه من طريق غير مباشر ، فكان أمر البادية راجعاً إليه ، يفصل في خصومات البادية ، وكان يضع الضرائب على المطوفين والحجاج والجمالة ، ويختص بها أو يتقاسمها مع الوالي التركي ، وكان الأشراف يمنحون حق التطويق لمن يريدونه من أهل مكة : إما مقابل خدمة قام بها الشخص لهم ، أو مقابل مبلغ من المال ، وهذا يفسر لنا الثروة التي جمعها الأشراف أثناء حكمهم في الحجاز ، وبالطبع كان الناس في طريق معاملتهم للحجاج يتبعون

الخطوة التي يرسمها الشريف ، وربما كان الشريف حسين في السنين الأولى من حكمه أفضل الأشراف خلقاً ، وأعلامهم نفساً ، وأنزههم كفاً

أما علاقة الناس بالحكام في سائر البلاد العربية فعلاقة قائمة على الصداقة والولاء للحكام ، والحكام أنفسهم لا يترفعون عن مخالطة الأهالي ، غير أن الأشراف كانوا يترفعون عن مخالطة الناس ، وبكبرهم يضرب المثل في سائر الجزيرة العربية ولقد قضت الثورة العربية على الملك حسين أن يغير الوضع الإداري الذي كان سائداً في الحجاز بوضع آخر يتفق مع روح الثورة وما يتطلبه العرب منه ، فأمر في أوائل سنة ١٣٣٥ — سنة ١٩١٧ بتأليف وزارة ، كما أمر بإحداث مجلس شيوخ معين من قبله لوضع القوانين والنظم الإدارية ، غير أن الباحث في سجلات الحكومة الهاشمية يرى أن الملك حسين كان المتصرف في كل صغيرة وكبيرة ، وأن الوزراء والمجلس لم يكونا إلا طلاء ، كما أنه لم يكن هناك نظام لتوزيع العمل والمسئوليات ، فأقل المسائل أهمية تأخذ سلسلة طويلة من التحويل من وزارة إلى أخرى حتى تنتهي إلى الملك الذي يأمر فيطاع . وبجانب هذه التشكيلات الإدارية قد وضع الملك حسين موظفين خاصين للفصل في منازعات البدو — لأنها تحتاج إلى السرعة

أما الحكومة الحالية فإن الملك عبد العزيز قد ألغى أولاً النظام الذي أسسه الملك حسين لأنه لم يرق في نظره : فالغى الوزارة وجعل السلطة التنفيذية في يده ، وعين بضعة مديرين للدوائر الهامة : بعضهم مرتبط مع جلالته رأساً ، وبعضهم مرتبط بسمو نائبه العام ، وسلطة هؤلاء المديرين تضيق وتتسع باعتبار شخصياتهم ورضا الملك عنهم ، وبجانب النائب العام كان مجلس صغير معين من بضعة أشخاص ومستشارين معينين لمساعدة سموه ، وقد تغير هذا النظام تدريجاً فبدلاً من مجلس الإدارة أسس مجلس الشورى من نخبة المعلمين وأعيان البلاد ، وبدلاً من المديرين

عين بضعة وزراء للخارجية والداخلية والمالية والدفاع ، غير أنه للآن لم يوضع نظام لتوزيع الأعمال وتحديد المسؤوليات ، فالأعمال لا تزال ترجع إلى سمو النائب العام ، الذى بدوره يحول أكثرها إلى جلالة الملك تخلصاً من المسؤولية ، كما أن مجالس الشورى ليس له حدود معينة ، فكثير من المسائل الصغيرة تحول إليه فى الوقت الذى يفصل دونه فى مسائل عظيمة الأهمية

وبالإجمال فإن أمراء العرب اعتادوا الاعتماد على أنفسهم فقط ومباشرة صفار الأمور وكبارها ، وليس فيها نظام لتوزيع الأعمال ، على أن نظاماً كهذا يفتقر إلى موظفين يحوزون ثقة الملك ورضاءه الدائم ويعملون لصالحه وصالح بلاده بكل نزاهة ، ومهما كانت عيوب النظام الإدارى فإن شخصية الملك عبد العزيز وجهه للعدل ، وحرصه على صالح شعبه ، وسهره الدائم على مصالح رعيته ، ومواصلة الليل بالنهار فى مراقبة صفار الأمور وجليها ؛ جعل أكثر الأعمال تسير فى طريق مرضى بفضل شخصيته وشخصية أنجاله المباشرين للأعمال

السياسة الخارجية

لم يكن لأمرء العرب اهتمام بالسياسة الخارجية ، لأن أمراء بعض هذه البلاد تمنعه المعاهدات المفقودة بينه وبين إنجلترا من مخافة أى دولة أجنبية مثل الكويت والبحرين وعمان ، وبعضها كنجدة والحجاز كان معدوداً دولياً من الامبراطورية العثمانية ، على أن كثيراً من شيوخ العرب لا يفهمون السياسة الخارجية على وجهها الصحيح

لقد سألنى قبل أربعة سنوات أحد شيوخ البحرين عن حقيقة ما أشيع من أن جلالة الملك سيقبل تعيين أحد القناصل فى القطيف أو فى الاحساء . فقلت له : إن الإشاعة غير صحيحة ، ولكن ماذا يمنع من ذلك إذا كانت هنالك مصالح

للعرايا الانجليز مثل الهنود وغيرهم توجب تعيين قنصل . فقال : إذا قبل الملك ذلك فعلى بلاده السلام ؛ إن الراية الانجليزية ما رفعت على بلد إلا وأعقبها الاستيلاء عليه . فقلت له : إن هذا غلط عظيم ، فما دمت لا تترك بابك مفتوحاً فلا الانجليز ولا غيرهم يدخلون ، وإن رفع الراية على القنصلية ليس معناه أن البلد تابع للانجليز ، فنحن يمكننا أن نرفع رايتنا في بلادهم وفي الهند . فقال : لقد رأيت ما صنعوا في البحرين ؟ إنهم في خمسين سنة قضوا على كل نفوذ لشيوخ البحرين :

فأجبت أنه أعتقد لو أن شيوخ البحرين كانوا ساهرين على مصالح رعاياهم ومصالح الساكنين في جزيرة البحرين ما تدخل الانجليز في شئون البحرين ، ولكن كيف يقف الانجليز مكتوفي الأيدي وأموال رعاياهم ورعايا غيرهم من الدول في خطر ، ولست في حاجة إلى بحث الحوادث الكثيرة التي تقلبت فيها البحرين من جهة اختلال الإدارة ، فإن ذلك معروف . فقال الشيخ : مهما كان الأمر فقد كان يجب النصح والإرشاد فقط ، وعلى كل حال فأرجو أن يعتبر الملك عبد العزيز بحيرانه ولا يقبل تعيين قنصل في بلاده

وهذا الشيخ في الواقع يعبر أحسن تعبير عن العقلية السائدة في جزيرة العرب ، بل لقد امتنع أهل دُبَيّ من ساحل عمان من وضع كرتينة في بلادهم سنة ١٩٢٨ وقت حدوث الكوليرا في العراق ، وقالوا لا ترم البواخر ببلادنا حتى تصبح حالة البصرة الصحية مرضية ، ولا داعي لإقامة محجر صحي في بلادنا ، وامتنعوا أيضاً عن قبول إنشاء محطة للطيران في بلادهم ، كل هذا ابتعاداً عما يمكن أن يقع لبلادهم مثل ما وقع في البحرين

أشراف مكة

كانت مكة حتى سنة ٣٥٨ هـ إمارة تابعة لبغداد ، شأنها في الإدارة شأن
سائر الإمارات التابعة للخليفة

ولما استولى الفاطميون على مصر واقتطعوها مع بعض البلدان الأخرى من
بلاد الخليفة العباسي استقل الأشراف الحسينيون بمكة ، وأولهم جعفر بن محمد بن
الحسين بن محمد الثائر ، وهؤلاء الأشراف أربع طبقات : الموسويون أو بنو موسى ،
والسليمانيون ، والهواشم ، وهذه الطبقات الثلاث حكمت مكة من سنة ٣٥٨ إلى
سنة ٥٩٨ هـ أي ٢٤٠ سنة

والطبقة الرابعة قتادة وبنوه وهؤلاء حكموا من ٥٩٨ هـ إلى سنة ١٣٤٤ هـ
وهي السنة التي أجلى فيها الملك على بن الحسين عن جدة

والواقف على تاريخ الأشراف في الحجاز يرى أنه تاريخ مملوء بالدماء والفظائع ،
فالشريف منهم في سبيل الإمارة لم يكن يتورع عن قتل أخيه وأبناء عمومته في
سبيل الحكم ، ولقد بلغت ببعضهم القسوة أن قتل أخاه وطبخ لحمه ودعا إخوانه
الباقيين لوليمة قدم لهم فيها لحم أخيه ؟ !

لقد كان الأشراف في سبيل الإمارة يستعينون بكل من يمكن الاستعانة به
من أمراء الحج المصري أو الشامي ، كما أن النفوذ المصري في الحجاز كان يظهر
تارة ويختفي أخرى ، كان تارة مباشراً وأخرى غير مباشر إلى أن فتح الأتراك
مصر سنة ٩٢٢ هـ فقدم شريف مكة طاعته للسلطان سليم الذي بويع بالخلافة
ولقب بخادم الحرمين الشريفين ، وكان نفوذ الأتراك والمصريين يظهر تارة ويختفي
أخرى ، وكلما أنس الأشراف ضعفاً من الأتراك والمصريين وسعوا نفوذهم إلى

الجهات المجاورة . ولما ضعف الأتراك في القرنين الماضيين وساد الاضطراب مصر أصبح الأشراف ذوى الكلمة المسموعة في الحجاز والنفوذ الفعلى ، ولو أنهم مازالوا يتظاهرون بأنهم خدام السلطان ويخطبون باسمه في المساجد . وإلى القرن الثامن عشر كان حق انتخاب شريف مكة محصوراً في بنى بركات (نسبة إلى الشريف بركات بن السيد حسن الجملان الذى خلف أباه سنة ١٨٢٩ هـ وهو من جهة أمه ينتسب إلى الهواشم الذين خلعوا من حكم مكة سنة ٥٩٨ هـ)

وبعد حروب بين بنى بركات ومنافسيهم من القبائل غلبوا على أمرهم ، وتسلم الإمارة ذوو زيد ولم يكن فيهم منصب شريف مكة وراثياً ، ولكنه على كل حال بقى في هذه القبيلة حتى غلبت على أمرها ، فكان بمجرد موت الشريف يعلو إلى المنصب أقوى العائلة سلطاناً وأكثرهم أنصاراً ، وربما كان أقوى الأشراف في القرن الثامن عشر الشريف سرور ١١٨٦ هـ — ١٢٠٣ هـ فإنه أول من أذل الأشراف وكسر شوكتهم وسلطانهم وأسس حكماً عادلاً في مكة .

لقد كانت عادة الأشراف أن يكون في بيت كل شريف ٣٠ — ٤٠ عبداً مسلحاً عدا الخدم والأقارب ، ومن يمت إليه بصلة القرابة من البدو الذين يعيشون بتربية الغنم والإبل وعطايا الحجاج ، وكان الأشراف قبل حكم الشريف سرور كلهم حكاماً في مكة قلما يخضعون لأوامر شريف مكة ، وكان همهم جمع المال بكل الوسائل الممكنة ، فكانوا كثيراً ما يفتالون الحجاج ويقطعون عليهم الطريق بين جدة ومكة ، أو مكة والمدينة ، بل كثيراً ما كانوا يفتالون الحجاج في بيوتهم مما تأباه شيمة العربى الكريم

فبعد جهاد طويل تمكن الشريف سرور من إخضاع الأشراف فجعل سكان مكة يحبونه من كل قلوبهم ، وكان هو نفسه خير قدوة للطبقة الوسطى في بساطة حياته وتواضعه وكرمه لأهله وعشيرته ، مع اشتغاله بالشجاعة النادرة والذكاء المتوقد

أما ما رواه بر كهرت من أن الشريف سروراً اكتفى بنفى المتآمرين عليه ، فإنه يخالف ما رواه السيد دحلان من أن الشريف صلب رئيس العصاة ومثل ببعض العبيد وقتل البعض الآخر

ويلى سروراً فى الشهرة الشريف غالب وإن كان دونه فى حب العدل ، وفى أيام غالب غزا السعوديون الحجاز ، كما أنه فى أيامه أيضاً كان غزوة المصريين للحجاز ونجد ، وقد قبض عليه محمد على باشا ونفاه إلى سلا نيك حيث مات هنالك وبعد استرداد مكة بأيدى القوات المصرية قوى النفوذ التركى والمصرى ، وأصبح الأشراف خاضعين تمام الخضوع لأوامر الباب العالى . وقد أراد المصريون أن يكون نفوذهم فعلياً فعينوا الشريف محمد بن عون وجعلوا إلى جانبه محافظاً فى مكة ومحافظاً فى جدة ، كما أنهم وضعوا لأول مرة حامية أجنبية فى مكة لتضمن لهم السيطرة والسلطان وتحول دون انتقاض الأشراف عليهم

ولما انسحبت الحاميات المصرية سنة ١٢٥٦ هـ حسب الصلح الذى تم بين السلطان عبد المجيد ومحمد على استبدل بالولاة المصريين الولاة الأتراك ، كما استبدلت بالحاميات المصرية الحاميات التركية فى مكة والمدينة والطائف وجدة ، وأصبح الأشراف يعينون ويعزلون حسب أوامر الباب العالى المطلقة ، غير أن هذا لم يمنع الأشراف من إرهاب الحجاج وظلم السكان

كان الباب العالى يرسل رئيس القضاة إلى مكة كل مدة معينة لضمان العدل ، وحتى يكون القضاء مستقلاً عن الحكم ، فلا يكون للأشراف نفوذ أو تأثير فى قضاء القاضى ، ولكن هذا الغرض لم يحصل إلا نادراً ، وكان أكثر القضاة آله فى يد الشريف مكة ، وفى الغالب لا يحكم فى الدعوى قبل أن تقدم الهدايا للقاضى وكان سكان مكة معينين من جميع الضرائب الشخصية والعقارية ، غير أن

الأشراف كانوا يضعون ضرائب صغيرة على الأغنام والمواشى ، كما كانوا يضعون ضرائب على الحجاج وقوافلهم

وفي سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م رشح كامل باشا الصدر الأعظم الشريف حسين بن علي أميراً على مكة بعد وفاة ابن عمه الأمير عبد الإله في طريقه إلى مكة ، وكان قد اختير شريفاً لمكة خلفاً للأمير علي باشا الذي خلع من الإمارة وأبعد مع عائلته إلى مصر

ولد الشريف حسين بن علي سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) بالآستانة وبقى مع والده مدة فيها ، ثم ذهب إلى مكة ببيعة والده الذي عين أميراً لمكة ، وبقى بها إلى أن تولى إمارة مكة عمه الشريف عون الرفيق سنة ١٢٩٩ هـ فطلب إبعاده عن مكة لأنه خطر على الأمن فأبعد إلى الآستانة ، وبقى بها حتى أسندت إليه إمارة مكة ، وقد اختير الشريف حسين للعمل على نشر السلم في بلاد العرب وتقوية نفوذ الأتراك فيها بعد أن كاد نفوذهم يتصدع ، وقد عمل الشريف مكة في هذا السبيل بكل ما أوتي من قوة لأنها تتفق مع الخطة التي كان يضرها في نفسه من تقوية نفوذه و بسط يده على بلاد العرب

لقد سافر سنة ١٣٢٧ هـ ١٩١٠ م على رأس الحملة التي أعدت لتأديب الإدريسي الشاق عصا الطاعة على الأتراك ، فدحر قوات الإدريسي ودخل أبها دخول الفاتح الظافر ، وفي السنة نفسها سافر على رأس قوة وصلت للشعرا^(١) لإجبار حاكم نجد على الاعتراف بتبعية عتبية للحجاز

وإذا كان الأشراف قد سلكوا في الناس مسلك الكبر والجبروت والترفع عن الناس وعدم مخالطتهم ، فإن الشريف حسيناً قد امتازت أيام إمارته الأولى

(١) الشعرا : أول قرى نجد من ناحية الحجاز

بالتواضع والعدل والغيرة على أهل مكة والدفاع عن مصالحهم ، كما أنه اشتهر أيضاً بالشجاعة وعلو النفس وتقواء الذليل

لقد وقف الشريف حسين في وجه جميع الإصلاحات التي كان يريد الأتراك الاتحاديون القيام بها في الحجاز ؛ لأنه رأى من خلالها تقوية نفوذ الأتراك وشل يده عن العمل في الحجاز ، فعزقل مَدَّة سكة حديد (جدة — مكة) كما عزقل مد طريق مكة إلى الطائف من جهة جبل كَرَى

لقد سمعنا ونحن في الآستانة سنة ١٩١٢ م ما يهيجس به الأتراك نحو الشريف مكة ، ومن سوء ظنهم به وبخديوى مصر السابق وعزمهم على التخلص منه ، ولكن الشريف تمكن من التغلب عليهم وعلى التخلص من مؤامراتهم ، واستعد سراً للتخلص من سيادتهم ونفوذهم على الحجاز ، فاختار الوقت المناسب له فأعلن الثورة عليهم وتغلب على حامياتهم الواحدة بعد الأخرى حتى دانت له الحجاز كلها



العرب والترك

فى القرن العاشر الهجرى بسط الأتراك نفوذهم على سائر البلاد العربية : الحجاز واليمن وسواحل الخليج الفارسى ، وأصبح القسم الأكبر منها جزءاً من الامبراطورية العثمانية ، وبقيت معتبرة جزءاً منها فى العرف الدولى حتى إعلان الصلح مع تركيا كانت الثورات تقوم من وقت لآخر فى بلاد العرب بين الحكومة التركية وبين الأمراء المحليين سعيًا وراء الاستقلال الداخلى ، مرة فى اليمن وأخرى فى عسير ، وآونة فى نجد ، وطوراً فى سوريا ، فكانت هذه الثورات نتيجة للعسف التركى ، أو لجهل الأتراك عادات وتقاليد العرب

إن الواقع الذى لا ينكر أن الأتراك كانوا رجال فتح وحرب ، ولم يكونوا رجال تعمير وتمدين ؛ فالبلاد التركية والبلاد العربية التى خضعت للسيادة التركية مدة طويلة كانت فى التقهقر والتأخر سواء ، لذلك انضم أحرار العرب ومتعلوهم من ضباط وغيرهم إلى أحرار الأتراك ، وعملوا معهم فى الجمعيات السرية واشتركوا معهم فى جميع الأعمال الثورية التى أسقطت السلطان عبد الحميد ونجحت فى إعلان الدستور العثمانى فى تركيا

كان متعلمو العرب يأملون أن بلادهم فى ظل الدستور سيشملها الإصلاح الذى هى فى أشد الحاجة إليه ، ولكن الأمل خاب ، فإن شبان الأتراك أخذوا ينظرون إلى الشعب العربى عامة وإلى زملائهم خاصة ، لا نظر الأخ إلى أخيه بل نظر الحاكم الغشوم إلى المحكوم ، فلم يكن بُد لقادة العرب المتعلمين من النظر فى أمرهم وأمر بلادهم ، ووضع حد لغلو الأتراك ، فألفوا الجمعيات السرية فى الجيش ، كما

ألفوا الأحزاب السياسية للدفاع عن حقوق العرب ولإصلاح البلاد العربية ، وأهم هذه الجمعيات :

الجمعية القحطانية

تشكلت في الآستانة سنة ١٩٠٩ م من قبل وزير الأوقاف خليل حمادة باشا ، والسيد عبد الحميد الزهراوى ، وسليم بك الجزائرى وزملائهم

جمعية العهد

شعبة من الجمعية القحطانية ، أسسها عزيز على بك المصرى بعد عودته من طرابلس الغرب سنة ١٩١٣ م وحصرها في ضباط العرب

حزب اللامركزية

تألف في مصر سنة ١٩١٢ م من السيد الزهراوى ورفيق بك العظم ، والسيد رشيد رضا ، وحقى بك العظم وزملائهم ، وغايته الوصول بكل الوسائل المشروعة إلى تأسيس حكومة لامركزية في جميع الولايات العثمانية كانت جميع هذه الجمعيات على اختلاف منازعها تواصل مساعيها في بث الدعوة القومية وإنهاض الروح العربية ، فأنشأت الفروع والشعب في معظم المدن العربية : بغداد ودمشق وحلب وحمص وحماة وبيروت

وفي سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ م أخذت الصحف العربية والتركية تناقش بعضها بعضاً مناقشات كانت حادة في كثير من الأحيان ، وأخذ مُتطرفو الأتراك يؤلفون الكتب في الطعن في العرب وكل ماله علاقة بالعرب ، واتهموا القائمين بالحركة الإصلاحية بأنهم يعملون لحساب الأجانب وأن الأيدي الأجنبية هي التي تدير هذه الجمعيات

لم يكن حزب من الأحزاب العربية يرمى إلى الانفصال عن الترك ، بل كل ما كان يرمى إليه الجميع هو الإصلاح العربى وإحياء القومية العربية وبقاء العرب بجانب الأتراك كأخوة وحلفاء لا كسيد ومسود

المؤتمر العربى بباريس

فكر متعلمو العرب المقيمون فى باريس فى عقد مؤتمر عربى ، فخابروا الجمعية اللامركزية فى مصر بفكرتهم وحددت المسائل التى ستكون مدار البحث وهى :

- (١) الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال
- (٢) حقوق العرب فى المملكة العثمانية
- (٣) ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية
- (٤) الهجرة من سوريا وإليها

فوافقت اللجنة العليا على الاقتراح ، وقررت إرسال مندوبين من قبلها ، فانعقد المؤتمر العربى فى القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية فى باريس من ١٨ يونيو سنة ١٩١٣ م إلى ٢٣ منه ، وقد قال السيد عبد الحميد الزهراوى فى خطبة افتتاح المؤتمر :

« إن العرب كانوا أَلْفُوا التُّرك ، وهؤلاء قد أَلْفُوا العرب منذ عشرة قرون ، ولكن كما مزجت بينهم السياسة فرقت بينهم السياسة أيضاً ، ولم يبق من ذلك الامتزاج القديم إلا رابطة بين البعض ، وهذه الرابطة لا تزال تعد ثمينة عند الترك والعرب معاً ، ولكنها مع عزتها قد أصبحت مهددة بالسياسة أكثر مما كانت من قبل ، ومعلوم أن السياسة فى هذه المملكة بيد الترك ؛ ولذلك تعرفها أوروبا أنها تركية ، فلما رأى العرب الآن ماوصلت إليه هذه المملكة بتلك السياسة التى مضى العمل عليها حتى الآن ، وكانوا حريصين على البقية الباقية من تلك الرابطة ،

تنبهوا إلى واجب عظيم كان الترك والعرب جميعاً غير مهتمين به كما ينبغي ، وهو اشتراك الفريقين في سياسة البلاد ، فإنه قد تبين واضحاً أنه لا العرب انتفعوا ببراءتهم من ذنب إضاعة البلاد ولا الترك انتفعوا بتحملهم وحدهم تبعه ذلك العبء الثقيل ، وبدى أن هذا الاشتراك لا ينافي الإخاء بل الذى ينافيه هو عدم هذا الاشتراك »

قلقت جمعية الاتحاد والترقى لهذه الحركة فأيقنت أنها ان لم تعالج الموضوع بحكمة وعقل ؛ فإن بلاد العرب قد تفلت من أيديهم ، وأيد هذا الاعتقاد فى نظرم اغتيال قومندان البصرة بيد أعوان السيد طالب النقيب ، وانتزاع الاحساء والقطيف من أيديهم بيد الأمير ابن السعود ، وهم كما قدمنا يعتقدون أن الحركة العربية وليدة تحريضات الأجانب لا الشعور بالحاجة إلى الإصلاح

بدأت الحكومة العثمانية تستعمل الشدة فى أول الأمر ، فألقت القبض على عدة من أعضاء الجمعية الإصلاحية فى بيروت ، فأغلقت المدينة دكا كينها أياماً ، فأخرجهم الوالى من السجن ، وأخيراً رأت أن تعالج المشكلة بالطرق السياسية ، وأرسلت جمعية الاتحاد والترقى مدحت شكرى بك سكرتيرها إلى باريس ليتفاوض مع أحرار العرب ، ويتفق معهم على خير الطرق التى تعيد إلى الأمتين العربية والتركية الثقة المتبادلة ، والصداقة الوطيدة القديمة التى ربطت بين الشعبين قروناً طويلة ، فاتفق الفريقان على أكثر المسائل المختلف عليها

وأصدرت الحكومة العثمانية فى أوائل أغسطس سنة ١٩١٣ م القرار الرسمى التالى :

إنه بالنظر للضرورات واختلاف الأمزجة فى الولايات العثمانية إلى وجوب ترقية البلاد واسعاد أهلها وزيادة رفاهيتهم ، تقرر بعد الاتكال على الله ومفاوضة الولايات (١) أن يعهد فى إدارة الأوقاف الموقوفة على أعمال الخير المحلية إلى المجالس المحلية فى الولايات حسب قانون ينشر قريباً

(٢) أن تكون الخدمة العسكرية في زمن السلم في دائرة التفتيش ، إلا إذا رأت الحكومة أن هنالك من الأسباب ما يدعو إلى حشد الجنود في جهة من الجهات فترسل الجنود على الطريقة النسبية

(٣) يكون التدريس باللغة العربية في الجهات التي يتكلم أكثر سكانها اللغة العربية ، ويبدأ بذلك في المكاتب الرشدية والإعدادية ، والاستعداد لتوفير الأسباب في التعليم العالي

(٤) يختار الموظفون من الآن من الواقفين على اللغة العربية علاوة على اللغة التركية ، ويعين الموظفون الثانويون من الولاية رأساً حسب قانون الولايات

وعلى أثر ذلك تبادل العرب والترك الزيارات ، وأظهروا رضاهم وولاءهم للأتراك ، وفي الوقت نفسه عمل الأتراك على إيقاع الشقاق بين قادة العرب ، فعينوا السيد الزهراوي رئيس مؤتمر باريس عضواً في مجلس الأعيان ، وعينوا بعض شبان العرب في بعض الوظائف الهامة ، فاشتد غضب الشبيبة العربية على هؤلاء الذين قبلوا الوظائف ورموهم بخيانة الأمانة التي أوتمنوا عليها

أما الإصلاحات فبقيت حبراً على ورق ، وأراد الأتراك أن ينالوا من العرب بالتسويق والمطل ويضربوا زعماء الحركة الواحد تلو الآخر ، غير أن ذلك لم يطل كثيراً ؛ فإت الحرب العامة قد استعر لهيبها وأظهر الأتراك ميلهم إلى الألمان وأخيراً انضموا إليهم



الثورة العربية

كان الشائع في الدوائر التركية العليا أن شريف مكة يعمل في الخفاء على الانفصال من الأتراك ، وأن أولاده أثناء مرورهم بمصر يمهّدون الطريق لذلك بواسطة اللورد كتنشر ، وأن شريف مكة لا يحاول الانفصال فقط من الأتراك بل يعمل أيضاً لاستعادة الخلافة منهم ، وكان يقوى هذه الإشاعات عند الأتراك مقاومة الشريف لكل عمل إصلاحى يراد إدخاله إلى الحجاز ، فصمموا على التخلص منه فعينوا وهيب بك والياً للحجاز للقيام بهذه المهمة ، ولكن شريف مكة كان عالماً بكل ما كان يدبره الأتراك له في الخفاء ، وكان يطلع على جميع المحادثات التي بين الوالى ووزارة الداخلية والحربية في الآستانة ، ولذا كان يعمل لإحباط المساعى من جانب وهيب بك والحذر من الوقوع في الفخ ، وهو يعلم أنه ليس أول شريف خلعه الأتراك من إمارة مكة

أعلن الأتراك الجهاد على الحلفاء ، ووزعوا المنشورات في سائر الولايات التركية كما أرسلوها سرّاً إلى بعض الجهات الخاضعة للحلفاء ، وظنوا أن المسلمين سيتبعونهم ، وكانوا جاهلين تمام الجهل حالة الإسلام والمسلمين المعنوية والمادية ، وغرهم بعض الزعماء بأن أى حركة يقوم بها الأتراك ضد إنجلترا أو فرنسا لا تلبث أن توقد النار في المستعمرات البريطانية والفرنسية ، ولكن الحوادث كشفت خطأ الأتراك فيما تخيلوه . ولسنا ننكر ما حدث من الأثر بسبب دخول تركيا الحرب ضد الحلفاء ، ولكن الأثر لم يكن عظيماً فإن ما أخذه الحلفاء من الاحتياطات وما بثوه من الدعايات في كل مكان قد أحبط مساعى الأتراك والألمان

دخل البريطانيون في مفاوضات مع الشريف حسين لوصل ما انقطع من

المفاوضات مع اللورد كيتشر ، واتفق الانجليز وشريف مكة على خطة العمل ،
وانتاهنا لا نريد أن ننقل رأى الترك فى حركة الملك حسين ولا أن نعيد ما نشره
بعد الثورة العربية ، ولا نريد كذلك أن نعيد ما نشره الملك حسين لتبرير ما قام
به من الثورة ضد الأتراك الذين أجلسوه على امارة مكة ، ولكن الشئ الذى
لا يمكن أن يدفع ، والذى أدمى قلوب العرب هو تلك المأساة التى قام بها جمال باشا
فى الشام من قتل وتغريب ومصادرة ؛ مما جعل شريف مكة يتعجل الثورة قبل
أن يصل إليه الدور ، فقد قاموا يتآمرون على خلعه والانتقام منه ومن أولاده
فأحبط مساعيهم ، وأبطل خططهم بعد أخذ ما تمكن منه من ماله وسلاحهم ،
وقد أوقفت الثورة العربية طغيان جمال باشا وأبدلت شدته ليناً ، ولكن الجرح
الذى أحدثه فى قلوب العرب لم يندمل

مقررات النهضة

يسمى الملك حسين الكتب المتبادلة بينه وبين الانجليز مقررات النهضة أى
الأسس التى قامت عليها الثورة العربية
والخباير التى كانت دائرة بين الملك حسين والحكومة البريطانية حتى
اعلان الثورة ضد الأتراك كانت سرية شخصية لم يشترك فيها أحد من أمراء
العرب أو قادتهم ، حتى أبناء الملك حسين لم يكونوا محيطين بهذه الخباير كما
كان يجب أن يكون ، وقد صرح المرحوم فيصل لأحد مراسلى الصحف العربية
بأن الحجج التى يجب أن يتذرع بها لم يكن يملكها ؛ لأن والده لم يرسل إليه وهو
فى باريس الكتب الرسمية التى تعهد فيها الانجليز بتكوين المملكة العربية
ونرى لزماً علينا أن ننشر الكتب الأربعة ونعقبها برأى الملك حسين فى
الامبراطورية العربية ، ثم رأى الجانب البريطانى وما يدلى به من الحجج للرد على
(تاريخ الحجاز — ١٢)

ما يمتسك به الملك حسين تاركين الحكم للقارئ ، فليس من غرضنا اصدار الحكم على هذا الفريق أو ذاك ، بل الغرض الأسمى هو نشر مالدينا من الوثائق لخدمة التاريخ العربي

الكتاب الأول

إلى السيد الحسيب النسيب ، سلالة الأشراف وتاج الفخار ، وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الأحمدية ، صاحب المقام الرفيع ، والمكانة السامية ، السيد الشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل دولتو الشريف حسين سيد الجميع ، أمير مكة المكرمة قبله العالمين ، ومحط رجال المؤمنين الطائفين ، عمت بركته الناس أجمعين

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة ، والتسليمات القلبية الخالصة في كل ثانية ، نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لآظهاركم عاطفة الإخلاص ، وشريف الشعور والإحساسات نحو الانجليز ، وقد يسرنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأى واحد ، وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الانجليز ، والعكس بالعكس ، ولهذه النية فنحن تؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتنشر التي وصلت سيادتكم عن يد على أفندى ، وهي التي كان موضعاً بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها ، وإنا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة . وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم ، فالمفاوضة فيها يظهر أنها سابقة لأوانها ، وصرف للاوقات سدى في مثل هذه التفاصيل ، في حالة أن الحروب دائرة رحاها ، ولأن الأتراك أيضاً لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً ، وعلى الأخص ما علمناه

وهو ما يدهش ويحزن ، أن فريقاً من العرب القاطنين بتلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها ، وبدل اقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة إلى الألمان والأتراك . نعم مد يد المساعدة لذلك النهاب السلاب الجديد وهو الألمان ، وذلك الظالم العسوف وهو الأتراك ومع ذلك فاننا على كمال الاستعداد لأن نرسل إلى ساحة دولة السيد الجليل ما تحتاجه البلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المتوفرة في البلاد المصرية ، وستصل بمجرد اشارة سيادتكم ، وفي المكان الذي تعينونه ، وقد عملنا الترتيبات اللازمة بمساعدة رسولكم في جميع سفراته إلينا ، ونحن على الدوام معكم قلباً وقالباً ، مستنشقين رائحة مودتكم الزكية ، ومستوثقين بعري محبتكم الخالصة ، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا وفي الختام أرفع إلى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي ما

الخلص

السير ارثر مكماهون

نائب جلالة الملك

تحريراً في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ — ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥

الكتاب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فرع الدوحة المحمدية ، وسلالة النسب النبوي ، الحسيب النسيب دولة صاحب المقام الرفيع ، الأمير العظيم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العليا ، جعله الله حرزاً منيعاً للإسلام والمسلمين بعونه تعالى آمين . وهو دولة الأمير الجليل الشريف حسين بن علي أعلى الله مقامه

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم ، المؤرخ بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ ، وبه من عباراتكم الودية المحضة واخلاصكم ما أورثه رضاء وجبوراً
إني متأسف أنكم استنتجتم من عبارة كتابي السابق أني قابلت مسألة الحدود
والتخوم بالتردد والفتور ، فان ذلك لم يكن القصد من كتابي ، ولكني رأيت
حينئذ أن الفرصة لم تكن حانت للبحث بعد في ذلك الموضوع بصورة نهائية
ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الأخير أنكم تعتبرون هذه المسألة من
المسائل الهامة الحيوية المستعجلة ، فلذلك قد أسرعت في إبلاغ حكومة بريطانيا
العظمى مضمون كتابكم ، وإني بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات
الآتية التي لاشك في أنكم تنزلونها منزلة الرضى والقبول

إن ولايتي مرسين واسكندرونه ، وأجزاء بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية
لولايات دمشق الشام ، وحمص ، وحماة ، وحلب ، لا يمكن أن يقال عنها إنها
عربية خالصة ، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة ، مع هذا التعديل
وبدون توخ للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب ، نحن نقبل
تلك الحدود

وأما من حيث الأقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة
التصرف بدون أن تمس مصالح حليفتها فرنسا ، فاني مفوض من قبل حكومة
بريطانيا العظمى أن أقدم الموائيق الآتية ، وأجيب على كتابكم بما يأتي :

(١) إنه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة
بأن تعترف باستقلال العرب ، وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في
الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة

(٢) إن بريطانيا العظمى تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي
وتعترف بوجوب منع التعدي عليها

(٣) وعند ما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها ،
وتساعدها على إيجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الأقاليم المختلفة

(٤) هذا وإن المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وإرشادات بريطانيا
العظمى وحدها ، وأن المستشارين والموظفين الأوربيين اللازمين لتشكيل هيئة
إدارية قديمة يكونون من الإنجليز

(٥) أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة ، فإن العرب تعترف بأن
مصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير إدارية مخصوصة لوقاية
هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي ، وزيادة خير سكانها ، وحماية مصالحنا
الاقتصادية المتبادلة

وإني متيقن بأن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل
بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابها العرب ، وتنتهي بعقد محالفة دائمية ثابتة معهم
ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الأتراك من بلاد العرب ، وتحرير الشعوب العربية
من نير الأتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال

ولقد اقتصرت في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الأهمية الكبرى ،
وان كان هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكر هنا فسنعود إلى البحث فيها في وقت
مناسب في المستقبل . ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة
الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وانها بفضل ارشاداتكم السامية وتدابيركم
الحكيمة قد أنزلت إلى البر بلا تعب ولا ضرر ، رغماً عن الأخطار والمصاعب التي
سببتها هذه الحرب المحزنة ، ونرجو الحق سبحانه وتعالى أن يعمل بالصلح الدائم
والحرية لأهل العالم . اني مرسل خطابي هذا مع رسولكم النبيل الأمين الشيخ
محمد بن عارف بن عارف ، وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل المفيدة التي هي
في الدرجة الثانية من الأهمية ولم أذكرها في كتابي هذا . وفي الختام أثبت دولة

الشریف ذا الحسب المنیف ، والأمیر الجلیل کامل تحیتی وخالص مودتی وأعرب
عن محبتی له ولجميع أفراد أسرته الکریمه ، راجياً من ذی الجلال أن یوفقنا جميعاً
لما فيه خیر العالم وصالح الشعوب ، فبیده مفاتیح الأمر والغیب یحرکها کیف
یشاء ونسأله تعالی حسن الختام والسلام ۞

نائب جلالة الملك

السبرارتر حکماھونہ

تحريراً فی يوم الاثنين ١٥ ذی الحجة سنة ١٣٣٣ — ٢٥ اکتوبر سنة ١٩١٥

الکتاب الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ساحة ذلک المقام الرفیع ذی الحسب الطاهر والنسب الفاخر ، قیلة
الإسلام والمسلمین ، معدن الشرف ، وطید المحتد ، سلالة مهبط الوحی المحمدی
الشریف ابن الشریف صاحب الدولة السید الشریف حسین بن علی أمير مكة
المعظم ، زاده الله رفعة وعلاء آمین . بعد ما یلیق بمقام الأمير الخطیر من التجلة
والاحترام ، وتقديماً خالص التحية والسلام ، وشرح عوامل الألفة وحسن التفاهم
والمودة الممزوجة بالحببة القلبية ، أرفع إلى دولة الأمير المعظم أننا تلقینا رقیمکم
المؤرخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ من ید رسولکم الأمين ، وقد سررنا لوقوفنا
على التدابير الفعلية التي تنوونها ، وانها لموافقة فی الأحوال الحاضرة ، وان حكومة
جلالة ملک بریطانيا العظمی تصادق عليها . وقد یسرني أن أخبرکم بأن حكومة
جلالة الملك قد صادقت على جميع مطالبکم ، وأن کل شیء رغبتم الاسراع فيه
وفی ارساله فهو مرسل مع رسولکم حامل هذا ، والأشیاء الباقية ستحضر بكل
سرعة ممکنة وتبقى فی بورت سودان تحت أمرکم لحین ابتداء الحركة . وإبلاغنا

إياها بصورة رسمية (كما ذكرتم) ، وبالمواقع التي يقتضى سوقها إليها والوسائط التي سيكونون حاملين الوثائق لتسليمها إليهم

إن كل التعليمات التي وردت في محرركم قد أعلمنا بها محافظ بورت سودان وهو سيجريها حسب رغبتكم ، وقد عملت جميع التسهيلات اللازمة لارسال رسولكم حامل خطابكم الأخير إلى جيزان حتى يؤدي مأموريته التي نسأل الله أن يكملها بالنجاح وحسن النتائج ، وسيعود إلى بورت سودان وبعدها يصلكم بحراسة الله ليقص على مسامع دولتكم نتيجة عمله

وننتهز الفرصة لنوضح لدولتكم في خطابنا هذا ما ربما لم يكن واضحاً لديكم ، وما عساه ينتج سوء تفاهم ، ألا وهو أنه يوجد بعض المراكز أو النقاط العسكرية فيها بعض العساكر التركية على سواحل بلاد العرب يقال إنهم يجاهدون بالعداء لنا ، والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الأحمر ، وعليه نرى من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدهم ، ولكننا قد أصدرنا الأوامر القطعية أنه يجب على جميع بوارجننا أن تفرق بين عساكر الأتراك الذين يبدأون بالعداء وبين العرب الأبرياء الذين يسكنون تلك الجهات ، لأننا لا تقدم للعرب أجمع إلا كل عاطفة ودية

وقد أبلغنا دولتكم ذلك حتى تكون على بينة من الأمر إذا بلغكم خبر مكذوب عن الأسباب التي تضرنا إلى أى عمل من هذا القليل . وقد بلغتنا اشاعات مؤداها أن أعداءنا الألداء باذلون جهدهم في أعمال السفن ليُبْثُوا بها الألغام في البحر الأحمر ولالحاق الاضرار بمصالحنا في ذلك البحر ، وانا نرجوكم سرعة اخبارنا إذا تحقق ذلك اليوم لديكم ، وقد بلغنا أن ابن الرشيد قد باع للأتراك عدداً عظيماً من الجبال ، وقد أرسلت إلى دمشق الشام ، ونؤمل أن تستعملوا كل مالكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك ، وإذا صمم على ما هو عليه أمكنكم

عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يقبضوا على الجمال حال سيرها ، ولا شك أن في ذلك صالحاً لمصلحتنا المتبادلة

وقد يسرنى أن أبلغ دولتكم أن العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد أحمد السنوسى ، وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الألمان والأتراك ، قد ابتدأوا يعرفون خطأهم ، وهم يأتون إلينا وحداناً وجماعات يطلبون العفو عنهم والتودد إليهم ، والحمد لله قد هزمت القوات التى جمعها هؤلاء الدساسون ضدنا . قد أخذت العرب تبصر الغش والخديعة التى حاقت بهم ، وإن لسقوط أرض روم من يد الأتراك وكثرة انهزوماتهم فى بلاد القوقاز تأثيراً عظيماً وهو فى مصلحتنا المتبادلة ، وخطوة عظيمة فى سبيل الأمر الذى نعمل له وتعملون له

ونسأل الله عز وجل أن يكلل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح ، وأن يمهّد لكم فى كامل أعمالكم أحسن السبل والمناهج . وفى الختام أقدم لدولتكم ولكامل أفراد أسرتكم الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والإخلاص مع المحبة التى لا يزعمها كرم العصور ومرور الأيام

كتبه المخلص

السبرارثر هنرى مكماهون

نائب جلالة الملك بمصر

تحريراً فى ٦ جادى الأولى سنة ١٣٣٤

الموافق ١٠ مارس سنة ١٩١٦

الكتاب الرابع

من السير مكاهون إلى الشريف حسين بن علي

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب الإحسان والرفعة وشرف المحتد ، سلالة بيت النبوة والحسب
الظاهر والنسب الفاخر ، دولة الشريف العظيم السيد حسين بن علي أمير مكة
المكرمة ، قبله الإسلام والمسلمين أدامه الله في رفعة وعلاء ، وبعد :

فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ الحجة سنة ١٣٣٢ وسرني ما رأيته
فيه قبولكم اخراج ولايتي مرسين وأطنه من حدود البلاد العربية

وقد تلقيت أيضاً بمزيد السرور والرضاء تأكيداً لكم أن العرب عازمون على
السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وغيره من السادة
الخلفاء الأولين — التعاليم التي تضمن حقوق الأديان وامتيازاتها على السواء —
هذا وفي قولكم إن العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا
مع رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعاً أن هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في
حدود الحكومة العربية ، لأن حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع أن تنقض
اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء . أما بشأن ولايتي حلب وبيروت
فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنها ودونت ذلك عندها
بعناية تامة ، ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيها ، فالمسألة تحتاج
إلى نظر دقيق ، وسنخبركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب

إن حكومة بريطانيا العظمى مستعدة لأن تعطي كل الضمانات والمساعدات
التي في وسعها إلى المملكة العربية ، ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة
ودية ثابتة كما رسمتم ، على أن صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظراً أدق وأتم

مما تسمح به الحالة الحاضرة ، والسرعة التي تجرى بها هذه المفاوضات ، وإننا نستصوب تماماً رغبتكم في اتخاذ الحذر ، ولسنا نريد أن نلقتكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم ، ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً أن تبذلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة ، وأن تحثوهم على أن لا يمددوا يد المساعدة لأعدائنا بأي وجه كان ، فانه على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن أن يتخذوها لاسعاف غرضنا عند ما يحىء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثنائه

وفي هذه الأحوال فان حكومة بريطانيا قد فوضت لى أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوى إبرام أى صلح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية ، وخلاصها من سلطة الأتراك والألمان

هذا وعربونا على صدق نيتنا ، ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسولكم الأمين مبلغ عشرين ألف جنيه ، وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية ، وخالص التسليمات الودية مع مراسم الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط الألفة والمودة الصرفة لمقام دولتكم السامى ، ولأفراد أسرتمكم المكرمة مع فائق الاحترام ما

المخلص

نائب جلالة الملك بمصر

السير ارثر هنرى مكماهون

تحريراً في ٨ صفر سنة ١٣٣٣ - ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٥

وقد فهم الملك حسين من هذه الكتب ومن أحاديثه مع المندوبين البريطانيين أن الحكومة البريطانية توافق على إنشاء مملكة عربية على الأسس الآتية :

(١) تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها ، وتكون حدودها شرقاً ببحر خليج فارس ، ومن الغرب ببحر القلزم ، والحدود المصرية والبحر الأبيض ، وشمالاً حدود ولاية حلب والموصل الشمالية إلى نهر الفرات ومجمّعه مع الدجلة إلى مصبها في بحر فارس ماعدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود ، وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أى شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحمل محلها في رعاية وصيانة حقوق تلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الأفراد

(٢) تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أى مداخله كانت بأى صورة كانت في داخليتها ، وسلامة حدودها البرية والبحرية من أى تعد بأى شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلى من دسائس الأعداء ، أو من حسد بعض الأمراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام لحين اندفاعه ، وهذه المساعدة في القيامات والثورات الداخلية تكون مدتها محدودة ، أى لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية

(٣) تكون البصرة تحت إشغال^(١) العظمة البريطانية حينما يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ، ويعين من جانب تلك العظمة مبلغاً من النقود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية ، التى هى حكمها قاصرة في حصن بريطانيا ، وتلك المبالغ تكون في مقابلة الاشغال

(٤) تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة ومهماتا والذخائر والنقود مدة الحرب

(٥) تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو مناسب من

(١) احتلال ، وهذا تعبير الملك حسين

النقط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها هذه هي الحكومة العربية التي كان يتخيلها الملك حسين ، ويسعى لها بمختلف الوسائل ، وسواء كانت هذه الحكومة بهذا الشكل تتفق مع آمال أحرار العرب أم لم تتفق ، فالملك حسين كان يرى أن حكومة عربية يكون هو على رأسها تسندها بريطانيا بملأها وسلاحها ستكون مقدمة الحكومة العربية مستقلة استقلالاً من جميع الوجوه

بدأ ينفذ خطته باعلان نفسه ملكاً على العرب في أوائل سنة ١٣٣٥ — ١٢٩ أكتوبر سنة ١٩١٦ ، فكان هذا الإعلان الذي لم يسبقه تفاهم مع أمراء العرب ولا مع الحلفاء أنفسهم مثيراً لشكوك أمراء العرب ، كما أنه لم يقابل بالارتياح من قبل الانجليز والفرنسيين

فالملك ابن سعود يقول إنه احتج على إعلان الملك حسين نفسه ملكاً على العرب ، فانه حين كتب إليه عقب هذا الإعلان يطلب الدخول في مفاوضات لتحديد حدود نجد والحجاز والقبائل التابعة لكلا البلدين ، أجابه الملك حسين أى حدود تطلب إنك إما مجنون أو سكران ، فلم يسع أمير نجد إلا الاحتجاج على هذه الالهانة ، وأندرانجلترا بأن الحالة ستضطره للدخول في قتال ضد الملك حسين لأن الرجل يضم الشر لنجد وأمير نجد ، فتدخل الانجليز في الأمر مؤقتاً وحالوا دون وقوع الحرب بين الفريقين ، وبذلك سكنت الزوبعة ، وفي الوقت نفسه اضطروا الملك حسيناً إلى إلغاء اللقب الجديد مكتفياً بملكية الحجاز

فكان هذا أول قنبلة أصابت آمال الملك حسين ، كما أنها دلت على أن الانجليز والفرنسيين لا يشاركون الملك حسيناً في فهمه للمملكة العربية

ولكن الملك حسيناً كان كله آمالاً أن جميع العقد ستحل بعد انتهاء الحرب لصالحه ، وأن المستقبل سيكون في مصلحته ، وأن انكاثرا ستعمل كل ما يمكن

لارضائه وارضاء أمانى العرب الذين ثاروا ضد الأتراك فى صف الحلفاء
وماذا كان يسع الملك حسيناً عمله بعد إعلان الثورة وطرده الأتراك من بعض
المدن الحجازية

وقد صرف الملك حسين كل همّه لإخراج الترك من الحجاز وصائر المدن
العربية ، مذكراً أنجلترا كلما سنحت الفرصة بالملكة العربية وآمال العرب فيها ،
وكان قواد إنجلترا فى بعض المناسبات يضربون على هذا الوتر الحساس مثل منشور
الجنرال مور بعد فتح بغداد وغيره من سياسى الحلفاء
وبما أن القضية العربية أخذت شكايها الجدى بعد أن وضعت الحرب أوزارها
وعلى مائدة مؤتمرات الصلح ، نرى لزوماً علينا أن نعالجها بشيء من التفصيل
مستعينين بضوء الوثائق لا سيما التى لم يسبق نشرها قبلاً



مؤتمرات الصلح

قبل أن نعالج موضوع القضية العربية في مؤتمرات الصلح يجب علينا أن نرجع قليلاً إلى البلاد العربية قبل الحرب وتسرب نفوذ الأجانب إليها ، فإن ذلك سيساعدنا كثيراً على الحالة من كل وجوها

كان احتلال تركيا الفعلي موجوداً فقط في العراق ، وسوريا ، وفلسطين ، ومكة ، والمدينة ، ومدن الحجاز الساحلية ، وشاطئ عسير ، واليمن ، ولكن النفوذ الأجنبي القوى كان يتسرب إلى هذه البلاد ، فلم يبق للحكومة كبير احترام في نفوس رعاياها ، أما الجزء الشرقي الجنوبي من بلاد العرب من الكويت إلى عدن فلم يكن للأتراك سلطة يعتد بها ، بل كان النفوذ الانجليزي متغلباً ، ولو أنه لم يكن مباشراً إلا في عدن

لقد كان النفوذ الانجليزي سائداً في بغداد والبصرة وسواحل ما بين النهرين ، كما أن المصالح الانجليزية كانت متشعبة هناك ، ولكنه كان ضعيفاً في سوريا وفلسطين ، والنفوذ الأجنبي الآخر الذي كان يعمل بنشاط هو النفوذ الفرنسي والألماني ، والفرنسيون الذين يعتبرون أنفسهم حماة المسيحية في الشرق قد أسسوا نفوذاً قوياً على شواطئ سوريا بما أسسوه من المعاهد ، وبما عملوه لنشر ثقافتهم ولغتهم في تلك البلاد . وفي السنوات التي سبقت الحرب جاء الألمان ينافسون الفرنسيين ، ولكن قصر المدة لم يمكنهم من إيجاد أي أثر في سوريا وآسيا الصغرى ، وإن كان إنشاء السكة الحديدية (الآستانة — بغداد) قد جعل للألمان نفوذاً لا يستهان به

أما في فلسطين فإن النفوذ الأجنبي كان دينياً في الأكثر ، إذ يعتبر مسيحيو

العالم القدس أرضاً مقدسة ، وقد تأسست بعثات مسيحية أهمها ألمانية ، كما أسس غيرها من المنشآت الأجنبية الدينية والعلمية . وبيت المقدس محترم أيضاً عند المسلمين ولهم فيه آثار دينية من أقدم العصور . وقد وضع اليهود أساس حركتهم لإنشاء مملكة يهودية في فلسطين ، تلك الفكرة التي لا يزال اليهود يحملون بها منذ كارتهم الكبرى

وزيادة على ذلك فإن سلطة الأتراك في آسيا الصغرى لم تكن قوية ، نتيجة ما لبعض الحكومات الأوروبية من سلطة الامتيازات الأجنبية في المسائل التجارية والقضائية

هذه حالة تركيا قبل الحرب الكبرى ، أما بعد مغامرتها في ٣١ أكتوبر ، سنة ١٩١٤ ، فقد كانت تركيا حريصة على أن لا تفقد شيئاً من أطرافها لاسيما البلاد المقدسة ، فإن فقدانها يضرب الخلافة ضربة قاضية ، ووراء تركيا ألمانيا التي تحلم في تأسيس امبراطورية الشرق الأوسط الألماني ، تدفعها وتمدها بجميع المساعدات المادية والأدوية ضد الحلفاء . هذا من جانب ، ومن جهة أخرى ففرنسا تريد بسط نفوذها وتوطيد سلطتها في الشرق الأدنى ، لأنها حامية المسيحية ، ولكنها عاجزة عن إثارة حرب أخرى خارج بلادها ، واليهود يحاولون تحقيق أحلامهم القديمة ، والعرب يتطلعون إلى استرداد حريتهم واستقلالهم بعد انكسار تركيا . ويحى بعد هؤلاء الانجليز ، وهم ليسوا بأقل من هؤلاء بالنظر إلى مصالحهم العديدة في خليج فارس والبلاد العربية ، تلك المصالح التي من أجلها جعلوا لهم السيادة في خليج فارس كما قال : The Duke of Argyll في سنة ١٨٧٠ ، والتي من أجلها أيضاً صرح اللورد لانسداي سنة ١٩٠٣ بأن بريطانيا تعتبر انشاء قاعدة بحرية ، أو تحصين أى ميناء على خليج فارس كتهديد لمصالحها التي يجب حمايتها بكل ما يؤديه معنى الحماية من معان

لذا فقد كانت السياسة الحربية البريطانية في الشرق الأدنى ترمى إلى غايتين رئيسيتين : الأولى أن تحتل رأس الخليج الفارسي فتحمي منابع الزيت ، وتمنع العدو من تأسيس مراكز بحرية تهدد المواصلات البريطانية مع الهند ، والثاني أن تحتفظ بهذه المواصلات مع الهند مفتوحة عن طريق قنال السويس والبحر الأحمر

هذه هي الحالة التي كانت تسود بلاد العرب والتي على أساسها تم الاتفاق والتفاهم بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٩١٦ على تحديد نفوذ كل دولة منهما ، وعليها أيضاً كان اتجاه مؤتمر الصلح ولكن العرب الذين خاضوا غمار الحرب كانوا يجهلون كل ماتم في الخفاء أو كانوا لا يعترفون به لأنه مناقض لشروط ويلسن التي اختارها الحلفاء لاعلان الهدنة وأساساً للصلح

موقف الملك حسين من مؤتمر الصلح

يجب علينا أن نذكر هنا الحقائق الآتية خدمة للتاريخ (١) إن الملك حسيناً كان يثق ببريطانيا ثقة لاحد لها ، وكان يعتقد اعتقاداً لا يشوبه أدنى شك ان بريطانيا التي قادت العالم ضد ألمانيا ستسعى بكل الوسائل الممكنة لتكوين المملكة العربية كما يفهمها وان الأتراك حاولوا في أثناء الحرب التأثير في هذه العلاقة بإيجاد جو من الشكوك في نفوس العرب فلم يفلحوا لقد كتب جمال باشا إلى الأمير فيصل يخبره بما نشره الروس من وثائق تثبت ما اعتزمه الحلفاء من تقسيم البلاد العربية^(١) واستعداد الأتراك لعقد صلح مع العرب أساسه استقلال البلاد العربية ، ولكن الملك حسيناً الذي لا يشك في

(١) يشير إلى معاهدة سايسكي يكو

نيات بريطانيا رفض اليد التي قدمها جمال باشا بعد تأكيدات بريطانيا^(١)
(٢) إن الملك حسيناً لثقته ببريطانيا كان يعتقد من كل قلبه أنه لا فائدة
من المؤتمرات ، وأن إرادة بريطانيا ويدها فوق المؤتمرات وفوق كل شيء ،
وترى هذا واضحاً تمام الوضوح في كتاب الملك حسين إلى نائب الملك بمصر
(٢١ أغسطس سنة ١٩١٨ — ٢١ ذى القعدة سنة ١٣٣٦) حيث يقول :^(٢)
« أما عطف الأمير وتعليقه على مؤتمر الصلح ، فالجواب عليه من الآن بأن
لا علاقة لنا به ، ولا مناسبة بيننا وإياه حتى ننظر منه سلباً أو إيجاباً ، ولو قرر
المؤتمر المذكور إضعاف مقرراتنا ، وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها ، فنكون
من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا ، الذي أتوسل إليه
أن يتولانا جميعاً بعنايات رأفته الأبدية »

وضعت الحرب أوزارها ، وقبل الأتراك شروط الهدنة ، وانسحبوا تماماً من
البلاد العربية التي أشغلت بالقوات الانجليزية الصرفة ، فيما بين الموصل والبصرة
وفلسطين ، والقوات الانجليزية والعربية وبعض القوات الفرنسية في الجبهة السورية
اعتقد الملك حسين ومن التف حوله ، أنه ما دام الانجليز هم الشاغلون للبلاد
العربية ، فسيقومون بتشييد المملكة العربية المتحدة ، غير أن هنالك اعتبارات
خطيرة أمام الحكومة البريطانية ستحول دون هذه الأمنية ، ولها محلها الأول في
نظرهم ؛ هنالك معاهدة (سايكس — بيكو) التي عقدت بين فرنسا وانجلترا سنة ١٩١٦
وأفشى أمرها الروس ، وهنالك العهد الذي قطعه الانجليز للصهيونيين سنة ١٩١٧
وفرنسا دولة عظيمة لها نفوذها الدولي وقوتها الحربية ، واليهود لهم مكاتهم المالية
ونفوذهم المعنوي ، وجانبهم أقوى من جانب العرب ، غير أن العرب الذين خاضوا
غمار الحرب بغية الوصول إلى نعيم الاستقلال لم يبالوا بما أمامهم من المشاكل ،

(١) في الدل نص الكتاب

(٢) نص الكتاب المذكور في الذيل

واستسهلوا كل صعب في سبيل غايتهم المقدسة ، وبالفعل فانهم ساروا في الطريق الذي كانوا يعتقدون أنه متفق تمام الاتفاق مع ما كانوا يعتقدون أنه حق لهم ، ومع ما كانوا يفهمونه من تصريحات قوات الحلفاء ، فبمجرد أن دخل الأمير فيصل (المرحوم الملك فيصل) فاتحاً إلى دمشق في أوائل اكتوبر سنة ١٩١٨ أرسل الجنرال شكرى باشا الأيوبي حاكماً عسكرياً على بيروت ، فذهب المولى إليه وجلس في سراى الحكومة بدلاً من الوالى التركى الذى انسحب من هنالك

وفى أواخر اكتوبر احتل العرب اللاذقية ، وانطاكية ، وبيلاط ، والاسكندرونة ، فثار الفرنسيون واعتبروا هذا العمل خرقاً لمعاهدة (سايكس - بيكو) واضطروا الانجليز أن يأمرؤا العرب باخلاء الأماكن الساحلية ، فكان ذلك أول ضربة أصابت آمال العرب وأمانهم

أشارت المملكة العربية المتحدة على الملك حسين أن يرسل من قبله مندوباً إلى مؤتمر الصلح ، فقبل الإشارة وعين ولده الأمير فيصلًا مندوباً عنه ، وزوده بالتلغراف الآتى الذى يدل على مبلغ آمال الملك حسين فى بريطانيا :

« حليفتنا الوفية بريطانيا العظمى ترغب حضورك نائباً عن مصالح العرب ، وكل ما يكون أساساً لحياتهم سواء ما يتعلق بالحدود أو الادارة مما هو معلوم لديك فى مجتمع سيعقد فى باريس فى ٢٤ نوفمبر الجارى ، فانفاذاً لرأى عظمتها تتوجه بكل سرعة ممكنة لباريس بعد هذا كرتك لفخامة القائد العام فى كيفية سفرك وطريقته ، وبعد تقرر ما تروونه لحالات البلاد وإدارتها فى مدة غيابك الذى لا يتجاوز تقريباً شهراً ، وحيث إن رابطتنا الوحيدة هى العظمة البريطانية ، ولا علاقة لنا ولا مناسبة مع سواها فى أساساتنا السياسية ، فكل ملاحظاتك وما تراه فى الموضوع تبديه لنوابها وعظماؤها الأماجد إن كانوا زملاءك فى المجتمع أو معتمديها السياسيين ، وما يكلفونك به من قول أو عمل إن كان فى المجتمع أو فى سواه تعمل به ، وتجتنب

كل ما سوى ذلك ، هذه درجة مأذونيتك عما يختص بالمجتمع ، وخير الأهالي بالمصلحة والقصد والله يتولاك »

الامير فيصل يباريس

لقد قام الأمير فيصل بما يجب عليه من الدفاع عن قومه ، فبسط لمؤتمر السلام القضية العربية ، ووعد الحلفاء لوالده ، وآمال العرب في عدل الحلفاء^(١) ، فكان أول جواب عملى لسموه مذكرة مستر لويد جورج المؤرخة في ١٣ سبتمبر إلى كل من الأمير فيصل والحكومة الفرنسية ، وتقضى هذه المذكرة :

(١) انسحاب الجيوش الانجليزية من سوريا وكتيكية في أول نوفمبر

سنة ١٩١٩

(٢) يحل محل الحاميات البريطانية جنود فرنسية في غرب الخط المعتبر في معاهدة سايكس بيكو وفي كتيكية

(٣) المقاطعات التي تبقى فيها الجنود الانجليزية هي العراق وفلسطين ، وهذا الاحتلال مطابق للاتفاق المفقود في ديسمبر سنة ١٩١٨ بين المسيو كلنصو والمستر لويد جورج

كانت هذه المذكرة أول ضربة لأمانى الأشراف وأمانى العرب ، ولذا فان الأمير فيصلا أجاب على هذه المذكرة بمذكرة أخرى بتاريخ ٢١ سبتمبر تشتمل على النقاط الآتية :

(١) اجحاف هذا القرار بقانون العرب ، وما كان يتوقعه العرب من الحلفاء ، وقد تلقى الملك حسين ما يؤيد هذا من وزارة الخارجية البريطانية عند ما أذاع جمال باشا ما عثر عليه البولشفيك من أمر هذه الاتفاقية وغيرها

(١) راجع نص المذكرة في الذيل

- (٢) إنه ما دام هذا التغيير مؤقتاً فما هي الضرورة الملحّة لهذا التغيير، ولماذا لا يبقى الاحتلال البريطاني كما هو إلى أن يتم الصلح مع تركيا
- (٣) الاحتجاج بشدة على تعيين الحدود لأنه مقدمة لتجزئة البلاد
- (٤) إذا كان لابد من انسحاب الجيش البريطاني من سورية ، فيجب أن تنسحب أيضاً هائل الجيوش الأوروبية ، وتترك المسؤولية للجيش العربي
- (٥) رفض العرب لتجزئة بلادهم وإنكارهم لكل اتفاق لم يكن لهم علم به
- وفي ٢٣ سبتمبر أرسل الأمير فيصل كتاباً^(١) إضافياً إلى رئيس الوزارة البريطانية يشرح فيه رفضه للبحث مع القائد العام للجيش المتحالفة في سورية في مسألة الاحتلال ، ويطلب إعادة السواحل إلى الجيوش العربية كما كانت عليه الحال في أوائل الاحتلال ، وهي تتولى مسؤولية الأمن وحماية البلاد ، أو ابقاء الحالة على ما هي عليه الآن حين إبرام الصلح مع تركيا

الأمير فيصل في لندن

رأى الأمير أن يؤم لندن لعله يجد له مساعداً هنالك لحل المسائل التي تعقدت وكادت تخيب آمال العرب

فكان باكرة أعماله إرساله مذكرة إلى رئيس الوزراء بتاريخ ١٩ أكتوبر^(٢)

(١) إنكار اتفاق باريس والأحرار على مضمون المذكرة المؤرخة في ٢١

و ٢٣ سبتمبر

(٢) التأكيد بأن انسحاب الجيوش البريطانية سيحدث أسوأ الأثر في سوريا ويؤدي إلى كارثة عظيمة

وقد ختم سموه المذكرة بالطلبات الآتية :

(١) إلغاء القرار الباريسي أو على الأقل إرجاء العمل به

(٢) عرض المسألة كلها على مؤتمر السلام لتسويتها النهائية بدون تأجيل والنظر فيها من المؤتمر بأجمعه ، أو من لجنة فرعية مؤلفة من أعضاء بريطانيين وفرنسيين وعرب تحت رئاسة أحد الأمريكان ، لبحث في هذه المسألة الخطرة ، وتقديم تقرير عنها إلى مؤتمر السلام . فتلقي سموه جواباً مطولاً من وزارة الخارجية بتاريخ ١٩ أكتوبر^(١) يتضمن :

(١) وصول الملاحظات الابتدائية على مذكرة رئيس الوزراء (التي أرسل منها نسخاً أيضاً إلى كل من المستر فولك مندوب الولايات المتحدة ، وإلى السنيور تيتوني مندوب المملكة الإيطالية)

(٢) أن المذكرة المذكورة لا تعبر عن اتفاق سابق بين الحكومتين ، بل تشمل مقترحات قدمتها الحكومة البريطانية من تلقاء نفسها عن الاحتلال العسكري في الولايات التي كانت تابعة لتركيا إلى أن يقرر مؤتمر السلام مستقبلها نهائياً

(٣) أن المقترحات التي تتمسك بها الحكومة البريطانية لم تضعها إلا بعد أن قررت أنه يستحيل عليها أن تستمر على احتلال سوريا بالجيش البريطانية

(٤) أن الحكومة البريطانية لا ترى أن هذا القرار مغاير للعهود التي عقدتها حكومة جلالة الملك مع الملك حسين

(٥) رفض الطلبات التي اقترحتها الأمير فيصل ، لأن الشعب السوري عاجز عن القيام بشئون نفسه في الوقت الحاضر ، ولأن تجربة هذا الحل الذي أشار به سمو الأمير يكون مضرّاً لترقي الشعب السوري سريعاً ، وبالنسبة لاستقلال الشعوب السورية والعربية

(٦) أن تعهدات الحكومة البريطانية للحكومة الفرنسية قد بينتها الحكومة البريطانية للملك حسين قبل دخوله الحرب

(٧) أن الحكومة البريطانية لم تستطع إلا بعد صعوبة أن توطد لسموكم تأسيس مملكة عربية مستقلة في ذلك القسم من سورية المشتمل على دمشق ، وحماة ، وحمص ، وحلب

(٨) نصح الحكومة البريطانية للأمير فيصل بقبول التدبير المؤقت الذي أشارت إليه المذكورة ، والبحث — حالا — في هذه التدابير مع الحكومة الفرنسية وبعد هذه المذكورة اجتمع سمو الأمير فيصل ومعه الجنرال حداد باشا والشيخ فؤاد الخطيب في وزارة الخارجية البريطانية باللورد كرزون ومعه الكولونيل كورنواليس نائب المقيم البريطاني بدمشق ، والكولونيل سكرلنج ، ودار البحث تفصيلا في الموضوع ، وقد أخبر اللورد كرزون الوفد العربي بأن الفرنسيين يرون أن محل البحث هو باريس لالندن . ثانياً لا يرون ضرورة لاشتراك عضو أمريكي في الموضوع إلا إذا رغبت أمريكا نفسها في ذلك الاشتراك

وقد أشار اللورد كرزون على الأمير فيصل بالسفر حالا إلى باريس والاتصال بالفرنسيين ، فان ذلك يكون أنجح لقصده ، وأن الفرنسيين قد لا يرتاحون للمفاوضات الجارية في لندن ، فلم يسع الأمير إلا قبول النصيح الذي أسدى إليه ، وسافر إلى باريس مرة أخرى

الأمير فيصل في باريس للمرة الثانية

بمجرد وصول الأمير فيصل إلى باريس أرسل مذكرة^(١) بتاريخ ٢٥ أكتوبر إلى رئيس المؤتمر مسيو كليمنصو تتضمن :

(١) راجع نص المذكرة في الذيل

(١) علم الأمير فيصل رأى الحكومة الفرنسية في مذكرة المسترلويد جورج المؤرخة في ١٣ سبتمبر القاضي برد جميع الاقتراحات ما عدا انسحاب الجيوش البريطانية من كليكية وسوريا

(٢) اعتراض الأمير فيصل على هذا الانسحاب ، وتحذير فرنسا من السير في الموضوع حيث إنه سيقضى على السلم في البلاد العربية ، التي سيعتقد أهلها أن الحلفاء لا يزالون يريدون تقسيم بلادهم

فرد مسيو كليمنصو على كتاب الأمير بكتاب^(١) مؤرخ في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ وأخبره :

(أولاً) بوصول كتابه والاضطراب الذي أحدثه في نفس الأمير قرار المؤتمر الصادر في ١٥ سبتمبر ، بشأن انسحاب الجيوش البريطانية من سورية وكليكية ، واستبدالها بجيوش فرنسية

(ثانياً) اقتراح سمو الأمير بتأليف لجنة يعهد إليها درس طرق انسحاب الجيوش البريطانية ، وإيجاد إدارة مؤقتة تصون وحدة البلاد وتحفظ النظام بين المناطق المختلفة المحتلة

(ثالثاً) التأكيد لسمو الأمير بأن الحكومة الفرنسية لم تزل ترغب بكل إخلاص في توطيد دعائم الحكم المؤدى إلى الحرية والرقى والنظام في سوريا والعراق ، وسائر بلاد الشرق المحررة بفضل انتصارات الحلفاء ، عملاً بمبادئ سياستها الحرة التي هي نفس المبادئ لمؤتمر السلام ، وأن الثقة المعنوية المؤسسة بين العرب وحلفائهم في أيام الحرب ستساعد على توطيد علاقاتهم

(رابعاً) رفض اقتراح تعيين اللجنة لأنه فضلاً عن أنه مشوش للحالة

الحاضرة فانه مخالف لقرار المجلس الأعلى ، ففي ١٥ سبتمبر أعلن المستر لويد جورج للمؤتمر بأن الجنود الانجليزية ستسحب من كليكية وسوريا ، وقد طلب استبدالها بجيوش فرنسية وقد وافقه المجلس الأعلى

(خامساً) أن المسيو كليمنصو مقتنع بأن رؤساء الجيوش الفرنسية قادرون على تطمين الأهالي وحفظ النظام في جميع المناطق التي ستحتلها الجيوش الفرنسية بدلا من الجيوش الانجليزية ، وعلى الأمير بما لديه من السلطة أن يفعل ذلك في الشام وحلب

(سادساً) أن الحكومة الفرنسية مستعدة لتلبية أول طلب يصدر من سمو الأمير بمساعدته على صون النظام ، فيما إذا اختل بأغراض المحرضين الذين لا يقدرّون على غير إلحاق الضرر بمنافع العرب

(سابعاً) استعداد الحكومة الفرنسية للنظر مع سمو الأمير في جميع الشؤون الخاصة بالمصالح المشتركة

لقد كان لهذا الرد أثر عميق في نفس الأمير فيصل ؛ ولذا فانه أرسل كتاباً آخر بتاريخ ٥ نوفمبر للرد على المذكرة الفرنسية ، وقد تضمن الكتاب النقاط العالية^(١)

(١) شكر الحكومة الفرنسية على مودتها التي ما زالت تظهرها نحو الأمة العربية ، ورغبتها الخاصة في تأييد حكم يضمن الحرية والنظام والرقى في سوريا والعراق ، وسائر البلاد العربية المحررة

(٢) حرصاً على توطيد عرى الثقة بين العرب والحلفاء قد ألح سمو الأمير في كتابه المؤرخ ٢٥ الشهر الماضي بوجوب تأليف لجنة تبحث في انسحاب الجيوش وتأسيس إدارة مؤقتة في سوريا تكفل وحدتها وفقاً لرغائب الشعب

(١) راجع نص الكتاب في التذييل

(٣) أن مذكرة مستر لويد جورج التي كانت مثار البحث ، والتي لم توافق الحكومة الفرنسية على مجمل ما احتوته ، تشف عن تنفيذ معاهدة (سايكس - بيكو) السرية ، فليس القصد من هذا التبديل الجديد سحب الجند فقط بل تحديد مناطق سياسية واقتصادية ، وتقرير مصير بلادنا وفقاً لمصالح لا تتفق مع مصالحها ، ولهذا فقد لفت نظر الحكومة البريطانية إلى هذا الأمر وبعد المناقشات العديدة والاجتماعات المتوالية ، قبلت مبدئياً تأليف لجنة للنظر في هذا الشأن

(٤) أن الخوف على مستقبل البلاد قد أوجد اضطراباً في الأمة العربية ، وهذا الاضطراب لا يسكن إلا إذا أزيل الأثر السيئ الذي ولدته التدابير الأخيرة وأن الشعب السوري لا يمكن أن يتلاعب به المحرضون بقصد اخلال الراحة والأمن فقط ، وأن هذا الشعب لا يحجم عن أن يهب مرة أخرى للدفاع عن حريته وكيانه

(٥) ذكر في المذكرة الفرنسية أن الحكومة الفرنسية على يقين من اخماد كل حركة قد تشور في الجهات التي احتلتها ، والحقيقة أن الحركة التي ستثور في كل البلاد لا تنشأ عن أعمال المحرضين بل حركة وطنية عامة ، ولا يستطيع سمو الأمير أن يستعين بجنود أجنبية لخماد حركة وطنية نمت واختمرت تحت بيانات الحلفاء الرسمية وتأثيرها

(٦) اندهاش سمو الأمير من قرار مؤتمر الصلح بدون دعوته لسماع مآلديه من الملاحظات

(٧) إلحاح الأمير في العدول عن مسألة اخلال الجنود الفرنسية محل الجنود البريطانية ، ورغبته الصادقة في الوصول إلى اتفاق نهائي يضمن للأمة العربية التقدم والرقى مع الحرية والاستقلال

غير أن الحكومة الفرنسية أصرت على نظريتها ولم تصغ إلى مقترحات

الأمير ؛ ولذا فإن الأمير رجع إلى الانجليز مرة أخرى لعلهم يساعدونه في حل هذا المشكل ، وهو يعتقد أن أمثال هذه المشاكل لا يستعصى عليهم حلها

كتب الأمير مذكرة^(١) لمستر لويد جورج بباريس بتاريخ ٦ نوفمبر سنة ١٩١٩ يشرح فيها مآلتيته ومفاوضاته مع الفرنسيين ، ورفضهم تشكيل اللجنة التي كان الانجليز قبلوها ، وأن الفرنسيين لم يقصدوا بدعوته إلا اجتماعه مع الجنرال غورو الذي صرح للأمير بأنه سيضطر إلى تنفيذ كل الأوامر التي يتلقاها وأنه مع كرهه لسفك الدماء لا يحجم عنه إذا دعت الأوامر . واتمس الأمير في آخر كتابه مساعدة رئيس الوزارة الانكليزية ، وفي ٢١ نوفمبر أرسل مذكرة^(٢) إلى رئيس الحكومة البريطانية يمتنع فيها باسم والده على ما يراود من احتلال بعض الأراضي السورية ، ويطلب مساعدتها ويذكرها بمعاهداتها مع الملك حسين . ويظهر لنا من البرقية التي أرسلها سمو الأمير لوالده في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ التي فيها يصرح بأن الحكومة الفرنسية مصرة على إشغال أقسام مهمة من مقاطعات دمشق ، وحلب ، تمسكاً بمذكرة مستر لويد جورج ، أن الأمور كانت سائرة في اتجاه مضاد لما كان يريده الأمير ويسمى إليه ، ولكن يظهر أن توسط بريطانيا قد أثمر ، ففي ٢٦ نوفمبر أي بعد إرسال البرقية الأولى بأربعة أيام قد أرسل^(٣) الأمير فيصل إلى شقيقه الأمير زيد نائبه في سوريا ، وأرسل وزير الخارجية الفرنسية إلى الجنرال غورو الاتفاق المؤقت الذي تم بين سموه وبين وزارة الخارجية الفرنسية ليقوم الطرفان بتنفيذه ويقضى هذا الاتفاق :

(١) تأليف لجنة من فرنسي وانجليزي وعربي لأجل تسوية المشاكل التي

قد تحدث بين المناطق

(٢) راجع نص المذكرة في الذيل

(١) راجع نص المذكرة في الذيل

(٣) تجد نص البرقيتين في الذيل

(٢) انسحاب الجنود العربية من البقاع مع بقاء الدّرك العربي فيها لحفظ النظام والامن تحت أوامر القائمقام

(٣) لا تحتل الجنود الفرنسية البقاع ولا محلاً آخر من المناطق الحاضرة

(٥) تشكيل لجنة من ثلاثة ضباط فرنسيين وثلاثة عرب لملاحظة حسن تنفيذ وظائف الشرطة والدّرك في تلك الجهة ورفع تقريرها إلى القائمقام

وفي نوفمبر سنة ١٩١٩ أرسل مسيو برتلو السكرتير العام لوزارة الخارجية الفرنسية كتاباً^(١) للأمير فيصل يعبر فيه عن سرور مجلس الوزراء بالاتفاق على اللجنة العسكرية . الذي كان نتيجة لروح التآلف المتبادل ، غير أن مسيو برتلو صرح الأمير فيصلاً أن ما تم الاتفاق عليه هو تنازل مؤقت من الحكومة الفرنسية عن حقها الذي صادق عليه المؤتمر . وأنه إذا لم يؤكد هذا الاتفاق باتفاق مرضٍ وقاطع إلى ثلاثة أشهر فليكن معلوماً أن الفريقين يستأنفان حرية العمل

غير أن هذا الاتفاق لم يمس على تنفيذه وقت طويل ، فإن السلطة العسكرية الفرنسية رأت أن تقمع الثورة الوطنية التي بدت في الأحزاب العربية والشباب العربي ، وأن أي سعة صدر أو تهاون قد يجعل مركزها في سوريا حرجاً ، وفي ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٩ حدث اعتداء على ضابط الارتباط الفرنسي قتل وجرح جاويشه ، فأرسلت القيادة الفرنسية قوة من الجند فاحتلت بعابك ، فاحتج الأمير فيصل على هذا الاحتلال المخالف لروح الاتفاقية بكتاب مؤرخ في ١٩ ديسمبر ، وأعاد الاحتجاج بكتاب آخر مؤرخ في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٩^(٢) ، غير أن الاحتجاجات لم يكن لها أثر يذكر

رجوع الأمير فيصل إلى سوريا

وإعلان الملكية في دمشق

سبقت الأمير فيصلاً إلى سوريا إشاعات كثيرة منها : أنه عقد اتفاقاً أولياً مع الفرنسيين في باريس في ٦ ديسمبر يتضمن الاعتراف بانتداب على سوريا وطلب المستشارين اللازمين لتنظيم الإدارات الملكية ، والعدلية ، والأشغال العمومية من الحكومة الفرنسية وحدها ، ومدربين للدرك والشرطة ، كما أن الاتفاقية أعطت للأمير فيصل حق تعيين مندوب مفوض في وزارة الخارجية للدفاع عن الشئون السورية ، كما أن الممثلين السياسيين والقناصل الفرنسيين في الخارج يقومون بتمثيل المصالح الخارجية للدولة السورية

وشاع أيضاً في سوريا أن الاتفاق الأول عدل في ١٦ ديسمبر باتفاق آخر في ١٢ مادة لا يخرج في جوهره عن الاتفاق الأول ، وإن كان فيه شيء من التفصيل فيما يختص بعمل المستشار المالي ، وإعطاء حق الأولوية التامة للفرنسيين في المشروعات والقروض المحلية ، واعتبار اللغة الفرنسية لغة إضافية إجبارية بعد اللغة العربية

وقد قضت الاتفاقية الأولى والثانية على كتمان هذا العهد من الفريقين إلى وقت الإمضاء النهائي

لقد نشرت الصحف هاتين الاتفاقيتين في وقتها ، كما نشرها بعض المؤلفين العرب بدون أن يخبرونا عن المصادر الوثيقة التي استقوا منها هذه المعلومات

واننا لم نعثر فيما لدينا من الأوراق عن شيء يتعلق بهذا الاتفاق . غير أنه في الكتاب المؤرخ في ٢٦ نوفمبر المرسل من سمو الأمير فيصل إلى المسيو برتلو

السكرتير العام للأمر السياسية الذي يشكره فيه على الحل الموفق الخاص بسحب الجنود الانجليزية وتعيين لجنة مشتركة الخ جاء في الكتاب المذكور الجملة الآتية : « واني لم أزل منذ وصولي إلى باريس أصر كما هو معلوم لديكم على هذه النقطة ، وهي أن قصدي كان الوصول إلى عقد ائتلاف مع الحكومة الفرنسية التي مع قبولي ما يضمن للشعب السوري سيادته الوطنية ستمنح للبلاد بطلب مني معوتها المالية ، ومستشارين بقصد التعاون الودي مع الحكومة العربية الوطنية المؤسسة من قبل الأهليين »

وسواء كان الاتفاق المشار إليه صحيحاً أو غير صحيح ، فإن الأمير فيصلاً كان يود من كل قلبه الاتفاق مع الفرنسيين والاستعانة بهم على تسيير دفة الحكومة العربية ، غير أن سموه حينما وصل دمشق لم يجد جوها السياسي ملائماً لما كان يريد ؛ فهبت الأحزاب في وجهه لا ترضى بغير الاستقلال التام بديلاً ، وأفلت زمام الأمور من يد القادة ، ووجد الشباب السوري (والشباب في كل بلد) قوة بريئة تندفع إلى ما تعتقده الحق بدون أن تفكر في النتائج التي قد تنتج . كثرت العصابات في البلاد ، وقامت المنازعات الطائفية مرة أخرى ، وهذا بالطبع لم يكن برضاء أو إيعاز الحكومة الوطنية السورية ، بل الظروف التي أحاطت بالبلاد هي التي حركت المنازعات من جديد

وأخيراً دعى المؤتمر السوري مرة ثانية للبت في قضية الاستقلال وإعلان الأمير فيصل ملكاً على سوريا ، وأعلنت الأحزاب على اختلاف نزاعاتها رفض الانتداب الفرنسي على سوريا ، كما رفضوا الانتداب البريطاني على فلسطين ، فاجتمع المؤتمر السوري العام وقرر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ — ٧ مارس سنة ١٩٢٠ بإجماع الآراء استقلال البلاد السورية بمحدودها الطبيعية ، ومنها فلسطين استقلالاً تاماً . لا شائبة فيه على الأساس المدني النيابي ، وحفظ حقوق

الأقلية ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود أو دار هجرة لهم ، واختاروا سمو الأمير فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً على سوريا ، وأعلن انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث . وقد هذا العراقيون المقيمون في سوريا حذو اخوانهم السوريين فاخاروا قاداتهم الموجودين في سوريا الذين شكلوا المؤتمر العراقي الذي انعقد بجانب المؤتمر السوري وأعلن استقلال العراق وانتخاب الأمير عبد الله ملكاً له

وفي يوم الاثنين الموافق ١٧ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ هـ — ٨ مارس سنة ١٩٢٠ بويع الملك فيصل ملكاً على سوريا ، كما بويع شقيقه ملكاً على العراق ، وتألقت بعد ذلك الوزارة السورية الثانية برئاسة هاشم بك الاتاسى .

لم يقابل البريطانيون والفرنسيون هذه الحركة بالرضا واعتبروها تحدياً لهم ، وبالطبع فانهما لم يعترفا بالتغيرات التي وقعت في المنطقة السورية ، ولقد جرت حوادث احتكاك كثيرة بين السلطات العربية والحكومة الفرنسية جعلت سوء التفاهم يزداد بين الفريقين ، فالجانب السوري ينظر إلى الفرنسيين نظر المستعمر الذي يريد استعباد الشعب والتحكم فيه ، والفرنسيون ينظرون إلى السوريين نظر المحرض الكاره لهم ، العامل على خلق المتاعب في سبيلهم ، وبالرغم مما كان يبذله العقلاء لتسكين الخواطر الثائرة ، وإحلال الوئام مقام الخصام ، فان جميع المساعي التي بذلت ذهبت سدى ، حتى أنه كان يتهم بالخيانة كل من كان يشير بالاعتدال وأخيراً أرسل الجنرال غورو انذاره النهائي في ١٤ يوليو سنة ١٩٢٠ باسم الحكومة الفرنسية ، وقد تضمن البلاغ المذكور :

- (١) تحمل حكومة سوريا كل تبعة إزاء سكان سوريا الذين عهد مؤتمر الصلح إلى فرنسا أن تمتعهم بحسنات إدارة مؤسسة على الاستقلال والنظام والرخاء
- (٢) أن سمو الأمير قد أجاب على ما أظهرته فرنسا من تأييدها رغبة السكان

الذين يتكلمون العربية على اختلاف مذاهبهم لحكم أنفسهم بأنفسهم ، بأن لسكان سوريا مصلحة كبيرة في طلب المشورة والمساعدة من دولة كبيرة لتحقيق وحدتهم وتنظيم شئون الأمة ، نظراً لما أصاب البلاد من الازهاق التركي ، وأن سمو الأمير دعا فرنسا إلى القيام بهذه المهمة باسم الأمة السورية

(٣) ذكر حوادث متعددة نسبت إلى الحكومة العربية

(٤) سياسة حكومة دمشق العدائية بادخالها بعض العناصر المشهورة بعداء فرنسا في الحكومة ، وانتخاب الوزارة من تلك الفئة التي لا تقتصر خطتها على إهانة فرنسا ورفض مساعدتها : بل تتناول المجلس الأعلى الذي منح فرنسا الانتداب في سوريا

(٥) التدابير الادارية ضد فرنسا بمنع جميع المعاملات التجارية والمالية مع فرع بنك سورية في المنطقة الشرقية ، ورفض التعامل بالورق النقدي السوري

(٦) اجتياز السلطة الشريفة حدود المنطقة الشرقية ، وتقديمها داخل المنطقة لتظهر أنها توسعت توسعاً يقصد به اخراجنا

(٧) الاعتداء على الحقوق الدولية التي توجب على قائد جيش الحجاز المحتل قطراً سوريا أن يظل عثمانياً حتى تقضى المعاهدة بتغييره ، وألا يحاول تغيير الحالة الراهنة التي هو حارس عليها ، ولكنه تصرف عكس هذا متخذاً صفة السيادة العليا ، وقد قرر التجنيد الاجباري ونفذ مع أن البلاد لا تزال أجنبية ، وهذا العبث قد أكره عليه الشعب حتى في المناطق التي لها شكل خاص كالبقاع ، وعلان المجلس الملقب بالمؤتمر السوري الذي تألف واجتمع بصورة غير قانونية بسن القوانين وتشكيل حكومة غير معترف بها ، فضلاً عن أنه قدم اللقب الملكي لسموكم بدون حق ولا وكالة

وطلب الجنرال غورو باسم الحكومة المطالب الآتية كضمانات لسلامة جنوده وسلامة السكان ، والضمانات هي :

(١) التصرف بسكة « رياق - حلب » الحديدية لأجراء جميع النقلات بمراقبة مفوضين فرنسيين

(٢) قبول الانتداب الفرنسي الذي يحترم استقلال سورية ولا يتضمن سوى المعاونة بين الدولة المنتدبة دون أن يتخذ شكل استعمار

(٣) قبول الورق السوري

(٤) تأديب المجرمين الذين كانوا أشد عداء لفرنسا

وقد أعطيت مهلة أربعة أيام للإجابة ، تبتدى من نصف ليل ١٥ يوليو سنة ١٩٢٠ ، على أن الحكومة الفرنسية ستكون مطلقة اليد في العمل إذا لم يصلها إشعار بقبول هذه الشروط في الوقت المعين

ثم أعقب هذا الانذار منشوراً من الجنرال غورو على سكان سوريا ببيان موقف حكومة فرنسا تجاه الحكومة العربية في دمشق

لقد كان لهذا الانذار أسوأ أثر في سوريا كما أنه أوقع الحيرة في نفوس المسؤولين ، أسيرون إلى النهاية في خطتهم وينتظرون ما يحكم به القدر ، أم ينزلون على إرادة الجنرال غورو ويقبلون مطالبته بلا قيد ولا شرط

بعد محاورات كثيرة بين رؤساء الجيش وبين جلالة الملك ، وبين الملك وبين المؤتمر السوري الذي كان يصر على خطة الدفاع عن حقوق البلاد مهما كانت النتيجة ، سلمت الوزارة لجلالة الملك الرد الذي وضعته على الانذار الفرنسي ، ويتلخص في إنكار التهم التي نسبت إلى الحكومة العربية بتألف العصابات وإيجاد جو مضاد لفرنسا ، وأن الحركة العربية هي في الحقيقة حركة طبيعية ضد لاستعمار ، وختمت المذكرة بما يأتي :

- (١) السماح بالورق السوري بالدخول إلى المنطقة السورية
- (٢) اجراء التحقيقات القانونية في قضية المشتركين في الجرائم ، ومعاينة كل من تثبت إدانته حسب القانون
- (٣) الاكتفاء بالعدد اللازم لحفظ الأمن الداخلي فقط
- (٤) قبول قرار مؤتمر سان ريمو على أن يعين شكاه الصريح بواسطة الوفد الذي سيرسل إلى أوروبا لهذه الغاية
- (٥) الموافقة على وضع الخط الحديدي من رياق إلى حلب تحت أمر السلطة العسكرية المشتركة من الجيوش السورية والفرنسية ، واتخاذ مدينة حلب قاعدة حرية على شرط أن يشترك الجيش السوري مع الجيش الفرنسي في تحديد حدود سوريا الشمالية

ثم استعفت الوزارة الاتاسية عقب ذلك ، ويقول الذين كانوا في سوريا في هذا الحين إن الرد لم يرسل ، وهو في الحقيقة كان أساس قبول الملك فيصل شروط الجنرال غورو بلا قيد ولا شرط ، فقد أرسل جلالته في ١٧ يوليو سنة ١٩٢٠ برقية يخبره فيها بذلك ، فتلقى جواباً من الجنرال يقول فيه : إني أشكرك على تحكيم العقل في هذه الأمور ، وإنما أرغب إليك أن يكون جوابك على الوجه الآتي : أخذت انذارك المتضمن الشروط الآتية ، وقد قبلتها بزمها ، وقد كانت هذه البرقية سبباً في مد مدة الانذار أربعة وعشرين ساعة أخرى ، ثم أربعة وعشرين ساعة أخرى ، حيث انتهت مدة الانذار في الساعة الثانية عشرة من يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٠ ، غير أن جواب الملك فيصل قد تأخر وصوله إلى الجنرال غورو لأسباب لا تزال مجهولة قد تكون من بعض الموظفين الذين لا يروقه أن يروا الصفاء سائداً بين الفرنسيين والعرب ، وقد تكون الأسباب انقطاع الأسلاك البرقية ، وقد تكون غير ذلك . ولكن المهم أن الجنرال غورو

قد عرف رأى الملك فيصل في الموضوع ، ومع ذلك فقد تذرّع بتأخير التلغراف ، وأمر الجيش الفرنسي بالزحف فهزم الجيش العربي بعد قتال لم يستمر أكثر من بضع ساعات ودخل دمشق في ٢٥ يوليو ، وأبلغ رئيس البعثة الفرنسية الملك فيصل أن يغادر دمشق عملاً بقرار حكومة الجمهورية ، ولم يحن يوم ٢٨ يوليو حتى وضعت فرنسا يدها على المدن الأربعة ، وقضت القضاء الأخير على الحكومة العربية السورية ولقد احتج الملك حسين أشد احتجاج على ما آتته فرنسا في سوريا ، ولكن الاحتجاجات لا تعدل من خطة القوى

لقد كان ما أصاب سوريا أكبر ضربة أصابت آمال الملك وهدمت صرح أحلامه في إنشاء الأمبراطورية العربية ، وفي الواقع لم تكن ضربة لآمال الملك حسين ، بل ضربة لآمال متعلمي العرب وشبانهم الذين طالما عارضوا الأتراك في أساليب حكمهم واستبدادهم بشئون البلاد العربية

على أن الملك فيصلاً في أثناء الحرب وأثناء إقامته في أوروبا ترك أحسن الأثر في نفوس عارفيه ومن اتصل به من البريطانيين ، فرشح لعرش العراق واختير في سنة ١٩٢١ ملكاً على العراق ، ومنذ ذلك الوقت وجلالته يدأب على السهر في مصالح العراق حتى تمكن بكياسته ومساعدة قادة العراق إلى إلغاء الانتداب على العراق ، واستخلاص استقلال العراق والاعتراف به بشكل دولي محترم ، وجعل للعراق منزلة تحسدها عليه سوريا

إن تطورات الحوادث وسعى ملوك العرب في التفاهم وترك الخصام والعداء الشخصى القديم مما يبشر بخير عظيم للأمة العربية ، وكل ما نرجوه أن تجتمع كلمة زعماء العرب وقادتهم ، ويجعلوا صالح الشعب العربي مقدماً على كل ما سواه ، ويسلكوا الطرق العملية للوصول إلى غرضهم ، فإن ذلك كفيل بمستقبل حسن للعرب وإن من ينظر إلى الروح العربية قبيل الحرب في سائر البلاد العربية ، ويقارنها بالروح الحالية يشعر بتقدم عظيم في الشعور القومي

أثر الثورة العربية في الحرب العامة

لا يصح أن نبالغ كثيراً في تأثير الثورة العربية في الحرب العامة ؛ فإن الحجاز كانت مفتقرة إلى الحلفاء في كل شيء ، في السلاح والذخيرة ، والمؤونة والغذاء ، والقوات الفنية . ولكننا من جهة أخرى لا يصح أن نقلل من أهمية الثورة وتأثيرها في موقف الأتراك في الشرق

واللورد سسل وزير الحصار (وهو أخبر من غيره بمدى هذا التأثير) قد وصف الأعمال العسكرية بعد إعلان الثورة في مجلس اللوردات في خطبته الآتية : —
« إني بإذن مجلس الندوة أصف بقدر ما يمكن من الإيجاز أدوار الأعمال

الحرية التي جرت منذ إعلان الاستقلال العربي في مكة في شهر يوليو سنة ١٩١٦ كان للترك في ذلك الوقت في الأقطار الحجازية جيش نظامي مؤلف من عشرين ألف جندي مزوداً بالمدفعية المناسبة وكل لوازم النقلات والمواد الغذائية والمهمات الحربية ، علاوة على السكة الحديدية العسكرية التي تصل الجيش المذكور مباشرة مع مراكزه الشمالية . ان العرب الذين انضوا تحت لواء الحرية والاستقلال لم يكونوا منظمين ولا مزودين بالأسلحة الحديثة ، وبالرغم من ذلك فقد تسنى لهم منذ أول الحركة الاستيلاء على جدة ، ومكة ، والطائف ، وينبع ، والوجه ، والعقبة ، وتيما ، وعلى أثر ذلك انضم كثير من القبائل العربية إلى جانب جلاله ملك الحجاز ، وتطوع كثير من الضباط والجنود العرب الموجودين عندنا في الأسر في الجيش العربي ، فشكل جلالته منهم قوة متمرنة مستديمة ليحفظ بها ما استولى عليه ، ويوسع نطاق الاستقلال العربي ، ولقد كانت نتيجة الجهود الذي بذله هذا الجيش القومي بقيادة أصحاب السمو : الشريف علي ، وعبد الله ،

وفیصل ، وزید ، أن سواحل البحر الأحمر طُهرت من الأتراك على مسافة ٨٠٠ ميل ، كما أن مواصلات السكة الحديدية العسكرية انقطعت مراراً عديدة ، وألحقت خسائر جسيمة في أدوات السكة الحديدية وعرباتھا ومستودعاتھا ، والمدينة المنورة نفسها محصورة منذ سنة . وقد تقدم الشريف فیصل بجهة جيشه من مكة أى من شمال الطُّفَيْلة على شواطئ البحر الميت یعنی على مسافة ٨٠٠ ميل ، وقد كانت نتيجة الغارة التي قام بها فريق من الجيش البريطاني على عمارة أنها ساعدت الجيش العربي على الاحتفاظ بمراكزه ، والخسائر التي ألحقت بالأتراك حتى الآن جسيمة جداً ، ويمكننا أن نقول بكل اطمئنان : إن القوات العربية منذ الاستقلال العربي حتى الآن قد حصرت وأسرت وأشغلت ٤٠.٠٠٠ جندي تركي ، وغنمت أكثر من مائة مدفع ، وبالرغم من انهماك الحكومة الحجازية في الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال فقد تسنى لها افتتاح عصر جديد من النظام والترتيب لم تعرفهما الأقطار الحجازية منذ دخلت تحت سلطة الأتراك ، وقد نجحت الحكومة العربية باتخاذ التدابير اللازمة لتسهيل الحج في السنتين الأخيرتين ، ولقي الحجاج من ضروب الرفاهية والعناية الطبية ما لم يسبق لهم التمتع به من قبل ، وكان الحج في كلتا السنتين سالماً من الأوبئة والتعديات العادية والاضطرابات . وفي القسم الشرقي من جزيرة العرب قد برهن الأمير ابن سعود أنه حليف متين ، وقد أسس استقلال القسم الأعظم من نجد ، وما زال أمير حایل شخصياً تحت حكم الأتراك ، وقد مضى عليه سنة وهو متغيب عن عاصمته «

وقد أطرى اللورد اللنبی شجاعة الجيش العربي وابلاءه البلاء الحسن في اقضاء الأتراك عن البلاد العربية ، كما أطرى المساعدات العظيمة التي أسدوها والأثر الحربي الذي لا ينكر في ميدان فلسطين ، وأن العرب بانضمامهم للحلفاء لم يفيدوهم فقط فائدة عادية ، بل إن الملك حسيناً بذل نفوذه المعنوي في سائر الجهات

التي كان دعاة الأتراك يثثون فيها دعوتهم ضد الحلفاء

أرسل الملك حسين الشيخ (عباس مالكي) من علماء الحجاز إلى الحبشة حسب طلب الانجليز ، فنشر الدعوة للشرىف أو بعبارة أخرى للحلفاء ، لأن غاية الجميع واحدة ، وأحببت بعثة الشرىف حسين مساعى رسل الأتراك وأعادت السكون إلى تلك الأطراف . كما هيا الشيخ سليمان أزهر لارساله إلى بلاد التركستان ، ولكن الانقلاب الروسى حال دون سفره

نم ان الجيش العربى كان يستمد من الحلفاء لاسيما الانجليز كل شىء : المال والذخيرة والغذاء والسلاح ، ولكن العرب لم يرضوا بشىء فى سبيل استخلاص بلادهم من الأتراك ، بل بذلوا نفوسهم وهى أعز شىء بذل السماح ، ولقد أمد الحلفاء بعضهم البعض بالسلاح والرجال وغيرهم ، كما أمد الألمان الأتراك بالسلاح والمال ورجال الفن

ومهما قيل فإن ما أسداه العرب للحلفاء من الأعمال العسكرية وما خففوا به الضغط عنهم أثمن من الذهب الذى تدفق مرة ثانية إلى الخارج بما اشتراه العرب من الضروريات

لقد بالغ الناس كثيراً فى هذه الإعانات ، ولم نر كتاباً من الكتب التى نشرت أخيراً أزال الستار عن هذا وأوضح لنا هذا الغموض ؛ ولذا فإننا نحاول باختصار أن نذكر شيئاً هنا من الأوراق التى تحت أيدينا خدمة للتاريخ العربى ، والحقيقة التى ينشدها المنصفون

فى كتاب بتاريخ^(١) ٢٩ مارس سنة ١٩١٧ من دار الاعتماد البريطانى للملك حسين أن الإعانات كانت توزع كالآتى : —

(١) راجع نص الكتاب فى الذيل

٤٠ ألف جنيه لسمو الأمير فيصل

٣٠ » » » عبد الله

٢٠ » » » على

٢٠ » » » زيد

١٥ » » لجد

١٢٥ ألف جنيه

وانه من ذلك التاريخ سيزاد ١٠ آلاف على ما يدفع لسمو الأمير فيصل ،
ومثلها لسمو الأمير عبد الله ، فيصبح ما يتناوله الأول ٥٠ ألفاً وما يتناوله الثاني
٤٠ ألف جنيه أى أن المبلغ الشهري كان أولاً ١٢٥ ألف جنيه فأصبح ١٤٥ ألف
جنيه على أن هذا المبلغ قد زاد حتى وصل إلى ٢٠٠ ألف جنيه

وفي كتاب^(١) لدار الاعتماد البريطاني بمجدة بتاريخ ١٣ ابريل سنة ١٩١٩
أن الحكومة البريطانية خفضت الاعانة التى تدفع إلى الحجاز ١٢٠ ألفاً منها
٨٠ ألفاً لحكومة دمشق أو بعبارة أخرى للأمير فيصل ، ولكنها زيدت بعد
ذلك ١٥٠ ألفاً ، ثم خفضت إلى ١٢٠ ألفاً مرة ثانية ، ثم إلى ١٠٠ ألف ، وأن
النية فى تخفيضها إلى ٨٠ ألفاً ، غير أن الحكومة البريطانية استمرت تدفع ١٠٠
ألف للحجاز حتى شهر يوليو سنة ١٩١٩

وفي كتاب^(٢) آخر من دار الاعتماد البريطانية للملك حسين بتاريخ مايو
سنة ١٩٢٠ أن المبلغ الذى وصل إليه من الخزنة البريطانية عن المدة ما بين ابريل
سنة ١٩١٨ لغاية ٣١ مارس هو مبلغ ٢,٤٧٥,٠٠٠ باعتبار ٢٠٠ ألف جنيه كل
شهر مع اضافة ٢٥ ألف جنيه علاوة على كل من ثلاثة أشهر ابريل ومايو ويونيو

(١) راجع نص الكتاب فى الذيل (٢) راجع نص الكتاب فى الذيل

وفي كتابين بتاريخ ١٤ فبراير سنة ١٩٢٢ وأول فبراير سنة ١٩٢٣ أن المبلغ الذي وصل إليه من أول ابريل سنة ١٩١٩ إلى ٣١ مارس سنة ١٩٢٠ كان

بنس	شلن	جنيه
٥	٧	٩٢٥٠٥٧٥
٦	١٥	٢٧٢٥٣

هذا ما يختص بالنقود التي كانت ترسل من الجانب البريطاني لمساعدة الثورة العربية ، أما الأغذية فيكفي أن تقول : أن الحجاز ليس بلداً زراعياً يمكن أن يقوم بحاجات سكانها وما فيه من الأودية المزروعة لا يكفي بحاجات السكان ؛ ولذا فقد كان الحجاز دائماً محل عطف ورعاية من سائر ملوك المسلمين ، وفي أثناء الثورة العربية كانت انجلترا تقوم بتقديم كل ما يحتاج إليه الجيش العربي في سائر الميادين ، كما أنها كانت ترسل إلى مكة مقادير غير قليلة للأهالي الذين كانوا في أشد حاجة لهذه المساعدة وربما كان من المفيد أن ننشر قائمة بما أرسل من الأغذية في سبتمبر من ١٩١٧ ليكون لدى القارئ صورة صحيحة مما كان يقوم بها البريطانيون أثناء الحرب لتموين الثورة العربية



شهر سبتمبر

ما أرسل في هذا الشهر	يرسل على الأريثوزا	يرسل على باخرة الحب	ما يبق بجدده لحين وصول باخرة الذخيرة الثانية من الهند
دقيق ١٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٥٠٠٠
أرز ١٠٠٠	٣٢٠٠	٥٠٠٠	٣٠٠٠
بن ٦٠	—	٢٥٠	—
سكر ٣٠	—	١٨٠	—
شعير ٥٠٠	٥٠	٢٠٠	—
دقيق ١٦٠٠	—	٣٠٠٠	—
أرز ٤٠٠٠	—	٥٠٠٠	—
بن ٢٥٠	—	—	—
سكر ٢٥٠	—	—	—
شعير —	—	—	—
دقيق ١٢٠٠	—	—	—
أرز ١٢٠٠	—	—	—
بن ٥٠	—	—	—
سكر ٥٠	—	—	—

ملاحظة

١ — كل الأعداد معتبرة بأ كياس صغيرة بخلاف الشعير فمحتسب بأ كياس كبيرة

٢ — البن معتبر بالصناديق

أما الأسلحة والذخيرة فالثورة كلها كانت مسلحة بأسلحة انجليزية وقليل من الأسلحة الفرنسية ، ولكن الشيء الذى يجب أن نذكره هنا : أن الحكومة البريطانية كانت دائماً تتجنب كل ما من شأنه أن يثير شبهة تداخلها فى الحجاز فلم ترسل طياراتها أو رجالها الفنين إلا إلى الأماكن البعيدة عن مكة والمدينة ، ولعلمها أن جيش الشريف ينقصه الشيء الكثير من الضباط المدربين والعسكر النظاميين فقد أمدت جيشه بعدد من ضباط الجيش المصرى وجنوده فى الطائف ، ومكة ، والوجه ، كما أن الفرنسيين أيضاً أمدوا الجيش العربى ببعض الضباط ، ولكن أثرهم كان ضعيفاً بالمقارنة إلى المساعدات البريطانية

ويظهر أن هذه المساعدات كان دون حاجة الجيش ، فان الملك حسيناً كان كثير الشكوى ويطلب من وقت لآخر المزيد ، كما أنه كان يتهدد البريطانيين بالاستقالة إذا لم تجب طلباته ، ولكن البريطانيين كانوا يعالجون الأمر بالحكمة والصبر والأناة شأنهم فى معالجة سائر الأمور حتى انتهت الحرب كما يشتهون من انتصاراتهم وانتصار حلفائهم على ألمانيا وشركائها



المعاهدة البريطانية مع الملك حسين

لا شك أن آمال الملك حسين قد أصابها شيء من التصدع بعد حوادث سورية ، ولكن الآمال انتعشت قليلا بعد أن تبوأ ولده المرحوم الملك فيصل عرش العراق ، غير أن الملك حسيناً ما زال من وقت لآخر يلح على البريطانيين بالوفاء بعهودهم المقطوعة له ، والبريطانيون كما يتبين من أحاديثهم مع الملك فيصل شرحوا موقفهم جلياً ، وأنهم لا يتفقون مع ما يفهمه الملك حسين من العهود ، ولكنهم من جهة أخرى كانوا يعترفون بمساعدات الملك حسين لهم في الحرب العامة ، فكانوا يودون أن يصفوا الحساب بينهم وبينه بمعاهدة سياسية ، فأوفدوا لهذا الغرض الكولونيل لورانس سنة ١٩٢١ فتفاوض مع الأمير على ، والشيخ فؤاد الخطيب ، ودار البحث بين الطرفين على الحدود الحجازية النجدية المختلف عليها ، والحدود اليمنية والاتحاد العربي ، ثم على مشروع معاهدة بين الطرفين^(١) ، ويظهر أن الاتفاق كان تاماً ، لأنه ليس من المعقول أن يتم أى شيء بين الأمير على وبين الكولونيل لورانس بدون موافقة الملك حسين ، ولكن الملك حسيناً رفض المعاهدة لأنه لم يجدها متفقة مع أمانيه ، لا سيما ما يتعلق منها بالبلاد المجاورة للحجاز وخاصة ابن سعود ولقد أراد سمو الأمير عبد الله حينما كان في لندن في خريف سنة ١٩٢١ أن يتدخل في الموضوع بانتهاء موضوع المعاهدة ، لا سيما وقد سبق له البحث مع الكولونيل لورانس أيضاً في جدة ، وبالفعل فقد استخبرت دار الاعتماد الانجليزي في جدة في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ عما إذا كان الملك حسين يرغب في أن يعيد سمو

(١) في ذيل الكتاب نص مشروع المعاهدة وخلاصة المباحث التي دارت بين الكولونيل

لورانس والأمير على

الأمير عبد الله فتح المفاوضات وإمضاء المعاهدة بالنيابة عن جلالة الملك ، فأجاب جلالته بكتاب صدره بالشكوى والعتاب ، وأنه أمضى المعاهدة وأرسلها للأمير عبد الله بناء على مذاكرة الكولونيل لورانس بعد تعديل بعض المواد ، وإننا وإن لم نقف على التعديلات التي أدخلها الملك حسين ، غير أن تداخل سمو الأمير عبد الله لم يقدم الموضوع خطوة ، وأن التعديلات التي أدخلها على النص الموضوع لم يقبلها الجانب البريطاني

ولقد أوفد الملك حسين الدكتور ناجي الأصيل عدة مرات إلى البلاد الانجليزية لحل معضلة المعاهدة والقضية العربية على الوضع الذي يريده ، أما مايتعلق بالقضية العربية والعهود التي قطعت للملك حسين ، فالدكتور ناجي الأصيل لم يكن له من النفوذ والشخصية التي كانت للملك فيصل والأمير عبد الله ، ولذا فانه لم يكن ينتظر له الفوز من هذه الناحية

أما من جهة المعاهدة فان الحكومة الانجليزية قد استفهمت من الحكومة الهاشمية بكتاب سرى مؤرخ في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٢ عما إذا كان الملك حسين مستعداً لقبول بعض اصلاحات في المعاهدة التي يحملها الدكتور ناجي الأصيل ، فان معتمد وقنصل بريطانيا في جدة مستعد للبحث والتوقيع على المعاهدة والاصلاحات المشار إليها قد ذكرت في كتاب سرى آخر مؤرخ في أول فبراير سنة ١٩٢٣ وهي :

١ — يحذف ما يتعلق بالاعانة لأن الاعانات كان قد تقرر قطعها

٢ — حذف ما يتعلق بالتمثيل القنصلي بمصر لأن مركز مصر قد تغير عن

سنة ١٩٢٤

٣ — إضافة مادة جديدة كالآتي : إن جلالة الملك حسين يعترف بالمرکز

الخاص لصاحب الجلالة البريطانية في العراق وفلسطين

وإضافة مادة أخرى بترجيح النص الانجليزي في حالة وقوع خلاف في فهم

حدى المواد ، فأجاب الملك حسين على هذه التصحيحات بكتاب مؤرخ^(١) ١٧ / ٦ / ١٩٢١ بأنه قد تحقق ظنه الآن بأن الغيظ والغضب علينا من بريطانيا العظمى بشأن المعاهدة هو من جهة المواد المتعلقة بابن سعود ، وهذه المسألة لا نقول عنها إلا شيئاً واحداً ، هو أن عظمتها ترجح ابن سعود علينا ، فهل من يقول إذا لم تروا أننا نكون معه على ما كان الآباء والأجداد في المادة والمعنى ، خذوا البلاد كلها وسلموها إليه ، ولا تبقى عليه مؤاخذه أو معاتبة ، وهل من موجب بعد هذا على مشاركة بريطانيا له على ما يسفك من الدماء ، وما ينهب من الأموال ويسحق ويمحق من الديار ، لاعاتها له بالمال والسلاح ، وإني لم أزل ولن أزال على هذه الفكرة

أما إدخال المادة الخامسة عشرة (وهي الخاصة بالعراق وفلسطين) فحيث إننا معتقدون وجازمون بأن كافة البلاد العربية المحدودة في الوعود والعهود هي معنى قائمة بما يراد بقولكم في العراق وفلسطين ؛ فلا نرى لهذا إلا التشويش والاضطراب على شخص جلالته خاصة والبلاد عامة ، وأشرنا إلى ذلك في كتابنا إلى مندوبنا الأصيل ، وفي برقيتنا إلى دار الاعتماد في ١٩ رجب سنة ١٣٣٧ ، وهو طلب ما تقرر أساساً من جهة حدود الشام والعراق والبصرة ، وجعلت الإعانة الشهرية في مقابلة اشغالها للبصرة وأن أول شرط في مقرراتي المذكورة جعل بلادنا المحدودة بتلك الحدود والمعلومة في تلك المقررات تحت حماية بريطانيا من كل تعدّ الخ

وهكذا فشلت هذه المحاولة كما فشلت المحاولات التي سبقتها ، وقد ارتطمت المعاهدة بصخرة قضية فلسطين وموقف بريطانيا من ابن سعود ، وقد أتاحَت هذه الخلافات الفرصة لابن السعود أن يغير على الحجاز و يضع آخر حد للخلاف

مع الملك حسين

(١) قد اخترنا نس العبارات التي استعملها الملك حسين بدون أي تغيير

المسألة الفلسطينية

لا نريد هنا أن نأتى على تاريخ محاولة اليهود إنشاء مملكة يهودية في فلسطين فقد أفردت لهذا الغرض مؤلفات خاصة ، ولكن الذى يهمنا أن نقرره هنا أن الحركة الصهيونية التى ظهرت بعد الحرب واتخذت شكلا أزعج العرب لم تكن جديدة ؛ فالحكومة التركية كانت تعلم خطر هذه الحركة فوضعت فى سنة ١٩٠٠ م تعليمات تقضى بمنع مهاجرى اليهود من الإقامة فى فلسطين أكثر من ثلاثة أشهر ، وقد احتجت إيطاليا وأميركا على هذا الحجز ، ولكن الحكومة التركية لم تصغ إلى ذلك ، وقد بذل هرتشل أكبر القائمين بالدعوة مجهودات عظيمة فى الآستانة ، ولكنه فشل فى حمل الباب العالى على الموافقة على إنشاء حكومة يهودية فى فلسطين ، غير أن المساعى اليهودية لم تعرف اليأس بل سارت فى أعمالها الاقتصادية والزراعية بكل تكتم ، كما أنها نشطت فى عقد المؤتمرات المتعددة لإثارة حماسة اليهود وتوحيد مساعيهم والتفاهم فى الوسائل الممكنة

قد أرادت الحكومة الاتحادية بيع نحو ثلاثة ملايين فداناً من الأراضى فى فلسطين وسورية ، ولكن الشهيد شكرى بك العسلى هاجم المشروع فى المجلس النيابى التركى وبين المزار والأخطار التى تصيب البلاد من أجله ، فحبطت المساعى المبذولة وطوى المشروع ، غير أن الصهيوين لم يعدموا الوسائل التى يمتلكون بها الأرض ، والدراهم تسخر كل شىء . دخلت تركيا الحرب فى صف ألمانيا وحلفائها فانتعشت آمال اليهود يوم صرح مستراسكويتش رئيس الوزارة الانجليزية بأن جرس جنازة تركيا قد دق ، لافى أوروبا فقط بل فى آسيا أيضاً ، فاستبشروا بأن تأسيس دولة يهودية فى فلسطين أصبح ممكناً ومعقولاً ، وبرز

الدكتور ويزمن الأستاذ في جامعة مانشستر واندفع حتى أصبح قائد الحركة الصهيونية العامة ، وهو الذى اعتبر دخول تركيا في الحرب عهداً جديداً لفلسطين وفرصة نادرة يجب الاستفادة منها

قابل الدكتور ويزمن مستر لويد جورج وكان يومئذ وزير المالية ، وبسط له آراءه وآماله بجعل فلسطين بلاداً يهودية ، فارتاح إلى هذا الطلب ثم عمل على الاجتماع مع مستر بلفور فأنس منه كل تشجيع . لقد بحث الحلفاء (فرنسا وبريطانيا) في تقسيم تركة الرجل المريض (تركيا) . وأمضى اتفاق (سايكس — بيكو) في ربيع سنة ١٩١٦ ، ولم يخطر ببال الحلفاء إذ ذاك مسألة اليهود ، غير أن اليهود الأقوياء الأذكياء استطاعوا أن يصلوا إلى غرضهم بإقناع الإنجليز بأهمية مايرمون إليه وفي ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٧ أى بعد تصريح بلفور بأسبوعين أرسل السير مارك سايكس كتاباً^(١) دورياً إلى زعماء العرب يوجه نظرهم فيه إلى أن الاهتمام بالقضية العربية يجب أن لا يوجه فقط إلى نجاحها في ميدان الحرب ، بل يجب أن يوجه أيضاً إلى بقائها سائرة بالاتفاق مع سياسة العالم والنهضة العصرية ، لأن النهضة العربية إذا صادفت نجاحاً في ميدان الحرب فقط ، ولم تكن موافقة لآراء الحكومات وعناصر العالم المختلفة ، فإنها لا تنال التأييد السياسى اللازم لحفظ كيائها والضامن لحياتها بعد الحرب

ووجه نظر قادة العرب أيضاً إلى أن العرب مع اتحادهم في اللغة والجنس منقسمون انقساماً عظيماً جغرافياً وتهديبياً علاوة على الاختلاف الناشئ عن تأثير الظالم مدة سنين طويلة وقد أسدى النصيحة الآتية :

إن الحكومة البريطانية قد اعترفت بالصهيونية ، والصهيونيون أعظم قوة يهودية ، واليهودية منتشرة في العالم أجمع ، فإن اتحدت قوة الصهيونية والعرب فإن

تحرير العرب محقق ، وأما إذا انشقت هاتان القوتان فإن ذلك لا يفضى إلى الارتياح فقط ، بل يؤدي إلى الفوضى التامة ، وينحل العرب إذ ذاك إلى عناصرهم المختلفة من بدوى وحضرى ، ومسلم ومسيحى ، ويستحيل ضمهم وجمع كلمتهم ، والصهيونيون الآن مستعدون لأن يتحدوا مع العرب في تحرير سوريا وغيرها من البلاد الباقية تحت نير تركيا في اتفاق تام مع الأرمن ، وغاية ما يبغيه الصهيونيون أن ينالوا حق الاستعمار في فلسطين ، وأن يعيشوا في مستعمراتهم عيشتهم القومية الخاصة ، وقد طلب السير مارك سايكس من حكومة الحجاز أن ترسل مندوباً في اللجنة المؤلفة من الدكتور ويزمن رئيس الصهيونيين البريطانيين ، والمستمر مكولم مندوب الأرمن في لندن ، وهذه اللجنة تحت رئاسة السير مارك سايكس لمراقبة الاتفاق العربى الأرمنى الصهيونى ونشر دعوته في العالم ، ومنع حدوث ما يضر به وحفظ الاتفاق بين النهضة الثلاث ، وضبط الأركان على الدوام ، غير أن الملك حسيناً لم يرسل مندوباً من قبله للاشتراك في أعمال اللجنة المذكورة ، كما أنه لم يبد رأياً خاصاً في هذا الموضوع الخطير ، إما لعدم عايه بالقضية الصهيونية ومخاطرها ، وإما لثقلته التامة بالبريطانيين ، وأنهم بعد انتهاء الحرب العامة وانسحاب الأتراك من البلاد العربية سيسلمونها إليه كلها ، وهو يديرها بمساعدة الحكومة البريطانية توطدت العلاقات بين الصهيونيين والحكومة الانجليزية وحازت رضا كل من فرنسا وإيطاليا

أخذت الصهيونية تدخل في دور دولى جديد بسامع مجلس الحلفاء الأعلى سنة ١٩١٩ ويزمن ومستر سكولوف للحضور أمامه لتمثيل اليهود وشرح مطالبهم ، وقد سمع المجلس المذكور في ٢٧ فبراير سنة ١٩١٩ اقتراحاتهم وهى :

(١) وجوب اعتراف الدول بحق اليهود التاريخى في فلسطين وشد أزرهم

لإعادة بناء وطنهم القومى

(٢) أن تسلم سلطة الحكم العليا في فلسطين إلى جمعية الأمم ، وأن يعهد إلى إنجلترا بالوصاية عليها وتكون مسئولة أمام جمعية الأمم

(٣) أن يضاف إلى صك الانتداب لحكومة فلسطين الشروط الآتية :

(١) أن توضع فلسطين في أحوال إدارية وسياسية واقتصادية يضمن معها تأسيس الوطن القومي اليهودي ، وأن يؤول ذلك في النهاية إلى إيجاد حكومة مستقلة بشرط أن لا يعمل شيء يعيث بحقوق غير اليهود (العرب) في فلسطين ، أو بحقوق اليهود التي يتمتعون بها خارج فلسطين

(٢) للوصول إلى هذه الغاية تقوم الدولة الوصية

١ — بتشجيع الهجرة اليهودية وإسكان اليهود في الأرض الفلسطينية

مع المحافظة على حقوق السكان الحاليين من غير اليهود

ب — تعضيد وكالة يهودية في فلسطين وفي العالم للإشراف على بناء

الوطن القومي اليهودي في فلسطين

ح — وبعد الاقتناع بأن قانون هذه الوكالة لا يتضمن جلب الربح

الخاص يجب أن يفضل على غيره بإعطاء المشروعات الاقتصادية وتمنح له الأولوية في كل امتياز في الأعمال العامة أو في تثير الثروة الطبيعية التي تجد الحكومة من الضرورة إعطاءها لها

ومع أن مجلس الحلفاء لم يبد جواباً حاسماً لمندوبي اليهود ، إلا أن اليهود كانت ثقتهم عظيمة ببريطانيا ، وأنهم بواسطتها سيصلون إلى الغاية التي يتوخونها

وفي سنة ١٩٢٠ بحث الحلفاء مرة أخرى في مسألة فلسطين فاعترفوا بمطالب الصهيونيين ووعد بلفور ، وقد تقرر أيضاً في سان ريمو بناء على أمانى الصهيونيين

أن تكون الحكومة الانجليزية هي الحكومة الوصية على فلسطين ، فأبدلت الحكومة البريطانية الادارة العسكرية بحكومة مدنية ، وعهدت برياستها إلى السير هيربرت صمويل

العرب واليهود

لم يكن من الطبيعي موافقة العرب على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود ولا موافقتهم على فتح باب الهجرة لليهود بلا قيد ولا شرط ، لأن أراضي البلاد الزراعية محدودة ، وقدرتها على قبول السكان محدودة أيضاً ، وفتح باب الهجرة لليهود فقط معناه إيجاد مزاحمين جدد للسكان

لذلك فإنهم قد هبوا في وجه تصريح بلفور واحتجوا على السياسة الجديدة التي أدخلت على فلسطين ، وأرسلوا الوفود إلى كل من مكة ولندن ، فاما وفد لندن فانه لم يصادف نجاحاً كبيراً لقوة اليهود المادية والأدبية وعظم نفوذهم في مختلف الأحزاب الانجليزية ، أما وفد مكة فانه أثار الملك حسيناً وحكومة مكة ووجد صدىً رجباً من جريدة القبلة ، فنشر كل ما يريد نشره كما أنه أثار حماسة الحجاج المسلمين

لم يسع الانجليز السكوت على الحملات الموجهة إليهم قبل اليهود لأنهم هم المسئولون عن ادارة البلاد ، فكتبوا كتاباً طويلاً للملك حسين بتاريخ ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٢ هاجموا فيه الوفد الفلسطيني واتهموه بسوء النية ، وكذبوا كثيراً من دعاويه التي نشرها في الحجاز ، كما أنهم لاموا حكومة الحجاز والقائمين بتحرير القبلة على تركهم البيانات بدون تعليق ، وأردفوا الكتاب ببيان من وزير المستعمرات عن سياسة الحكومة البريطانية في فلسطين ، فرد الملك حسين على هذا الكتاب المطول مدافعاً عن الوفد تارة ومعتذراً تارة أخرى وقال :

وحيث ان هذه المباحث كلها مخالفة لمقررات جلالة الملك مع بريطانيا وتعهداتها لذلك لا يمكن البحث في الموضوع . ثم أنهى باللائمة على مشروع رتنبرج وتسليح اليهود ، ثم على وعد بلفور مما لا يرى ضرورة لتفصيله هنا وقد استمر الملك حسين على موقفه في فلسطين تحت تأثير الأحزاب العربية حتى آخر لحظة من حكمه ، وكان موقفه في فلسطين وتصريحاته المتعددة من أهم المسائل التي عرقلت المفاوضات بينه وبين الانجليز ، وقد كانت عقيدة الملك حسين أن فلسطين هي جزء من المملكة العربية التي وعد بتشكيلها ، وان وعد بلفور باطل لمخالفته للعهود والوعود المقطوعة له من بريطانيا

ولقد رأى الملك حسين أخيراً أن يوجه خطاباً للشعب البريطاني في نوفمبر سنة ١٩٢٣ يشكو فيه ما أصابه هو وقومه من خيبة الأمل ، وما أصاب البلاد العربية من التقسيم بالرغم من العهود والاتفاقات ، واستنهض همه الشعب البريطاني المعروف بتقاليده في انصاف الشعوب المظلومة . . . فلم تطمئن الحكومة البريطانية إلى موقف الملك حسين الجديد وتشجيعه للأحزاب العربية ، فصرفوا النظر عنه وتركوه لخصمه ابن السعود يحل مشاكله معه بنفسه ، فتغلب عليه وأقصاه عن الحجاز



الملك حسين وجيرانه

قلنا من قبل : إن جلالة الملك حسين كانت كل آماله موجهة إلى إنشاء إمبراطورية عربية^(١) يرأسها ، وسواء كانت هذه الفكرة سهلة المنال أو مستحيلة فإنه ما زال حتى آخر لحظة يدعو إليها ويدافع عنها حتى فقد ملكه في سبيل تحقيقها ، ونقول هنا أيضاً : إن أنجاله كانوا يوافقونه على هذه الفكرة ويسعون إليها بالرغم من أن الحلفاء عارضوا في لقب ملك العرب لأنه سيثير شكوك حكام العرب الآخرين لقد كان جلالة الملك فيصل من المعتقدين بهذه الفكرة ، فقد كتب إلى والده في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٩ يخبره بمساعيه في فرنسا وتمنى لو يرفع العلم العربي على كافة أنحاء الجزيرة كالين وعسير وغيره ، وإعلان انضمامهم له لكي يبلغ ذلك للدول ، ويتخلصون من كلمة ملك الحجاز ويقولون ملك العرب . والأمير عبدالله في كتابه المؤرخ ٢٨ إبريل سنة ١٩٢٠ إلى نائب الملك بمصر الذي يطالب فيه الحكومة البريطانية بالامبراطورية العربية التي وعدتهم بإنشائها ، يقول في آخره :
وخلاصة المقال أن جلالتة يبحث عن أمرين :

الأول — عن المسألة العربية الكبرى

الثاني — في المسائل البدوية لمشايخ العربان الذين كانت لهم صلات بالحكومة البريطانية منذ الحكم العثماني على سواحل خليج فارس والمحيط الهندي ، كابن الصباح وابن سعود وغيرهما ، ولا سيما الأخير الذي يدعى أن العهد البريطاني الذي بيده يسوغ له أن يفعل ما فعله من الحركات المعلومة التي شرع فيها إبان الحرب ولقد كتب الملك حسين بعد وفاة السيد محمد الإدريسي كتاباً لرؤساء قبائل

(١) راجع في الذيل مشروع الوحدة العربية الذي وضعه الملك حسين

عسير يجب إليهم الانضمام إلى الحجاز ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح كما حاول الاتفاق مع الإمام يحيى . أما ابن سعود فالخصومة بينه وبين الملك حسين كانت أشد وأعنف ، ولذا فإننا سنوفى حقها من التفصيل

ابن سعود والملك حسين

إن النزاع بين الأشراف وآل سعود يرجع عهده إلى حركة الإصلاح الدينى التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمساعدة آل سعود ، فهذه الحركة صحبها حركة فتح و بسط نفوذ فى سائر جزيرة العرب ، وأصبحت الحجاز مهددة فى ذلك الوقت ، ومكة والمدينة كانتا كالقاهرة من حيث المركز العلمى ، كما أن الأشراف كانوا يرون فى أنفسهم الامتياز بالنسب وحكم البلاد المقدسة ، وكان شأنهم كشأن حكام جزيرة العرب من حيث الاتصال بالبادية والاشتغال بالغزو أيضاً ، فكان من الطبيعى أن يقوم بينهم وبين آل سعود ما وقع من الخلاف :

أولاً — بسبب الدعوة الدينية ، وأساسها قائم على إنكار البدع والخرافات والقبور والعاكفين عليها

ثانياً — النزاع على السيادة . فالأشراف يرون أن مركزهم الدينى بالقراية وإمارة مكة جعلهم فى مركز لا يصح أن يقارن بمركز أى أمير آخر ، والنجديون طبعاً يخالفونهم فى هذا

فى سنة ١١٨٥ هـ أرسل الأمير عبد العزيز بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب هدايا إلى أمير مكة الشريف أحمد بن سعيد مع الشيخ عبد العزيز الحصىنى ، الذى أوفد إلى مكة بطلب من الشريف ليشرح ما عليه أهل نجد ، وبيان وجهة نظرهم الجديدة . وقد وصل المذكور إلى مكة وتباحث مع علماء مكة فى بعض المسائل . ويقول ابن غنم المؤرخ النجدى : إنهم أحضروا كتب الحنابلة فاقنعوا بأن

ما عليه أهل نجد من هدم القباب ومنع دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم حق ، وأن هذا مذهب الإمام الأعظم ، وأن الشيخ عبد العزيز انصرف مبعجلاً مكرماً ، وفي سنة ١٢٠٤ هـ أوفد الأمير عبد العزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الشريف غالب الشيخ عبد العزيز الحصيني مرة أخرى إلى مكة حسب رغبة الشريف غالب ، ولكن علماء مكة في هذه المرة لم يقبلوا مناظرة الشيخ عبد العزيز ، ويقول ابن غنام : إن الشريف غالباً قبل دعوة أهل نجد ، وقد يكون الشريف غالب تظاهر بذلك ليخفي ما كان يدبره سرّاً من غزو نجد والقضاء على الدعوة الجديدة في عقر دارها ، إذ ليس من المحتمل أن يكون شريف مكة أراد أن يخدع أمير نجد حتى ينصرف لتسكين الأحوال الداخلية في مكة لاسيما مؤامرات بني عمه ضده ، فإن الدعوة الدينية وقوة أمير نجد لم تبلغ من القوة التي يخشى على مكة منها ويقول السيد دحلان : إن أمير نجد قبل اتساع أمره أراد حج البيت الحرام في أيام الشريف مسعود بن سعيد ، فأرسل يستأذن في الحج ، وكان أرسل قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ، وطلب من الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء النجديين ، فأمر الشريف مسعود قاضي الشرع أن يكتب حجة بكفرهم وأمر بسجنهم ووضعهم في السلاسل والأغلال ، وفي أيام الشريف مساعد أخى الشريف مسعود أرسل يستأذن في الحج ، فأبى وامتنع من الاذن له ، ولما تقلد الأمر الشريف أحمد بن سعد أرسل أمير الدرعية جماعة من علماء نجد للمناظرة مع علماء الحرمين ، فأبى الشريف بعد ذلك أن يأذن لهم بسبب الاختلاف الواقع بين الفريقين ، وفي أيام الشريف سرور أرسل إليه يستأذنه في الحج ، فأجابه إن أردت الوصول فاني آخذ منك مثل ما آخذ من الأعجام ، وآخذ منك مائة من الجياد فلم يقبل . وفي أيام الشريف غالب أرسل أيضاً يستأذنه في الحج ، فمنعه وتهدهه بالزحف عليه

ومها كان الفرق بين رواية النجديين والسيد دحلان ، فما لاشك فيه أن أشراف الحجاز كانوا يعتبرون أنفسهم ملاك البيت ، يسمحون لمن يريدون ، ويمنعون من يريدون ، ولاشك أنهم كانوا يضعون العراقيل في سبيل الحجاج النجديين بسبب الدعوة الدينية التي قامت في نجد

وفي ١٢٠٥ هـ جهز الشريف غالب حملة كبيرة لغزو نجد ، والقضاء على الدعوة الدينية واجتثاث أصلها ، وثل عرش آل سعود ، وسار الشريف بنفسه إلى الشَّعْراء ولكن هذه الحملة وما تبعها من حملات رجعت تجر وراءها الخيبة والفشل ، كما كانت فاتحة شريين آل سعود والأشراف ، فان آل سعود لم يقبلوا تحكيم الأشراف في البيت الحرام ومنعهم من الحج ، كما رأوا في الأشراف قوة أخرى لاتزال تهددهم من وقت لآخر ، وهي موئل للرجعية وللتعصب للقبور ، ولذا فانهم بعد أن استتب لهم الأمر في الجزيرة وقضوا على الإمارات الصغيرة واحدة تلو الأخرى ، ولم يبق لهم منازع في نجد وجهوا نظرهم شطر الحجاز ، ففتحوه وحكموه من سنة ١٢١٩ هـ إلى سنة ١٢٢٧ هـ ، ولولا الأغلاط التي ارتكبوها ضد الأتراك والمصريين ما اعترض حكمهم أحد في الحجاز ، فإنهم يفضلون الأشراف بقوتهم وقدرتهم على بسط الامن والضرب على أيدي قطاع الطرق والطامعين في الحجاج من البدو

وفي سنة ١٢٦٣ هـ تولى الشريف محمد بن عون جد الشريف حسين قيادة حملة تركية للقضاء على سلطة الإمام فيصل جد الملك عبد العزيز ، فوصلت هذه الحملة إلى القصيم ، غير أن الإمام الداهية البعيد النظر أحبط هذه المؤامرة بالاتفاق مع الأتراك على أن يكون مستقلاً في بلاده خاضعاً لسيادتهم ، ويدفع لهم مقابل ذلك مبلغاً سنوياً قدره عشرة آلاف ريال ، ولقد كنا نظن أن مرور الأيام طوت صحائف العداوة والحقد بين هاتين العائلتين ، ولكن الزمن بدد هذا الظن ، وظهر أن الأشراف لاتزال قلوبهم ملأى بالحقد على آل سعود بالرغم من أن

آل سعود لم يكن لهم قبل ربع قرن من الزمن من القوة والنفوذ ما يؤبه له ، ولقد سمعت من كثير من النجديين لاسيما من كانوا في بطانة آل رشيد ، وقد أكد هذه الرواية الملك عبد العزيز أن الشريف علياً باشا أمير مكة الأسبق كانت باكورة أعماله في إمارة مكة بعد الشريف عون إهداءه أسلحة ورماحاً إلى الأمير عبد العزيز الرشيد خصم الأمير عبد العزيز آل سعود والقارئ يعرف أثر هذه الهدية في نفس الأمير عبد العزيز آل سعود (الملك عبد العزيز الآن)

ولما تولى الشريف حسين إمارة مكة بعد الدستور العثماني ظننا أن عهداً جديداً سيكون للبلاد العربية ، لأن الشريف ذاق من ظلم الأتراك بإبعادهم له من مكة كما ذاق طعم الحرية بعد عصر الحرية ولكنه أبى إلا أن يكون آلة في يد الأتراك لضرب العرب ، فقد سار هو وأولاده في الحملة التي سيرها الأتراك لضرب الأدرسي في عسير ، وهذا كله ليبرهن للأتراك إخلاصه التام . أما الأمير عبد العزيز بن سعود فقد كان له من مشا كله في نجد ما يغنيه من خلق مشا كل جديدة بينه وبين الشريف حسين ، ولكن الشريف حسيناً بحجة المطالبة بعتبة خرج من الحجاز حتى الشَّعْرَا أول قرى نجد ، واعتقل سعد بن عبد الرحمن شقيق أمير نجد كرهينة ولكن أمير نجد تفاهم مع الشريف حسين وجاراه في أغراضه وأعلن أنه لم يكن له من مصلحة إلا إخلاصه للدولة التركية وللإشراف ، فإن النزاع بينه وبين أبناء عمه ، وبينه وبين خصمه الألد ابن الرشيد كان على أشده ، بل إن مصلحته تقضى بخطب ود الشريف مكة ومحاسنته وهذا ما كان وبعد هذا التفاهم أرسل أمير نجد في رمضان سنة ١٣٢٨ أحد أبناء عمه إلى مكة مع هدية من جواد الخليل ، وقال في كتابه^(١) : « إننا حاسبون^(٢) أنفسنا من

(١) راجع نص الكتب التي أرسلها الأمير عبد العزيز إلى الشريف حسين في الذيل

(٢) هذه لغة الكتب ننشرها كما هي طبق الأصل

خواصكم وإلا هديتنا رؤسنا وما تحت أيدينا ، وحررنا هذا الكتاب لموجب التعرض لخدمتكم وما يبدو من اللازم ، وإلا أمركم علينا تام على كل حال وما تفعلون معنا وتحطون أنظاركم علينا تجدون إن شاء الله مضاعفاً بالخدمات والسمع والطاعة » وفي كتاب آخر مؤرخ ٢٢ ربيع أول سنة ١٣٣٠ يقول : « اطلعنا على تحرير عطوفتكم لحضرة سيدى الوالد المحرر فى ٢١ صفر سنة ١٣٣٠ ، وقد سرنا سلامتكم وبما أشرتم من اجتناب كل ما يخالف مرضى ساحتكم العادلة ، فالله المطلع أننى أسعى إليها ، وإنى حريص لاستجلاب مرضيكم لأن من أخص آمالنا وأقصى مرمانا رضاكم ، وبالعكس نحن محرومون من التفاتكم حتى نال منا الأشيقاء المفسدون الذين لا غاية لهم إلا النهب والسلب ، وإقلاق الراحة وإحداث الفتن ، فاعتقدوا أننا لم نخالف مرضيكم ولم تقصر فى إبراز الصداقة والمحبة والمحسوبة لحضرتكم فى جميع مساعينا ، ونرجو من لطفكم بأن لا تكونوا من فكر من جهتنا أبداً ، وألا تخرجوا من دائرة المحبة والصداقة ، ولنا أمل بالله أن تكونوا واسطة قوية بيننا وبين متبوعنا الحكومة الشورية ، وتعرضوا لإخلاصنا وخدماتنا الصادرة فى مرضاة دولتنا الدستورية ، وترونى حاضراً استعداداً مع عموم أهل نجد لكل ما تكلفوننا وتأمرؤنا به ، أفدى السدة العثمانية بعزير روى »

فابن السعود فى كتبه كان يعترف للأشراف بما لهم من المنزلة والرياسة ، وذلك على شرط أن لا يتداخل الأشراف فى الشئون النجدية المحضة

بعد اشتعال نار الحرب أوجس الأتراك بشى مما سيحاوله شريف مكة ، فعرضوا على أمير نجد إمارة مكة ، غير أن ابن السعود رفض هذا العرض ، لأنه سيجر عليه مشا كل لا قبل له بها ، ولأن قبول هذا العرض سيجعله فى موقف عداء مع الإنجليز ، وابن سعود يحرص على مصافاتهم ومصادقتهم

وفى سنة ١٩١٦ م خلع الشريف حسين نير الأتراك ، وأعلن الثورة العربية

واستقلال البلاد العربية وانفصالها نهائياً من الحكم التركي
رحب أمير نجد بالحركة العربية ، وتبادل هو وشريف مكة الكتب الودية
والهدايا مما جعلنا نعتقد أن العرب سيدخلون في عصر جديد من التفاهم والاتحاد
غير أن اعلان الشريف حسين نفسه ملكاً باسم ملك العرب ، أثار شكوك
أمير نجد ، فاحتج فلم يسع الانجليز إلا الاعتراض على لقب ملك العرب
لقد كان من آثار تجديد الدعوة الدينية في نجد دخول العشائر المتاخمة للحجاز
من سبيع وعتيبة في دين الله ، تلك العشائر التي اشتركت مع الملك حسين في
اعلان الثورة وكان لها أثر يذكّر في فتح الطائف وجدة ، والتغلب على الحاميات
التركية ، فكان من آثار ذلك ازدياد الجفاء بين الملك حسين والأمير ابن سعود
وبالرغم من سعي الحكومة البريطانية للتوفيق بين الفريقين ، فإن هذا السعي لم
يثمر الثمرة المطلوبة وإن قلل حدة الخلاف . لقد دخل كثير من العشائر التي كانت
موالية للملك حسين في الدعوة الدينية ، وأصبحوا بمقتضى هذه الدعوة يرون أن
ملك الحجاز ليس من حماة الدين بل بالعكس حامى البدع ، وأخذت زيارة شيوخ
القبائل لأمير نجد تثير سخط الملك حسين ، واعتبر هذا خيانة عظيمة له

أرسل الملك حسين بعض قوات تأديبية لتأديب أولئك الخارجين وأدبهم
بالفعل ، فقد ابن السعود هذا التهديد موجهاً إليه ؛ اختل الأمن على حدود الحجاز
بالغزو المستمر ، ووصلت الكتب التي يرسلها أمير نجد إلى شيوخ القبائل يدعوهم
إلى التمسك بأهداب الدين ، وأن أهل نجد لا يقصدون إلا إعلاء كلمة الله . فتارت
ثائرة الشريف حسين على ابن سعود ، ومن ابن سعود هذا ؟ أليس هو بأمير صغير ؟
كيف يتناول على مقامنا ويتجاوز حدوده ؟ كانت نفس الملك حسين تمجيش
بهذه الكلمات طبعاً ، إذن يجب تأديبه أو اقصاؤه عن ملكه حتى يقف غيره

قام الملك حسين بالتجهيزات العسكرية في الطائف وتربة وجهاز كل قواته بالمدافع والرشاشات ، إن عشاثر الخربة لا تحتاج إلى كل هذا ، فالى أين هذه القوات ؟ إلى الاحساء أى إلى الساحل الغربى على خليج فارس ، هذا كان يقوله قواد الملك حسين ، وماذا فى نجد ؟ ألم تكن لكم عظة بمن حاول هذه المحاولات قبلكم من الأشراف والأتراك ، ألم تبتلعهم رمال نجد ؟ إلى نجد ! نحن لانكلفكم مؤونة الذهاب إليها ، إن دون نجد أهلها ورجالها . هذا جواب أمير نجد عبد العزيز بن سعود

سار أمير نجد بجنوده حتى أصبح قريباً من تربة ، والجند الشريفي لا يزال فيها ، غير أن عتية وبعضاً من سبيع أغنوا ابن السعود مؤونة الوصول إلى تربة ، فصبحوا جيش الشريف على غرة ، واتفقوا عليه من كل جانب ، وقتلوا كل من أوقعه القدر فى أيديهم ، والسعيد من وجد سبيلا للفرار ، ولم يجد هذا السبيل إلا نفر قليل بينهم القائد العام الأمير عبد الله أمير شرق الأردن الآن

هل يتقدم ابن السعود إلى الأمام ؟ لقد وصل إلى تربة وأقام حولها يحصى الغنائم ويقسم الأسلاب ، وليس هنالك ما يمنع من دخوله الطائف وهو على بضع ساعات منها ، بل لا شىء يمنعه من دخول مكة إذا أسرع إليها ، فان القوات التى يعتمد عليها الملك قد فنيت فى وادى تربة ؛ فزع الشريف حسين إلى الانجليز أن انظروا إلى ابن السعود يريد الاستيلاء على الحجاز ، والانجليز لا يمكن أن يتركوا حليفهم فريسة لأمير نجد ؛ أيدخل الأمير فيصل دمشق ليؤسس دولة عربية هنالك ويخرج والده من الحجاز ؟ إن هذا غير معقول طبعاً

أرسلت الحكومة البريطانية انذاراً للأمير نجد فى ٤ يونيو سنة ١٩١٩ م ٥ رمضان سنة ١٣٣٧ ، وحذرتة مغبة تقدمه فى الأراضى الحجازية ، لم يسع الأمير

عبد العزيز إلا الرجوع إلى نجد لأنه وهو الرجل العاقل البعيد النظر لم ير من مصلحته الدخول في محاصرة مع الحكومة البريطانية

ثم سعت الحكومة البريطانية من جانبها لإزالة سوء التفاهم ، ولكن الملك حسيناً ليس سهل القياد ، فقد سعت الحكومة البريطانية بين أمير نجد وملك الحجاز لتبادل كتب مودة وصداقة ، لعمل تلك الوسيلة تكون سبيلاً لازالة سوء التفاهم المستحكم بين الفريقين ، على أن الملك حسيناً لم يرسل كتاباً إلى أمير نجد ، كما أنه رفض استلام كتاب أمير نجد ، فكتب إليه نائب الملك في مصر كتاباً مطولاً بتاريخ ٥ نوفمبر جاء فيه :

« إن حكومة جلالة ملك بريطانيا نظراً إلى عنايتها بمصالح العرب الجهورية تقف ازاء اشتعال الحرب في جزيرة العرب موقف القلق المضطرب خصوصاً لكون حدوث ذلك يؤثر على القرارات السياسية التي سيتفق عليها قريباً

ثم انه لا يجب أن يخامر جلالتهكم أقل ريب في وفاء الحكومة البريطانية نحوم ، التي يتحتم عليها عدم اتخاذ جانب ابن سعود أو غيره فيما يضر بمصالح جلالتهكم ، غير أن جلالتهكم لا تجهلون شروط المعاهدة الحالية بين الحكومة البريطانية وابن سعود الضامنة حقوقه داخل حدود بلاده ، إلا أنها بلغته بصفة رسمية أنها تنظر إلى كل عمل يأتي به خارج بلاده بعين السخط ، بل رفضت طلبه زيادة الذخائر والمهمات الحربية ، زد على هذا أنها طلبت منه إيقاف الحركات العدائية ضد ابن الرشيد صديق الأتراك التي كان قد شرع بها بناء على طلب الحكومة البريطانية نفسها

إنني لا أذكر هذا إلا لغرض إيقاف جلالتهكم على حقيقة الحال ، ولكي تقدروا حق التقدير البواعث التي حملت الحكومة البريطانية على الإشارة لجلالتهكم بالوقوف عند حد معلوم فيما يتعلق بمسألة الحرمه وغيرها من شئون القبائل ، ونظراً

إلى ما سبق ذكره ، وما تكرر وروده في كتب جلالكم يصعب على تصديق الخبر الذي جاءني وهو أن جلالكم رغبتُم في قطع العلاقات الودية مع ابن سعود مما يكنى عنه بأرجاعكم رسوله ورفضكم كتابه

إنني أرجوكم أعظم الرجاء أن تجتهدوا لمنع كل البواعث الجوهرية التي تؤدي إلى سوء التفاهم مع الأمير المشار إليه بشأن سياستكم نحوه ، فإنه وإن كان أقل درجة من جلالكم وأضعف موارد ، لا ينكر أنه ذو تأثير وأهمية في السياسة العربية »
ساد السكون الحدود الحجازية بقية سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ تقريباً وتبدلت الكتب الودية بين الفريقين ، فالأمير عبد الله في كتاب له مؤرخ ٢٧ من ذي الحجة سنة ١٣٣٨ — ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ يقول :

« إنني قبل كل شيء أحمد الله الذي ألهمكم وأفهمكم على إركاب الأخ أحمد إلى هذا الجنب ، لحسم ما هو واقع من الأمور الحزينة والحوادث المفجعة التي لا سبب لها سوى غلطات متتابة ، إذ أنني على يقين من أن والدي وشخصكم لا تريدون لبعض ما يريده العدو لعدوه ، وإن لكل منكم متسعاً فيما هو لآبائه ، كما أن فطنتكم الذاتية وحنكتكم السياسية لا شك أنها أوحى إليكم كما هي أوحى إلينا مفروضة تغير الشكل الحاضر ولزوم التفاهم في كل وارد وصادر »

إن تبادل الكتب بين الفريقين لم يمنع من وقوع حوادث بعد ذلك على الحدود ، وهذا بالطبع للاختلاف في النزعات الدينية بين القبائل الخاضعة للحجاز والقبائل الخاضعة لنجد

ولذا فإن الملك حسيناً رأى أن يمنع النجديين من الحج في عام ١٣٣٨ — ١٩٢١ ، غير أن الحكومة البريطانية أغلظت الكتابة لابن السعود لكي يعمل على إسكان الحالة في حدود الحجاز ، وتداخلت مع الملك حسين للإذن للنجديين بالحج أسوة بسائر المسلمين

وفي سنة ١٣٤٠ هـ — ١٩٢٢ م ، أذن للنجديين أن يحجوا فحجوا تحت إمارة مساعد بن سويلم ، وقد عثرنا على كتاب من سلطان نجد (كان الأمير عبد العزيز أعلن نفسه سلطاناً على نجد سنة ١٩٢١) للأمير على أكبر أنجال الملك حسين يقول فيه :

« لما رأيت تفضل صاحب الجلالة الوالد المعظم ببذل عنايته بالرخصة والسماح لأهالي نجد لأداء فريضة الحج حيث برهن على حسن عواطفه وإظهار فضيلته ، أحيينا أن نرخص لبعض رعايانا لزيارة بيت الله الحرام بصحبة خادمكم مساعد بن سويلم ، فاتخذت هذه خير وسيلة وأعظم فرصة لأهدى حضرتكم جزيل السلام ولأعبر لسموكم عن عظيم اشتياقي وخالص نواياي لتجديد عهدود الصداقة ، وتمكين الصلات الحسنة والمناسبات الودية المشتركة التي تربط القطرين الإسلاميين غير ملتفتين إلى ما قدر الله رغم إرادتنا أن يقع فيما مضى بين الطرفين من الحوادث التي طالما أوجبت لتأسفاتي وكدرى الخ »

غير أن الخلاف قد عاد مرة أخرى بطريقة أشد ، فان الملك حسيناً أبى أن يسمح للحجاج النجديين مرة أخرى ، والحكومة البريطانية تتوسط بين الجانبين فيتمهما الملك حسين بمحابة ابن السعود وترجيحها إياه

إن الواقف على المراسلات التي كانت تدور بين الملك حسين وبين الحكومة البريطانية ^(١) في هذا الموضوع لا يرى موقفاً أشرف من موقفها للتوفيق بين الجارين المسلمين العربيين ، للسماح بفتح أبواب الحجاز للحجاج النجديين أسوة بسائر المسلمين ، وإزالة أسباب النزاع والخصام بين الفريقين كي يسود السلام جزيرة العرب

ولقد كان جلالة الملك حسين مرة يرفض السماح للحجاج النجديين خشية

(١) اخترنا نشر كتابين في هذا الموضوع في الذيل

إخلاصهم بالأمن ، وتارة يتنازل بقبول عدد قليل منهم ، كما أنه في بعض الأحيان يشترط قدومهم بالبحر كسائر الحجاج

وفي ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كتب سلطان نجد إلى المندوب السامي بالعراق يخبره أن ليس في إمكانه تحديد عدد الحجاج النجديين لعام ١٩٢٣ . كما فعل في العام السابق ، ولم تر الحكومة البريطانية سبباً مشروعاً لتغيير موقفه ، فأرسلت الحكومة البريطانية التعليمات لممثلها بجدة ، فكتب بدوره للحكومة الهاشمية بتاريخ ٢٨ يناير يخبرها بموقف سلطان نجد ورأى الحكومة البريطانية ، واقترح الدخول في مفاوضات مع سلطان نجد لعقد معاهدة على نسق المعاهدة التي عقدت حديثاً بين سلطان نجد والملك فيصل

وفي ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ كتب سلطان نجد للحكومة البريطانية يخبرها أن عدداً كبيراً من رعاياه يرغبون في أداء فريضة الحج ، وأنه لا يقدر أن يحدد العدد كما فعل في حج سنة ١٩٢٢ ، وأن الحكومة البريطانية لا ترى أى مانع لفتح باب الحج لكل من يريده من النجديين ما دام الحج في العام الماضي كان على خير ما يرام ، وقد اقترحت الحكومة البريطانية بمناسبة الوقت للمفاوضة في معاهدة حدود مع ابن سعود على طريقة المعاهدة التي تمت حديثاً بين سلطان نجد والملك فيصل ، فكان جواب الملك حسين أن لا يقبل حجهم في هذه السنة إلا إذا أخلوا الجوف وسائر الجهات التي اغتصبوها من البلاد كَرَائِيَّة ، وبيشة ، وتربة ، ونواحي خيبر وما شا كلها . وأما المعاهدة مع ابن سعود على طريقة معاهدته مع العراق ، فإن هذا البحث مفروغ منه لأننا كلفناه المرة بعد الأخرى كما هو معلومكم بأننا مستعدون لذلك على أساس الشروط التي أخبرناكم بها ، وهي إما أن يعود ابن سعود إلى ما كان عليه في زمن الآباء والأجداد من جهتنا وجهته ، وإما أن يأتي ويستلم البلاد جميعها لأن الأساس المقصود هو خدمة البلاد

وما زالت الحكومة البريطانية جادة في تقريب مسافة الخلف بين سلطان نجد وملك الحجاز حتى هيأت الجو لمؤتمر الكويت ، فجمعت بين جهة الاشراف : — الحجاز . العراق . شرق الأردن — وبين سلطان نجد في يناير سنة ١٩٢٣ ، ولكن هذا المؤتمر قد فشل . وقد أحسَّ الملك حسين بما بينه وبين البريطانيين من الخلف ، فكتب وزير خارجيته كتاباً إلى رئيس المبعوثين البريطانيين في شرق الأردن يظهر فيه رغبته في التقارب بين البلدين ، غير أن فشل مؤتمر الكويت وتتابع الحوادث في الحجاز التي انتهت بسقوط الملك حسين حالت دون نجاح هذه الرغبة الأخيرة



سياة الملك حسين الراضية

لا نريد أن نأتى هنا على تاريخ الاشراف ونفوذهم فى الحجاز ، فقد أوردنا فصلاً خاصاً فى هذا الموضوع ، كما أنا أوردنا أشياء كثيرة فى ثنايا الكتاب تبين ما كان لهم من النفوذ والسلطان فى الحجاز ، لا سيما إذا كان شريف مكة على اتفاق تام مع الوالى

عندما أعلن الشريف حسين الثورة على الأتراك ظننا أن البلاد العربية ستدخل فى دور جديد من الإصلاح والتقدم ، وكاد هذا الظن يكون يقيناً عندما رأينا كثيراً من شبان العرب وهم القائمون أولاً بالحركة العربية فى تركيا التفوا حوله وأسندت إلى بعضهم إدارة بعض الأعمال

لقد قام الملك حسين فى أول سنة من القيام بالحركة بتأسيس الوزارات ومجلس الأعيان ، كما أنه هم بفتح بعض المدارس فى مكة والمدينة

ولكن يظهر أن جلالة الملك حسين وما يغلب عليه من سوء الظن وسرعة تأثره بالوشايات جعل بعض هؤلاء الشبان يفضل ترك العمل بالمرّة ، وبعضهم يفضل الاشتغال مع أولاده ، لا سيما الأمير فيصل والأمير عبد الله ، لأن العمل مع الملك حسين لا يجدى ولا يثمر ، على أنه ما كادت الحرب تضع أوزارها حتى رأينا ميدان الحجاز قد خلا من الشبان العرب النزيهين ، ولم تر حول الملك حسين إلا أولئك الضعفاء الذين لا يهمهم إلا ضمان مصالحهم الشخصية ، غرقت السفينة أو سلمت إن بلاد الحجاز فى حالتها الحاضرة أشبه بحالة البلاد الاسلامية الأخرى قبل مائتى سنة ، ولكن الزمن الآن قد تغير كثيراً ، والحجاج يأتون من كل ناحية ولا يجدون فى الحجاز التقدم الذى حدث فى بلادهم ، لا يجدون طرقاً ولا وسائل

مواصلات كالتي يشاهدونها في بلادهم ، وكذلك وسائل الإنارة والشرب والصحة والتعليم وغير ذلك من وسائل العمران الضرورية

والحجاز وإن كان من البلاد الفقيرة التي لا تكفي مواردها للقيام بهذه الإصلاحات إلا أنه بمر كزه الدينى يجد شتى المساعدات من الأمراء المسلمين ومن أغنياء المسلمين إذا رأوا عزماً صادقاً من الحكومة المهيمنة على شؤونه

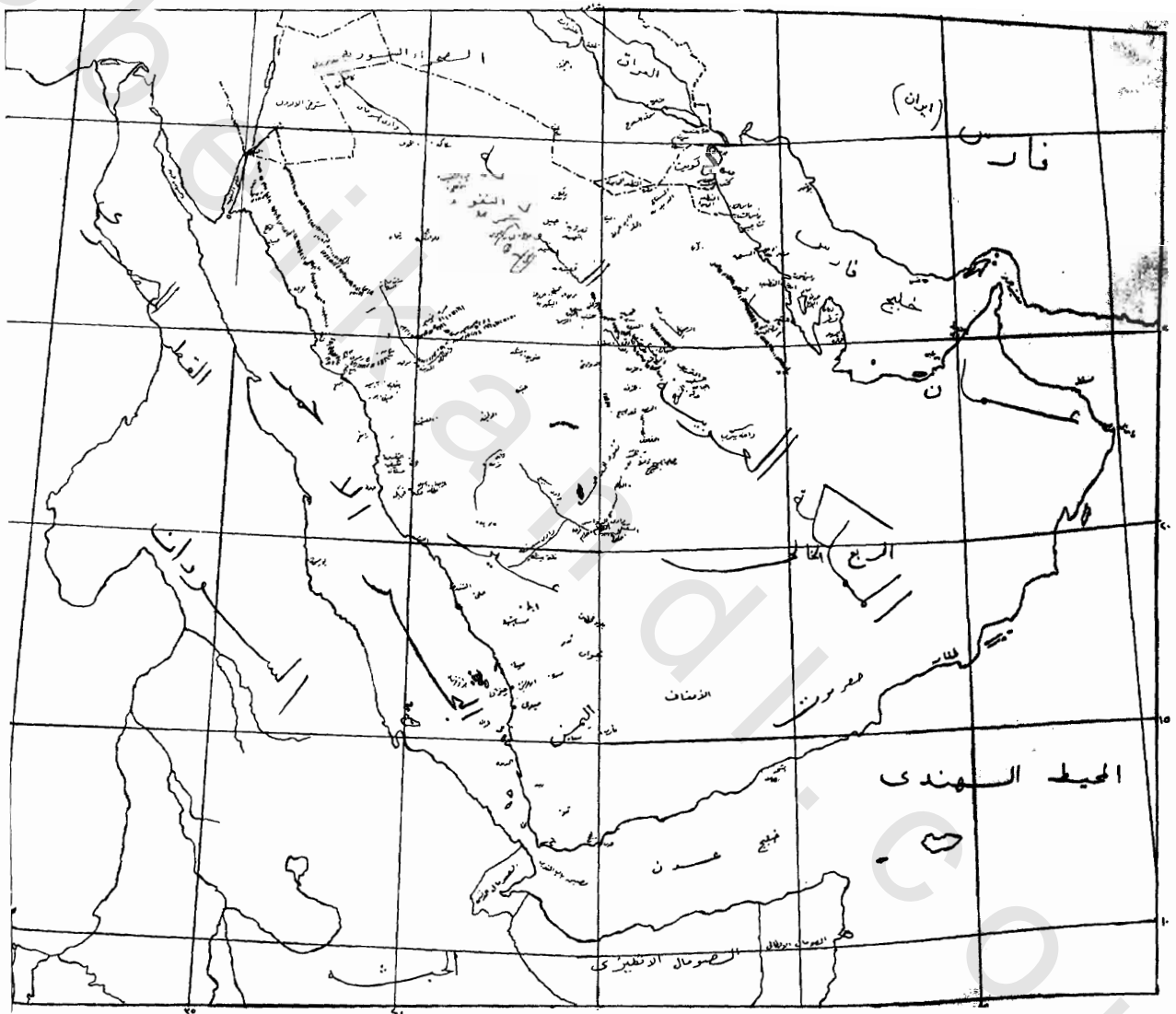
لقد كنا نظن أن الملك حسيناً بحكم ماله من النسب الكريم والمنزلة الرفيعة في نفوس المسلمين ، وأنه — وهو الرجل الذى وقف على وسائل الحضارة في الآستانة — سيضرب للناس أفضل الأمثلة بمقدرة العرب على الإدارة والتنظيم ، ولكن الأيام خيبت هذا الظن ، فالملك حسين في هذه الناحية كان كغيره من الأشراف لا يفهم ما يجرى في العالم ، كما أنه لم يقم بالواجب المنتظر منه للبلاد المقدسة ، ولقد حاولت الحكومة البريطانية أن تساعد الملك حسيناً على تنظيم مالية الحجاز في سنة ١٩١٩ — سنة ١٩٢٠ لأنها في ذلك الوقت كانت لا تزال تدفع إعانة للملك حسين — وميزانية الدولة هي أساس الإدارة في المملكة فلم توفق ، حاولت كذلك إصلاح إدارة الكرتينة والصحة وهي أهم شيء في الحجاز لأنها هي الركن الأول لسلامة الحج فلم توفق أيضاً ، حاولت أيضاً أن تساعد الحجاز ببعثات طبية ترسل من الهند لأن إدارة الصحة في الحجاز غير منظمة من جهة ، ولأنه في زمن الحج حيث يكثُر الوافدون لا تكفي الاحتياطات التي تقوم بها حكومة الحجاز ولا عدد الأطباء الموظفين ، وهذه مهمة إنسانية لا غضاضة فيها على حكومة الحجاز ، ولكن الملك حسيناً رفض هذا الطلب من بريطانيا كما رفضه من مصر أيضاً ، معتقداً أن ذلك يحط من شأن حكومته ويمس استقلاله ، ولم يجد توسط الأمير فيصل (المرحوم الملك فيصل) في هذه الأمور ولا غيره أما السياسة المالية فلم تكن تمتاز عما كان معروفاً في أيام غيره من الأشراف (العبد وما ملك يده لسيدته)

فالنصائب تؤخذ بغير انتظام حسب إرادة الملك ويرهق بها الناس . وهكذا يخرج الملك حسين من الحجاز ولا يترك أثراً من آثار الإصلاح فيه ، كما أنه لم يستطع أن يبسط الأمن في جميع أنحاء المملكة ؛ فساد المدن الحجازية كانت سيوف العشائر مصلطة على رقاب الحجاج ، لا يتركونهم يسافرون إلى المدينة إلا بعد أن يأخذوا منهم ما يفرضونه عليهم من النقود . وفي سنة ١٩٢٤ رجعت قوافل الحجاج من « رابع » لأن العشائر رفضوا أن يدفعوا ثمانية جنيهات للملك حسين من أربعة عشر وهي الأجرة المفروضة للجمل ، وبالطبع قد ضاع ما دفعه الحجاج بين الملك حسين وبين العشائر

على أنه مهما كانت أغلاط الملك حسين السياسية فإن الرجل كان أفضل الأشراف المتأخرين وأقلهم ظلماً ، وأعلام جميعاً نفساً وأعظمهم شخصية ، فهو بلا شك أفضل من الشريف عون الذي ضج من ظلمه كل من زار أوسكن الحجاز ، وأفضل من ابن عمه الشريف علي في كثير من الصفات الشخصية ، ويجب هنا أن لا نغفل الرجل حقه ؛ فهو أول عربي جعل للبلاد العربية شخصية دولية وشأناً لا ينكر في أوروبا

والآن وقد وصلنا إلى الصراع بين العاهلين الكبيرين في الجزيرة العربية : الملك حسين ، والملك عبد العزيز بن السعود ، وانتصار أحدهما على الآخر بعد معارك حربية وسياسية دامت سبعة عشر عاماً ، نرى من الواجب علينا أن نأتي بخلاصة تاريخية وافية لحياة الملك عبد العزيز ، والدور الذي لعبه في السياسة العربية ولا سيما في الخمسة عشر سنة الماضية (١٩١٥ — ١٩٣٠)

ويجمل بنا قبل أن نأتي على حياة الملك عبد العزيز أن نذكر فصلاً تاريخياً عن عائلة آل سعود ودورهم التاريخي ، وأثرهم في الانقلاب العظيم الذي كان في القرن الثامن عشر لقرب الشبه بين ما تم في عهد آل سعود وعبد العزيز الحالي



آل سعود

آل سعود من قبيلة عنزة من فخذ المسالين ، ويوجد هذا الفخذ الآن قرب حمص ، وعنزة من أكثر العشائر العربية أنفاً و بطوناً وأكبرهم عدداً ، فهم منتشرون في العراق وسوريا ونجد ، وهم لا يزالون يفتخرون بالملك عبد العزيز ، كما أن الملك عبد العزيز يكرم الوافدين عليه منهم ولا سيما من كان من المسالين ، وعنزة من ربيعة

في سنة ٨٥٠ هـ ^(١) قدم ربيعة بن مانع من بلدهم القديم المسمى (بالدرعية) قرب القطيف ، على ابن درع صاحب حجر والجزعة قرب الرياض وكان من عشيرته ، فأعطاه ابن درع الملبىيد وغصيبة المعروفين في الدرعية ، فنزل هناك وعمرهما هو وبنوه من بعده واتسع في العمارة ، وولد لمانع ربيعة وصار له شهرة واتسع ملكه ، ثم موسى وصار أشهر من أبيه ، وبعد موسى ابنه إبراهيم ، وإبراهيم هذا جد مقرن ، وسعود جد عائلة السعود

قبل سنة ١١٥٠ هـ ، وهي السنة التي وفد فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح الكبير على محمد بن سعود لم يكن لآل سعود شأن كبير في نجد ولم يكن لهم تأثير يذكر في شؤون الجزيرة العربية ، بل كان شأنهم شأن غيرهم من شيوخ المقاطعات النجدية ، وكانت الجزيرة العربية مقسمة إلى مناطق عدة ، لكل منطقة أمير يمتد أو يقصر نفوذه حسب كفاءته الشخصية واهله ، والأمراء البارزون في ذلك أشراف الحجاز : بنو خالد حكام الاحساء ، وما والاها ، من المنطقة الشرقية على خليج فارس ، وآل معمر في العيينة ، والسعدون في العراق ، وإمام صنعاء في اليمن ،

(١) أنظر ابن بصر ويكرت

والسادة في نجران ، وسلطان في عمان . وبعد أن تعاهد الأمير محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب على تطهير جزيرة العرب من البدع والخرافات ونشر كلمة التوحيد ، دخلت نجد أو بالأحرى الدرعية مع سائر الإمارات الأخرى في حرب دينية دامية ، كان النصر فيها لجيوش التوحيد ودعاة الإصلاح

وربما كانت سنة ١١٧٨ هـ — ١٧٦٥ م من أشد السنين على محمد بن سعود فقد تحالف فيها حاكم الاحساء عرعر بن الخالدي وحاكم نجران السيد حسن بن هبة الله ، وتواعدا على الزحف على الدرعية للقضاء على عهد الدعوة الدينية وخضد شوكة دعائها ، وقد زادت هموم محمد بن سعود عند ما رأى ولده وجيشه ينكسر في الحائر بين الخرج والرياض ، هذا وعرعر ومن معه من الجنود لم يصل بعد ، غير أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب شدد من عزيمة محمد بن سعود وذكره بما وقع للنبي في غزوة أحد ، كما أن زوجة محمد بن سعود وكانت من الصادقات المخلصات للدعوة ؛ كان لها أثر لا ينكر في زوجها ، وقد تمكن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب من الصلح مع صاحب نجران وإطلاق ما تحت أيديهم من أسرى ، ثم رجع صاحب نجران قبل أن تصل جنود بني خالد ، ولذا فإن جموع بني خالد ومن التف حولهم من عشائر العجمان قد رجعت بعد ما وصلت قرب الدرعية

وفي سنة ١١٧٩ هـ — ١٧٦٦ م توفي الإمام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود ومؤيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته ، وتولى الأمر بعده أكبر أولاده عبد العزيز^(١) ، فسار على خطة أبيه في التعاون مع الشيخ على تجديد ما اندرس من معالم الدين وإعلاء كلمة الله ، كما أنه واصل غزواته على الإمارات والبلدان التي أظهرت التمرد ورفض الدعوة الدينية الجديدة ، ففي سنة ١٢٠٨ هـ فتح الاحساء جيش التوحيد ففضى على بني خالد ، كما أنه في سنة ١٢١٢ هـ قضت

(١) ولد عبد العزيز سنة ١١٣٢ هـ

هذه القوات على جيش الشريف غالب حول الحرمه وهو أقوى خصم لهم ، وقد قضت السياسة : أن تعقد هدنة بين الفريقين ، ويفتح سبيل الحج للحجاج النجديين ، فخرج سعود لأول مرة في سنة ١٢١٤ هـ ، كما أنه حج في السنة التي تلتها ، غير أن الهدنة انقطعت ورمى كلا الجانبين الآخر بعدم احترامه لشروطها المتفق عليها ، وعلى كل حال فإن السياسة التي وضعها المصلحون النجديون هي : نشر علم التوحيد في كل جزيرة العرب والقضاء على القوات المعارضة ، حتى يسود الأمن سائر الجزيرة ، وحتى تأمن الدعوة شر الانتقاض والمعارضة

ففي سنة ١٢١٥ هـ ساعد آل خليفة على استرداد الزبارة والبحرين من سلطان مسقط ، وشمل آل خليفة بحمايته ، ولم تأت سنة ١٢١٧ هـ حتى كان سعود في جوف الحجاز ، وفي ١٧ محرم سنة ١٢١٨ هـ دخل سعود مكة بجيوشه بعد ما أمن أهلها وبعد ما أظهر العلماء قبولهم للإصلاح الجديد ، غير أن الشريف مالبت أن استرد مكة بعد رجوع الأمير سعود إلى الدرعية

وفاة الامام عبد العزيز

في ١٠ رجب سنة ١٢١٨ هـ اغتال أحد الأجانب الامام عبد العزيز وهو في الصلاة ، وقد اختلف الرواة في جنسيته ، ويرجح أنه من شيعة كره بلاء المتعصبين ؛ أراد الانتقام للبلدة وما أصابها وما أصاب أهلها من الأمير سعود في غزوته عليها سنة ١٢١٦ هـ من هدم قبة الحسين ومصادرة أموال المقيمين في تلك البلدة

صفات الامام عبد العزيز

اشتهر الامام عبد العزيز بالتواضع والبعد عن زخارف الحياة ، لا يبالي بما يلبس ولا بما يأكل ، وكانت غايته الوحيدة هي مواصلة عمل أبيه العظيم من

القضاء على البدع والخرافات ونشر دعوة التوحيد ، كان شديداً في الحق وتنفيذ أوامر الشريعة الإسلامية لا يبالي بمن ينفذ عليه الحكم ؛ فرضا الله عنده مقدمة على كل اعتبار

وكان قاسياً على قطاع الطرق والعاثين بالأمن من البادية ؛ لا يكتفى بالتعزير البدني . بل يضيف إليه غالباً شيئاً من المصادرة المالية : ومال البدوي هو الجمل والحيل والغنم ؛ ولذا فقد ساد الأمن جميع الطرق والبلدان التي امتد نفوذه إليها

سعود بن عبد العزيز

بويح للأمير سعود بعد وفاة أبيه سنة ١٢١٨ هـ (١٨٣٠ م) وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أخذ له البيعة بعد أبيه في سنة ١٢٠٢ هـ ؛ لأنه كان أكبر أبناء عبد العزيز سنّاً وأشدّهم بأساً وأنفذهم بصيرة وأكبرهم عقلاً وأكثرهم تفانياً في الدعوة إلى الله ، وقد كان في حياة أبيه هو القائد للجيش والفتاح لأكثر البلدان التي دانت لهم

وقد استمر حكمه من سنة ١٢١٨ إلى ١٢٢٩ هـ فتح فيها الحجاز كله ، كما أنه واصل زحفه في الشمال إلى ضواحي دمشق فدانت له بادية الشام والعراق ، كما امتدت فتوحاته جنوباً إلى رأس الخيمة في عمان وزبيد في اليمن وقد بلغت الدولة في أيامه أوجها وغايتها ، إلا أن أغلاطه السياسية والإدارية أوقعت في مشا كل مع الأتراك والمصريين ، وشدته المتناهية صرفت القلوب عنه وجعلت الناس ينتهزون الفرص للانتفاض عليه

كان سعود من أحسن الرجال صورة وجلالاً ، ورث عن عائلته جمال التقاطيع ووسامة الوجه ، وقد كان يرخي لحيته أكثر مما اعتاده العرب ، وكان العرب حتى خصومه يمتدحون شجاعته ومهارته الحريسة ، وكان عالماً بأصول الدين والفقه

والحديث ؛ حيث درس ذلك على جده لأمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب
وسعود لم يأذن قط لأولاده أن يتدخلوا في شئون الدولة بل حصر ذلك في
نفسه وفي ولده الأكبر عبد الله

وكان يسكن هو وعائلته في بناء كبير خارج الدرعية ، كان بناء أبوه على سفح
الجبيل ، وكان كل أولاده وعائلاتهم ، وكل إخوته وعائلاتهم يسكنون في هذا
البناء ، كل له جناح خاص به وبعائلته

وفي هذا البناء كان سعود يستقبل مشايخ القبائل ويمد لهم الموائد ، وينزل
الكبار منهم فيه . أما الأشخاص الثانويون فإنهم كانوا ينزلون في منازل الدرعية
وترسل إليهم التعيينات والعلوف لدوابهم . وقصر سعود كان دائماً غاصاً بالضيوف
وكان مجلس سعود مفتوح الأبواب للجميع ، وكان من عادته أن يستقبل
الزائرين في الصباح الباكر ، وبعد الظهر ما بين الساعة الثالثة والسادسة ، وكان
من عادته بعد أن يتناول طعام العشاء أن يجلس بين قومه وزائريه ويتلو أحد
العلماء^(١) شيئاً من القرآن وتفسيره أو من أحاديث النبي ، وكثيراً ما كان سعود
نفسه يتولى تفسير ما يصعب تفسيره على السامع ، وكان دائماً يقول في نهاية كلامه
« والله أعلم »

وكان من طباع سعود أن تأخذه الحدة والانفعال عند ما يتبين أن أحد
الأعراب خدعه أو غشه ؛ فيتناول عصاه ويهوى بها بنفسه عليه ، ولكنه كان
يعود إلى نفسه بعد قليل ويستغفر الله ، وقد أصدر أمره لمن يكون حوله وقت
غضبه أن يحولوا بينه وبين ضرب أى أحد من الناس ، وقد كان دائماً يحمد لهم
هذا التدخل بعد أن تهدأ تأثيرته

ولم يكن سعود ممن يحفل بالألقاب ؛ فكان الناس ينادونه باسمه أو بيا أبا عبد الله

(١) لا تزال هذه العادة متبعة في العائلة السعودية إلى وقتنا هذا

أو يا أبا الشوارب ، كما كان هو بدوره لا يسمى الناس إلا بأسمائهم مجردة عن الألقاب

وكان سعود في ملبسه مثل باقي الشعب لا يتميز عنهم بشيء ، غير أنه كان أنيقاً في ملبسه ويحب التعطر دائماً

وكانت مصاريف سعود في الغالب على الضيوف وعلى الخيول ، فإنه يقال إنه كان لديه ما لا يقل عن ألفي فرس ، وكان من هذا العدد حوالي ٣٠٠ أو ٤٠٠ دائماً في الدرعية ، والباقي في الاحساء حيث المرعى الجيد ، فكانت أكرم جياذ بلاد العرب عنده . إما أنه يكون قد أخذها من أربابها عقاباً لهم على مخالفة ارتكبوها أو دفعاً لغرامة استحققت عليهم أو انه اشتراها من أصحابها بماله الخاص ، ويقال إنه كان لا يتأخر أن يدفع خمسمائة أو ستمائة جنيه ذهباً ثمناً لفرس

وأباح سعود أن يكون لكل ولد من أولاده حرس خيالة من ١٠٠ — ١٥٠ فارساً . أما عبد الله فكان له وقت حياة أبيه أكثر من ثلثمائة فارس تحت أمره وفي خدمته . يضاف إلى هذا العدد كثير من الجمال أو النوق السريعة ؛ حيث كان لدى سعود أحسن وأجود أصنافها في بلاد العرب

وكان عدد الذين يتناولون الطعام يومياً في قصره يتراوح ما بين الأربعمئة والخمسمائة شخص : منهم خدمه وحاشيته والأضياف . وكانت أصناف الطعام هي : الأرز والبرغل والبلح واللحم ، وكان سعود يأذن لأولاده الكبار والكبار المشايخ أن يتناولوا الطعام على مائدته الخاصة

ولم يحتفل سعود في سرايه بأي عيد من الأعياد كما يحتفل به في الأمصار ، وكان يقول : ان هذه العادة لم تكن موجودة في صدر الاسلام

والنظام الذي أوجده سعود^(١) من إلقاء مسئولية الجرائم التي تقع في

(١) وهذه السياسة هي التي اتبعها الملك عبد العزيز في سياسته الداخلية

منطقة على شيخ القبيلة التي تقع هذه المنطقة تحت نفوذه قد جعل الأمن يسود كل جزيرة العرب تقريباً ، وأفرح قلوب الذين كانوا معرضين للغارات والنهب . والسكان سواء في نجد أو الحجاز أو الين قد استراحوا إلى نظام الحكومة السعودية ، ولا سيما إذا قورنت بحالة الفوضى القديمة ، وأقبل الأهالي على الزراعة لأنهم أمنوا شر القبائل التي تهدد محصولاتهم

كان سعود مشهوراً بالقسوة على المجرمين . سمعت مراراً من جلالة الملك أنه حبس مرة بعض شيوخ مطير ، فجاء بعض كبارهم للاستشفاع لهم وأنس منهم روح الاعتزاز ، فأمر بقطع رؤوس المسجونين ، وأحضر رؤوسهم على مائدة قدمت لبني عمهم الذين جاءوا للاستشفاع فيهم ، ثم أمرهم بالأكل من المائدة !! وقد قص هذه الحكاية جلالة الملك عبد العزيز على بعض شيوخ مطير الذين جاءوا للاستشفاع في فيصل الدويش ، ولكن جلالة الملك عبد العزيز لم تعرف عنه قسوة من هذا النوع ، غير أن سعوداً وإن عرف بالشدة في معاقبته لمن يتجاوز حدود الشرع فانه كان كذلك مشهوراً بوفائه لأصدقائه المخلصين معه ، فأى شيخ يخلص الخدمة لسعود يمكنه أن يعتمد عليه في جميع الملمات والشدائد

وكانت ولا تزال أشد عقوبة يمكن أن تنزل بمجرم أن تحلق لحيته ويطاف به في الطرق ، والعربي يفضل الموت على حلق اللحية

فتح الحجاز

لقد فتح سعود الحجاز في أوائل سنة ١٢١٨ هـ في أيام والده ، وعين الشريف عبد المعين أميراً على مكة من قبله ، ولكن الشريف غالباً تمكن من التغلب على القوة التي وضعت في مكة واستردها منهم ثانية ، ثم استمرت الحرب سجالاً بين الفريقين حتى تمكنوا من الاستيلاء على الحجاز مرة أخرى في سنة ١٢٢٠ هـ .

على أن يبقى الشريف غالب في إمارة مكة من قبل سعود ، وأمر الشريف غالباً بهدم القبور في جدة ، وأمر أهل جدة ومكة بالاقلاع عن شرب الدخان ومنع بيعه في الأسواق ، وأمر بمنع المنكرات والمجاهرة بها ، وترك لبس الحرير والذهب وإبطال المكوس والمظالم ، ومصادرات الناس في أموالهم . وعاهده الشريف غالب على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله به في كتابه العزيز : من إخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والأئمة ، وترك ما حدث في الناس من الالتجاء إلى غير الله من الخلقين الأحياء والأموات في الشدائد ، وما أحدثوه من بناء القباب والزخارف وتقبيل الأعتاب ، إلى غير ذلك مما جد وحدث وجعل ديناً والدين منه براء ، كما أمر الناس أن يبادروا إلى الصلاة حين سماع الأذان ، وألا يصلى في الحرم إلا جماعة واحدة ، كما أمر العلماء أن يقرأوا الرسائل التي وضعها علماء الدرعية . ولقد استمر حكمهم للحجاز من سنة ١٢٢٠ إلى ١٢٢٨ هـ ، وكان سعود وأهل نجد يحجون في كل سنة ، ونفذ هذا النظام في المدينة أيضاً وسائر البلدان الحجازية

لقد خضع أهل الحجاز وشريف مكة للحكم السعودي ، وأصبحت مكة قطعة من الامبراطورية السعودية ، ونفذت أحكام الدين حسب الحركة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن كل هذا لم يكن إلا مسaire لقوة الفاتحين

بدء الخلاف مع المصريين والآتراك

في سنة ١٢٢٠ هـ قال الأمير سعود لأميرى الحج الشامي والمصري : ما هذه العويدات التي تأتون بها وتعظمونها ، فأخبراه بأن هذه الحامل إشارة لاجتماع الناس ، وهي عادة قديمة ، فقال لهم : لا تفعلوا ذلك بعد هذا العام ، وإن أتيتم بها

فانى أكرسها ، وكذلك شرط عليهما أن لا يأتيا بطبول أو زمر ، وفي السنة التي بعدها أى سنة ١٢٢١ هـ كتب الأمير سعود إلى أمير الحج الشامي ، وكان قد وصل قرب المدينة : لا تدخل الحجاز إلا على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي ، فرجعوا تلك السنة من غير حج

ويقول العلامة ابن بشر في تاريخه في حوادث سنة ١٢٢١ هـ : إن سعوداً حشد جيوشاً عظيمة قرب المدينة وأمرهم أن يمنعوا الحجاج الآتين من الشام واستنبول ونواحيها ، فرجع الحمل الشامي إلى وطنه ، وكان أميره عبد الله باشا العظم ؛ لأن سعوداً خشى من مكائد غالب ، وأخرج سعود في تلك السنة من كان في مكة من الأتراك ، كما أخرج منها كل من كان فيها من العساكر التركية ، وبعد حجه تلك السنة زار المدينة المنورة فقوى حاميتها وأجلى من المدينة كل من يحاذر منه

قال العلامة الجبرتي المؤرخ المصرى : وفي سنة ١٢٢٣ هـ انقطع الحج الشامي والمصرى معتلين بمنع الوهابى الناس من الحج ، وليس الأمر كذلك ، فانه لم يمنع أحداً أتى إلى الحج على الطريقة المشروعة ، وإنما منع من يأتى بالبدع التي لا يجيزها الشرع : مثل الحمل والطليل والزمر ، وقد حج طائفة من المغاربة فلم يتعرض لهم بسوء

أما ما رواه السيد دحلان من حرق سعود للحمل المصرى في سنة ١٢٢١ هـ وأمره أن ينادى : لا يأتى إلى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن ، فلم أجد فيما كتبه النجديون ما يؤيده أو ينفيه ، والذي يظهر لنا من هذه الروايات أن سعوداً لم يقبل دخول الحمل لأنه بدعة ، كما أنه لم يقبل دخول العساكر التي تصاحب الحمل خشية أن تحدث حدثاً في الحجاز ، وهو بعد ليس مطمئناً ولا يأمن

جانب الشريف غالب ، فكبر على الأتراك والمصريين هذا الأمر الذى اعتادوه
مدة طويلة

ولقد سمعت من بعض شيوخ نجد وسمعت هذه الرواية أيضاً من جلالة الملك
انتقاداً لسياسة سعود : انه فى الوقت الذى غاضب فيه الأتراك ورد حجاجهم ،
وكان فيه أحد بنات أو شقيقات السلطان التركى ، كان يتهادى مع شاه إيران ويتقرب
منه ، كما أنه انتقده أيضاً فى قبول نصائح غالب التى لم تكن تنطوى على الإخلاص
بل كانت تنطوى على استثارة الناس ضد الحكم السعودى ، وان الشيخ عبد الرحمن
ابن حسن قد نصح سعوداً بعدم الإصغاء لنصائح الشريف غالب ، كما نصحه
أيضاً بالاعتدال فى معاملة الأتراك والمصريين ، غير أن سعوداً كما قدمنا كان
شديداً ، كما أنه كان شديد التعصب لرأيه

أما أهل الحجاز فقد كرهوا الحكم السعودى لأنه قطع عنهم الحجاج وحال
بينهم وبين ما كان يردهم من الصدقات ؛ ولذا فقد هاجر كثير منهم إلى مصر
واستنبول وشكوا للسلطان ولمحمد على باشا ما أصابهم من الشدة والضيق بعد
الاحتلال الجديد وانقطاع ما كان مرتباً لهم من الاحسانات . أما الشريف غالب
فانه لم يقدم خضوعه للأمير سعود ولم يبايعه على الطاعة اعتقاداً منه أو إخلاصاً له
بل لأنه غلب على أمره ؛ ولذا فانه ما فتى يكاتب محمد على وسلطان تركيا
يستنجدهما على خلاص الحرمين الشريفين

وفى سنة ١٢٢٢ هـ صدر الأمر من السلطان سليم لمحمد على بتوليته الحجاز
ومحاربته الوهابيين ، غير أن محمد على لم يكن يستطيع تنفيذ الأمر فوراً ؛ لأنه لم
يستقر أمره بعد فى مصر ولا يزال يخشى من نفوذ المماليك

وفى سنة ١٢٢٦ هـ بدأت الحملات العسكرية من مصر فاحتلت ينبع فى السنة
نفسها ، وبالرغم من انكسار طوسون فى الصفراء والقضاء على الحملة قضاء تاماً ، فان

محمد على أعاد الكرة مرة أخرى وأخذ يستميل بالمال أمراء العربان ، والشريف غالب يمهده السبيل حتى تمكن من استرداد مكة والمدينة والطائف في سنة ١٢٢٨ هـ ولقد سمعت من بعض كبار النجديين أن محمد على حاول أن يعقد هدنة لمدة عشر سنوات بينه وبين سعود لأن المهمة التي وكلت إليه وهي استرداد الحجاز قد انتهت وليست هنالك فائدة من الحرب ولا مطمع لمحمد على في نجد ، ولكن سعوداً أبى أن يعقد هدنة أو صلحاً مع محمد على

ويقول السيد دحلان : إن سعوداً نفسه هو الذي طلب الصلح من محمد على وافتداء عثمان المضايقي عامله على الطائف ، ولكن مساعي الصلح لم تتم حيث اشترط محمد على دفع المصاريف التي صرفت على الحملة العسكرية ، ورد المأخوذ من الجواهر والأموال التي كانت بالحجرة النبوية أو ثمنها ، وحضور سعود بنفسه لمقابلة محمد على ، وسواء صحت الرواية الأولى أو الثانية ، فإن محمد على وضع خطته للقضاء على الدولة الجديدة ، وقد عمل على استتباب الأمر في مكة فقبض على الشريف غالب وأولاده وأرسلهم إلى مصر ، وبذلك لم يبق له منازع في الحجاز

وفاة الامام سعود

وفي ربيع الثاني سنة ١٢٢٩ هـ (١٨١٤ م) توفي الإمام سعود بالدرعية على أثر حمى أصيب بها ولئن شاء القدر أن يشاهد سعود قبل موته افلات الحجاز من يده مرة أخرى فإن ذلك لم يفت من عضده ولم يكن له أثر يذكر في حالة مملكته الداخلية ، وذلك بفضل شخصيته الجبارة والصلابة والشدة التي عرف بها وبموت سعود فقدت نجد تلك الشخصية المهيبة ، وبدأ التصدع يظهر شيئاً فشيئاً في أيام ولده عبد الله بن سعود

عبد الله بن سعود

بويج لعبد الله بعد وفاة أبيه ، وقد كانت الحرب مستمرة بين نجد ومحمد علي باشا ، فلم يستطع أن يمسك زمام المملكة بيد من حديد ، كما لم يستطع أن يدير الحرب بمهارة كما كان يديرها أبوه

لقد افتتح عهد عبد الله بن سعود بخلافات عائلية بينه وبين عمه عبد الله ، ولم يكن هو البادئ بها ، بل إن عمه رأى نفسه أحق بالإمامة لأنه ولد محمد بن سعود المؤسس الأول ، ولكن هذا ليس بمبرر صحيح ، فإن سعوداً تولى الإمامة في حياة أعمامه ، والحقيقة أن عبد الله العم أنس لين قناة عبد الله ابن أخيه فأراد أن يخلعه ، وليست هذه الحادثة بمجديدة في بلاد العرب

تغلب عبد الله على عمه غير أن التصدع قد بدأ وانحلال المملكة قد ظهر ، وأخذ أعداء الحكومة السعودية من النجديين يستفيدون من الفرصة فكتبوا محمد علي سراً ، ومحمد علي لا يترك هذه الفرصة تمر دون أن يستفيد منها كان عبد الله في حياة أبيه يشار إليه بالحكمة والعقل والفتنة ، غير أنه لم يكن له من الصفات الحربية مثل أبيه

كان عبد الله محبوباً من البادية للين عريكته ، ولكنه كان قصير النظر في سياسته ، كما أنه لم يكن له من قوة الإرادة ما يمكنه من القبض على زمام البادية ، والبدو أسرع الناس إلى الانتقال فسقطت إمارة آل سعود على عهده ، ودخل إبراهيم باشا الدرعية وقبض على عبد الله وأرسله إلى الآستانة

ويقول النجديون المحنكون : إن عبد الله قد أخطأ كثيراً في إدارة الحرب وخالف طريقة والده في الحرب ؛ فعبد الله كان يعمد إلى منازلة المصريين ، والمصريون أقوى منه آلات حربية وأقدر على إدارة الفنون الحربية . أما أبوه فكان يعمد

إلى الحيلة الحصيفة فيناوش أعداءه بقوات صغيرة حتى ينهك قوتهم ، ثم ينقض عليهم فيقضى عليهم ، وهذا ما فعله في ضرب جيش طوسون باشا سنة ١٢٢٦ هـ ، وفي تربة سنة ١٢٢٩ هـ ، ولذا فإن عبد الله لما عمد إلى مقاتلة المصريين وجهاً لوجه انكسر في تربة سنة ١٢٣٠ هـ ، وتبع هذا الانكسار استيلاء المصريين على القسم الجنوبي من الحجاز

ولقد خطأ النجديون أيضاً عبد الله في قتاله مع المصريين في الدرعية ، فالصحراء واسعة والمصريون لا يستطيعون إبقاء حاميات في جميع الأراضي النجدية ولقد خطأ أيضاً (Burchart) عبد الله بن سعود في عقد الهدنة مع طوسون باشا سنة ١٢٣٠ هـ ، فان هذه الهدنة كانت من أكبر الأسباب التي عملت على تقويض عرش آل سعود ؛ لأن المصريين كانوا في أشد الظروف حرجاً : فقد كانت ذخائرهم على وشك النفاد ، كما أن الجو قد فتك بالجنود والحيوانات ، فبالهدنة مكنهم من تجديد حملاتهم على الحجاز ، ولو أن عبد الله تابع القتال لكان من المحقق القضاء على الحملة المصرية الصغيرة

أسباب سقوط الدولة السعودية

- ١ — كانت الدولة مستندة إلى القوة العسكرية أكثر من استنادها على القلوب ، والدعوة الدينية لم تتمكن بعد من قلوب الناس ؛ فقد كانت الثورات تشب من وقت لآخر لطرح الحكم السعودي لا سيما في البلاد البعيدة عن نجد كعسير وعمان ؛ ولذا فقد وجد محمد علي باشا ونفوذه المجال واسعاً في جزيرة العرب
- ٢ — تحرش سعود بالأتراك والمصريين بإشارة غالب ونصائحه ، والأتراك أهل الخلافة ويهمهم المحافظة على لقب (خدام الحرمين الشريفين) فهل يصبرون على عربى ينزع منهم الحرمين الشريفين ويحول دون حجهم ، إن هذا أكثر

من ثورة ضدهم ؛ لذلك لم يكن لهم بد من إلقاء هذا الحمل على محمد علي باشا بعد فشل (باشا) بغداد و (باشا) الشام في تأديب هذه الفئة . ووالى مصر يهيمه أيضاً بسط نفوذه في الحجاز ؛ لأن ذلك يتفق مع مظامعه الواسعة ويشهر اسمه في العالم الإسلامى

إنى أعتقد لو أن سعوداً اقتصر في الدعوة على جزيرة العرب وترك الحج حراً للأتراك والمصريين ، ولم يمس الناحية الحساسة في الترك ؛ وهى السيادة على الحجاز ما اهتم الأتراك بأمره ؛ فقد مكثت جزيرة العرب مدة طويلة ونار الفتن تأكل الأخضر واليابس ، بل لقد كان الحجاج الأتراك والمصريون عرضة للنهب والقتل في كل ناحية حلوا بها في الحجاز ، وكانوا يحتملون هذا ويعدونهم من الأعمال الطبيعية . وأى فرق في نظر الأتراك بين آل سعود والأشراف ، الفريقان من العرب ، وأفضلهم من يحتفظ بسيادة الأتراك ولو اسماً مع نشر الأمن والمحافظة على سلامة الحجاج وتوفير وسائل الراحة لهم

رأى علماء نجد

أما بعض علماء القصيم فيحملون تبعة ما وقع على نجد من تخريب وتدمير على أيدي الحملة المصرية آل الشيخ ^(١) ؛ لأنهم كانوا المسيطرين على السياسة الموحين إلى الأمراء باتباعها ، فهم الذين أملوا عليهم خطة الشدة والعداء العام لسائر الناس

أما آل الشيخ فيدفعون هذه التهمة عنهم طبعاً بالطعن على هذا الصنف من العلماء ، وبمبالأة أهل القصيم لوالى مصر ، وترغيبهم إياه لغزو نجد وتمهيدهم السبيل

(١) يطلق آل الشيخ على ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لذلك ، وهم ينسبون ما وقع عليهم من الحن إلى الذنوب والتقصير ، والله قد يبتلى عباده المؤمنين بشتى الحن

أثر الدولة السعودية في نجد

مهما قيل في الدعوة الدينية الإصلاحية ، ومهما قيل في الطريقة التي اتبعت في نشر هذه الدعوة ، فإن هذه قد تركت في نجد أثراً عظيماً لا ينكر ، وقضت قضاء تاماً على ما كان شائعاً في نجد من الخرافات ، وما كان شائعاً من تعظيم القبور والنذر لها ، والاعتقاد في بعض الأشجار ، وأحييت معالم الشريعة بعد اندثارها ، وجعلت الرجوع إليها في مختلف الشئون أساساً من أسس الحكم . أما أهل العلم والقضاة لاسيما آل الشيخ فإنهم فوق كل اعتبار ، وأصبح مقروناً اسم آل الشيخ وآل سعود بعقيدة التوحيد والدعوة الإصلاحية لاسيما في إقليم العارض . أما الجهات الشمالية : القصيم وجبل شمر ، فهم أقل حماسة من الجهات الجنوبية

الدولة السعودية الثانية

بعد إبعاد عبد الله بن سعود من نجد ، وسفر إبراهيم باشا إلى مصر سنة ١٢٣٤ هـ رجعت إلى نجد فوضاها القديعة ، وحل الفساد وقطع الطرق محل النظام والأمن حانت الفرصة لآل سعود مرة ثانية ، ولكن من يقودهم ؟ اختلف آل سعود فيما بينهم على الإمارة كما طمع غيرهم أيضاً

طمع محمد بن مشارى بن معمر في الإمارة ؛ فانتقل من العيينة إلى الدرعية ، وأخذ يستميل الناس إليه فدانت له العارض والوشم وسدير ، غير أن أمر ابن معمر لم يطل ؛ فإن مشارى بن سعود وصل إلى الدرعية في جمادى سنة ١٢٣٥ هـ وانتزع الأمر من ابن معمر بلا مقاومة تذكر وبايع مشارى ، غير أن ابن

معمّر قام ثانية فاسترد الإمارة وألقى القبض على مشاري . وهنا يقوم تركي بن عبد الله فيثأر لابن مشاري ، فيقبض على ابن معمّر وولده ويقتلها جزاء تسليمهم مشاري للترك

تركي بن عبد الله

١٢٣٥ - ١٢٤٩ هـ

هو تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وعبد الله والد تركي ليس هو عبد الله الذي أسره إبراهيم باشا وقتله الترك ، كما توهم بعض الكتاب ، ويعتبر تركي المذكور منشئ الدولة الثانية لآل سعود في سنة ١٢٣٥ هـ ، لأنه منذ هذه السنة اعتبر الزعيم الساعى لاسترداد إمارة آل سعود . لقد هرب تركي هذه السنة من الرياض بعد حصار الأتراك له ، ولكنه خرج من الرياض وهو رافع علم الثورة ضد أولئك الفاتحين ، وقد استمر ينتقل من بلد إلى أخرى مرة مهاجماً وأخرى مدافعاً ، ولسان حاله يقول ما قاله امرؤ القيس :

فقلت له لا تبك عينيك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا

وقد تمكن بعد محاولات من استرداد الرياض التي جعلها مقراً له ومن إخضاع نجد كلها ، وفي آخر سنة ١٢٤٩ هـ دبر مشاري بن عبد الرحمن بن سعيد للأمير تركي مؤامرة اغتاله فيها ، وأعلن نفسه أميراً على نجد ، غير أن فيصل بن تركي الذي كان في القطيف وقت اغتيال أبيه بادر إلى الرجوع إلى الرياض ليثأر لأبيه من مشاري بعد أن استعد لذلك . وفي ١١ صفر سنة ١٢٥٠ هـ دخل فيصل بن تركي الرياض وحاصر مشاري في قصره ، ولم تمض بضعة أيام حتى تسلق فيصل ورجاله القصر ، وقتلوا مشاري ومن ساعده على تدبير المؤامرة لاغتيال أبيه ، وأعلن فيصل نفسه إماماً وحاكماً على نجد

فيصل بن تركي

سنة ١٢٥٠ — ١٢٥٤ هـ

ألقى القبض على الأمير فيصل فيمن ألقى القبض عليهم في الدرعية من آل سعود وآل الشيخ ، وبقى في مصر من سنة ١٢٣٤^{١٢٤٤} — ١٢٤٢ هـ ، حيث فر من مصر ، ووفد على والده في تلك السنة ، وشارك والده في كثير من غزواته وحملاته ضد المعتصين تارة ، وضد بعض أمراء آل سعود الذين رأوا الفرصة سانحة للإمارة أيضاً

كان فيصل من أعظم الأمراء همة وشجاعة ، كما كان من أتقى آل سعود وأكثرهم حمية وغيره على الدين والقومية

لم يمكن مشاري بن عبد الرحمن بن سعود من الإمارة ، وقد صعد إليها باغتيال تركي والد فيصل . بل ركب متن الخطر ، وهل للإمارة في بلاد العرب غير طريق المخاطرة ؟ فأسقطه بسرعة وقتله وقتل من عاونه . تسلم فيصل عرش الإمارة الشائك ، فلم يجد من كثير من الأمراء إخلاصاً وخضوعاً : أما بعضهم فيفضل الاستقلال حتى يتحكم في الناس ويتسع المجال لهواه ومطامعه ، وبعضهم يخاف من بطش المصريين والأتراك ، غير أن فيصلاً كان كجده محمد بن سعود ليناً لمن ينفعه اللين ، شديداً على من لا يصلحه غير الشدة . شمر فيصل عن ساعد الجد حتى أخضع أكثر البلاد العربية ما عدا الحجاز طبعاً ، وأعاد عهد النظام والأمن في البلاد العربية بعد أن سادت فيها الفوضى وانتشر الفساد

لقد هال الأتراك ومحمد علي أمر نجد مرة أخرى ، وخوفهم أن يعود الأمر لآل سعود كما كان ، فأرسلوا حملة عسكرية ومعها خالد بن سعود ، فأصبحت الحرب أهلية بين آل سعود ، غير أن أهل نجد لا سيما الجنوبيين كانوا

يميلون إلى فيصل لأنه لم يستعن بأحد من الأتراك ، وصرحوا لخالد بأنه إذا كان يريد منهم الطاعة فهم مطيعون ، أما إن كان يريد الطاعة للأتراك فهم لا يحبون الأتراك ولا يريدون الخضوع لهم . وقد استمرت الحرب الأهلية بين خالد ومعه جنود محمد علي ومن تبعهم من النجديين ، وبين فيصل بن تركي والنجديين الصميمين من جهة أخرى ، وكانت الحرب سجالاً بين الفريقين ، وأخيراً رأى ولاية الأمور — المصريون والأتراك — أن يضعوا آخر حد لفصل بن تركي الذي يرمى إلى إعادة حكومة سعودية مستقلة لا تتأثر بالنفوذ التركي أو المصري ، فوكلوا هذا إلى خورشيد باشا الذي أوفد إلى نجد سنة ١٢٥٤ هـ بحملة عسكرية للقضاء على فيصل ، ووصل خورشيد باشا إلى الرياض في رجب من السنة المذكورة ، فانضم إليه خالد بن سعود وساروا جميعاً إلى فيصل الذي كان في ذلك الوقت في الدلم من إقليم الحرج ، وبعد معارك دامية رأى فيصل أن ليس له قدرة على مقاومة المصريين ، فاستسلم لهم فأرسله خورشيد باشا مع أخيه جلوي وولديه عبد الله ومحمد إلى مصر

وقد بقي الإمام فيصل في مصر من سنة ١٢٥٤ إلى سنة ١٢٥٩ هـ ، كانت نجد تخوض فيها فتنة أهلية بين خالد بن سعود وبين عبد الله بن ثنيان ، الذي يريد استخلاص نجد من قوات الأتراك . استتب الأمر فيها لعبد الله بن ثنيان ، وهرب أخيراً خالد بن سعود من الرياض إلى الاحساء فالتقطيف فالكويت فمكة حيث توفي بها

فصل

من سنة ١٢٥٩ — ١٢٨١ هـ

تمكن الإمام فيصل بن تركي من الفرار من مصر مرة ثانية ، و يقال : إنه تمكن من ذلك بمساعدة عباس باشا الأول ؛ فإنه كان معجباً به و بعقله ، فذابت قوة ابن ثنيان ، وأسلم له سائر الرؤساء ، وتمكن بعد مدة قصيرة من استعادة المملكة القديمة ما عدا الحجاز ، وقد ساعده على ذلك أولاً انسحاب الجيوش المصرية من البلاد العربية ، وزوال نفوذهم من تلك البلاد نتيجة لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ م ، وثانياً مسلك الحكمة والتبصر الذي اتبعه الإمام فيصل مع الأتراك الذين اكتفوا بسيادتهم الاسمية على بلاد العرب ، وبذلك عادت الطمأنينة إلى قلوب السكان ، وشمل الأمن الطرق والبلاد التي بسط عليها فيصل سلطانه ونفوذه

صفات فيصل بن تركي

كان الإمام فيصل قصير القامة ، يميل إلى السمن ، متوقد الذكاء ، كثير التواضع ، يميل إلى العدل ، شديداً على عماله إذا رأى منهم انحرافاً عن الخطة التي رسمها لهم ، وكان في أخريات أيامه شديد العطف على الأيتام ، بنى لهم في الرياض داراً خاصة لهم ، وكان يتفقدهم بنفسه ويكرم مثواهم ويواسيهم بكلماته الرقيقة ، وقد أخبرني المرحوم الشيخ عيسى بن علي أنه مر بالرياض في حجه سنة ١٢٧٨ — سنة ١٨٦١ م فرأى الإمام فيصلاً يزور دار الأيتام ، ورآه مرة يبكي حينما قال له أحد المتخاصمين : خف الله يا محفوظ ، وتمتعت نجد في أيامه بسعادة ورخاء عظيمين وقد زار الرياض الرحالة « بلجريف » ، فوصف بلاط فيصل وما يسوده من الجاسوسية والإشاعات ، كما وصف الإمام فيصلاً بالضعف في آخر أيامه وسيادة

عبد الله ولده في خارج القصر ، ومحبوب — عتيق تركي والد فيصل — في داخل القصر ، كما وصف سلطة الشيخ عبد اللطيف حفيد الشيخ محمد عبد الوهاب ، وأنها تأتي بعد فيصل مباشرة ، وذكر أيضاً المنافسة بين عبد الله بن فيصل وسعود بن فيصل حتى اضطر فيصل إلى تعيين ولده سعود أميراً على اليمامة والخرج ؛ دفعاً للاحتكاك والمنافرة بين الولدين ، وإن أهل الدين المتعصبين يرون في عبد الله الزعيم ،

كما أن فريق المعتدلين المتسامحين يرون في سعود الزعيم البصير العاقل إن فيصلاً وأكثر أهل نجد يكرهون الأجانب من كل قلوبهم ويسئون بهم الظنون ، وهم لا يلامون على هذا فقد ذاقوا من المصريين والآتراك ومن جيوشهم الأمرين ، وقد ذاق فيصل نفسه الشيء الكثير منهم في الحبس والإبعاد ؛ ولذا فإنه يرصد العيون على كل أجنبي قادم ولا يترك له المجال للإقامة في الرياض ، ولكنه في الوقت نفسه كان واسع الصدر مع المسلمين غير النجدين الذين فضلوا الإقامة في بلاده ؛ حيث وجدوها وطناً صالحاً لتعاليم الإسلام الصحيحة كما ذكر بلجريف نفسه إكرامهم لبعض الهنود ؛ ولهذا السبب لم يجد بلجريف صدرًا واسعاً لإقامته ، ووجد العيون تبث حوله

وقد نشطت الدعوة النجدية في أيام الإمام فيصل بعد ما أصيبت بالجمود في أيام حملات المصريين ، غير أن هذه الدعوة سواء كانت سلمية أو حربية لم تخرج عن دائرة نجد والاحساء وعمان وقطر وعسير . أما الحجاز والعراق وسوريا فلم يشأ فيصل أن يدخل معها في نزاع جديد ؛ لأنه رأى سلامته وسلامة بلاده في حفظ صلات المودة مع الآتراك

واعترف الإمام بسيادة الآتراك لم يمنعه سنة ١٨٦٢ م من مفاوضة بيلى المقيم السياسى في بوشهر باسم الحكومة البريطانية لتوطيد صلات المودة والصداقة بين البلدين

أما المملكة السعودية في أيام فيصل فقد كانت حدودها حسب وصف بيلى^(١) من الشمال خط يمتد من جوف العامر إلى قرب الكويت مباشرة عند نهايتها الشرقية ، ومن الجنوب تحد نجد بالربع الخالي أو الصحراء الكبرى ، ومن وادى الدواسر من نهايته الغربية إلى نقطة غير معينة في الصحراء في اتجاه الخليج الفارسي ، ومن الشرق تنحدر حدود نجد إلى الخليج الفارسي إلى الكويت في طرفها الشمالي فنزلاً إلى أبي ظبي ، وبعد أن يمر خط الحدود إلى الداخل قليلاً حتى يصل إلى بريمي ينحني خط الحدود نحو الجنوب الشرقي ويمتد وراء تلال مسقط وعمان ، ومن الغرب خط يمتد تقريباً من الشمال والجنوب بين الحجاز من جهة ، ووادى الدواسر من جهة أخرى بحيث يقع وادى الدواسر في نهاية الطرف الجنوبي لهذه الحدود . فهذه الجهات كان سكانها ورؤساؤها يخضعون فعلاً للإمام فيصل . وهناك جهات أخرى كان يكتفى منها الإمام فيصل بضريبة سنوية علامة على الخضوع . فأمر البحريين كان يدفع أربعة آلاف ريال ، وسلطان مسقط ستة آلاف ، ورئيس ساحل عمان من رأس الخيمة إلى أبي ظبي ١٢ ألف ريال

وفاة الامام فيصل

في سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٦ م) توفي الإمام فيصل فققدت نجد بموته شخصية عظيمة كان لها أثرها في جمع الكلمة ، تلك الشخصية الحكيمة التي كان لها الفضل في إحياء النظام والقضاء على الفوضى وسيادة الأمن والقانون وبموت الإمام فيصل أوجد التنافس بين ولديه عبد الله وسعود سبيلاً لأعدائهم ، فاستفادوا من مقاتلة الأخوين حتى انتهى الأمر أخيراً بالقضاء على إمارة آل سعود مرة أخرى

(١) محاضرة الكولونيل بيلى في الجمعية الملكية الجغرافية سنة ١٨٦٥ م

الحرب الأهلية بين عبد الله وسعود

كان التنافر بين الأخوين معروفاً منذ أيام فيصل ، ولكن الإمام فيصلاً أراد وضع حد لهذه المنافسة ، فجعل ولاية العهد لولده الأكبر عبد الله وأطلق يده في كثير من الأحوال ، وكان عبد الله معروفاً بالكرم والتقوى ، وكان معروفاً بالتعصب الديني ، وهو يرى نفسه الوارث الشرعي للإمارة

أما سعود فكانت شخصيته تختلف تمام الاختلاف عن شخصية أخيه عبد الله : كان طويلاً كأخواله بني خالد ، وكان يميل إلى الاعتدال والتسامح ، وهذه الصفات ربما كانت محبوبة لدى البدو أكثر . يقول عارفو عبد الله ابن سعود : إن الرجل كان طيب القلب شجاعاً ، ولكنه أسند الأمور إلى غير أهلها ، وأطلق يد موظفيه ، وبعضهم ليسوا من العائلات المعروفة فعاملوا رؤساء البلدان والقبائل بغير ما اعتادوه في أيام فيصل ، من كرم الضيافة والرعاية ، ولا شيء أسوأ أثراً في نفس العربي من سوء المعاملة ، كما لا شيء يحدث أحسن الأثر أكثر من الإكرام وطلاقة الوجه ، ولقد سمعت كثيراً جلالة الملك عبد العزيز ينصح أولاده بعدم الركون إلى الخدم وبعض الموظفين ، وتصفح الشئون العامة بأنفسهم ، وكثيراً ما يضرب المثل بعمه عبد الله بن فيصل وركونه إلى خدمه الذين أساءوا إلى الناس ، فأنصرفت قلوب الناس عنه وانفضوا من حوله ، وعلى كل حال فإن الخصومة بين الأخوين أخذت تزداد وأخذ كل فريق يجمع أنصاره حتى بنازل خصمه ويتغلب عليه ، وقد بدأت أجزاء المملكة في الانحلال ؛ فإن القسم الشمالي من نجد أصبح تحت نفوذ آل رشيد ، ولم تبق لآل سعود إلا سلطة اسمية ، ولم تبق على ولاء مع آل سعود إلا الرياض والخرج وبعض الأقسام الجنوبية ترك سعود الرياض بعد وفاة أبيه وأخذ يبحث عن أنصار له ؛ فوجد في العجمان

أنصاراً أقوياء ، والعجمان و بنو خالد كانوا أصحاب النفوذ في إقليم الاحساء ، وقضى فيصل وأسلافه على نفوذهم في تلك البقاع ، وهاهي الفرصة سانحة لاسترداد نفوذهم فهل يتركونها تفلت من أيديهم

تحالف رَا كان بن حنّيلين زعيم العجمان مع ابن خليفة حاكم البحرين يساعدهم قبائل آل مرة وتقدموا إلى الهفوف (عاصمة الاحساء) ؛ وكان فيها أحمد السديري حاكماً من قبل عبد الله بن فيصل فحاصروه فيها ، وأخذ عبد الله بمساعدة أخيه محمد بن فيصل يجمع القوات لضرب خصومه وفك حصار عامله ، ولكن لبعد المسافات بين البلدان لم يتمكن عبد الله من حشد عدد كبير من الحجازيين ؛ ولذلك أسرع بقوة صغيرة لنجدة البلد المحاصر ، وقد بقي حاكم المدينة محاصراً عدة أسابيع ، ولكن سلمها لهم لما هددوه بإتلاف البساتين ، وقد علم عبد الله بسقوط الهفوف وهو في منتصف الطريق من الرياض إليها ، فقرر الانتقام والأخذ بالثأر فوراً ، فقسّم قوته إلى عدة سرايا وأمرهم أن يجدوا السير من طرق مختلفة إلى الماء المسمى جُودة ، حيث كانت تعسكر قوة العدو الرئيسية ، وحيث تتقابل كل هذه السرايا في ليلة معينة فيأخذوا العدو على غرة قبيل شروق الشمس ، غير أن خصومه الذين كانوا يحتلون منازل المياه على مسافات واسعة بددوا هذه الفرق الصغيرة ، وقتلوا أكثر من ألفي مقاتل من محاربى عبد الله المخلصين

أما سعود فإنه سارع وأتباعه لاحتلال الرياض عاصمة ملك عائلته فدخلها في نهاية سنة ١٨٧٠ م واستولى عليها وأقام نفسه حاكماً عليها ، وقد حاولت بعض المدن وأهمها البرّة أن تقاوم سعوداً ، ولكن عبد الله هُزم هناك مرة أخرى ، وبعدها لم يستطع الإقامة في بلاد أجداده ، فحمل خزائنه ونفائسه على مائة بعير وصار يتنقل من ناحية لأخرى لعله يجد نصيراً أو مساعداً ، فتوجه أولاً إلى زامل السليم حاكم عنيزة ، ولكن خوفه من بطش سعود جعله يوعز إلى عبد الله

الرحيل عن بلاده ، فتوجه عبد الله إلى محمد بن الرشيد في حائل ، غير أنه لم يجد صدرًا رحباً منه ، فرحل إلى سلطان الدويش (والد فيصل الدويش المعروف) وعساف أبو ثنين رئيسي مطير وسبيع ، وكانا يحنقان على حاكم الرياض سعود ويسعيان لإضعاف نفوذه

وأراد عبد الله أن يسعى من جهة أخرى لإضعاف نفوذ أخيه سعود . فأرسل عبد العزيز بن بطين إلى مدحت باشا والى بغداد ليستمد منه المعونة ضد أخيه ، فوجد مدحت باشا الفرصة سانحة للاستيلاء على الاحساء وسائر البلاد التي كانت خاضعة لتركيا قبل دولة آل سعود ، فاستعان على غرضه هذا بناصر باشا السعدون رئيس قبيلة المنتفق ، وعبد الله بن صباح حاكم الكويت ، وبمساعدة هؤلاء وبني خالد أنصار عبد الله احتلت القوة التركية الاحساء وأطلقوا عليها ولاية نجد وقد تحقق عبد الله الذي كان يحسد أخاه سعوداً على ولاية الاحساء أنها قد خرجت من أيديهما جميعاً

أما سعود فقد بدأت القلوب تنصرف عنه بسبب الفظائع التي ارتكبتها أنصاره وأصهاره العجمان ، فاجتمع أهل الرياض تحت قيادة عمه عبد الله تركي وطرده من الرياض سنة ١٨٧١ م ، فوجد عبد الله بن فيصل المقيم في الاحساء الفرصة سانحة ، فترك الاحساء ودخل الرياض بدون مقاومة ، ولكن سعوداً لم يهن عزمه ، فجمع أنصاره وأصدقاءه الدواسر ، ونازل أخاه عبد الله في الجَزَعَة وضربه ضربة شديدة ودخل الرياض ظافراً

أراد سعود أن يسترد الاحساء من الأتراك بعد أن أضاعها أخوه عبد الله ، فرأى البدء في مفاوضات مع الأتراك لحل هذه المشكلة ، فأرسل أخاه عبد الرحمن والد الملك عبد العزيز إلى بغداد ، فأقام عبد الرحمن بن فيصل في بغداد أربع

سنوات دون أن يصل إلى نتيجة ، وأنى له ذلك والأتراك يرون بيصرهم إلى داخل الجزيرة

ترك عبد الرحمن بن فيصل بغداد سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) مصراً على الاستيلاء على الاحساء بالقوة ، بعد أن فشلت المفاوضات السياسية ، فنزل إلى بادية الاحساء واستحثها على قتال الترك ، فاجتمع حوله العجمان فهاجموا الاحساء واستولوا عليها ماعدا الكوت (القلعة) ولكن الأتراك بمساعدة بنى خالد هزموا عبد الرحمن والعجمان وطرده من الأماكن التي احتلها ، فرحل عبد الرحمن إلى الرياض وأخبر أخاه سعوداً بما منى به من الفشل في محاولاته السياسية والحربية . ولم يكن حظ سعود نفسه بأسعد من حظ أخيه عبد الرحمن ؛ فان مُسلط بن ربيعان من رؤساء عتيبة حينما أنس الضعف من سعود وما منى به في الاحساء أخذ ينهب الجانب الغربي من الرياض ، وأخيراً حينما خرج سعود لغزو عتيبة أحاط به أعداؤه في واد ضيق وقتلوا أكثر أنصاره ، وجرح هو نفسه جرحاً بليغاً ، وقد نقله عبيده إلى الرياض فبقى بها مريضاً حتى مات في صيف سنة ١٢٩١ هـ — (١٨٧٤ م)

فبايع أهل الرياض أخاه عبد الرحمن بن فيصل إماماً لهم وحاكماً عليهم ، ومضى على ذلك نحو سنة ، غير أن عبد الله بن فيصل عز عليه أن يرى أخاه الأصغر حاكماً في الرياض وهو طريد من عشيرة إلى أخرى ، فدخل الرياض وأعلن نفسه إماماً وحاكماً عليها ، فرأى أخوه عبد الرحمن أن يضع حداً للفتن الداخلية ، فتنازل عن الإمارة وبايع أخاه عليها ، غير أن هذا الحكم لم يدم طويلاً ؛ فان خصومه وأعداءه من أبناء أخيه سعود تمكنوا من القبض عليه وحبسه سنة ١٨٨٧ م ، فأسرع محمد بن رشيد حاكم حائل إلى مساعدته ، فغضب أعداءه وفك أسره وأخذه معه إلى حائل ، وأقام في الرياض عاملاً من قبله بجانب عبد الرحمن

ابن فيصل ، ثم ما لبث أن استقدم عبد الرحمن إلى حایل ليقیم مع أخیه عبد الله ومن ذلك الوقت أخذ نجم آل سعود في الأفول ، وأصبحت الكلمة العليا في نجد لآل الرشيد عمال السعود بالأمس ، فأخذوا يبسطون نفوذهم على سائر الأنحاء النجدية . وشخصية محمد بن رشيد زعيم الرشيد قد ساعدت على ذلك أتم مساعدة ، فقد اشتهر الرجل بالكرم ولين الجانب وكبر العقل وحبه للسلم ، فدانت له العشائر كلها راضية أو مكرهة

وقد رأى أن يملك قلوب أهل الجنوب فأذن في سنة ١٨٩٠ م لعبد الله بن فيصل بسكنى الرياض بالنظر إلى تقدمه في السن واشتداد المرض عليه ، وأذن لأخيه عبد الرحمن أن يصحبه وأن يسكن الرياض أيضاً ، غير أن النية لم تمهل عبد الله بن فيصل ، فمات بعد وصوله إلى الرياض بيوم واحد

أما الإمام عبد الرحمن فقد كبر عليه أن يعيش في الرياض بلد آبائه وأجداده بعيداً عن النفوذ ، يرى بعينه عامل ابن الرشيد هو السيد المطاع ، وكان عامل الرشيد من جهة أخرى لا يسير نحو آل سعود من الإكرام وحسن المعاملة بما ينسبهم تراثهم الزائل ، فقام عبد الرحمن بن فيصل يشد أزره أهل الرياض والموالون لآل سعود ، وقبضوا على عامل محمد بن الرشيد وبايعوا الإمام عبد الرحمن بالإمامة ، فجهاز محمد بن الرشيد جيشاً حاصر به الرياض ، ولكنه لم يتمكن من دخولها فصالحه أهلها على أن يترك لعبد الرحمن الإمارة ، وهم يطلقون عامله المدعو ابن سبّهان

غير أن الأمير عبد الرحمن الذي أصبح تحت رحمة الرشيد والذي لم تتعد سلطته الرياض وما حولها كبر عليه أن يرى من كانوا بالأمس عمالاً من قبلهم لهم هذا النفوذ العظيم ، وكذلك أهل القصيم كبر عليهم أن يروا حاكم حایل يتمتع بهذا السلطان ، وليس أقدم منهم بيتاً ولا أكرم حساباً أو نسباً ، ولكن القوة هي التي أملت عليهم الخضوع والاستسلام

كانت فكرة أهل القصيم وفكرة الأمير عبد الرحمن ترمى إلى غرض واحد ، فاتفقوا على مبايعته ومباغته محمد الرشيد في حایل ، وضربه ضربة تضعف سلطته وتقلل من نفوذه ، ولكن محمد الرشيد لم تكن عينه غافلة عما يكيد له خصومه في الخفاء ؛ فإنه ما كاد يعلم بأن خصومه أخذوا يتأهبون ، حتى باغتهم بقواته في عنيزة ، وانقض عليهم فزقهم شر ممزق وقد قتل في هذه المعركة زامل آل سليم حاكم عنيزة وابن مهنّا حاكم بريدة ، وتعرف هذه الواقعة بواقعة الملبدة .

ومنذ سنة ١٨٩١ م وهي السنة التي كسر فيها محمد الرشيد خصومه ، أصبح السيد المطاع في نجد ، وإن كان لا يزال يعاني بعض الصعاب في جمع الضرائب من الأقاليم الجنوبية

أما عبد الرحمن بن فيصل فقد نقل أهله من الرياض إلى آل مرة قرب الاحساء ، ومكث لديهم نحو سبعة أشهر ، ثم هجم على الرياض فاستخلصها من الرشيد هي وسائر اقليم العارض ، ولكن ابن الرشيد جهز جيشاً عظيماً التقى بجيش عبد الرحمن بحريملا ، ففرض عليه القضاء الأخير ، فأيقن عبد الرحمن أن الأمر فوق مقدوره ، فترك نجداً إلى الاحساء فالقطيف فالكويت ؛ حيث ألقى عصا التسيار فيها منتهزاً الفرصة وماتأني به المقادير

فأقام ابن الرشيد محمد بن فيصل أخا الإمام عبد الرحمن حاكماً على الرياض ، وقد كان معتقلاً في حایل ، أما عبد الرحمن الذي اختار الإقامة في الكويت في سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) ، فأخذ يقيم العراقيين في وجه ابن الرشيد . وأوغر صدر الأتراك عليه في بغداد والاحساء ، كما ساءت العلاقات بينه وبين حاكم الكويت أيضاً ، فأخذ ابن الرشيد في تجهيز حملة لفتح الكويت المنفذ الطبيعي لنجد سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) ، ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل بعد أن كبذته خسائر فادحة في المال والرجال ، كما أنها وسعت هوة الخلاف بين الكويت وحایل

الدور الثالث لآل سعود

لقد كتب القدر أن يرى عبد الرحمن بن فيصل مجد أبيه ، ويرى مأساة لخلاف بين أخويه عبد الله وسعود ، تلك المأساة التي انتهت بانسحابه إلى الكويت يعيش فيها ضعيفاً غريباً بعد أن كان أميراً مهيب الجانب ، ولكن الله الذي أعد للصابرين أجرهم عوض عبد الرحمن بن فيصل خيراً ، فأراه قبل موته راية ولده عبد العزيز ترفرف لآلى مملكة الإمام فيصل فحسب ، بل على مملكة الحجاز أيضاً

فى آخر سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٧ م) اغتال الشيخ مبارك بن صباح أخويه الشيخ محمد والشيخ جراح لخلاف بينهما ، وتبوأ عرش الكويت ثم استكتب أعيان الكويت عريضة يتهم فيها الشيخ يوسف بن ابراهيم بقتل أخويه ، وأرسل عريضة إلى والى البصرة ، فاطلع الشيخ يوسف بن ابراهيم على العريضة ، وقد كان خارج الكويت فى الصيد ، فقرر هجر الكويت واتخذ الدَّوْرَةَ وهى من أملاكه الواسعة قرب مصب نهر شط العرب . وحاول مبارك فى الوقت نفسه أن يغرى الشيخ يوسف بالقدوم إلى الكويت أو أن يقبض الأتراك عليه فلم يفلح ؛ لأن يوسف بن ابراهيم لم يأمن كيد مبارك

لجأ أولاد محمد الصباح وجراح إلى يوسف خشية من عمهم ، وهو يعتبر كحالهم ، واستجاروا به وطلبوا منه الأخذ بثأر أبييهم . فبدأ الخلاف الخطر بين بيت آل ابراهيم يعاونه قسم من أهالى الكويت وبعض عائلة الصباح وبين الشيخ مبارك

لقد حاول الشيخ يوسف أن يهجم على الكويت فيأخذها عنوة ، فجهز حملة بحرية فى بعض شواطئ إيران وملا السفن بالمقاتلة ، ولكن الحظ خدم مباركاً

بوقوفه على المؤامرة قبل وصول السفن إلى الكويت بيوم واحد ، فرجعت الحملة خائبة حينما رأت أن أمرها قد انكشف ، وأخيراً لجأ الشيخ يوسف إلى الأتراك وابن الرشيد ، وهنالك بذل الذهب وبين للجميع سهولة الاستيلاء على الكويت . وكانت نتيجة هذه المحاولات إعلان الحماية البريطانية على الكويت حينما أرسل الأتراك سفينة حربية صغيرة لنقل شيخ الكويت إلى استنبول ؛ لأنه عين عضواً في مجلس الشورى ، فلم يقف البريطانيون مكتوفي اليد فأعلنوا حمايتهم وهددوا السفينة بإطلاق النار عليها إن لم تنسحب فانسحبت حالاً ، وقد أخبرني الشيخ مبارك والسيد رجب النقيب بقصة إعلان الحماية البريطانية على الكويت ، وسند كرها في مذكراتنا إن شاء الله

وقد ازدادت العداوة بين حاكم الكويت وعبد العزيز آل رشيد ، ويوسف ابن ابراهيم يذكي نار الخلاف ، وفي سنة ١٢١٨ هـ (يناير سنة ١٩٠١ م) ، وصلت إلى عبد العزيز بن رشيد أسلحة كثيرة من الأتراك ، فاستغلها في حملة ضد مبارك الذي كان يتقدم للغزو بمساعدة بعض العشائر التي تميل إلى ابن سعود ، وبعض القبائل الجنوبية التي كانت ترغب في الخلاص من حكم الرشيد ، فاصطدمت قوات الطرفين في الصَّريف — الماء المعروف في القصيم — وانقضت قوات ابن الرشيد على قوات ابن صباح ومنقتها شرمزق ، وفر مبارك إلى الكويت لا يلوى على شيء ، وقد أصيب أهل الكويت في هذه الواقعة بمصيبة لا يزالون يذكرونها ، فلم يكذب بيت من بيوت الكويت يخلو من قتيل ، غير أن هذه الواقعة أثبتت أن عبد العزيز الرشيد كان سفاهاً لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلاً ؛ فإن أكثر من قتلوا لم يقتلوا في المعركة بل قتلوا بعد ما سلموا سلاحهم ، وقد سقنا هذه القصة هنا وإن كانت ألصق بتاريخ الكويت لما لها من العلاقة الوثيقة في تاريخ نجد الحديث

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

في الوقت الذي هاجر فيه الأمير عبد الرحمن بن فيصل إلى الكويت كانت سن ولده عبد العزيز (الملك عبد العزيز الآن) لا تزيد عن اثنتي عشرة سنة ، فهو لم يشاهد مجد جده فيصل بل شاهد محنة أبيه عبد الرحمن وعائلته

لقد ذاق عبد العزيز مرارة العيش في الكويت ، ولم يحتمل أن يعيش تلك الحياة المادية ، وقد كبر على نفسه أن يعيش تحت جناح الشيخ مبارك بعد ما كانوا بالأمس سادة نجد ، فقرر أن يخاطر : فإما أن يفوز فيكون قد أدى واجبه نحو نفسه ونحو عائلته ، وإما أن يموت فيستريح من عذاب الضمير

بدأ الأمير عبد العزيز مخاطرته بالحملة على الرياض لبعدها عن مركز قوة ابن الرشيد ، ولما فيها وفي بلاد الجنوب من الأنصار والمخلصين لعائلة آل سعود

خرج عبد العزيز بن سعود من الكويت سنة ١٣١٩ هـ — ١٩٠١ م ، ومعه أربعون رجلاً كلهم من آل سعود والموالين لهم ، وكانت خطة ابن سعود أولاً ترمى إلى ضرب العشائر التابعة لابن الرشيد حتى يلتف حوله رؤساء البدو ، وبالفعل فإنه نجح في ذلك حتى بلغ جيشه ألفاً وفرسانه نحو ٤٠٠ ، واتخذ هدفه نجداً الجنوبية

شكا ابن الرشيد للدولة العثمانية من هذا العدو الصغير ، وكتب لقاسم بن ثاني — أمير قطر — يحرضه عليه ، فمنعت الدولة ابن السعود أن يُموّن من الاحساء ، وقطعت راتب والده ، وانفض البدو من حوله ، ولم يبق حوله إلا الأربعون رجلاً الذين خرجوا من الكويت وتحالفوا معه على الحياة أو الموت كتب له الشيخ مبارك ووالده بالرجوع إذ لا قبل له بمناوأة الدولة العثمانية وابن الرشيد ، ولكن ابن سعود كان يحاول ملكاً ، فإما أن يصل إليه أو يموت



صورة تاريخية لجلالة الملك ابن السعود مع الشيخ مبارك شيخ الكويت

أراد عبد العزيز أن يضرب ضربته الأخيرة فسار بجماعته الأوفياء ، وقد التفت حولهم عشرون رجلاً ، فوصل إلى حدود الرياض أول الليل ، فترك من قومه هنالك عشرين رجلاً على مسافة ساعتين من الرياض ، وتقدم بالأربعين الآخرين ، فلما وصل الشمسية — وهى بساتين خارج الرياض — ترك من جماعته ثلاثين على رأسهم أخوه محمد بن عبد الرحمن ، ثم تسلق سور البلد ، ولكنه ماذا يصنع فى هذا الليل البهيم وكيف يقضى ليلته ؟

طرق باب البيت المجاور لقصر عامل ابن الرشيد المدعو عجلان — من الطارق ؟

عبد العزيز بن سعود مجيباً : — رجل من خدم الأمير عجلان يريد زواجك لغرض

المرأة — إذهب لا بارك الله فيك ماجئت إلا لتبغى النساء ، وهل يطرق باب الناس فى الليل إلا فاسد

عبد العزيز — لا والله يا خالة ماجئت لهذا ، ولكنى أخشى على زواجك من القتل غداً إذا لم يلب نداء الأمير حالاً

سمع الرجل التهديد فخرج ليرى جلية الخبر ، وكان ابن السعود يعرفه جيداً ويعرف نساءه ، ومنهن من كن فى خدمة بيوت آل سعود ، فلما خرج أمسكه وقال : اسكت وإلا قتلتك فى الحال ، ثم دخل البيت فلما رآه النساء صحن : عمنا عبد العزيز ، فقال : اسكتن ولا بأس عليكن ، ثم جمعهن جميعاً فى غرفة وأغلق عليهن الباب جميعاً ، ثم تسلق الجدار إلى البيت المجاور للمحصن ، فوجد اثنتين نائمتين فلفهما فى فراشهما بهدوء ، ثم أدخلهما فى إحدى الغرف وأغلق عليهما الباب ، ولما اطمأن باله أرسل إلى أخيه محمد من الخارج ومن معه فجاءوا إليه دون أن يشعر بهم أحد

كان البيت المجاور للبيت الذى هو فيه أحد بيوت عجلان عامل ابن الرشيد ، وكان عجلان يزوره نهائراً وأحياناً فى الليل . فمضى عبد العزيز ومعه عشرة من رجاله فدخلوا البيت ثم قتشوا غرفه واحدة واحدة ، فوجد اثنين نائمين على فراش واحد ظنهما ابن سعود وعجلان وزوجته ، فدنا منهما عبد العزيز ليتحقق من شخصيتهما على ضوء سراج كان يحمله أحد الخدم ، فوجدهما زوجة عجلان وأختها عرفت المرأة عبد العزيز فسألته : أنت عبد العزيز ؟ فأجابها : نعم ! أنا هو ... ! — من تبغى ؟ وما مأربك هنا ؟ فأجابها : أريد عجلان لا سواء ، فقالت : يا بنى لا تفرر بنفسك ، أبعج بنفسك فى هذا الليل وإلا قتلك

عبد العزيز — ما جئنا لنسمع منك نصيحة ، ولكن نريد أن نعرف متى يخرج عجلان من القصر الداخلى

زوجة عجلان — بعد شروق الشمس بساعة

عبد العزيز — هذا كل ما نريد ، وإنكن إذا لزمتمن السكوت والسكون فلا بأس عليكن ، وإلا فالموت لا محالة ، ثم جمع النساء جميعاً فى غرفة واحدة وأغلق عليهن الباب

اتتصف الليل وخيم السكون على البلد كأن لم يكن هنالك شىء ، ثم فى هذا السكون أخذوا يحكمون الرأى فى تدبير الهجوم على قصر عجلان . انبثق الفجر وأخذت الشمس تشرق بنورها الساطع على البلد ، وفتح باب القصر وأخرج العبيد الخليل ، فدخل عبد العزيز القصر وتبعه من رجاله خمسة عشر فقط وكنوا فى داخله ، وبعد دقائق خرج عجلان ليرى الخليل كعادته ، فصادفوه فى الطريق فراعهم منظرهم ، فهم يريد الرجوع ، فأدركه عبد العزيز بطلقة لم تدرك منه مقتلاً فتبعه عبد العزيز ، وتصارع ابن سعود وعجلان ، ابن السعود يريد القضاء على

خصمه ، وعجلان يحاول إدخال ابن السعود إلى الباب الداخلى . فى هذه اللحظة أخذ رجال عجلان يطلقون النيران من نوافذ الحصن المشرفة على السوق ، فقتلوا اثنين من رجال ابن سعود ، وجرحوا أربعة وتراجع المهاجمون ، ياله من خطر داهم ! هنا دخل عبد الله بن جلوى (أمير الاحساء اليوم ، وابن عم عبد العزيز بن سعود) وعدا وراء عجلان الذى أفلت من عبد العزيز فرماه بطلقة أودت بحياته ، وبعد ساعة تبادل رجال عبد العزيز وحرس القصر النار ، ثم سلم حرس القصر على أن يتركوا أحياء ظناً منهم أن عبد العزيز معه من الجند ما يكفى للقضاء عليهم ، وما كاد النهار ينتصف حتى أذن المؤذن أن الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن ، وأن عجلان عامل ابن الرشيد قد قتل ، فسمع الناس وأطاعوا

إن هذه القصة التى تشبه قصص أبطال اليونان ترينا عظم الأخطار التى أحاطت بابن السعود ، وهى تعطينا صورة من مخاطراته بحياته ، وهل العظمة إلا ناحية من نواحي المخاطرة ؟ وهل يمكن أن يكون الجبان عظيماً ؟

وأخذ الأمير عبد العزيز بعد فتح الرياض يعمل لنقض مملكة ابن الرشيد ، واسترداد ملك آبائه وأجداده ، وقد مكث أكثر من عشرين سنة يجالذ ، ويغالب الخصوم من النجديين والأشراف والأتراك ؛ يضربهم حيناً ويأين حيناً يرى السياسة واللين أنجح من الخصاص والقتال

فتم له فى سنة ١٣٢٠ هـ الاستيلاء على القسم الجنوبى من نجد (الخرج والأفلاق) وفى سنة ١٣٢١ هـ تم له الاستيلاء على سدير والوشم والحمل والقصيم ، وقد تداخل الأتراك فى الخصاص بين ابن الرشيد وابن سعود ، وكانوا دائماً فى صف ابن الرشيد ، وأعقب هذا التداخل معارك دموية بين ابن سعود من جهة وابن الرشيد وحلفائه الأتراك ، وكانت الحرب سجالاً بين الفريقين ، ولكن انتهى الأمر بانكسار الأتراك وانسحابهم من نجد سنة ١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦ م

وقد ضعف أمر آل الرشيد بقتل زعيمهم عبد العزيز بن متعب سنة ١٣٢٤ هـ ، واستراح ابن سعود بعض الراحة لأن آل الرشيد قد كفوه أمرهم بخلافاتهم الداخلية على الإمارة ، وسعى بعضهم لاغتيال البعض الآخر . وربما كانت أشد السنين على الأمير عبد العزيز هي سنة ١٣٢٨ هـ — ١٩٠٩ م ، فقد واجه ثلاث جهات مرة واحدة : ابن الرشيد من جهة ، وثورة أبناء عمه في الجنوب ، وتقدم الشريف حسين إلى نجد وأسر سعد بن عبد الرحمن شقيقه ، ولكن ابن سعود الذي لا يعرف قلبه الخور تمكن من التغلب على خصومه . استعمل السيف مع التأثيرين وابن الرشيد ، والسياسة بعد ذلك مع الملك حسين ، ونجح في ذلك نجاحاً عظيماً ، وكانت هذه الحادثة هي أول احتكاك بين الشريف حسين وبين الأمير عبد العزيز ، استطاع منها أن يزن أمير نجد كياسة الأمير حسين السياسية ومباغ أطماعه وطموحه

وفي سنة ١٣٣٠ هـ — ١٩١٣ م رأى الأمير عبد العزيز الدولة التركية آخذة في التصدع والانحيار ، ورأى المطامع تسكتنفها من كل ناحية ، فاتهز فرصة خروجها من حرب البلقان منهوكة القوى ، وانقضّ على إقليم الاحساء واستخلصه من النفوذ التركي ، وأعاد إلى ذلك الإقليم الأمن والسكينة بعد ما كان مسرحاً لأطماع البدو ، وباستيلائه على الاحساء نفذ إلى خليج فارس ، واتصل بالحكومة البريطانية بعد ذلك اتصالاً سياسياً ما زال آخذاً بالتوثق والنمو إلى الآن

في سنة ١٩١٤ م اندلعت نيران الحرب العظمى ، واندفع الأتراك يخوضون غمارها في صف الألمان ، فرأى الأمير عبد العزيز الفرصة سانحة للاستفادة من الحرب ، فكتب لأمرء العرب يحثهم على التفاهم والاستفادة من الفرصة ، ولكن لم يصغ إلى ندائه أحد من أمرء العرب ، وانضم بعضهم (ابن الرشيد) إلى الأتراك يشد أزهم . أما الأمير ابن سعود ففضل الوقوف على الحياد المشرب بروح المودة

للبريطانيين ، وفي سنة ١٩١٥ م^(١) عقد معاهدة القطيف مع البريطانيين كسائر المعاهدات التي عقدها أمراء الخليج مع البريطانيين ، وفي هذه المعاهدة تجلّى قِصَر نظر مستشارى ابن سعود بما يجرى فى العالم والاستفادة من الفرص ، على أن هذا الخطأ قد أصلح بمعاهدة جدة سنة ١٩٢٧ م ؛ حيث اعترف له بالاستقلال التام وبمخابرة الدول والاتفاق معها حسب ما تمليه مصلحة بلاده ، بعد ما كان محروماً من هذا الحق فى معاهدة القطيف ، وفى صفر سنة ١٣٢١ هـ تمكن من الاستيلاء على حائل والقضاء على أقوى خصم نجدى بعد ما رآه يحاول التفاهم مع الأشراف وحاكم الكويت ، وبذلك طويت صحيفة بيت الرشيد من حكم نجد

(١) راجع نص المعاهدة فى الذيل



ابن سعود وجيرانه

ابن سعود والكويت

كانت الصلات التي تربط آل صباح والسعود دائماً ودية يرعاها الفريقان بما ينميها ويقويها ، وكان مبارك يلقب أمير نجد دائماً بولدى عبد العزيز ، كما كان الأخير يلقب الأول بالوالد ، وكانت مصالحهما المشتركة تقضى عليهما بالتعاون ، وكان كل واحد منهما لا سيما ابن سعود كثيراً ما يفضي عن أخطاء الآخر ، لأن موقفهما من أعدائهما لا يسمح لهما بدقة الحساب . ومبارك الداهية المراوغ كان يعرف كيف يرضى صديقه أمير نجد ، كما كان يعرف كيف يزيل من نفسه كل أثر لسوء تفاهم يحدث

في سنة ١٩١٥ م قامت فتنة في الاحساء ، ثار العجمان وهم من عشائر ابن السعود على حكمه ، وكان يتفخ في بوق الفتنة بعض أبناء عمومة ابن سعود . والسبب الحقيقي للثورة هو سعى ابن سعود لتأديب العجمان الذين تجرأوا بنهب إبل لابن صباح وأهل الكويت ، وكانت هذه الفتنة بعد معركة جرّاب التي وقعت بين ابن الرشيد وابن سعود ، وخرج منها ابن السعود منهوك القوة ، ولكن العجمان بعد أن حاصروهم ابن سعود وضيق عليهم وجدوا لهم ملجأ في الكويت ، كما وجدوا في الكويت سوقاً لبيع منهوباتهم التي أخذوها من أهل الاحساء ، فأحدث هذا العمل أثراً سيئاً في نفس ابن سعود الذي أراد أن يحاسب مباركاً على هذا العمل غير الودي ، ولكن المنية عاجلت مباركاً فمات بموته كل أثر لسوء التفاهم ، وعاد الصفاء إلى ما كان عليه في السنة التي تولاها الشيخ جابر بن الشيخ

مبارك ، كما عاد سوء التفاهم مرة أخرى في عهد الشيخ سالم المبارك ، حتى أدى ذلك إلى معركة حِمَص سنة ١٣٣٧ هـ — ١٩١٩ م وفيها خسر الكويت من المهمات والذخائر والإبل ما لا تقل قيمته عن ثلاثين ألف جنيه ، ثم إلى معركة الجهرة حيث حاصر الإخوان الشيخ سالماً فيها سنة ١٣٣٨ هـ — ١٩٢٠ م وكادوا يأسرونه لولا استعماله السياسة في فك الحصار

وقد توفي الشيخ سالم سنة ١٩٢١ م فعاد الصفاء إلى سابق عهده ، وفي سنة ١٩٢٢ م حددت الحدود بين الكويت ونجد في ميناء العُقَيْر

ابن سعود والأشراف

شرحنا في فصل سابق شيئاً عن تاريخ الصلات بين الأشراف وآل سعود ، ولكن الأشراف الذين لا يتعدى مركزهم الحجاز أصبح لهم شيء من النفوذ والسلطان في العراق وشرق الأردن أيضاً ، وازدادت الجبهة التي يواجهها ابن سعود ، وما كاد الأمير فيصل يصل إلى العراق ويباع له بالملك ، حتى رأينا الحدود العراقية النجدية يسودها الفوضى والاضطراب . غير أن الانجليز الذين يهتمهم استتباب الأمن وسيادة القانون والسلم عاجلوا هذا الأمر مع ابن السعود ، بوضع معاهدة المَحْمَرَّة وبروتوكول العُقَيْر سنة ١٩٢٢

ولما رأى البريطانيون أن المعاهدة المذكورة لم تف بالغرض عمدوا إلى محاولة أخرى لاقتلاع جذور الخلف بين ابن السعود والأشراف ، وإزالة كل أسباب سوء التفاهم بين الأشراف وابن السعود ، ففقدوا لهذا الغرض مؤتمر الكويت ، وهو الذي سنتكلم عليه في الفصل التالي

مؤتمر الكويت

ربما كان هذا المؤتمر أهم المؤتمرات التي عقدت في جزيرة العرب أثناء الخمس عشرة سنة الأخيرة : ففي هذا المؤتمر ظهر الأشراف في بغداد والحجاز وشرق الأردن بمظهر الحلفاء المتضامين ضد خصمهم ابن السعود ، الذي أحس بالخطر المحيط به فأخذ يعمل لدفع هذا الخطر ، فوجه همه إلى الشجرة الشريفة في مكة فاقتلعها من جذورها على ما سيجي ، بعد

حاولت الحكومة البريطانية أن تزيل سوء التفاهم بين الشريف حسين والملك ابن سعود ، فسعت في أثناء الحرب لاجتماعهما في عدن أو في مكان آخر محايد ، وسعت لفتح باب المفاوضات بين الفريقين ، ولكن هذه المحاولات لم تثمر الثمرة المطلوبة

وقد حاولت كذلك حل مشكلة الحدود بين العراق ونجد ، فنجحت بعض النجاح ، ولكن النفوس كانت لا تزال تحمل الإحن ، وقد عمل « السير برسي كوكس » صديق الملك ابن السعود لاجتماع الملك فيصل بالسلطان عبد العزيز ، ولكن الظروف على ما يظهر لم تكن مساعدة من كل وجه فخطب المسعى ، ثم أخذت حوادث الحدود النجدية وشرق الأردن تتكرر فيها الاعتداءات من عشائر الفريقين ، وأخذ الإخوان يهددون شرق الأردن نفسه أخذاً بثأر إخوانهم ، وأخذت الحوادث في الحجاز تأخذ شكلا لا يقل خطورة عما يحدث على حدود العراق وشرق الأردن

ويجب أن نقرر هنا للحقيقة أنه فيما عدا حادثة تربة سنة ١٩١٩ م التي أيدت



الملك عبد العزيز بن سعود والمرحوم الملك فيصل على ظهر البارجة «لوبي» سنة ١٩٣٠

فيها قوات الشريف حسين لم يكن للملك ابن السعود يد ظاهرة في هذه الحوادث ، وما كان يستطيع أن يمنعها تماماً إلا بثورة أهلية ، ولكن طبيعة التطور الأخير في البادية وانتقال الإخوان من البادية إلى سكنى الحضر وتشربهم بروح الدين والتعصب ضد كل من خالفهم ، وبالأخص المجاورين لهم . والملك ابن سعود وإن لم يرغب في الاعتداءات على البلاد المجاورة المشمولة بالنفوذ الانجليزي أو يشجع عليها ، فإنه لم يكن يكره ذلك ، فما دام الإخوان يخضدون شوكة الأعداء ويعودون بالغنائم سالمين ، وما دام الأعداء يسعون للقضاء عليه وعلى دولته فلا بأس من تركهم والإخوان يتصارعون . لقد كان الملك ابن السعود ينصح الإخوان من وقت لآخر بالكف عن أذى الحكومات المجاورة والركون إلى السلم ، ولكن نصحه لم يكن يلقى أذناً سمیعة من الإخوان ، وكانوا يقولون : يا للعجب ! أليس هؤلاء كفاراً ؟ أليسوا محاربين لنا ؟ أليس كبيرهم يحول بيننا وبين أداء فريضة الحج ؟ فما بال ابن السعود يأمرنا بالكف عنهم ، وماله ومالنا إننا نقوم بفريضة الجهاد ، فمن عاش رجع غانماً ، ومن مات لقي الله شهيداً وهو عنه راض ، ولكن الحكومة البريطانية وقد أصبح لها مركز خاص في العراق وشرق الأردن يهمنها أن يخيم السكون على تلك البلاد ؛ لذلك فكرت في عقد مؤتمر في الكويت تحت رئاسة الكولونيل نو كس رئيس المعتمدين في الخليج الفارسي لحل جميع المسائل المعلقة بين الأشراف جميعاً وبين ابن السعود

وصلت الدعوة إلى المؤتمر وكان السلطان مريضاً مرضاً خطراً ، فتأخرت الإجابة طبعاً ، وبعد أن زال عنه الخطر وعرضت عليه الدعوة رأى أن يطلب من الحكومة البريطانية تأجيل المؤتمر ريثما يتم شفاؤه . ولكن الكولونيل نو كس الذي تقررت إحالته على المعاش كان حريصاً على عقد المؤتمر وعلى حل المشاكل المعلقة التي لا تزيد الأيام إلا تعقيداً وإشكالاً . وهل هناك فخر أعظم من حل هذه

العقدة التي تركها السير برسي كوكس ، وهو أقدر رجل عرفه العرب وأعظم
الإنجليز مهارة في حل المشاكل

ظان الكولونيل نو كس وهو عين الحكومة الانجليزية في خليج فارس أن
ابن السعود يريد أن يتخلص من الاشتراك في المؤتمر ، فأرسل إليه باسم حكومته
رسالة شديدة اللهجة لا تخلو من تهديد ، فقبل ابن السعود الاشتراك في المؤتمر على
مضض ، واشترط لقبوله أن لا يشترك الأشراف في المفاوضات ، بل يفاوض كل
حكومة على حدة ، فقبلت الحكومة البريطانية هذا الشرط

دور المؤتمر الأول

اجتمع المؤتمر في الكويت ، واجتمع مندوبو نجد والعراق وشرق الأردن
ولم يحضر أحد عن الحجاز ، وبعد عدة جلسات رأينا جميع المندوبين متضامنين ،
فاحتج مندوبو نجد واعتبروا هذا إخلالاً بما اشترطه سلطانهم لقبول الدعوة ،
ووافقهم وزارة المستعمرات على ذلك ، واعتدل مندوبو العراق ، وبقي مندوب
شرق الأردن على شططه بالرغم من تنبيه رئيس المؤتمر له مراراً ، ويكفي أن
نذكر هنا طلبات شرق الأردن لتعلم ما يمكنه القدر لمؤتمر الكويت
يطلب مندوب شرق الأردن ما يأتي : —

١ — تنفيذ مقررات النهضة التي عقدت بين الشريف حسين وبين
الحكومة البريطانية ، والتي تقضى بأن تكون حدود حكومة نجد كما كانت سنة
١٩١٩ م ، ويجب إخلاء الجوف وسكالكه ووادي السرحان جميعه والأراضي
الحجازية التي شغلها مثل : تربة والحرمة والحائط والحويط وخيبر وبيشة ووادي
شهران وبلاد بني شهر

٢ — تكون الحدود الفاصلة بين الحجاز ونجد هي الصحراء القاحلة



منظر آخر لجلالة الملك ابن السعود والمرحوم فيصل على ظهر البارجة «لوبي»

٣ — لا يمكن عقد صلح على غير هذا الأساس

وينبغي أن يفهم هنا أن الغرض من الاعتراف بحدود معاهدة سنة ١٩١٤ م فقط ، هو عدم الاعتراف بما تم من القضاء على حكومة الرشيد وإلحاقها بنجد ولما كانت هذه الطلبات عقبة كأداء في سبيل الاتفاق لم يكن هنالك بد من أن تؤجل الحكومة البريطانية المؤتمر بضعة أسابيع ، ويرجع كل فريق إلى حكومته لإيقافها على النقط التي دار عليها البحث وأخذ تعليمات جديدة منها ، وتقوم الحكومة البريطانية بتقريب مدى الخلاف ونصح كل فريق بالاعتدال كي يمكن الوصول إلى طريق للاتفاق وإزالة سوء التفاهم السائد بين الجميع . وقد سعت الحكومة البريطانية لحل الملك حسين على الاشتراك في المؤتمر ، فاشتراط أن يرسل الأمير زيداً على شرط أن يرسل سلطان نجد أحد أولاده فلم يقبل ابن سعود وصرح بأنه يثق بمندوبيه ، ولا يرى أى ضرورة لتغييرهم ، وهكذا فشل اشتراك الحجاز في مؤتمر الكويت ، وقد أبدى سلطان نجد مهارة فائقة ومرونة سياسية دلت على بعد نظره وتقديره الظروف حق قدرها ، وأنه يعرف عقلية خصومه معرفة تامة

لقد أوصانا رئيس المؤتمر قبل مغادرتنا الكويت بأن نبذل نفوذنا لإقناع سلطان نجد بالتساهل ، وأرسل في الوقت كتاباً لعظمته يشرح له حقيقة الموقف . وبالرغم من التكتم الشديد الذي ساد جو المؤتمر ؛ فإن الإشاعات الكثيرة سبقتنا إلى نجد فقام وقعد لها النجديون . لقد كبر على الإخوان أن يسمعوها شرق الأردن والعراق تملئ عليهم هذه الشروط القاسية ، وهم لم تنكس لهم راية ولم ينكسر لهم جيش ، فقام الدويش ومعه رهطه من الإخوان ومطير وهم على عشائر العراق ، كما أن بعض الأشقياء من مطير كانوا يهجمون من وقت لآخر على حدود نجد وينهبون كل ما تصل إليه أيديهم

الدورة الثانية للمؤتمر

لم يحضر في هذه الدورة أحد من جهة العراق أو الحجاز ، بل حضر مندوبان فقط من شرق الأردن ولم يعدلا عما طلباه في المرة الأولى ، ولكن رئيس المؤتمر منعهما من البحث في أى مسألة من المسائل الخاصة بالحجاز ، فأنحصر البحث في حدود شرق الأردن ونجد ، فطلبوا من نجد أن يكون حدودها النفود وتتخلى عن الجوف ووادي السرحان بأكمله ، وقد طلب مندوبو سلطان نجد استفتاء أهل الجوف وأخيراً فشل المؤتمر

أما السبب الحقيقي في فشل المؤتمر فهو صلابة الملك حسين وتعسفه ، وعدم وقوف الأشراف في العراق وشرق الأردن على حقيقة الحالة في نجد ، وأن أحكامهم على نجد المبنية على ما يصل إليهم من الأخبار كانت خاطئة ، ولو أنهم تغلبوا على العقبات التي وقفت في طريق المفاوضات في المؤتمر بشيء من التساهل لكان ابن السعود حتى الآن في نجد

لقد أخبرني إبراهيم بك هاشم أحد مندوبي شرق الأردن أنه سمع في بغداد أن عمر سلطنة نجد لا تتجاوز الستة أشهر ، كما أخبرني حضرة الضابط على خلى بك بأنه يستطيع أن يقضى على سلطنة نجد في مدة أقصر من هذه ، وقد أفهمناهم بأنهم مخطئون جداً ، وأن ما يرى من الاختلال على الحدود ومن شغب الأشياء لا قيمة له ، وأن البادية من قديم لم ينقطع منها أمثال هذا الشغب ، وأن ستة الأشهر التي قدرت عمراً لسلطنة نجد ربما كانت عمر حكومة الحجاز ، وأنه ليملكنا الأسف والأسى على ما وصل إليه العرب من التخاذل ، وأن يكون موقف المتعلمين من العرب هذا الموقف المزرى . والحقيقة أن الأشراف جميعاً ومن اشتغل معهم ما كانوا ينظرون إلى ابن سعود إلا أنه رجل بدوى أو شيخ عشيرة ، وأنه

ليس بأهل للتفاهم معه ، وأنه ليس من الخطر بمكان حتى يخشى ، ولكن الحوادث كانت كفيلة بإظهار خطئهم ، وأن الآمال التي كانوا يعقدونها على قيام ثورات في نجد لم يتحقق شيء منها ، وأن ما عجز مؤتمر الكويت عن حله قد حل في أكتوبر سنة ١٩٢٥ م في مؤتمرى حدّاء وبحرّة ، وفي سنة ١٩٣٠ م بين ملكى العراق والحجاز ونجد

وها هو السكون ينجم على الحدود العراقية النجدية ويعود الصفاء بين مكة وبغداد ، ويتناسى الفريقان الأحقاد العائلية القديمة ويعملان كلاهما على ما فيه خير الشعبين العربيين ، وهاهى شرق الأردن تحذو حذو العراق وتصفى مشاكلها مع الحجاز ويتبادل أميرها مع الملك عبد العزيز كتب الود والصداقة ، ويتعاون الفريقان تعاوناً صادقاً على الضرب على أيدي المفسدين من البدو ، فيسود السكون على الحدود وتعود الحياة إلى مجراها العادى ، ولا تزال آمال مفكرى العرب وعقلائهم معقودة على اتحاد الأمراء وتعاونهم لخير العرب



غزوة الحجاز والمؤتمر المصري^(١)

كيف نشأت فكرة الغزوة؟

لم يكن لجلالة الملك ابن السعود أى فكرة عن غزو الحجاز وفتحه حتى سنة ١٩٢٣ م ؛ أولاً : لأنه لم يكن واثقاً تمام الوثوق بإمكان تغلب قواته على الحجاز ، وثانياً : لأنه لم يكن واثقاً من موقف الحكومة البريطانية ، ويحق له أن يحسب لموقفها ألف حساب ؛ فهي التى أرغته على ترك الحجاز والرجوع إلى نجد سنة ١٩١٩ م بعد ضرب القوات الشريفة فى تربة ، وقد كان فى إمكان قواته فى ذلك الوقت أن تتقدم وتستولى على الطائف ومكة ، لولا إنذار انجلترا له بأنها تعتبر تقدمه فى الحجاز عملاً عدائياً موجهاً ضدها

من سنة ١٩٢٢ م رأينا علاقات الملك حسين تسوء مع المصريين ، فرجع الحمل من جدة ، كما ساءت بينه وبين الانجليز والهنود على شتى المسائل : على المعاهدة ، والبعثات الطبية ، وسوء معاملة الحجاج الهنود ، مع عجزه عن تأمين الطريق بين مكة والمدينة . ومما لا شك فيه أن فريقاً كبيراً من مسلمى الهند ومصر لم ينظروا نظرة استحسان لقيام الشريف حسين ضد الأتراك ؛ ولهذا فإنهم قابلوا إعلان الملك حسين نفسه خليفة سنة ١٩٢٤ م فى فلسطين إثر إلغاء الخلافة التركية بالاستياء الشديد

كانت نجد فى سنة ١٩٢٣ م تكاد تكون فى عزلة تامة عن العالم ، وقد أتاح لها الملك حسين الفرص ، فهل تتركها تفلت من يدها . لقد تمكن مستشارو

(١) لارتباط المسألتين ببعضهما ارتباطاً وثيقاً وضعناهما بجانب بعضهما

السلطان عبد العزيز من إقناعه بفائدة الاتصال بالعالم الخارجي ، فبدأ بإرسال برقية منه إلى جلالة الملك فؤاد يهنئه بافتتاح أول برلمان مصرى ، ثم بأحد الأعياد ، وأعلن الأمير فيصل فى منشوراته كلها موقف نجد إزاء مسألة الخلافة ، وإزاء بعض المسائل العربية ، كالاتحاد العربى ، واتصلت الهيئات الإسلامية فى الهند بسلطان نجد ، وتم التفاهم على الأغراض الإسلامية العامة ، والجميع متفقون على الاستياء من حالة الحجاز وسوء النظام السائد فيه

أخذت كتب التأييد تترى من سائر المدن الإسلامية ، وقوى الصلة بين نجد ومصر أن جلالة الملك ابن السعود شارك علماء مصر فى موقفهم حيال مسألة الخلافة وحلها فى مؤتمر يعقد فى مصر ، فاكتمبت نجد قوة أدبية لا تنكر

فشل الإنجليز فى محاولتهم تصفية المشاكل بين ابن سعود والأشراف فى مؤتمر الكويت ، وكان المسئول الأول عن هذا الفشل الملك حسين ، وخرج ابن السعود من المعركة ظافراً ؛ لأنه كان متواضعاً فى مطالبه على خلاف الأشراف ، فإنهم كانوا مغالين ، ولو أن الأشراف انتصروا على ابن السعود فى الحرب وأملوا عليه ما يريدون من الشروط لم تكن شروطهم أشد قسوة مما اشترطوا ، فكيف وهو حتى هذه الساعة لم يهزم له جيش ، والبلاد التى يطالب بها الملك حسين ويدعى ملكيتها لا تزال بيده . وضعت نجد لأول مرة الكتاب الأخضر وشرحت فيه المسائل المختلف عليها ، وما يطالب به الحجاز وشرق الأردن والعراق ليضع الموضوع كله أمام العالم الإسلامى والعربى ، فكانت خطوة موفقة اكتسب بها السلطان عبد العزيز عطف عقلاء العرب والمسلمين ، ولكنه لم يصنع إلى ما أشار به مستشاروه من الهجوم على الحجاز ولو لتصفية الخلاف مع الملك حسين لاعتبارات كثيرة

خرج السلطان من مؤتمر الكويت وهو موقن بأن الأشراف لا يريدون به خيراً ، وأنهم لا يألون جهداً فى خلق المشاكل له وإبلاده ، ولكنه قنع أخيراً

بفكرة المهجوم على الطائف والاستيلاء عليه فقط ليساوم الملك حسيناً عليه ؛ فلعل الرجل يعدل عن غطرسته ، وتقرر أن يكون ذلك بعد رجوع الحجاج إلى ديارهم دفعاً لما قد يحدث من المشاكل ، وسينجلي موقف الملك حسين وموقف الحكومة البريطانية بعد احتلال الطائف

لقد كنت موقناً بأن الإخوان سيتغلبون على قوة الشريف ، وموقناً بأن انكاثرا ستقف موقف الحياد ، لأن سياسة ابن السعود إزاءها كانت سياسة مجاملة تامة وودية للغاية بعكس سياسة الملك حسين

جاء عيد الأضحى وقدم رؤساء الإخوان — أهل الحرمه وعتيبة وأهل الغطف — وغيرهم من قادة الإخوان للمعايدة على ولى أمرهم ، واتهز هو هذه الفرصة وعرض عليهم مسألة غزوة الحجاز فهشوا وبشوا للمشروع ، لأنهم سيظهرون بيت الله من البدع وينشرون دين الله الصحيح ، ولأنهم سيفنمون الأموال وقد ذاقوا حلاوتها في تربة ، كما سيفنمون أجر الجهاد من الله . وقد وضعت خلاصة عما دار في المؤتمر من الأحاديث وأرسلت إلى جميع الصحف العربية والهندية ، فكان لها صدى استحسان

ترك الإخوان الرياض إلى بلدانهم ليساعدوا للجهاد : جهاد الملك حسين ، وما أسهل استعدادهم للغزو وهل يحتاج الأمر إلا إلى الناقة والبنـدقية والزاد والذخيرة ؟ لم ينتصف شهر محرم سنة ١٣٤٣ حتى بدأ الإخوان بمناوشاتهم مع بادية الحجاز وأكثرها ناعم على الملك حسين ، ثم أخذوا يتقدمون وجيوش الملك حسين لا تقف في وجوههم حتى استولوا على الطائف في ٥ صفر ، ثم وقفوا ينتظرون أمر مولاهم . ولقد حاول الملك حسين أن يستغل الحوادث التي وقعت في الطائف ضد خصمه في تنفير العالم الإسلامي ، ولكنه فشل في ذلك ومرت الحادثة بدون أن يكون لها أثر عظيم في نفوس المسلمين . وبرنامج ابن سعود خلاب يجتذب النفوس

ويتفق مع الروح الطيبة التي يمتلئها عقلاء المسلمين لمهبط الوحي
إن برنامجه أنه لا يريد الفتح ولا علواً في الأرض ولا فساداً ، وكل ما يريده
هو طرد الأشراف وتطهير بيت الله ومهبط وحيه من ظلمهم وتحكمهم ، وأن مكة
للمسلمين عامة ، وأنه سينزل على رغبة العالم الإسلامي في ذلك كله

ظل الإخوان في الطائف ينتظرون أمر إمامهم ، وليس هنالك سيارات
أو تلفراف بين الطائف والرياض . والمواصلة الوحيدة هي الجمل ، والمسافة ذهاباً
وإياباً لا تقل عن ٢٥ يوماً ، إذن يجب أن ينتظر الإخوان هذه المدة وسلطانهم
قد شدد عليهم ألا يتجاوزوا الطائف ، وإلا فهو يبرأ إلى الله منهم ، أى إنهم
سيكونون عاصين في عملهم ، ولا داعي إلى ذلك فالفنائم التي استولوا عليها تحتاج
إلى وقت لتقسيمها بينهم بالعدل

جمع الملك حسين آخر ما لديه من جنود وجهزهم بأخر ما لديه من الأسلحة ،
وسيرهم إلى الطائف لضرب الإخوان وطردهم منها ، وهنا كانت معركة الهدى التي
انقضت فيها الإخوان على جنود الملك حسين وهزمهم هزيمة منكرة ، واستولوا على
جميع ما كان لديهم من مال وسلاح

هنا رأى الملك حسين أنه لم يبق له مقام في مكة ، فاستعد للرحيل منها وتنازل
عن الملك لولده على ، بعد أن أدخلوا مكة ونقلوا كل ما يمكن نقله ، ثم وصل
الإخوان مكة صلحاً لا حرباً ، فدخلوها خاشعين ، وتولى الشريف خالد بن لوى
إمارة مكة . ولقد صدق المثل « كما تدين تدان » ، فكما سلط الشريف حسين
البدو على الأتراك وبيوتهم ، فأعملوا فيها يد النهب والسلب ، كذلك سلط الله
عليه الإخوان فقاموا بنفس الرواية التي مثلت مع الأتراك ، ما عدا القتل فإن يدهم
لم تمتد إلى قتل أحد في مكة

وبعد فتح مكة أرسلت الدول التي لها ممثلون في جدة مذكرة إلى الطرفين

المتحاربين يذكرونهم برعاياهم وحسن معاملتهم ، ويحملونهم تبعة ما يقع عليهم من التعويضات ، وانهم جميعاً سيقفون موقف الحياد في النزاع بين الفريقين ، فكانت هذه المذكرة أحسن بشرى للملك الذي كان يساوره بعض القلق ، فعجل بالسفر إلى الحجاز ليتولى بنفسه استصفاء الحجاز ، وليحول دون تكرار مأساة الطائف . ولم يكن هنالك ما يمنع الإخوان من الاستيلاء على جدة ، لولا ما أمرهم به إمامهم ، فكانت هذه خير فرصة للشریف على حصن فيها جدة ، وحشد فيها من القوات العسكرية التي جمعها من فلسطين وشرق الأردن ما جعلها تقاوم نحو سنة حاول الملك على عقد الصلح ، فوسط الأستاذ الريحاني ومسترفلي (والسيد طالب) النقيب ، ولكن البرنامج معروف : المسألة إسلامية ياريحاني ويا مسترفلي ، فليس من شأنكما التوسط فيها ، والرأي يا « سيّد طالب » للعالم الإسلامي ، فما على الأشراف إلا أن يرحلوا من الحجاز ، ويجتمع مؤتمر إسلامي ينظر في مسائل الحجاز من كل نواحيه

وقد مضت مدة والحرب دائرة بين الطرفين ، وكل يعاني شدتها ، ولكن شدتها على الملك على كانت أشد على كل حال . وفي ابريل سنة ١٩٢٥ م عرض قنصل السوفيت ، ووکیل قنصل إيران ، ووکیل قنصل هولاندا وساطتهم للصلح بصفة خاصة ، لأن دولهم لم تكلفهم بذلك ، فلم يقبل السلطان ذلك وفي مايو من السنة نفسها قدم فؤاد بك الخطيب إلى معسكر السلطان ابن سعود محاولاً الوصول إلى طريقة يوقف بها الحرب ويضمن بها بقاء الأشراف في الحجاز فلم يفلح . وفي أغسطس وسط الملك على الدولة الانجليزية للصلح ، ولكن الحكومة البريطانية حينما عرضت وساطتها بين الفريقين صرحت بأنها تقبل الوساطة إذا رضى الفريقان هذه الوساطة ، فكان جواب ابن سعود :

« إنه أعطى عهداً للعالم الإسلامي أن تكون الحجاز ومكة للمسلمين عامة »

وفي سبتمبر سنة ١٩٢٥ وصل فضيلة الشيخ المراغى وكان رئيساً للمحكمة العليا الشرعية ومعه عبد الوهاب بك طلعت من موظفى السراى الملكية ، ومعهما كتاب رقيق من جلالة ملك مصر جواباً لكتاب سلطان نجد بمناسبة عزمه على زيارة مكة

إنه ظرف ملائم جداً وفرصة نادرة لتوثيق العلائق بين مصر ونجد ، وسلطان نجد كان ولا يزال معترفاً بزعامة مصر من وجهة الثقافة والمدنية ، ويجب أن توطد العلائق بينه وبين مصر

رأى عظمة السلطان بعد الاجتماع مع الوفد المصرى والتحدث معه فى شتى المباحث أن أقوم بالبحث التمهيدى ، وما نصل إليه من النتائج نعرضه على عظمته أولاً بأول

لقد سبقت الوفد عدة شائعات : منها أن الشريف علياً طالب بسط حماية مصر على الحجاز ، وطلب أن ترسل الصدقات المعتاد إرسالها إلى مكة والمدينة إلى جدة ، لتوزع على جنوده واللاجئين إليها من أهل مكة ، ولكننا لم نقم وزناً لهذه الإشاعات أو غيرها

لقد تبين من المباحثات الأولية أن الوفد جاء لغرض وساطة مصر للصلح بين الفريقين المتحاربين ، فما المخرج من هذا الموقف الدقيق ؟ إننا لا نريد إغضاب مصر ، وسلطان نجد يحب ملك مصر ويحرص على اتصال جبل المودة معه ، ولكننا لا نحب الصلح الآن ، لأن حكم الأشراف فى الحجاز قد آذن بالزوال ، فالمعلومات تصل إلينا عما تقاسيه جدة والمدينة ، وإن النصر قاب قوسين أو أدنى أخبرت الوفد بسعى الحكومة البريطانية قبل شهر للصلح ، واعتذار السلطان عن قبول هذه الوساطة ، وليس من اللياقة قبول توسط مصر الآن . ما ذا جنته مصر من الملك حسين ؟ ألم يرد الحمل المصرى من جدة ؟ ألم يتهم البعثة المصرية

بأنها تحاول تسميم المياه؟ ألم ينزع من كسوة الكعبة المشرفة اسم ملك مصر؟ ألم يعمد إلى الإساءة إلى كل ما هو مصرى؟ إذا كنتم تريدون أدلة أخرى فماكم ملفات الحكومة الهاشمية، اقرأوها إن شئتم فإنها دليل ناطق على ما كانت تطويه جوامع الملك حسين نحو مصر وملكها وشعبها. ألا يحسن أن نبعث موضوعاً آخر يكون فيه الخير للبلاد المقدسة ولأهلها وللوافدين عليها من المسلمين؟ إذا وضعنا أساساً لذلك فإننا بلا شك نكون قد قننا بواجب عظيم نحو ديننا، ونكون قد خدمنا الإسلام والمسلمين أجل خدمة. أما الأساس الذي كان نتيجة البحث فهو:

(١) ان الحجاز للحجازيين من جهة الحكم، والعالم الإسلامي من جهة

الحقوق التي لهم في البقاع المقدسة

(٢) اجراء استفتاء عام لاختيار حاكم للحجاز تحت إشراف مندوبي العالم الإسلامي

(٣) يجب أن تكون الشريعة الإسلامية الدستور للحجاز

(٤) استقلال الحجاز الداخلي

(٥) جعل الحجز على الحياد

(٦) لا تعقد حكومة الحجاز اتفاقات اقتصادية مع دولة غير إسلامية

(٧) تحديد الحدود الحجازية، ووضع النظم المالية والاقتصادية والإدارية

موكول لمندوبي الممالك والشعوب الإسلامية

وقد وافق عظمة السلطان ابن سعود على هذا الأساس وقال للوفد المصرى:

لكي تعلموا محبتى لمصر ولملكها، والمنزلة العظيمة التي له في قلبي، أوكل جلالاته أن يدعو في مصر مندوبي المسلمين لينظروا في هذه الأمور، وما يقررونه سأقوم بتنفيذه. فسر الوفد كثيراً وعد النتيجة التي وصل إليها خيراً من المهمة الأولى. وسررنا نحن أيضاً، لأننا اكتسبنا مودة ملك مصر، وهي شيء عظيم

عندنا ، وسافر الوفد المصرى حاملاً كتاب عظمة سلطان نجد المتضمن هذا الأساس
وفى أكتوبر سنة ١٩٢٥ م وصل جلال السلطنة وزير إيران المفوض بمصر ،
وعينُ الملك قنصل إيران الجنرال فى سوريا إلى الحجاز ، وأخبرا عظمة السلطان
بأنهما موفدان للوقوف على صحة أو كذب ما أشيع عن إصابة القبة النبوية بالقنابل ،
وفى أثناء إقامتهما فى المسكر السلطاني فى حذاء وفى مكة بحثنا معهما شئون الحجاز :
ماضيه ومستقبله ، وأخبرناهما بالكتاب الذى حمله الوفد المصرى ، وبال دعوة التى
سيوجهها جلالة ملك مصر إلى العالم الاسلامى لوضع مسألة الحجاز على بساط
البحث على الأساس الموضح فى الكتاب ، فأظهر الوزير امتعاضه ، وصرح بأن
حكومته لا تقبل دعوة مثل هذه من مصر ، لأن مصر دولة غير مستقلة من كل
وجه ، ولا شأن لها بالبلاد المقدسة ، وقال لعظمة السلطان : لماذا لا يدعو هو
المسلمين فى مكة ؟ أليس هو أولى بالدعوة ؟ أوليس هو صاحب الشأن ؟ فأجابهم
عظمتهم انه اختار مصر لقربها من سائر البلاد الإسلامية ، ولأن الحجاز لا يزال
فى حالة حرب ، وقد وكلت ملك مصر ولن أرجع فى قولى ، فطلب الوفد الايرانى
كتاباً من عظمة السلطان إلى رئيس حكومة إيران ، يتضمن الأسس المتقدمة ،
ورجع الوزير مسروراً من زيارته بعد ما وقف على الشئ الكثير من المعلومات
من الايرانيين المقيمين فى الحجاز عن حكم الأشراف فى الحجاز ، وما تركه السلطان
ابن السعود فى نفوس الحجاز من تواضعه وحلمه ، وبساطته ولطفه ، وحسن معشره
ولين جانبه ، وانه لولا خشونة الإخوان لكان حكم السلطان ابن السعود نعمة من
نعم الله لا يعادلها نعمة

مضى نحو أربعة أشهر والحرب لا تزال على حالها ، ولم يصل إلى عظمتهم شئ
عما تم فى أمر المؤتمر : إن الحرب قد تطول أكثر من ذلك ، فلماذا لا يفتح طريق
الحج من جهة « رابع » فيقضى القضاء الأخير على جدة ؟ لقد نجح هذا الطريق

بعض النجاح في الحج الماضي ، ووفد من الحج نحو أربعة آلاف نفس رأى عظمة السلطان أن يوفدني إلى مصر للبحث مع حكومتها في الإذن للحجاج من هذا الطريق ، وقبل مغادرتي رابع دخلت جيوش السلطان المدينة ظافرة فكان ذلك مشعراً بأن حكم الأشراف في الحجاز في حالة النزاع وصلت إلى مصر في أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٥ م ، وبعد مدة قصيرة استسلمت جدة آخر المدن الحجازية ، ففرح المسلمون فرحاً عظيماً ، وقابلت الصحف العربية والمهندية هذا الحادث بحماسة شديدة ، ونشر عظمة السلطان في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م منشوراً عاماً على أهل الحجاز : يحضهم على الاخلاص إلى السكون والانصراف إلى أعمالهم ، وختم المنشور بالجملة التالية :

« وأما مستقبل البلاد فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك المسلمون جميعاً فيه لينظروا في مستقبل الحجاز ومصالحها »

العدول عن المؤتمر

وبعد أسبوعين من صدور المنشور الأول ، أصدر عظمة السلطان بلاغاً عاماً بتاريخ ٢٢ جمادى الآخرة — ٧ يناير سنة ١٩٢٦ م يعلن فيه عدوله عن فكرة المؤتمر الإسلامي ، لأن دعوته التي وجهها إلى الشعوب الإسلامية وإلى قادة المسلمين لم يحبه عليها أحد ، وفي اليوم نفسه بايع جلالة أهل الحجاز ملكاً على الحجاز ، فأصبح لقب جلالة « ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها »

تمت هذه الخطوة الجديدة وأنا في مصر أفاوض حكومتها في شئون الحج ، ولم يخف على أولو الأمر استياءهم ، كما أن التلغرافات والصحف نشرت الشيء الكثير من استياء المنوود وجمعية الخلافة على الأخص ، وعدوا ذلك نكثاً بوعود جلالة الملك الكثيرة ، وقد أبرقت لجلالة الملك أخبره بمحققة الحالة في مصر والمهند ،

وإن جلالته لو كان تريث قليلاً لكسب الحجاز وقلوب المسلمين ، فأجابني جلالته ببرقية يشرح فيها الأسباب التي دعتة للتعجيل وهي إصرار أهل نجد والحجاز على ذلك ، وإن حالة البلاد تستدعي البت في هذا الأمر ، وقد نشرت الصحف هذه البرقية في حينها ، غير أن السلطات المصرية لم يقنعها هذا الجواب ، واعتقدت أن مسألة البيعة وما اكتنفها من طلب الحجازيين والنجديين إن هي إلا إيهام من حكومة الحجاز

أما أنا شخصياً فكنت أهتم بموضوع المؤتمر الإسلامي لأنه وسيلة من وسائل تفاهم المسلمين وإصلاح كثير من الشؤون الدينية والاجتماعية ، وطريقة من الطرق المثلى التي يمكننا بها خدمة الحجاز وأهل الحجاز والوافدين على الحجاز

فالحجاز يحتاج إلى كثير من وجوه الإصلاح ، وهو وحده لا يقوى على القيام بأعباء هذا الإصلاح ، ويجب أن يستعين الحجاز بعقول المسلمين المدبرة كما يجب على المسلمين أيضاً أن يعينوا الحجاز بالأموال للقيام بهذه الإصلاحات ، وواجب على حكومة الحجاز أن توسع صدرها لسماع كل نقد ، والأخذ بكل رأى صالح لقد سئلت في مصر عن المؤتمر الإسلامي هل عدل عنه نهائياً . سئلت هذا السؤال من كثير من كبار المصريين ورجال الحكم في ذلك الحين ، فلم أكن أملك الاجابة ، لأن الفصل في هذا الموضوع الخطير في مكة

لقد كتب كثير من أصدقائي الهنود يسألون نفس السؤال ، وياحون على في بذل نفوذى لعقد المؤتمر ، لأن هذا العمل من أعظم الأعمال لخدمة الإسلام والمسلمين غادرت مصر راجعاً إلى مكة فاجتمعت بجمالة الملك عبد العزيز ، وأخبرته عن رحلتى والأثر الحسن الذى تركته في مصر حكومة وشعباً ، ولم أخف مبلغ التأثير السبى الذى تركه اعلان الملكية في مصر والهند ، ولكن ليس فى الامكان الرجوع فيما تم طبعاً ، فماذا يمكن أن نعمل للقضاء على سوء الأثر

بحثت مع جلالة الملك مسألة المؤتمر الإسلامي فلم أجد جلالته مستعداً لقبول الفكرة فتركت الموضوع للزمن

تكررت الكتب والتفراقات من الهند وغيرها من الممالك الإسلامية بطلب عقد المؤتمر ، ووصل عينُ الملك قنصل إيران العام في سوريا للبحث مع جلالة الملك في شئون الحج الإيراني ومسائل القباب والأضرحة المهدمة ، وأخبرني أن المرحوم إبراهيم وجيه باشا لا يزال ينتظر مني أن أخبره عن مسألة عقد المؤتمر الإسلامي ، وبالطبع أخبرت جلالة الملك بذلك ، فكانت هذه العوامل الكثيرة لها أثرها في نفسه ، فقبل عقد المؤتمر الإسلامي في مكة على شرط ألا يتعرض المؤتمر لمسألة الحكم في الحجاز ، وعلى ذلك أرسلت الدعوة إلى الشعوب الإسلامية والحكومات الإسلامية ، وحدد يوم ٢٠ القعدة سنة ١٣٤٤ هـ لاجتماع المؤتمر ، وقد لبى الدعوة أكثر من دعوا

فشل المؤتمر

ليس هنالك من شك في أن الذين حضروا إلى المؤتمر كانت تحذوهم الرغبة في إصلاح الحجاز والخير للبلاد المقدسة ، وسكانها والوافدين عليها من جميع طوائف المسلمين ، وليس من شك في أن الملك ابن سعود لا يقل رغبة عن هؤلاء ، فلماذا إذن لم ينجح المؤتمر في الغرض الذي عقد من أجله مادامت رغبة المليك والمؤتمرين تلتقي عند خير الحجاز والمسلمين ؟

إن السبب الرئيسي هو عدم التجانس بين أعضاء المؤتمر ، وبينهم وبين النجديين من جهة أخرى . فما يعده النجديون أساساً للعمل ويتعصبون له لا يشاركون فيه بعض الشعوب الإسلامية الأخرى ، وما يعتقده الهنود من وسائل الإصلاح لا يشاركون فيه الجاويون والهنود من أهل الحديث

إن النجديين يرون أن التوحيد هو العواء الوحيد لما أصاب العالم الإسلامي من الأمراض . لقد كانت مكة والمدينة مهبط الوحي ومصدر التشريع ، فيجب أن نبدأ فيهما بهدم القبور وتسميتها ، وهدم القباب والمساجد المقامة على القبور ، وهدم كل مكان يشتم منه رائحة الإخلال بالتوحيد ، كما يجب إبطال جميع البدع من الحجاز

إن سائر المؤتمرات سياسيون أكثر منهم دينيين ، فهم وإن كانوا يتفقون مع النجديين على إصلاح حالة العالم الإسلامي وإصلاح الحجاز ولكنهم لا يتفقون مع النجديين في طريقة الإصلاح ، ويقولون : إن العالم الآن يختلف تمام الاختلاف عنه قبل ثلاثة عشر قرناً ، وإن الواجب الآن تأليف القلوب وجمع الكلمة والتدرج في الإصلاح ، وهنا يقع الخلاف بين الفريقين ويشتد النزاع ولا سبيل إلى التوفيق وهناك مسائل سياسية عربية يرى بعض المؤتمرات إثارتها ، وترى حكومة الحجاز عدم الخوض فيها

لقد كان الملك ابن السعود حكيماً ، فإنه في حفلة افتتاح المؤتمر منح الحرية المطلقة للمؤتمرين ، إلا ما يتعلق بالسياسة الدولية ، وما بين بعض الشعوب الإسلامية من خلاف ، ولكن بعض أعضاء المؤتمر لم يصغ إلى نصيح الملك ابن سعود ، وحاولوا البحث في مشا كل سياسية لم يكن هنالك حاجة في إثارتها ، لاسيما وحاجات الحجاز كثيرة ووجوه الإصلاح عديدة ، ولكنهم على كل حال كان رائدهم حسن النية وخير المسلمين

أريد أن أذكر القصة الآتية لأنها تدل على ما كان يسود جو المؤتمر وما كانت حكومة الحجاز تعانیه ، لأنها لا تريد أن تسوء علاقاتها السياسية مع الحكومات الأجنبية ، كما لا تريد أن تمس عواطف أعضاء المؤتمر المتحمسين : أخبرني جلالة الملك أن السيد رشيد رضا والشيخ عبد الله بن بليهد رئيس

القضاء فى ذلك الوقت ، أخبراه بأنهما بالاتفاق مع وفد الخلافة سيأخذون قراراً من المؤتمر ، على أن يجتمع أعضاء المؤتمر جميعاً أمام الكعبة ، ويتعاهدوا فى اليوم السابع أو الثامن صباحاً بأنهم سيسعون بكل قواهم لتخليص جزيرة العرب من نفوذ الأجانب ، وأنهم يعتقدون أن لهذا تأثيراً عظيماً فى رأى الإسلامى ، فقلت لجلالته : إن نية إخواننا حسنة بلا شك ، وإنهم لا يريدون إلا الخير للإسلام والمسلمين ، وإن ما يتمنونه هى أمنية كل مسلم ، ولكن ما هى الفائدة من هذا العهد ، إن من يريد أن يعمل فبحال العمل أمامه واسع ، وعلى كل حال فالمشروع إلى الآن لم يعرض على لجنة المشروعات ، فقال لجلالته : إن الجماعة سيجتمعون عندى بعد العشاء ، وكنا فى اليوم الرابع من شهر ذى القعدة ، فيجب أن تحضر لتتفقوا جميعاً على رأى واحد

حضرنا عند جلالة الملك بعد صلاة العشاء ، وكان الحاضرون هم الشيخ عبد الله ابن بليهد والسيد رشيد رضا والسيد أمين الحسينى والرحوم محمد على ومولانا شوكت على ، وكاتب هذه الأسطر ، والدكتور عبد الله الدملاجى ، والشيخ يوسف ياسين والشيخ محمد أبوزيد المصرى وغيرهم ممن لا أذكر أسماءهم الآن

افتتح الحديث الشيخ عبد الله بن بليهد ، فقرأ صيغة القسم ، وشرح الأغراض من العهد والروح الجديدة التى تسرى فى المسلمين والعرب حين سماعهم ذلك ، وبعد أن ساد المجلس السكون طلب منى جلالة الملك رأى

فطلبت من الشيخ ابن بليهد الايضاح عن المقصود بجزيرة العرب ، فقال : إن المراد منها فلسطين — سوريا — العراق — وسواحل الجزيرة التى للأجانب نفوذ فيها ، فقلت : إني أشكر أصحاب الفكرة على هذه الروح الطيبة ، ولا شك أن كل عربى ومسلم يتمنى أن يتمتع العرب فى كل ناحية بما يتمتع به غيرهم من الاستقلال . ولم هذه العجلة ؟ إن تركيا ومصر وأفغان والين قد أرسلوا مندوبين

إلى المؤتمر وهم في طريقهم ؛ أليس من الحكمة أن نأخذ رأيهم في هذا الموضوع الخطير ، وهم أعلم منا بالسياسة الدولية ، وأعرف بطرق معالجة هذه الشئون ، فإذا وافقوا على هذا الاقتراح فإن لموافقتهم من القوة المعنوية ما ليس لموافقتنا ، فقبل الجميع هذا الاقتراح ، وسر جلالة الملك من هذه الفكرة التي تركت له فرصة للتفكير وبالطبع لم يقبل أحد من مندوبي الدول هذا الاقتراح لأنه توريط لدولهم في مشكلة هي في غنى عنها

وقد انتهى المؤتمر الإسلامي الأول بقرارات ورغبات وتمنيات كان نصيبها الإهمال من العالم الإسلامي ، لأنه لم يعد لها القوة ولم يتمكن المندوبون من جمع الإعانات التي كانوا يؤملون جمعها ، وحكومة الحجاز لا تستطيع أن تقوم بما طلب منها ، فليس لديها من المال ما تستطيع به تنفيذ جميع رغبات العالم الإسلامي . وبالجملة فإن جميع الآمال التي كنا نرعى إليها من المؤتمر الإسلامي من الإصلاح الديني والاجتماعي العام ، وإصلاح البلاد المقدسة إصلاحاً يتفق مع مقتضيات هذا الزمن ، ورفع مستوى الحجاز إلى المستوى اللائق بجلاله وقديسيته ، قد فشلت فلعل المسلمين ينتفعون من أغلاطهم ، ويعملون لعقد مؤتمر آخر يعمدون فيه إلى الإصلاح ، ويتركون المساعي السياسية التي ليس من ورائها فائدة إيجابية

ابن السعود وإمام صنعاء

لم تكن هنالك صلة مراسلة أو غيرها بين ابن سعود وإمام صنعاء حتى سنة ١٩١٩ م ، فإن حادثة الحج اليماني^(١) في عسير كانت سبباً للتعارف وتبادل الرسائل من وقت لآخر ، ثم أخذت مصالح الحكومتين في التضارب بعد موت السيد محمد

(١) من يريد تفاصيل مخبرات اليمن فليراجع الكتاب الأخضر الذي أصدرته وزارة خارجية الحجاز

على الإدريسي ، واتهاز الإمام يحيى الفرصة لطلّى صحيفة حكمهم من عسير ، وتقدم سلطان نجد في الحجاز ، كل هذا جعل الفريقين وجهاً لوجه ، فإن الأدارة بعد ما أحسوا بالخطر المحدث بهم ولوا وجههم شطر ابن سعود حليف محمد على الإدريسي ، فأعلن الحماية على عسير ، وأخبر الإمام يحيى بذلك في خريف سنة ١٩٢٦ م ، ثم أخذ الفريقان يتبادلان الكتب والوفود للوصول إلى حل حاسم خاص بالحدود والقبائل فلم يوفقوا إلى ذلك ، لأن حسن النية لم يكن متوفراً من كل وجه ، وأخيراً اضطر ابن سعود لامتشاق الحسام بعد أن أعيته الحيل ، وبعد أن انتهك الإمام يحيى حرمة بلاده باحتلال قسم منها ، وقد تمكن في مدة قصيرة من التقدم في تهامة حتى الحديدية ، غير أن الملك عبد العزيز — وهو الرجل العاقل النافذ البصر — لم يكن يرمى في الحقيقة إلى فتح اليمن ، لأن ذلك يلقي عليه مسئوليات جديدة ، وربما يعرض البلاد العربية للتداخل الأجنبي ، والملك عبدالعزيز يفضل أن يفتح قلب إمام اليمن ويكتسب وده وصداقته أكثر من فتح اليمن نفسها ، وقد وصل إلى الغرض الذي كان يرمى إليه . فإمام اليمن قد أفهمته الحوادث قوة ابن سعود ، وإن ما توهمه من ضعف لم يكن إلا حلاً وطول أناة ، وقد ضرب الملك عبد العزيز بالصلح الذي عقده مع إمام اليمن أفضل الأمثال في التسامح واكتساب صداقة خصمه ، كما ضرب أفضل الأمثال في حبه للتفاهم مع أمراء العرب وسعيه للاتحاد العربي الذي ينشده أحرار العرب ومفكروهم من نصف قرن . ولعلنا نرى في المستقبل القريب الرغبة الصادقة من ملوكهم وأمرائهم في التفاهم وإزالة ما بينهم من إحن شخصية ، وتقديم المصالح المشتركة العامة على الاعتبارات الشخصية ، فإن مجد العرب لا يسترد إلا باجتماع كلمة العرب واتحادهم « بصر الله العرب وملوكهم بما فيه خيرهم وصلاتهم »

حياة الملك عبد العزيز الشخصية

لقد صحبت الملك عبد العزيز في السلم وفي الحرب ، وعاشته في البادية والحاضرة ، وخبرته في حالتي الرضا والغضب ، وحياته الشخصية لا تكاد تختلف إلا يسيراً ، فهي أشبه بنظام أتوماتيكي لا يكاد يتغير

يقوم الملك عبد العزيز عادة قبل الفجر بساعة ، فيقرأ القرآن حتى إذا أذن مؤذن الفجر أدى فريضة الصلاة ، ثم انصرف إلى بيته يقرأ شيئاً من القرآن والأوراد الصحيحة النسبة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تعرض عليه الأشياء التي يقتضى البت فيها بسرعة ، ثم ينام بعد ذلك قليلاً فيغتسل كل يوم صباحاً ويلبس ثيابه ويفطر ، ثم يخرج إلى مجلسه الخاص فتعرض عليه مهام الحكومة ، ويعطى أوامره لموظفيه ، وإذا انتهى من ذلك قابل الناس من شيوخ البدو وكبار العرب مقابلات خاصة ، يسمع شكوى المشتكى ونصح الناصح ، ويباحث زعماء الزوار فيما يهم من شئونهم ، ثم يذهب إلى المجلس العام الذي يجتمع فيه كل من يريد مقابلته ، ويقضى في هذا المجلس نحو ساعة يمضيها في حديث أشبه بخطابة فيما يهم من أمور الدين والدنيا وينصرف إلى الغذاء ، ثم يرجع إلى بيته فينام قليلاً ، ثم يصلي الظهر ثم يرجع إلى مجلسه الخاص ، فتعرض عليه الشئون الهامة ، ثم ينصرف لصلاة العصر ، فيحضر عنده إخوانه وأولاده وأقاربه وكبار الموظفين يسأرونهم ، ثم يخرج بعد ذلك في سيارته إلى الخارج للرياضة ، وبعد العشاء يجلس في مجلس عام ، وهناك يحضر قارئ ويقرأ نحو ساعة ونصف من كتب مختلفة في الحديث والتفسير والتاريخ والأدب ، وبعد ذلك ينصرف إلى بيته ومما يجب أن يذكر أن الملك عبد العزيز أثناء إقامته في الرياض يقوم بزيارة

والده المرحوم الإمام عبد الرحمن كل يوم ، وكذا سائر أقاربه الاذنين ، ولا تزال هذه عاداته في مكة يزور كل يوم الحاضر من أقاربه

والملك ابن سعود مشهور في بلاد العرب بكرم الخلق وبسط اليد ، لا يعرف أى قيمة للدرهم إلا أنه وسيلة لبناء المجد أو حسن الذكرى ، فقلما يرد سائلاً يطالب معونته ، أو محتاجاً قصد بابيه ، وهو يشرف بنفسه على إعطاء القاصدين حسب منازلهم ، لأنه هو يعرفهم حق المعرفة ، وقلما يعتمد على أحد آخر فى ذلك ، على أن هذه العطايا قد يكون لها مرامي سياسية بعيدة يرمى إليها ، وديوانه مفتوح للقادمين يقابل زائريه مهما صغر مقامهم بوجه باش ، و يأخذ ألبابهم بابتسامته التى لا تكاد تفارقه ، ومجلسه لا يخلو من خطبة صغيرة يراعى فيها نفسية السامعين

ولا يضيق صدر الملك عبد العزيز إلا عند ما يجد خزائنه تضيق بالطلبات والعطايا ، فهو يتكدر خوف أن يظهر بمظهر العاجز أمام السائين الذين تعودوا رفده

وكان الملك يسخر منا كثيراً حينما ننصحه بالادخار ونقول إن المستقبل علمه عند الله ، وإن الرخاء ليس دائماً ، فيقول : إن المال لا ينفع ، هل أفادت عبد الحميد خزائنه وما ادخره من المال ، وهل أفادت خزائن الرشيد الرشيد ؟ وأعتقد أن الملك قد غير فكره فى هذه الأزمة التى أخذت بالحناق ، وأصبح يعتقد فى المال وفائدة ادخاره لوقت الشدة

والملك عبد العزيز من المعجبين بمحمد بن الرشيد أمير حائل والذى امتدت سيادته على نجد كلها ، والذى فى أيامه هاجر الأمير الصغير مع والده إلى الكويت وهو ينحو نحوه فى طريقة العطاء ، وهو دائماً يقص القصة الآتية إعجاباً بتصرف الرجل :

وفد شيخ من مشايخ البدو الكبار على محمد بن الرشيد ، فأكرمه وأعطاه



أصحاب السمو الملكي ، انجال جلالة الملك ابن السعود بين نفر من الحراس

شيئاً قليلاً ، وفي نفس الوقت وفد شيخ من مشايخ البدو الصغار ، وكان الأخير في وقته يقطع الطرق مع رجال قبيلته في شمال نجد ، فأكرمه إكراماً زائداً ، وكساه وأعطاه منحة كبيرة ، فسئل محمد بن الرشيد عن هذا التصرف الغريب ، فقال : أما الأول فإنه وإن كان قوياً وكبيراً ، ولكنه يحس بما عليه من المسئولية ، وإنه يحافظ على مركزه وماله بالولاء لنا فهو في حاجة إلينا ، وأما الآخر فثقل العصفور ينتقل من شجرة إلى أخرى يتبعك صيده ، فنحن في حاجة إلى تأليفه وإرضائه ، وما نكف به شره لا يساوى شيئاً إذا قورن بما نبذله لتأديبه وعقوبته

والملك عبد العزيز وفي لأصدقائه محافظ على ودهم ، لا يجب أن يبدأ أحداً بالعداء ، ويميل إلى استرضاء الناس واكتساب ودهم مهما كلفه ذلك ، ولكن إذا تيقن أن ليس هنالك من سبيل للصداقة فإنه يعادى — ويعادى بشدة ، ولكنه قلماً يهاجم خصمه ، فإذا هاجمه خصمه فإنه يبذل كل ما يمكنه بذله للقضاء عليه ، وهو في هذه الحالة يأخذ بسياسة « الغاية تبرر الوسطة »

والملك عبد العزيز طيب القلب لا يكاد يضر حقداً ، وهو إذا غضب — وغضبه قليل — فإنك ترى أسداً يزأر أو جلاً يهدر ، وتكاد عينك تكذب أن هذا الغضبان هو عبد العزيز بن سعود الرضى الخلق الوسيم الوجه ، وكثيراً ما يعتذر عن بعض التصرفات التي تصدر في حالة الغضب ، كما أنه كثيراً ما يغمر خدامه الذين يصيبهم شرر غضبه فينسيهم ألم ما أصابهم

وهو متواضع ، طيب العشرة ، رقيق السمر ، له جاذبية لمن يعرفه تشبه السحر . وإنى لا أذكر أن واحداً من كبار الإنجليز عرفه وعامله إلا أحبه ، ولا يزال له أصدقاء من الإنجليز الذين كان له معهم اتصال سياسى ، وهو كثير الشبه بمعاوية بن أبى سفيان في حلمه وبعد نظره وحسن حيلته في تصريف الأمور في سنة ١٩٢٥ م كان الملك ابن السعود يظهر إعجابه بالإنجليز وسعة ملكهم

وإخلاص رجالهم لبلادهم للجنرال كلايتون ، فقال الجنرال : إن ما ذكرته صحيح ، ولكن هذا الملك الواسع لم يؤسس إلا في مئات السنين ، ولكن ألا يصح لنا نحن الإنجليز أن نعجب بك فإنك في ثلاثين سنة قد أسست ملكاً واسعاً ، وإذا اطرد لك هذا الفتح وهذا التقدم فأظن أنه في نصف المدة التي أسسنا فيها ملكنا تؤسس أنت امبراطورية مثل أو أكبر من امبراطوريتنا ، وهذا ليس ببعيد إذا ساعدتكم تصرفات الزمان وأخذتم أتم بسنن التقدم ، فإن أسلافكم العرب قد شيدوا امبراطورية عظيمة في مدة قصيرة جداً لم يعرف التاريخ مثلاً ، فقال الملك : هذه وإن كانت أمنية العرب ، ولكني لا أعتقد في نفسي القدرة لتحقيق ذلك ، وكل ما أتمناه أن يجعل من رجالنا من يماثلكم في الإخلاص والتضحية لبلادهم

والملك ابن سعود ربما كان أحلم أمراء العرب وأبعدهم عن الانتقام من الموظفين ولا سيما الموظفون الذين يعرف لهم سوابق خدمة أو إخلاص ؛ فإن هؤلاء أقصى عقوبة لهم العزل

والملك ابن سعود يتساهل في كل شيء إلا ما يمس سيطرته الشخصية أو ما يمس مركز حكومته فإنه لا يتساهل فيه ، وقد يعاد المعزول إلى منصبه أو أعلى منه إذا تصرف بعد العزل تصرفاً يرضى الملك . لقد عزل الملك أمير الطائف سنة ١٩٢٧ م لشدة ، فلما أن حضر إلى مكة قال له الملك : إننا لم نعزلك من منصبك لنقص في دينك أو شبهة في أمانتك ، ولكننا نحيناك لشدة ونحن نريد اللين مع الناس ، فقال له الأمير : الحمد لله لقد ولاك الله على المسلمين وأنت أعلم بمصالحهم ، ولئن حرمت من المنصب فإني أتمتع برؤيتكم صباحاً ومساءً ، وهذا لا يعادله شيء في هذه الدنيا ، فسر الملك لهذا الجواب اللطيف وواظب هذا الأمير على حضور مجلس الملك كل يوم ، فلم تمض بضعة أشهر على عزله من الطائف حتى عين أميراً للمدينة ، وهو فيها إلى الآن حائز لرضا الملك متمتع بثقته

الملك عبد العزيز من الرجال العاملين الذين لا تغيرهم مظاهر الأمور . كان علماء الرياض لما اعترضوا عليه سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) إذنه بإقامة الاحتفالات لمناسبة عيد جلوسه على عرش الحجاز ومخالفة ذلك للسنة أرضاهم بالنزول على رأيهم ؛ لأن ما يتعلق بشخصه لا أهمية له في نظره ، ولكن هذا لم يمنعه من معارضتهم في تقيم المواصلات اللاسلكية في بلاده وتشيدها ، لاعتقاده بخطأ المعلومات التي تصل إلى نجد عن التلغراف اللاسلكي من أنه من عمل الشيطان وأنها بالعكس ركن من أركان السلم وحفظ الأمن وإنجاز الأعمال



أعمال الملك عبد العزيز الـصـلـحـة

لا يقدر مجهودات الملك عبد العزيز حق قدرها إلا الواقفون على أحوال البلاد العربية ، المتصلون بها ، الخابرون لشئونها ، الملمون بأحوال سكانها وطرق معيشتهم . إن الذى يعرف بلاد العرب قبل ثلاثين سنة عن خبرة شخصية ، أو يقرأ كتب الجوايين من الانجليز يعرف ما لهذا الرجل من فضل فى استتباب الأمن والضرب على أيدي قطاع الطرق من القبائل

والذى يعرف بلاد العرب وما كانت عليه من تشاحن بين أمرائها وحروب مستمرة بين حكامها يقدر مجهود هذا الرجل فى قطع دابر الحصومات بتوحيد بعض الإمارات المتخاصمة

ولقد ذكرنا فى فصول متفرقة فى هذا الكتاب ما له من الأيادي كإدخال النظام الصحى الحديث فى نجد والاحساء : بالإكثار من الأطباء ، وإنشاء المستشفيات المتنقلة لمعالجة المرضى ، لأن حالة البلاد المالية لا تساعد على إنشاء مستشفى فى كل بلد ، كما أدخل نظام التطعيم ضد الجدري بالرغم من معارضة بعض المتعصبين ، كما ذكرنا فضله على العمل لنشر التعليم والإكثار من المدارس ، ومكافحة الجهالة بكل الوسائل الممكنة ، ولولا المال الذى يعوز كل مشروع إصلاحى لوجدنا البلاد العربية التى يقود سفينتها عبد العزيز أسبق البلاد العربية وأسرعها خطا فى طريق التقدم

والملك عبد العزيز فى طريقه الإصلاحى يفضل التؤدة والتأنى واستعداد الشعب لما يريد من الإصلاح

إن كثيراً من القراء لا يدركون الصعوبات التى يعانها الملك عبد العزيز

ولا العقبات التي تقف في سبيل ما يريد من المشروعات
لقد مكث الملك عبد العزيز يجاهد ويجالد في سبيل التليفون والتلغراف
اللاسلكي مرة مع الاخوان ، وآونة أخرى مع العلماء نحو عشر سنوات ، وكان
هذا الموضوع من الموضوعات التي أثارت حفيظة الاخوان

سأقص عليك القصتين التاليتين ، من كثير ، لتعرف المحيط الذي يشتغل
فيه الملك عبد العزيز ، وتعرف الصعوبات التي يتغلب عليها :

أوفدني جلالة الملك للمدينة سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م مع عالم من علماء
نجد للتفتيش الاداري والديني ، فجرى ذكر التلغراف اللاسلكي وما يتصل به من
المستحدثات ، فقال الشيخ : لاشك أن هذه الأشياء ناشئة من استخدام الجن ،
وقد أخبره ثقة أن التلغراف اللاسلكي لا يشتغل إلا بعد أن تذبح عنده ذبيحة ،
ويذكر عليها اسم الشيطان ، ثم أخذ يذكر لي بعض القصص عن استخدام بني
آدم للشيطان ، ولقد كان شرحي لنظرية التلغراف اللاسلكي وتاريخ استكشافه
ليس له نصيب من اقناع الشيخ ، فلم أجد أي فائدة من وراء البحث فسكتُ
على مضض

وفي يوم من الأيام دعاني الشيخ لمرافقته لزيارة قبر حمزة عم الرسول عند جبل
أحد ، وهو يبعد عن المدينة بالسيارة نحو نصف ساعة ، فلبيت الدعوة وسرنا من
المدينة بعد صلاة العصر ، وفي أثناء الطريق أوقفت السيارة عند محطة التلغراف
اللاسلكي ، وهنا دار بيني وبينه الحديث التالي :

سأل الشيخ لماذا وقفت السيارة ، فأجبتُهُ لتري التلغراف اللاسلكي ، فان
كان هنالك ذبائح ودعوة لغير الله ، فاني سأحرقه مهما كانت النتيجة ، فالدين لله
لا لابن سعود ، وقد يكون الملك مخدوعا في أمر هذه التلغرافات وتذكر له الأشياء
على غير حقيقتها ، فقال الشيخ : بارك الله فيك ، فدخلت المحطة ، وبعد البحث لم يجد

الشيخ أى أثر لعظام الذبائح وقرونها أو صوفها ، ثم أراه العامل طريقة المخابرة ،
وفى دقائق تبودلت المخابرات والتحيات بينه وبين جلالة الملك فى جدة
كانت هذه الزيارة البسيطة مدعاة للشك فيما كان يعتقد من عمل الشيطان
فى المخابرات ، ولكنه ظن أنى ربما دبرت هذه المكيدة بايعاز من الملك ، فزار
الشيخ محطة التلفراف بضع مرات منفرداً فى أوقات مختلفة بدون أن يخبر أحداً
بعزمه ، فكان يفاجئ العامل بالزيارة ويسأله عن كل ما يغمض عليه ، وقد أخبرنى
الشيخ ونحن فى طريقنا إلى مكة بأنه يستغفر الله ويتوب إليه عما كان يعتقد
ويتهم به بعض الناس (وربما كان يقصدنى) فى هذا الأمر ، ثم ختمت الموضوع
بقولى : ماقولكم يا حضرة الشيخ فى رواية أولئك الثقات أخشى أن تكون رواياتهم
لكم عن أكثر المسائل العلمية كرواياتهم عن التلفراف ، فقال : حسبي الله
ونعم الوكيل

وقد أخبرنى جلالة الملك فى شعبان سنة ١٣٥١ هـ — ديسمبر سنة ١٩٣٢ م
أثناء زيارتى للرياض أن المشايخ (أى رجال الدين) حضروا عنده سنة ١٣٣١ هـ لما
علموا بعزمه على إنشاء محطات لاسلكية فى الرياض وبعض المدن الكبيرة فى نجد ،
فقالوا له : يا طويل العمر ، لقد غشك من أشار عليك باستعمال التلفراف وإدخاله
إلى بلادنا ، وإن « فلبى » سيجر علينا المصائب ، ونخشى أن يسلم بلادنا للانجليز ،
فقال لهم الملك : لقد أخطأتم فلم يغشنا أحد ، ولست والله الحمد بضعيف العقل
أو قصير النظر لأخدع بخداع المخادعين ، وما فلبى إلا تاجر وكان وسيطاً فى هذه
الصفقة ، وإن بلادنا عزيزة علينا لا نسلها لأحد إلا بالثمن الذى استلمناها به .
اخوانى المشايخ : أتم الآن فوق رأسى تماسكوا بعضكم ببعض لا تدعونى أهز
رأسى فيقع بعضكم أو أكثركم ، وأتم تعلمون أن من وقع على الأرض لا يمكن
أن يوضع فوق رأسى مرة ثانية ؛ مسألتان لا أسمع فيهما كلام أحد لظهور فائدتهم

لى ولبلادى ، وليس هنالك من دليل أو سنة رسول يمنع من أحداث
اللاسلكى والسيارات

وعند ما وضعت الآلة اللاسلكية فى الرياض واستعملت ، كان الناس يغرى
بعضهم بعضاً بأن إنشاء هذه المحطة هو الحد بين الخير والشر ، وكان العلماء يرسلون
من يأتمنونهم لزيارة المحطة ورؤية الشياطين والذباح تقدم لهم ، فلم يجدوا شيئاً
وقد أخبرنى عامل المحطة بأن بعض المشايخ الصغار كانوا يترددون عليه من
وقت لآخر لسؤاله عن موعد زيارة الشياطين ، وهل الشيطان الكبير فى مكة
أو الرياض ؟ وكم عدد أولاده الذين يساعدونه فى مهمة نقل الأخبار ؟ فكان يجيبهم
بأن ليس للشياطين دخل فى عمله ، وكان بعضهم يغريه بالنقود وأنهم سيكتمون
هذا السر ، ولكن العامل كان يأخذ الأخبار ويرسلها أمامهم ويخبرهم أن الموضوع
صناعى محض . كانت الأيام تعمل عملها فى نفوسهم ، ورسلمهم ينقلون إليهم حقيقة
ما يرونه ويشاهدونه حتى لمسوا فائدة سرعة الأخبار فى فتنة ابن رفاة وعسير ،
فقد ساعدهم ذلك فى قمع الفتنة سريعاً ، ولو كان الاعتماد على الجبال لكنت
الأخبار لاتصل قبل ٢٥ يوماً أو أكثر ، ومثلها فى الرجوع ، ولا يعلم إلا الله
ماذا يجرى من الحوادث أثناء ذلك

وتذكرنا هذه القصة بما كان يجرى فى القرون الوسطى فى أوربا ، فإذا
قوبل القائل بدوران الأرض ؟ وبماذا قابل امبراطور فرنسا ووزراؤه الساعة التى
أهداها له هرون الرشيد ؟ ألم يفزعوا منها ، ولقد حدث مثل هذا فى نجد قبل ستين
سنة ؛ فإن أول ساعة دقاقة كسرت وعدت من عمل الشيطان ، وحدث أن بعض
الجهلة أذاع بين الإخوان هذه الفكرة ، فقامت قيامة الإخوان منكرين على المشايخ
استعمالها ، وأن أقل الأحوال فيها أنها بدعة فتصدى لهم الشيخ سعيد بن سحمان
ورد عليهم فى رسالة صغيرة سنة ١١٣٤ هـ (١٩١٦م) وطبعت فى مصر سنة ١٩٢٣

فهذه القصص وأمثالها ترينا ناحية من نواحي عظمة بن سعود ومقدار ما يعانيه من الصعوبات في طريق الإصلاح ، وترينا ناحية من نواحي الكفاح بين القديم والجديد

ومن أعظم المشروعات الإصلاحية التي قام بها الملك عبد العزيز مشروع تحضير البادية ، وإقطاعهم الأراضي للسكنى والزراعة ، وتعليمهم المبادئ الدينية ومكارم الأخلاق . ولما كان هذا المشروع قد شغل قسماً من التاريخ النجدي الحديث ، أحببنا أن نفرده الفصل الآتي مفضلين التفصيل على الإيجاز



الإخوانه

إذا ذكر الإخوان على حدود العراق أو شرق الأردن أو الكويت استولى الرعب على قلوب السكان ، وهب البدو يطوون الصحراء لائذين بالبلاد القريبة منهم يحتمون بمجدرانها وأبراجها . فمن هم رسل الذعر والهلع في بلاد العرب ؟ إن كلمة « الأخ » قد استعملت بمعنى الحليف والمعاهد أول نشأة الإسلام ، فقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأوس والخزرج من الأنصار ، وتناسوا ما بينهم من العداة والنزوات ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها »

أما في السنوات الأخيرة فقد أصبحت علماً على سكان البادية الذين تركوا السكنى في الخيام واستقروا في أماكن معينة ، وبنوا لسكناهم بيوتاً من الطين سميت هجرة ، إشارة إلى أنهم هجروا الحياة القديمة المكروهة إلى حياة أخرى محبوبة إن أول هجرة بنيت هي هجرة الأزطاطونية سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١١ م ، وسكانها خليط من حرب ومطير ، ثم الغطفط وسكانها من عتيبة ، ثم دخنة وأكثر سكانها من حرب ، ثم الأجر وأكثر سكانها من شمر ، وتبلغ الهجر نحو ستين هجرة ، ولكن أهمها ما تقدم

ثم أخذت الهجر تنتشر بسرعة ، وأخذت العشائر تقلد بعضها في ترك حياة البادية التي أصبحت تسمى بالجاهلية كما يسمون الحياة الجديدة بالإسلام

وقد غالى فريق كبير من عتيبة في كره الجاهلية أو حياة البادية ، فرأوا أن من آية الإخلاص لله ودينه وآية الإيمان الصحيح التخلص من كل ما يشتم منه

رائحة الجاهلية ، فأخذوا يبيعون إبلهم وأغنامهم ، وينقطعون في الهجرة للعبادة وسماع السيرة النبوية ، وغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتاريخ انتشار الإسلام في جزيرة العرب ، فوجدوا أن حياتهم الأولى تشبه في كثير من الوجوه حياة الجاهلية ، كما أن حياتهم الأخيرة تشبه حالة الإسلام في أيامه الأولى ، فعكف أكثرهم على تعلم مبادئ القراءة وحفظ شيء من القرآن والحديث . غير أن هذا الانقلاب كان خطيراً جداً وعنيفاً جداً

لقد تشرب هؤلاء كثيراً من المبادئ والتعاليم ، واعتقدوا أنها هي الدين وما سواها ضلالة ، كما أساءوا الظن بغيرهم من حضر نجد ، بل وبولّى أمرهم الإمام عبد العزيز أصبحوا يعتقدون أن لبس العمامة هي السنة ، والعقال من البدع المنكرة ، بل غالى بعضهم فجعله من لباس الكفار ويجب مقاطعة لابسيه ، وكان كثير منهم يعتقد أن لا إسلام لمن لم يسكن المهجر مهما كانوا عليه من الإسلام ، وترك ضرور البادية وعوائدها ، فلا يبدأون غيرهم من هؤلاء بسلام ، ولا يردون عليهم السلام ، ولا يأكلون ذبائحهم . وذنّب هؤلاء هو عدم الهجرة

وكان من عوائد الإخوان إذا قدموا زائرين قاموا في المسجد وقالوا : السلام عليكم (يا إخوان) إخواننا يسلمون عليكم
وكان فريق منهم يعتقد أن المشايخ مقصرون مDAHنون لابن سعود ، وقد كتموا الحق عنهم

وكانوا يعتقدون أن الحضر ضالون ، وأن غزو المجاورين واجب ، وأنه ألقى عليهم هذا الواجب من قبل الله فلا يسمعون كلام أحد في منع الغزو ولقد نال بعضهم الإمام عبد العزيز فرموه بموالاة الكفار والتساهل في الدين ، وأنكروا عليه تطويل الثوب والشارب ولبس العقال ، إلى غير ذلك من ضروب الجهالة ، وأصبحوا يحرمون كل ما لا يتفق وهوام . وإن سرعان هذه الروح التمردة

يرجع إلى هؤلاء الجهلة أنصاف المتعلمين الذين انتشروا في قرى الإخوان باسم العلم ، ولقنهم هذه التعاليم وحببوا إليهم التعصب الذميم . وربما كانت سنة ١٣٣٥ هـ من أشد السنين في نجد ، إذ كادت تقع فيها فتنة أهلية بين الإخوان من جهة ، وبين الحكومة والحضر من جهة أخرى ، ولقد جرد الإمام جيشاً من طلبة العلم المتفقيين في دينهم وأرسلهم إلى الإخوان كي يصلحوا ما أفسد الأولون ، كما أنه انتزع أولئك الذين بذروا بذور الجهالة والغواية ومنعهم من السكنى في الهجر . على أن السلطان وإن نجح في ذلك كثيراً فإنه لم يتمكن تماماً من استئصال تلك الجذور التي تمكنت من نفوسهم ، ولولا أنهم يخافون سيفه ويهابون سلطانه وسطوته لعمت القوضى جزيرة العرب

لقد عرفت البدو في حروبهم وفي حياتهم البدوية ، وعرفتهم بعد ما سكنوا الهجر ، وعرفت كثيراً من قادتهم في جاهليتهم وإسلامهم ، فرأيت أن الدين قد غيرهم تغييراً تاماً

كان البدوى لاهم له إلا النهب والسلب وقطع الطرق ، ويعد هذا العمل من مفاخر البادية ، والويل للضعيف في البادية ، وكان لسان حالهم يقول : المال مال الله ، يوم لى ويوم لك ، نصبح فقراء ونمسي أغنياء ، ونصبح أغنياء ونمسي فقراء . والقوافل التجارية كانت تحت رحمة البادية ، لا تمر من المنطقة إلا بإتاوة أو رقيق ، والبدوى لم يكن مخاطراً بحياته ، فاذا رأى أن النهب سيكون من ورائه خطر تركه ، وكذلك إذا رأى دفاعاً قوياً من خصمه تركه ، والبدوى لا يعرف قلبه الاخلاص تقريباً ، شيمته الرياء والنفاق ، لا تنفع معه إلا الشدة المشوبة بالعدل ، ولذا فلا يعول الأمراء كثيراً على عددهم ولا على قوتهم ، وكثيراً ما كانوا بالاعلى صديقهم ، فاذا بدرت منه بوادر الهزيمة فانهم يكونون أول الناهبين له ، ويحتجون بأنه ما دام صديقهم منهوباً أو مأخوذاً كما يقولون فهم أولى به

أما الاخوان الآن فهم حماة الطريق يرون حرمة التعدى على المسافر وابن السبيل ، ويرون للجار والمسلم حرمة ، فالمسلم حرام دمه وماله أصبح الاخوان لا يهابون الموت بل يندفعون إليه اندفاعاً طلباً للشهادة ولقاء الله ، وأصبحت الأم حينما تودع ابنها تودعه بهذه الكلمات : « اللهم اجعنا وإياك فى الجنة » وأصبحت كلمة التشجيع على الحرب « هَبَّتْ هبوب الجنة وَين أنت يا باغيها »

وكلماتهم عند الهجوم : إياك نعبد وإياك نستعين
ولقد شاهدت بعض مواقعهم الحربية ، فوجدتهم يقذفون أنفسهم إلى الموت قذفاً ويتقدمون إلى أعدائهم صفّاً صفّاً ، ولا يفكر أحدهم فى شيء إلا هزم العدو وقتله . والاخوان على العموم لا تعرف قلوبهم الرحمة ، لا يفلت من تحت يدهم أحد ، فهم رسل الموت أينما رحلوا

قد ظهرت قوة الاخوان الحربية فى هزيمة أهل الكويت هزيمة منكورة فى واقعة حمض سنة ١٩١٩ م ، ثم فى حصار شيخ الكويت فى الجهرة سنة ١٩٣٠ م وفى إبادة جيش الشريف عبد الله فى واقعة تربة سنة ١٩١٩ م ، ثم فى هجومهم المتكرر على العراق والكويت وشرق الأردن

وبالرغم من أن إمامهم كان ينهام كثيراً عن هذه الغزوات ، وأنه كان دائماً يأمرهم بالرفق وعدم القتل ، وبالرغم من أن علماءهم كانوا يوصونهم دائماً بعدم قتل الأسير أو المستجير ، فانهم لم يصغوا إلى أحد

وإن من يقرأ رسائل العلماء فى الإنكار عليهم وعلى أنصاف المتعلمين الذين سمموا أفكارهم ، يرى أن علماء نجد لم يقصروا فى النصيحة ، ويعلم أن ما يعمله بعض الإخوان مما تأباه طبائع العرب ولا تقره الشريعة الإسلامية ، لا يصح أن تلقى تبعته على علماء نجد أو سلطان نجد

وللاخوان قصص طريفة تدل على بساطتهم وشدة تأثرهم بالدين :
جاء أحد الإخوان إلى أحد المشايخ وسأله عن النفاق ، فأخبره بحده الشرعى .
ثم سأله عن الخوف فى الحرب ، فقال له العالم : مادمت لم تعط العدو ظهرك فلا
يسمى هذا فراراً أو نفاقاً ، فقال : لا (إن شاء الله أعطى العدو ظهري) إن هذا
كفر يا شيخ . لا إن فى قلبى نفاقاً إني حينما كنت أجم وجدت فى نفسى شيئاً من
التردد بسبب أزيز الرصاص ، لا بد أن يكون النفاق فى جنبى . أخرج النفاق
بعصاك أيها الأخ . ولكن الشيخ أفهمه بصعوبة أن هذا ليس من النفاق
أو الكفر أو الهزيمة

وجاء رجل آخر حاملاً صرة فيها نقود ذهبية وجدها بعد معركة تربة ، فسأل
الشيخ هل هى حلال له ، فقال الشيخ : إنها من الغنيمة ولا يحل لك إلا ما سيصيبك
بعد القسمة فسلمها من فوره لمتولى الغنيمة ، ثم قال : لا والله لا استحلها ، فأين
هذا من خلق البادية ؟

إذا وجدك الأخ فى الطريق ووجد شاربك طويلاً فإنه يدعوك إلى السنة ،
ثم يضع يده على شاربك ويقص الزائد . أما إذا كنت ماراً بالهجرة فإن العملية
تم قسراً وزجراً لا بطريق النصح واللطف

وكذلك إذا وجدوا الثوب زائداً فإن القص يعمل عمله فى الزائد تنفيذاً
للحديث : « فضل الإزار فى النار » . وبالرغم مما يأتىه الإخوان من الخطأ والخطل
وتجاوزهم حدودهم إزاء الحكومة ، فإن الملك ابن السعود كان يفضى عن أذاهم
ويحتمل تقدمهم بحلم وصبر قلما عرف عن غيره من ملوك العرب ، وكان دائماً
يقول : إن الإخوان يجب احتمالهم ومهما فعلوا لحالتهم الآن خير من حالتهم الأولى ،
وأما هذه الغيرة والشدة فالزمن كفيل بتخفيف حدتها

أما شدة الإخوان فى مكة أول دخولهم لها فحدث عنها ولا حرج ، فلم تكن

هنالك أى هيبة للحكومة ، فكل ما يعتقد الأخر منكراً يزيله بنفسه ببندقته أو بعصاه أو بيده

وكثيراً ما كان الملك ابن السعود ينزل على رأيهم اتقاء لفتنة قد تحدث ، كما أنه كثيراً ما يقبض عليهم بيد من حديد إذا رأى أن المسيرة قد تضعف سلطانه في جزيرة العرب

لأول مرة شاهد الملك ابن السعود التليفون في مكة ، ورأى الفائدة العظيمة التي يسديها التليفون في ايجاز الأعمال وسرعة المواصلات ، ولما نقل معسكره من الزاهر (الشهداء بقرب مكة) إلى حدّاء أراد أن يمد سلكاً تليفونياً بين مكة وبين حدّاء ، وسلكاً آخر بين الرغامة وبين حدّاء ، حتى يكون على اتصال تام فيما بين مكة ومقره وبين ميدان الحرب . وكنا نقطع المسافة بين مكة وبين معسكره الخاص في ٤ ساعات ذهاباً ، ومثلها إياباً بالبغال أو الابل السريعة ، وكانت الخيل تقطع المسافة أيضاً في مثل هذه المدة من الرغامة إلى حدّاء ، ولكنه عدل أخيراً عن هذه الفكرة لأن إنشاء التليفون يهيج نائرة الاخوان فأرجأ هذه المسألة ، وكثيراً ما كان الاخوان يقطعون أسلاك التليفون لأنه منكر يجب إزالته وكثيراً ما كانوا يتعمدون قطع الأسلاك الموصلة إلى قصر السلطان أثناء وجوده في مكة . كل هذا كان يتحمله على مضض معتمداً على الزمن ، وحدث مرة أن أحد الاخوان ضرب خادماً للملك يركب عجلة (بسكليت) وتسمى بلغة نجد (عربة الشيطان) أو (حصان إبليس) بدعوى أنها بدعة ، وأنها تسير بقوة السحر وعمل الشيطان ، بدليل أن الراكب إذا نزل لم تقف ، ولكن الملك أدب هذا المعتدى أدباً أرجعه إلى رشده

وفي سنة ١٩٢٦م اضطر جلالة الملك أن ينزل على رأيهم في إيقاف تلغراف المدينة اللاسلكي وهدم بعض المساجد القائمة على القبور ؛ لأنه لم يكن يسعه غير

ذلك ، والحكمة كانت تقضى بذلك فهو لا يقف أمام التيار بل يتركه يسير بطبيعته ، ثم بعد أن تهدأ العاصفة يعمل فكره لضرب خصومه في الظروف المناسبة وعند منوح الفرص المناسبة

وأشد الناس على الاخوان الأمير عبد الله بن جلوى حاكم منطقة الاحساء ، فكثيراً ما سمعته يقرع رؤساء بنى خالد وآل مرة والعجمان على شدتهم وغلوهم ، وإن حالتهم الأولى على ما فيها من الشرور خير من حالتهم هذه ، وإن الدين ليس في العاظم . وهو لا يسمح لأحد منهم كائناً من كان أن تمتد يده إلى أحد من أهل الاحساء ، وإذا تجرأ أحد فجزاؤه أصرم العقوبات ، ولذلك إذا دخلوا الاحساء للميرة نزعوا عماثمهم وقضوا حوائجهم في هدوء وسكون . لقد سمعت الأمير عبد الله بن جلوى وغيره من آل سعود وكبار آل الشيخ ينصحون الملك عبد العزيز بالتبصر في غلو الاخوان وخروجهم عن حدودهم ، ولكن الملك كان دائماً يقول هؤلاء أولادى وواجبى احتمالم والتجاوز عن سيئاتهم وخطئهم وبذل النصح لهم ، وإنى لا أنسى أعمالهم وأعتقد أنهم حسنو النية وسينكشف الحق لهم

أول مؤتمر للاخوان

في عيد الفطر سنة ١٣٤٣ هـ وهو أول عيد لنا في مكة زرت الشريف خالد ابن لؤى أنا والدكتور عبد الله الدملوجى ، وكان لديه فيصل الدويش وجماعة من الاخوان اجتمعوا هنالك بعد صلاة العيد للمعايدة على بعضهم ، فخطب الحضور فيصل الدويش ، وهذه عادة من عادات الاخوان لا تخلو مجالسهم من نصيحة أو عظة ، فقال مخاطباً خالداً وجماعته :

نحمد الله يا خالد ويا « الاخوان » على نعمته ، فقد دخلنا بلد الله الحرام وطردنا الشريف من هذا البيت . اننا جند الله وخدم لدينه لا نريد إلا أن تكون

كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر ، ولا نريد إلا رفع المظالم وإزالة البدع والمنكرات ، وإن هذا السيف وهذا الجند سيعمل هذا العمل في كل من يسير في طريق الشريف ويعمل عمله ، فأمن الإخوان كلهم على كلامه

فكان هذا في الحقيقة أول انذار من أحد قادة الإخوان ، ولم تمض سنة على هذه الخطبة حتى سمعنا أن هنالك مؤتمراً يعقد في الأرطاوية حضره رؤساء الإخوان من مطير وعُتيبة والعجمان تعاهدوا فيه على نصرة دين الله والجهاد في سبيله ، ثم أنكروا صراحة على الملك عبد العزيز :

أولاً : إرسال ولده سعود إلى مصر بلد الشرك

ثانياً : إرسال ولده فيصل إلى لندن

ثالثاً : استخدام السيارات والتلغرافات والتليفونات

رابعاً : الضرائب الموجودة في الحجاز ونجد

خامساً : الاحتجاج على إذنه لعشائر العراق وشرق الأردن الرعي في

أراضي المسلمين

سادساً : الاحتجاج على منع المتاجرة مع الكويت ؛ لأن أهل الكويت

إن كانوا كفاراً حوربوا ، وإن كانوا مسلمين فلماذا المقاطعة

سابعاً : النظر في شيعة الاحساء والتقطيف وإجبارهم على الدخول في دين

أهل السنة والجماعة

لقد عجل الملك عبد العزيز بالرجوع من الحجاز إلى نجد عن طريق المدينة

ليعالج الحالة بحكمته ، فدعا زعماء الإخوان إلى مؤتمر أمر بعقده في الرياض في ٢٥

رجب سنة ١٣٤٥ هـ — يناير سنة ١٩٢٧ م ، وقد لبي الدعوة جميع زعماء الإخوان

ماعدا سلطان بن بجاد ، ففي هذا الاجتماع شرح الملك عبد العزيز موقفه شرحاً

واافياً ، فوصف نفسه بأنه خادم الشريعة محافظ عليها أتم المحافظة ، وأنه هو الذي

يعهدونه من قبل لم يتغير ، كما يتوهم بعض الناس ، ولا يزال ساهراً على مصالح العرب والمسلمين

وقد انتهى هذا الاجتماع بالفتوى المشهورة التي أصدرها علماء نجد في صدد المسائل التي كانت سبب تشويش الإخوان ، وأعلن الحاضرون تعلقهم بإمامهم وملكهم ، وبايعوه بالملكية على نجد ، فأصبح لقبه الرسمي ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، وفيما يلي نص الفتوى :

من محمد بن عبد اللطيف ، وسعد بن عتيق ، وسليمان بن سحّان ، وعبد الله ابن عبد العزيز العتيق ، وعبد الله العنقري ، وعمر بن سليم . وصالح بن عبد العزيز وعبد الله بن حسن ، وعبد الله بن عبد اللطيف ، وعمر بن عبد اللطيف ، ومحمد ابن ابراهيم ، ومحمد بن عبد الله ، وعبد الله بن زاحم ، ومحمد بن عثمان الشاوي ، وعبد العزيز بن العثري ، إلى من يراه من إخواننا المسلمين سلك الله بنا وبهم الطريق المستقيم وجنبنا وإياهم طريق أهل الجحيم ، آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فقد ورد علينا من الامام « سلمه الله تعالى » سؤال من بعض الاخوان عن مسائل تطالب منا الجواب عنها ، فأجبناه بما نصه :

أما مسألة البرقي ^(١) فهو أمر حادث في آخر هذا الزمان ولا نعلم حقيقة ، ولا رأينا فيه كلاماً لأحد من أهل العلم ، فتوقفنا في مسأله ، ولا نقول على الله ورسوله بغير علم ، والجزم بالاباحة والتحريم يحتاج إلى الوقوف على حقيقة ، وأما مسجد حمزة وأبي رشيد فأفتينا الامام وفقه الله بهداهما على الفور ، وأما القوانين فان كان موجوداً منها شيء في الحجاز فيزال فوراً ، ولا يحكم إلا بالشرع المطهر ،

(١) التلغراف اللاسلكي

وأما دخول الحاج المصرى بالسلاح والقوة فى بلد الله الحرام ، فأفتينا الامام بمنعهم من الدخول بالسلاح والقوة ، ومن اظهارهم الشرك وجميع المنكرات ، وأما الحمل فأفتينا بمنعه من دخول المسجد الحرام ، ومن تمكين أحد أن يتسح به أو يقبله ، وما يفعله أهله من الملاحى والمنكرات يمنعون منها . وأما منعه عن مكة بالكلية فان أمكن بلا مفسدة تعين ، وإلا فاحتمال أحد المفسدين لدفع أعلاها سائغ شرعاً .

وأما الرافضة فأفتينا الإمام أن يلزمهم البيعة على الإسلام ويمنعهم من إظهار شعائر دينهم الباطل ، وعلى الإمام أيضاً أن يلزم نائبه على الاحساء أن يحضرهم عند الشيخ ابن بشر ، ويباعوه على دين الله ورسوله وترك دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم ، وعلى ترك سائر البدع من اجتماعهم على مآتهم وغيرها مما يقيمون به شعائر مذهبهم الباطل ، ويمنعون من زيارة المشاهد ، كذلك يلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس وغيرهم فى المساجد ، ويرتب فيهم أئمة ومؤذنون ونواب من أهل السنة ، ويلزمون بتعليم ثلاثة الأصول ، وكذلك إن كان لهم محال مبنية لإقامة البدع تهدم ، ويمنعون من إقامة البدع فى المساجد وغيرها ، ومن أبى قبول ما ذكر ينفى من بلاد المسلمين . وأما الرافضة من أهل القطيف فيلزم الإمام أيده الله الشيخ ابن بشر أن يسافر إليهم ويلزمهم بما ذكرنا . وأما البوادرى والقرى التى دخلت فى ولاية المسلمين فأفتينا الإمام أن يبعث لهم دعاة ومعلمين ، ويلزم نوابه من الأمراء فى كل ناحية بمساعدة المذكورين على إلزامهم بشرائع الإسلام ومنعهم من المحرمات .

وأما رافضة العراق الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين ، فأفتينا الامام بكفهم عن الدخول فى مراتع المسلمين وأرضهم . وأما المكوس فأفتينا أنها من المحرمات الظاهرة ، فان تركها فهو الواجب عليه ، وإن امتنع فلا يجوز شق عصا طاعة المسلمين والخروج عن طاعته من أجلها . وأما الجهاد فهو محول إلى نظر الامام ، وعليه أن يراعى ما هو الأصلح للإسلام والمسلمين على حسب ما تقتضيه الشريعة

الغراء ، ونسأل الله لنا ولهم ولكافة المسلمين التوفيق والهداية ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

حرر في ٨ شعبان سنة ١٣٤٥ هـ

إزاء هذه الفتوى اضطر الملك إلى عدم قبول الحمل كما اضطر إلى هدم مسجد حمزة ، وتعطيل التلغراف اللاسلكي فعمل بذلك على تلافي الفتنة أو تأجيل وقتها لم يرض الدويش وهو الرأس المدبر لثورة الإخوان أن يحبط ابن سعود عمله وتدييره ، فوضعه أمام مشكلة جديدة ، وذلك أنه أرسل قوة صغيرة في أكتوبر سنة ١٩٢٧ م قتلت عمال مخفر بضيّة على الحدود العراقية النجدية ، وقتلت بضعة أنفار من الشرطة كانوا مع العمال ، فأدى هذا العمل إلى أضرار السلطات البريطانية في العراق للعشائر التي على الحدود للابتعاد إلى داخلية نجد ، ثم هجوم الطيارات البريطانية واشتباها معها مع العشائر النجدية نحو ثلاثة أشهر ، فرأت الحكومة البريطانية بعد مفاوضات مع جلالة الملك عبد العزيز إيفاد السير جلبرت كلايتون لحل المشاكل القائمة ، وقد رأى جلالة الملك أن يعقد مؤتمر بُريْدَة في إبريل سنة ١٩٢٨ م لتهدئة نائرة الإخوان وإفهامهم أنه يشار إليهم في رأيهم في سخطهم على بناء المخافر على الحدود ، ولكنه يرى الأفضل حسم المشكل بطريق المفاوضات ، وأخبرهم أنه مسافر إلى جدة للاجتماع بالمفاوض البريطاني ، ووعدهم بالاجتماع معهم في الرياض بعد رجوعه من الحجاز ، ومفاوضة الحكومة البريطانية لايقاتهم على جلية الأمر ، غير أن المفاوضات البريطانية لم تسفر عن قبول وجهة النظر النجدية ، وأصرّت الحكومة البريطانية والعراقية على موقفها في بناء المخافر

رجع الملك عبد العزيز من الحجاز إلى الرياض فوصالها في ديسمبر سنة ١٩٢٨ م وأمر بعقد المؤتمر النجدي أو الجمعية العمومية كما سميتها أم القرى في ١٠ جمادى الأولى

سنة ١٣٤٧ هـ — ١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨ م

اجتمعت الجمعية العمومية في أحد أروقة القصر الداخلية ، وكان عدد الحاضرين نحو ٨٠٠ من علماء ورؤساء حضر وبدو ، ولم يحضر الدويش ولا ابن بجاد هذا المؤتمر ، وقد افتتح الملك المؤتمر بخطبة شرح فيها تاريخه في نجد من بدء استرداده الرياض إلى الوقت الحاضر ، وأعماله في توحيد الجزيرة ، وتأمين الطرق ، والاهاء بين العشائر ، وبعد أن انتهى من خطبته عرض على الحاضرين تنازله عن العرش ، ووجوب اختيار غيره من آل سعود ، وأنه يعاهدكم أنه سيساعد من يختارونه ، وأخبرهم أيضاً بنتيجة المفاوضات البريطانية وتمسك الانجليز بالمباني ، ولكنه ألقى على الدويش مسئولية بناء المخافر بسبب تعديه على الحدود العراقية من وقت لآخر أما مسألة التنازل عن العرش فلم تقبل بالطبع ، لأنهم يعلمون أن ابن سعود لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بمعونة الله ثم بسيفه ، ولذا فقد بايعوه مرة أخرى على السمع والطاعة والسير وراءه ، وفي الواقع لم يكن الملك يرمى في هذا المؤتمر إلا إلى اجتماع كلمة النجديين وإثارة حميتهم ضد الإخوان المتطرفين ، وهذه الناحية قد نجح فيها نجاحاً تاماً . أما الإخوان المتطرفون الذين التفوا حول ابن بجاد وفيصل الدويش وابن حنبلين فانهم لم يأبهوا لهذا المؤتمر . وقد أذاعوا في الهجر أنهم قائمون بأمر الدين وإقامة الشريعة التي كاد يهدمها ابن سعود ، وأن ابن سعود طالب ملك ، وموال للكفار ، وشريك لهم في جميع الأعمال ، وأتبعوا هذا التهديد بالاغارة على حدود الكويت والعراق أحياناً ونهب القوافل النجدية أيضاً

وقد أثبتت حوادث ثورة الإخوان أنه لا يزال للعصبية شأن كبير في جزيرة العرب ، فإن كثيراً من الإخوان الذين حضروا الجمعية العمومية من مطير والعجمان وعتيبة كانوا تحت لواء الدويش وابن حنبلين في الثورة بالرغم من مبايعتهم وعهودهم التي قطعوها للملك ابن السعود ، ثم أخذوا يتعدون على السابلة بدون أن

يفرقوا بين أهل نجد وغيرهم ، وأخذوا يعملون السيف في رقاب من توقعه الأقدار تحت أيديهم لأنهم كفرة

لم يستطع الملك ابن السعود صبراً على هذه الحالة التي أصبحت تهدد البنيان الذي أسسه في ثلاثين سنة فاستحث أهل نجد عليهم وكلهم ناقم عليهم ، بل أكثرهم كان ناقداً على سياسة ابن السعود في ملايتهم وإرخاء الحبل لهم اجتمع أهل نجد حول راية ابن السعود في القصيم ، كما اجتمع حوله كثير من الإخوان : حرب ، وقحطان ، وبعض من مطير وعتيبة الناقمين على الدويش وابن حميد ، فلما أن علم الإخوان بوصول ابن سعود إلى بريدة اجتمعوا كلهم بعد ما كانوا مشتتين ، واعتزموا على مهاجمة ابن السعود ، وهم واثقون من الفوز تمام الثقة ، ولقد كان مع ابن سعود سلاح آخر لا يقل عن سلاح الجند وهم العلماء ، ولكن العاصين لم يعودوا يثقون حتى بالعلماء

استمرت المفاوضات بين ابن السعود وبين الإخوان مدة ، والملك وجنوده تقرب منهم حتى تقارب الجيشان في السَّيلة قرب الزلفى

ابن بجاد يرسل رسولا الى ابن سعود

أرسل ابن بجاد رسولا إلى ابن سعود في معسكره ، فدخل الرسول يحمل كتاباً إلى ابن سعود ، فلم يسلم هذا الرسول على الملك لأنه مبتدع في زعمهم . إنها لكبيرة ، وهل يصبر ابن السعود على هذه الإهانة ؟

— من أنت أأنت ماجد بن حِثيلة ؟ وأخذ يسرد عليه تاريخه . أتدخل على ولا تسلم ؟ اذهب من فورك إلى الذي أرسلك ، وأخبره أننا قادمون للهجوم عليهم غداً ، فاذا أرادوا أن يحقنوا دماءهم فليستسلموا بلا قيد ولا شرط ، والشرعية هي الحكم بيني وبينهم ، وهؤلاء العلماء حاضرون ؛ قم واذهب إلى رفيقك

وقد أخبرني ماجد وكان كالوزير لابن بجاد بأنه أشار عليه بتقديم خضوعه إلى إمامه قبل أن يحم القضاء ، لأن ابن سعود ليس الرجل اللين الذي كانوا يعدونه ، ولكن الدويش طلب منهم أن يذهب هو بنفسه ليرى جلية الأمر ، وأخبرهم أنه إذا لم يرجع إليهم مساء يكون ابن سعود قد اعتقله

وصل الدويش إلى المعسكر ثم أخذ يمتلق الملك ومن معه ، وأظهر استعداداه للتسليم ، وأنه ليس على رأى ابن حميد ، وأنه سيبيت عندهم ، فقال له الملك : قم فقم عند قومك وموعدكم غداً بعد شروق الشمس ، وإن كنت صادقاً فتتح عن الجماعة ، وإن لم تكن صادقاً فسترى وخامة العاقبة ، والله ولى الصابرين

— ماذا رأيت (يا الدويش ؟) سؤال وجه إليه من أركان حرب الإخوان — ماذا رأيت ! رأيت حضرياً ترتعد فرائصه من الخوف ، وليس حوله إلا طبايخ (طهارة) لا يعرفون إلا النوم على الدواشع (المراتب) ، ابشروا يا إخوان لقد وجدت لديهم خللاً كثيراً وأموالاً عظيمة ، فابشروا بالكسب والغنيمة ، وسنقهر هذا الطاغوت غداً ونستولى على ماله . هذه رواية بعض الإخوان الذين كانوا مع العصاة

وفي اليوم الثانى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٩ م هاجمت جيوش الملك ابن السعود جنود الإخوان وحملت عليهم حملة عنيفة لم يقدروا على ردها ، ولم ينتصف النهار حتى ولى الإخوان الادبار ، ففر ابن بجاد من المعركة وحمل الدويش جريحاً إلى الملك يحوط به بناته وزوجته وهن يبكين يستشفعن فيه ، فتأثر الملك من هذا المنظر وعفا عن الدويش الذى عاهده على السمع والطاعة بعد ذلك ، وبعد ثلاثة أيام استسلم ابن بجاد فى شقراً ، فأمر بسجنه لأنه كان خطراً على الأمن ولا يأمن شره من الانتفاض ، ثم أمر الملك ولده وأخاه بتأديب العصاة حسب درجاتهم كما أمر ابن جلوى بتأديب العجبان

الثورة تعود مرة أخرى

رجع الملك إلى الحجاز بعد أن قهر الإخوان ، غير أن الضربة لم تكن فاصلة فان الدويش الذي كان يظن أنه سيموت متأثراً من جراحه قد برئ ، وبدلاً من أن يعود إلى صوابه ويستغفر الله مما ارتكب ظن أن ابن سعود قد يقبض عليه ويلقيه في غياهب السجن مثل ابن بجاد وجماعته ، فترك الارطاوية واستقر بين الكويت والاحساء ، وانضم إليه العجمان بعد أن قُتل زعيمهم بيد فهد بن جلوى ، وبعد أن قتلوا هم أيضاً فهداً انتقاماً لزعيمهم ، وأخذوا يعيشون الفساد تارة جنوباً وتارة شمالاً ، ولم يقتصر أمرهم على النهب والسلب بل تعداه إلى قتل الشيب والنساء والأطفال

عادت الثورة أشد ما كانت ، فعتيبة انتشرت بين نجد والحجاز ، وفصلوا الملكتين بعضهما عن بعض ، وكادت المواصلات تنقطع بين مكة والرياض وخليج فارس ، غير أن أهل نجد لا سيما الحاضرة لا تحمل في قلبها إلا الاخلاص والولاء لامامها ومليكها لتواضعه وكرمه وسهره على مصالحهم ، وتفانيه في الدفاع عنهم ، وقد كون منهم أمة لها نصيبها من الحياة تحت الشمس

وهل كانوا ينقمون عليه إلا تساهله مع الإخوان وغضه الطرف عن مساويهم ؟ إن الفرصة قد سنحت لتقليم أظافر الفوضى ودعاتها

أخذ الملك عبد العزيز يعالج الموقف بما عرف عنه من سعة الحيلة وبعد النظر ، فقوى الحاميات في الاحساء والقطيف وحائل ، ثم أخذ يجمع الجند فأرسل قوة كبيرة من الرياض يسندها القسم الموالي من عتيبة وضرب عتيبة ضربة لا تقوم لها قائمة بعدها ، وصادر جماهم وسلاحهم ، وترك لهم الضرورى لحياتهم ، والتقى ابن مساعد بعبد العزيز فيصل الدويش في أم الرضمة ، فوقعت بين الفريقين

موقعة دامية قتل فيها ولد الدويش ، ولم يفلت من العصاة سوى بضعة أنفار ،
وهؤلاء كانوا أفضل رجال مطير الحربيين ، فماتت هاتان القريبتان من عضد
الدويش وهزته هزاً عنيفاً ، وأيقن أنه مقضى عليه لا محالة ، ولكن كيف
يكون المصير

الدويش يطلب الصلح

أخذت الرسل تغدو بين الرياض وبين الدويش لطلب الأمان ، ولكن الملك
أصر على التسليم بلا قيد ولا شرط ، ثم الخضوع لحكم الشريعة ، وأنه يعد بالعفو
عن حياة الدويش فقط

خرج الملك يقود القوات بنفسه مستعيناً هذه المرة بالسيارات والمدافع الرشاشة .
وفي ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٩م هجم على الدويش مُحْسِنُ الْفِرْمِ (من حرب) من
الإخوان ، ومعه عربان العراق ابن طُوالة وابن سُويط ، وهؤلاء كانوا موتورين
من الدويش ، فاتهموا الفرصة السانحة للانتقام قرب الحفر ونهبوهم وأشعلوا النار
في خيمة الدويش ، وهؤلاء لم يكن لهم علم بوجود الملك ابن السعود قرب آلصافة^(١)
وكان الدويش حتى تلك الساعة يكذب وجود ابن السعود في آلصافة ،
ويقول : إنه يستحيل أن يقدم ابن سعود لأن نجداً محَلّ وليس هنالك ما ينقل عليه
ابن سعود قوته . ومع أني أنا الذي أذعت الخبر إذ كنت بالكويت أمثل ابن
السعود لدى السلطات الانجليزية ، ومع أن الخبر وصل إلينا بسيارات خاصة ،
فإن الدويش كذب هذه الأخبار حتى لا ينفذ من حوله العشائر والطامعون
في النهب والسلب ، ولكن بالرغم من تكذيب الدويش هذه الأخبار ، فإن الأخبار
انتشرت في جميع القبائل المشتركة معه في العصيان وأيقنوا أن ليس في طاقتهم



في اجتماع « خباري واضحة » - من اليمين : قائد الطيران في العراق ، الملك
عبد العزيز بن سعود ، الكولونيل بيسكو رئيس الوفد البريطاني
وذلك بمناسبة تسليم « الدويش » سنة ١٩٣٠

المقاومة ، ففرقوا من حول الدويش ، كما لجأ بعضهم إلى الحدود العراقية ، وفر بعضهم إلى نجد ، واستسلم الدويش وبعض رؤساء مطير والعجنان إلى السلطات الانجليزية التي كانت بالجمهرة في ٩ يناير سنة ١٩٣٠ م

مؤتمر خبارى واضحة^(١)

كانت المفاوضات منذ سنة تقريباً بين الملك ابن السعود والحكومة البريطانية بخصوص العصاة وطلب تسليمهم إذا لجأوا إلى حدود العراق والكويت ، وهام الإخوان قد استسلموا الآن

أوفدت الحكومة البريطانية في ١٩ يناير سنة ١٩٣٠ م الكولونيل بيسكو رئيس قناصل خليج فارس يساعده الكولونيل ديكسون قنصل الكويت ، وفي عشرين منه سافرت على الطائرة فيكتوريا مع البعثة إلى خبارى واضحة في جنوبي الكويت حيث عقد المؤتمر ، واستمر المؤتمر منعقداً نحو أسبوع انتهى بموافقة الحكومة البريطانية على تسليم الدويش ورفقائه على أن يبقى الملك على حياتهم وعلى أن يتعهد بتسليم النهوبات التي نهبها هؤلاء من أهل الكويت والعراق وفي ٢٨ يناير وصل الكولونيل ديكسون وقائد البارجة الحربية في طائرة انجليزية ومعه الدويش ورفقاؤه المعتقلون ، فاستقبلتهم بالنيابة عن جلالة الملك ، ثم أقلتهم السيارات إلى خيمة جلالة الملك

الدويش في حضرة ابن سعود

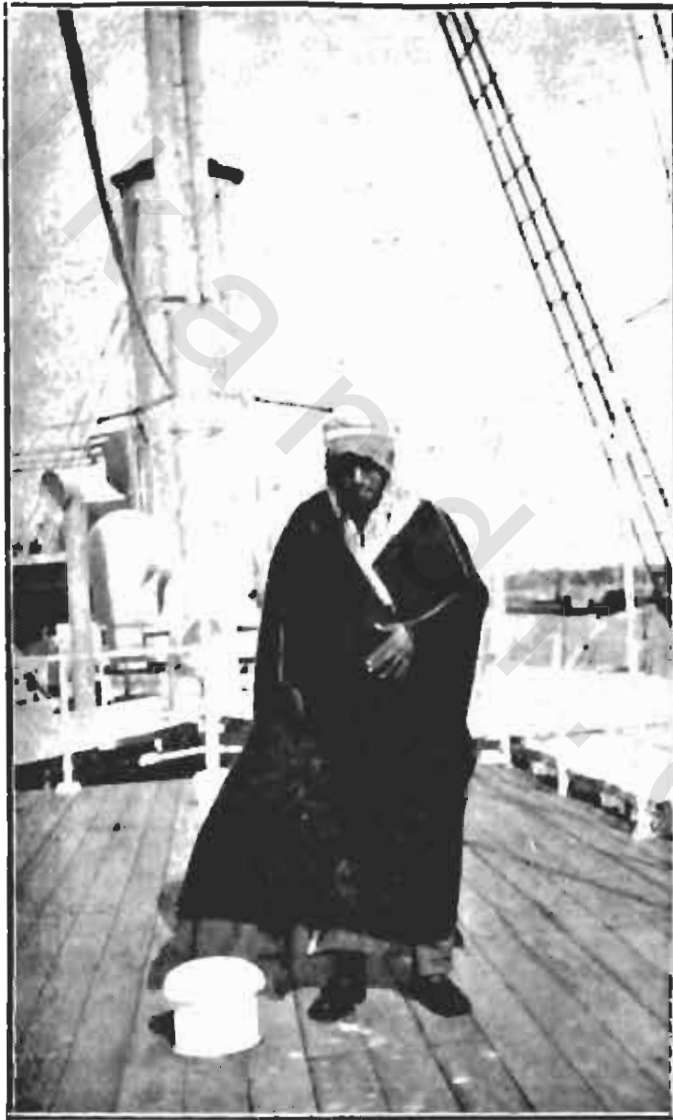
وصل الدويش إلى خيمة جلالة الملك بعد أن اخترق المعسكر ، ولم يسمع اللعنات التي كانت تصوب إليه بسبب مسير السيارة . دخلنا خيمة جلالة الملك

فقدمت قائد البارجة إلى جلالته ، ثم الكولونيل ديكسون بالنيابة عن حكومة بريطانيا ، وأنهم قدموا ليسلموا الدويش ورفقائه إلى جلالة الملك ، فشكرهم وشكر الحكومة البريطانية على صداقتها ومودتها ، وأنها في كل يوم تقيم لنا برهاناً جديداً على مودتها الوطيدة . . . ثم انصرفوا

لقد رأيت الدويش هذا اليوم ورأيت مراراً يزور الملك في الرياض ، فما أعظم الفرق بين الحالتين ! كان الدويش حينما يقدم على الرياض يصحبه نحو ١٥٠ رجلاً مسلحاً ، يدخلها كقائد عظيم وكرجل عظيم له منزلة عظيمة في نفوس أهل الرياض وعلمائها وملك نجد ، إذا جلس لا يجلس إلا بجوار ابن سعود ، يعتبره الملك كصديق قديم وقائد من قواده العظام . أما غطرسة الدويش وجفاؤه وترفعه عن السلام لأي مخلوق يضمه القصر — ما عدا العلماء طبعاً — فحدث عنه ولا حرج ، وكان كل من يعرف الدويش في الجاهلية ويعرف أخلاقه الشخصية يحزم بأنه منافق في دينه وأن ما يظهره من الشدة والغلو مصطنع . أما إذا استأذن الدويش الملك في الرجوع إلى الأوطان فإن القائمة التي اعتاد تقديمها للملك تبتدىء من حبال الآبار ونعاله إلى السلاح والجواري وما بين ذلك من ملابس له ولأولاده وزوجاته والطيب والعود ، وكل قائد من قواد الإخوان يطلب هذه الطلبات ، ولكن قائمته تكون محلاً للرفض أو التحويل ، أما قائمة الدويش فلا يدخلها أي تحويل أو تعديل اليوم يقف الدويش ذليلاً أمام الملك ابن السعود وأمام قواد الجيش ، وكلهم دونه منزلة

ابن السعود يخاطب الدويش

-- إنك تعلم يا فيصل ما عملت معك في الماضي ما قصرت في شيء نحوكم ، لقد كنت في حرب دائمة مع أهل نجد من أجلكم ، فهل هذا جزائي معكم ؟ هل



فيصل الدويش على ظهر الباخرة البريطانية بعد استسلامه للبريطانيين

كنتم تريدون الملك ؟ لقد كنتم كلكم ملوكا في الجهات التي كنتم فيها ، من منكم له الفضل على ؟ الفضل لله وحده ، من منكم من لم آخذه بسيفي ؟ ليس منكم إلا من قتل أباه أو أخاه ، ولم أخضعكم إلا بالله ثم بالسيف . قد كنت أنفذ رغائبكم فكنت أشقى لأجلكم ، وأواصل الليل والنهار لراحتكم وسعادتكم . ألا تخاف الله حينما تكتب لجُلُوب^(١) أنك تريد الهجرة للعراق وأنتك تحب أن تكون تابعا له ؟ فهل تظن أنك كنت ستكون في منزلة أعلى من منزلتك التي كنت فيها ؟

الدويش يتكلم

— يعلم الله يا عبد العزيز أنك لم تقصر معنا ، وقد فعلت كل ما يبيض وجهك ، وقد قابلنا معروفك بالإساءة ، لقد فررنا من وجهك إلى الكفار فحملونا إليك في طيارة من طياراتهم ، ويكفي ما أشعر به من الهوان والصغار أمام الإخوان بعد ما كنت عزيزا محترما ؛ قاتل الله الشيطان ! لقد أغرانا وزين لنا سوء أعمالنا فأوصلنا إلى ما أصبحنا فيه الآن !

فأمر الملك أن ينقل الدويش وزملاؤه إلى خيمة قريبة منه وأحاطها بالحرس ، وبعد ثلاثة أيام نقلوا إلى الرياض في سيارات حيث اعتقلوا فيها . ويصح أن تعتبر هذه المعركة من المعارك الفاصلة بين الفوضى والنظام ، ونصراً للتقدم على الرجعية ؛ ولا تسئل عن سرور أهل نجد والحجاز فهؤلاء قد قاسوا الشيء الكثير من تعذيبهم وإساءاتهم وغلومهم

أما الملك عبد العزيز فإن سروره قد عبر عنه بجملتين في خيمته بعد تسليم الدويش : « من اليوم سننحيا حياة جديدة »

نعم إن الملك ابن السعود قد حيى حياة جديدة ، فقد ربط بلاده بالتلغرافات

(١) جلوب : المفتش الإداري على الحدود

اللاسلكية ، وربط مكة والرياض بالتليفون اللاسلكي ، ولم يعد للإخوان ذلك
السلطان القاهر ، وأصبح شأنهم شأن غيرهم من الرعية
ولقد عاقت حركة الإخوان الأخيرة تقدم المشروع الأصلي وهو تحضير البادية ،
فإننا لم نسمع منذ سنة ١٩٣٠م أن قبيلة من القبائل رغبت في سكنى جهة من
الجهات ، على أن حركة وعظ البادية وإرشادهم إلى مبادئ الدين ومكارم الأخلاق
لا تزال سائرة في طريقها ، وبذلك يعمل الملك عبد العزيز لاستئصال شرور
البادية بالسيف من جهة ، والعلم من جهة أخرى
وبالجملة فإن حركة الإصلاح الموجودة الآن في جزيرة العرب هي غرس يد
هذا الرجل الفذ الذي لا يزال يرعاها برعايته وعنايته حسب موارد بلاده المادية ،
وحسب استعداد أمتة وشعبه لقبول الإصلاح



الدعوة الإصلاحية في نجد

نرى واجباً علينا أن نتحدث عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدور الإصلاحى العظيم الذى قام به فى نجد ، ونمهد لذلك بذكر نبذة يسيرة عن حياة مصلح عظيم آخر : هو ابن تيمية الذى قام فى القرن السابع الهجرى وأوائل القرن الثامن سنة ٦٦١ هـ — ٧٢٨ هـ ، لما بين الرجلين من التشابه العظيم فى الدعوة إلى الحق ، ولأن ابن تيمية كان المثل الأعلى للمصلح النجدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان الإمام ابن تيمية آية من الآيات فى فهم الشريعة الإسلامية وأسرارها ، كما كان آية فى رفع علم الدعوة إلى الحق ، واحتمال كل أذى فى هذا السبيل كان ابن تيمية شجاعاً لا يخشى إلا الله ولا يخاف سطوة سلطان ، وعقيدته : مَنْ كان مع الله كان الله معه ؛ وله مواقف معروفة فى غزوات التتراً أثناء هجومهم على الشام كانت الدعوة التى يدعو إليها ابن تيمية ترمى إلى ما يأتى :

(١) الرجوع إلى الكتاب والسنة ، واتباع سبيل الساف الصالح فى فهم آيات وأحاديث الصفات ، وترك طريق الفلاسفة والمتكلمين والصوفية حيث إنها لا تتفق مع الروح السلفية القديمة

(٢) محاربة البدع والمنكرات ولا سيما ما كانت وسيلة للشرك ، كالتمسح بالقبور والصلاة عندها وطلب الحاجة منها ، والاستعانة أو الاستغاثة بغير الله ، والتبرك بالأشجار والأحجار التى يعتقد فيها العامة الخير أو دفع الشر

(٣) ترك الغلو فى الرسول صلى الله عليه وسلم والاكتفاء بالاهتداء بهديه

(٤) فتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، وإعلان الحرب على المقلدين المتعصبين

هذه هى الأسس التى قامت عليها دعوة ابن تيمية ، والتى وقف عليها حياته ،

وهي نفس الأسس التي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد
أثارت دعوة ابن تيمية في الشام ومصر نائرة الصوفية وأرباب الطرق عليه ،
كما أثارت أيضاً نائرة المتعصبين للمتكلمين والفلاسفة ، وأكثرهم من القضاة وأهل
المناصب في الدولة وذوى النفوذ فيها ، فأوغروا صدور الأمراء عليه وصوروه خطراً
على مستقبل الدولة ، وأن أمره قد يعظم كابن تومرت في المغرب فيصبح صاحب
الحول والطول ، فيضجّل نفوذهم أمام نفوذه . وفي كل زمن لا يجسد الخصوم
ذوو الضمائر الميتة سبيلاً إلى النكاية بخصومهم إلا التوسل بوسائل الخوف على
المملكة وسلامتها وأمن الدولة ، وغير ذلك من الوسائل التي تمس الناحية الحساسة
في الأمراء ، ومن من الأمراء يسمع أن حياة الدولة في خطر من شخص ويغضب
عنه عن هذا الشخص ؟ إن كثيراً منهم في سبيل الملك يقتلون الإخوة والأقارب
ولا يردعهم رحم أو يؤنبهم ضمير ، فهل يسكتون عن رجل أجنبي ؟

تعتبر سنة ٧٠٥ هـ بدء عهد الاضطهاد لابن تيمية ، ففي هذه السنة اجتمع
العلماء لمباحثة ابن تيمية في قصر نائب السلطنة ، غير أن هذه المجالس كانت في
صف ابن تيمية ، لأن نائب السلطنة كان يؤيده ويأخذ بناصره

وأخيراً لم يسع نائب السلطنة في الشام إلا أن يرسل الإمام ابن تيمية إلى مصر
حسب أمر السلطان الجأشنيكير ، فإن دسائس الصوفية وخصوم ابن تيمية قد
ملأت قلب السلطان حقداً وغضباً على الرجل

وصل ابن تيمية مصر في رمضان سنة ٧٠٥ هـ . فأحضر أمام العلماء للمناظرة
وكلهم من خصومه ، وهل تكون أمثال هذه المناظرات وسيلة من وسائل الإقناع
أو الرجوع عن الخطأ . أدخل الشيخ ابن تيمية السجن لأنه امتنع عن الإجابة لأن
القاضي ابن مخلوف المالكى الذي كانت الدعوى أمامه كان من خصوم ابن تيمية
وقد أعيدت المناظرات عدة مرات بدون طائل ، وبعد ثمانية عشر شهراً

أخرج من السجن فعاد إلى الدعوة الإصلاحية ، وأعاد الكرة على الصوفية وزعمائهم : ابن سعيد وابن عربي وأشباههم ، كما شن الغارة على سائر المبتدعة ، فاعتقل ثانية في شوال سنة ٧٠٧ هـ ، وفي السجن اشتغل بإصلاح المساجين وترك مام فيه من العيث وإضاعة الوقت . حتى اشتهر أمره ، وصار الناس يترددون على السجن لاستماع وعظه ودعوته ، فنقل إلى الإسكندرية وضيق عليه ، ومنع الناس من الاختلاط به والتردد عليه خشية انتشار دعوته الإصلاحية

وفي ٨ شوال سنة ٧٠٩ هـ أطلق سراح الشيخ ابن تيمية من برج الإسكندرية وأرسل إلى القاهرة ، إجابة لرغبة السلطان الملك الناصر الذي تغلب على خصومه فقر به إليه ، فأقام بالقاهرة داعياً إلى مقاومة البدع ووجوب الرجوع إلى الله في كل الملغات ، وترك البدع التي تقام على القبور لمخالفتها للتوحيد الذي جاء به النبي الكريم

وفي ذى القعدة سنة ٧١٢ هـ رجع الشيخ إلى دمشق بعد أن تغيب عنها سبع سنوات ، فكان يوم رجوعه إلى دمشق يوماً مشهوداً خرج فيه لاستقباله مريدوه والمناصرون لدعوته

وفي دمشق استأنف الشيخ دعوته الإصلاحية بنشاط وعكف على نشر دعوة التوحيد ، ومقاومة المبتدعة والرجوع إلى الكتاب والسنة . وقد كان يفتي بمسائل تختلف عن رأى الأئمة الأربعة ، ولكنها في نظره تتفق مع آراء غيرهم من الأئمة الآخرين ، وهو يعتقد أن هذا الرأى أقرب إلى السنة

لقد كان طبيعياً أن يثور الرجعيون الجامدون والمتعصبون للقبور والمتصوفة على الشيخ ، كما ثاروا عليه بالأمس ، وكان طبيعياً أن تعود المناظرات مع الشيخ مرة أخرى

ولقد أراد الله أن تغلب قوة خصوم الشيخ ابن تيمية ، وهم أهل الحل والعقد

في الدولة ، وأخيراً حبس الشيخ مرة أخرى في سنة ٧٢٠ هـ ثم أطلق سراحه بعد خمسة أشهر ونصف ، فعاد إلى ما عاهد الله عليه من الدعوة إلى الله والرجوع إلى الكتاب والسنة ، فتألب عليه خصومه مرة أخرى ، ووجدوا الفرصة سانحة للنيل من الشيخ واتهامه بعدم احترام الأنبياء والصالحين ، لأن الشيخ أفتى بتحريم شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة فلا تشد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين .
لقد اجتمعت كلمة خصوم الشيخ على القضاء عليه وعلى الدعوة التي قام بها ، فطلبوا من السلطان قتله فلم يوافقهم على طلبهم ، ولكنه اكتفى بحبسه اتقاء الفتنة ، ولما لهؤلاء الخصوم من قوة لا يستهان بها اعتقل الشيخ مرة أخرى في سنة ٧٢٦ هـ بقلعة دمشق ، واضطهد تلاميذه والمنتسبون إليه حتى خفت صوت الدعوة إلا من قلوب المخلصين ، وقد بقي الشيخ في معتقله حتى توفي سنة ٧٢٨ هـ فلم يصبح لهذه الدعوة القوة التي كانت لها من قبل ، ولئن قام تلاميذ الشيخ وأنصاره الفترة بعد الأخرى ، فلم يكن لهذه الدعوة القوة والنشاط التي كان لها في أيام الشيخ

ولا يسع الإنسان بعد أن يلم بسيرة ابن تيمية ، وما لقيه من الاضطهاد في سبيل الدعوة إلى الحق إلا أن يجد تشابهاً عظيماً بين حياته وبين حياة لوثر المصلح البروتستانتي ، الذي جاء بعد عصر ابن تيمية بنحو قرنين ، فإن الأركان التي قامت عليها الدعوتان واحدة بالرغم من الاختلاف الديني ، والوسط الديني الخاص كان ابن تيمية يدعو إلى الاجتهاد ونبد التقاليد المخالفة للكتاب والسنة ، والرجوع إليهما غير ملتفت إلى ما سواهما

وكان لوثر يدعو الناس إلى تفهم الكتاب المقدس ، وقد عمل هو على ترجمته تقريباً لأفهام الناس ، وكان ينكر على رجال الدين دعواهم أن حق التفسير والفهم خاص بهم

كان ابن تيمية ينكر على الصوفية تعاليمهم التي لا تتفق مع الكتاب والسنة ، كما كان ينكر الغلو في حب الأنبياء والأولياء : بالصلاة على القبور والدعاء عندها والاستغاثه بها وطلب الغفران منها . وكان لوثر ينكر على القسس بيع صكوك الغفران ، كما كان ينكر عليهم حق التداخل بين العبد والرب

وليس من غرضنا في هذا الفصل البحث التفصيلي بين الدعوتين ولا بين الرجلين لخروجه عن موضوع الكتاب

غير أن الذي نريد أن نقرره هو أن الدعوة الإسلامية والإصلاحية التي قام يدعو إليها ابن تيمية في آخر القرن السادس وأول القرن السابع من الهجرة ، أي (الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادي) قد انتهت بالفشل ، وأن الجهود التي بذلها ابن تيمية لم تثمر ثمرة المطلوبة ، لأن رجال الدولة كانوا ضده ، ولأن الرجل كان ينقصه اللين السياسي

أما مارتن لوثر — الذي جاء في القرن الخامس عشر — فقد نجح بفضل المؤازرة التي لقيها من الأمراء والحكام . ولقد أراد الله أن تحيا دعوة ابن تيمية وتنال نصيبها من القوة والانتشار والذيع على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ، بمعاونة الأمير محمد بن سعود في القرن الثاني عشر الهجري ، أي بعد عصر ابن تيمية بأربعة قرون تقريباً ، والذي كان له الفضل الأعظم في نشر كتب ابن تيمية وتلاميذه وبعثها من جديد ، والتنويه بفضلهم وعظيم أثرهم هو

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

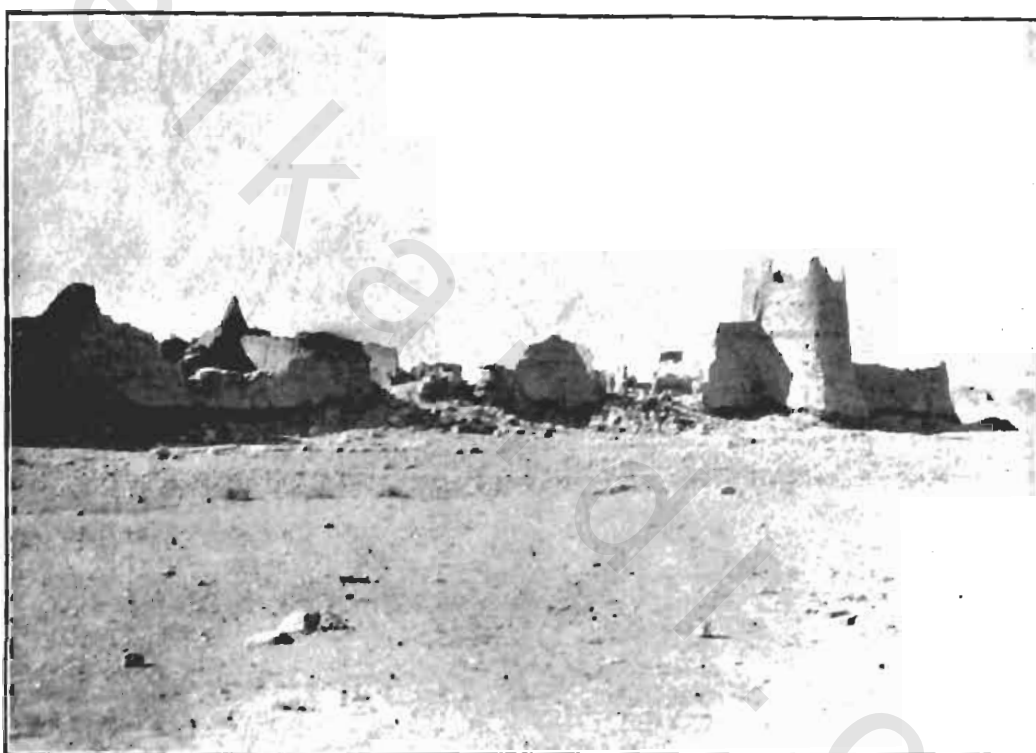
وُلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١٥ هـ الموافقة سنة ١٧٠٣ م في بلدة العيينة الواقعة شمال الرياض عاصمة نجد الحاضرة . وقد تلقى على والده دروسه

الأولية ، ثم سافر بعد ذلك إلى الاحساء والحجاز والبصرة ^(١) باحثاً وراء العلم والتحصيل ، ولذلك صار حجة في الحديث والفقه واللغة العربية ، وصار أيضاً ذا قدم ثابتة في كل ماله علاقة بدراسة الدين ، وقد وقف في رحلاته على الأمراض التي انتابت المسلمين وما أصاب الشريعة الإسلامية في كثير من الأمصار من انصراف العلماء إلى الدنيا ومتابعتهم لأهواء الحكام ، فرجع إلى نجد وقد أخذ على عاتقه التفرغ للدعوة الإصلاحية الدينية ومحاربة البدع والخرافات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فدرس دراسة وافية كثيراً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وأتباعه وخاصة ابن القيم وابن كثير

نجد في أيامها الأولى

كانت نجد من الوجهة الدينية كسائر الأمصار الأخرى : مرتعاً للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين الصحيحة . قد كان فيها كثير من القبور تنسب إلى الصحابة يحج الناس إليها ويطلبون منها حاجاتهم ويتوسلون إليها لدفع كربهم . فكانوا في الجبيلة يؤمنون بقبر زيد بن الخطاب لتحسين حالهم وإجابة منتسبهم ، كما كان أهل الدرعية — التي صارت فيما بعد مقر حكم آل سعود — يزورون مثل هذه القبور لمثل هذه الأغراض . وأغرب من ذلك توسلهم بفحل النخل في بلدة « منفوحة » واعتقادهم أن من تؤمه من العوانس تزوج لعمامها ، فكانت من تقصده تقول : « يا فحل الفحول . أريد زوجاً قبل الحلول ! » وكان في الدرعية غار يقدسونه ويؤمنون أنه كان ملجأ لإحدى بنات الأمير التي فرت هاربة من تعذيب بعض الطغاة ، واتخذت في أحد الجبال الصخرية

(١) في كتاب « لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب » أن الشيخ رحل إلى فارس أيضاً وتعلم بها الحكمة المشرقية ، كما تعلم في رحلته أيضاً صنع البنادق وتعضير الذخيرة وغير ذلك من فنون الحرب



خرائب المدينة موطن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ماوى لها ؛ فانشق لها الكهف بمعجزة لتأوى إليه . فهذه الروايات تكشف عما كانت عليه نجد من العقيدة الدينية . أما من حيث الأحكام فلم يكن هناك قانون أو شريعة إلا ما قضت به أهواء الأمراء وعما لهم . ومن حيث السياسة فقد كانت بلاد العرب منقسمة إلى ولايات عديدة ، يحكم كل واحدة منها أمير لا تربطه وجاره أية رابطة ، ومن أشهر هؤلاء الأمراء بنو خالد في الاحساء ، وآل معمر في العيينة ، والاشراف في الحجاز ، والسعود في الدرعية ، والسعدون فيما بين النهرين ، وعدا هؤلاء أمراء لا داعى لذكرهم هنا . وقد كان سكان بلاد العرب وهم الحضرة في حروب دائمة مع البدو سكان البادية ، وكذلك كان الأمراء على قدم الاستعداد عندما تسنح الفرص للتعدى على جيرانهم إذا بدا من هؤلاء الجيران ضعف أو عدم استعداد ، وباختصار فهذه كانت حالة بلاد العرب عندما رجع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وطنه ، وقد استقر به النوى في العيينة ، حيث جد به العزم أن ينقذ نجداً مما يحيط بها من البلاء ، فبدأ يدعو الناس إلى أن يعودوا إلى دين الله ريتركوا كل ما جد من البدع وغيرها مما يتنافى مع روح الكتاب والسنة ، وفي الوقت نفسه طلب إلى الأمراء ذوى الشأن أن يطبقوا أحكام الشرع ، وقد قام بدعوته مسالماً لا يدعو إلى شدة أو عنف ، وراسل علماء عصره في البلاد الإسلامية الأخرى ، وأظهر ألمه لما أصاب الإسلام وحضهم على أن يكونوا من زمرة المصلحين الدينيين ، فكان ذلك سبباً طبيعياً لغضب خصومه . وأولئك الذين خافوا على سلطانهم من تعاليمه ، وأخيراً فقد اضطر أن يهاجر من العيينة التي هددها بالغزو سليمان آل محمد رئيس بني خالد ، وأمير الاحساء والقطيف إذا لم يطرد محمد بن عبد الوهاب . ففي عام ١١٥٧ هـ — ١٧٤١ م تركها إلى الدرعية مقر السعود حيث قابل زعيمهم محمد بن سعود ، وهناك تحالفا على الدفاع عن الدين الصحيح والعمل على الرجوع إلى تعاليم الكتاب والسنة وإيقاظ جزيرة

العرب من البدع ، وتعميم الدعوة بالإسلام بين البدو والحضر ، وتوطيد النفس على ما يواجههم من الصعاب ، فإنهم متى نصرُوا الله نصرهم » وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين » ، وهكذا كان ، فإن ما تمكن من قلوبهم من حب الحق حملهم يتغلبون منفردين ومجتَمعين

لقد سكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدرعية وواصل ليله بهاره في نشر الدعوة بالوعظ وكتابة الرسائل مكثفاً بهذه الوسيلة السليمة ، ومحمد بن سعود يؤازره بما يملك من الوسائل ، ولكن خصوم الدعوة كانوا يعمدون على تأليب القلوب بخاربة الدعوة بكل الوسائل ، فلم ير الشيخ محمد وابن سعود مدأ من الاستعانة بالسيف بجانب الدعوة الدينية . ولقد استمرت هذه الحرب الدنيوية التي تشبه في كثير من الوجوه الحروب التي استمرت نيرابها بين الكاثوليك والبروتستانت في الغرب أكثر من ستين عاماً

وفي عام ١١٧٠ هـ (١٧٦٥ م) مات الأمير محمد بن سعود وحلّقه ابنه « عبد العزيز » الذي افتنى أثر أبيه في مساعدة الشيخ ابن عبد الوهاب على نشر دعوته في سائر بلاد العرب

وفي سنة ١٧٩١ م مات محمد بن عبد الوهاب بعد أن قام بواجهه خير قيام ، ووضع من الكتب والرسائل ما أصبح أساساً يسير عليه حلفاؤه ، وقد سار أولاده على خطه أبيهم من التحالف مع آل سعود والتعاون معهم حتى أصبح الجميع كبيت واحد

وفي سنة ١٨٠٥ م كان جميع شبه جزيرة العرب بما في ذلك جزء كبير من اليمن وعمان يخضع لسلطان السعود ، تؤدى واحداًها الدينية حسب الدعوة الإصلاحية التي قام بها محمد بن عبد الوهاب . ولقد عز على الترك أن يروا دولة دينية تقوم في بلاد العرب — بلاد صاحب الشريعة الإسلامية ، كما عز عليهم أن يروا دولة

حديثه مدنية يقيم دعائها محمد على في مصر ، فأشعلوا نار الحرب بين الاثنين ، فكانت محنة عظيمة على نجد عامة وعلى السعود خاصة ، لكن القوة الغشوم وإن نالت من سلطة الحكام فإنها ما كانت لتصل إلى قلوب أهل الإيمان

ما هي تعاليم الوهابية ؟

لم يكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نبياً كما ادعى نبيّه الدانمركي ولكنه مصلح مجدد داع إلى الرجوع إلى الدين الحق ، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة ، ولا آراء خاصة ، وكل ما يطبق في نجد من الفروع هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وأما في العقائد فهم يتبعون السلف الصالح . ويخالفون من عداهم ، وتكاد تكون تعاليمهم مطابقة تمام المطابقة لما كتبه ابن تيمية وتلاميذه في كتبهم ، وإن كانوا يخالفونهم في مسائل معدودة من فروع الدين . وهم يرون فوق ذلك أن ما عليه أكثرية المسلمين من العقائد والمعاملات لا ينطبق على أساس الدين الإسلامي ، وإننا نلخص فيما يلي المسائل التي اشتهروا بها ، والتي تعد كأنها طابع خاص بالنجديين

أولاً ، التوحيد : يعتقدون استناداً إلى كلام الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة السلف أن معنى لا إله إلا الله ترك كل معبود غير الله ، والتوجه إلى الله وحده ، وأن العبادة إذا جعلت لغير الله صار ذلك الغير إلهاً مع الله ، وإن لم يعتقد الفاعل ذلك ، فالمشرك مشرك سواء سمي شركه شركاً أو توسلاً ، وليس لديهم من شك في أن من قال يا رسول الله ، أو يا ابن عباس ، أو يا عبد القادر ، أو غيرهم من المخلوقين طالباً بذلك دفع شر أو جلب خير من كل مالا يقدر عليه إلا الله تعالى مشرك يهدر دمه ، ويستباح ماله

ثانياً ، الشفاعة : لا ينكرون شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة

حسبها ورد ، وهم يثبتونها لسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسبما ورد أيضاً ، وتُسأل من المالك لها وهو الله وإذنه فيها لمن شاء من الموحدين ، فيقال : اللهم شفّع نبينا محمداً فينا يوم القيامة ، اللهم شفّع فينا عبادك الصالحين أو نحو ذلك ، وأما ما يجري على ألسنة الناس من قولهم : يا رسول الله أو يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرها ، كأدركنى أو أغثنى أو نحو ذلك فإنه من الشرك ، إذ لم يرد بذلك نص من كتاب أو سنة ولا أثر من السلف الصالح

ثالثاً ، القبور : الكلام على القبور يتناول أولاً : البناء عليها وزيارتها ، ثانياً : ما يفعله الناس عندها من الدعاء والصلاة وغيرها ، ثالثاً : ما يقام عليها من القباب والمساجد ، رابعاً : السفر إليها . أما زيارة القبور فهي مندوبة للاعتبار والاتعاظ والدعاء للميت وتذكير الآخرة ، ويراعى فيها الطريقة التي سنّها النبي (صلى الله عليه وسلم) في الزيارة ، أما الذبح للقبر والاستغاثّة به والسجود له ، فهي شرك ، وأما تخصيص القبور والبناء والكتابة عليها فكلها من الأمور المبتدعة المذمومة ، وهم يستدلون على ذلك بأحاديث كثيرة وردت . بأقوال السلف الصالح وعملهم ، ولذا فقد هدموا في مكة والمدينة القبور المرتفعة وسوّوها ، كما أزالوا القباب عند استيلائهم على الحرمين الشريفين في القرن الماضي ، كما أزالوها مرة أخرى في النتح الحاضر سنة ١٣٤٣ و ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ و ١٩٢٦ م) أما شد الرحال والسفر إلى القبور فبدعة

رابعاً : إعلان الحرب على البدع الشائعة في الأمصار مثل الاجتماع في وقت مخصوص على من يقرأ سيرة المولد الشريف اعتقاداً منه أنه قرّبه ، ومثل الزيادات على الأذان المشروع

وبالجملة فإنهم يحرصون على العادات الشرعية أن تكون بالصفة التي وردت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بلا زيادة أو نقص

ويلحق بهذا ما هو شائع في كثير من الأمصار من خروج النساء وراء الجنائز ، وخروجهن على القبور ، والاحتفالات السنوية المسماة بالموالد ، وإقامة الحفلات للأذكار ، وما يفعله بعض الدراويش من الرقص والمزمار ؛ فإن ذلك كله محرم ، وقد منعوا ما كان موجوداً منه في الحجاز

وبسبب ذلك كان الخلاف بين الحكومة العربية السعودية وبين الحكومة المصرية على الحمل وقبوله في الحجاز ، والنجديون يحتجون بأنه بدعة لا يصح إقرارها في بلد الوحي والدين ، والمصريون يقولون إنه عادة وشعار للحجج ليس إلا خامساً ، الجهاد : مما لا جدال فيه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يعتبر ما انصرف من العبادات لغير الله إسلاماً ، ولذا فإنه كان يبدأ الأمر بالدعوة إلى التوحيد ، وتنفيذ أوامر الله بلا هوادة ، فن أطاع فقد سلم ، ومن خالف أو عاند فقد حل دمه وماله ؛ وعلى هذا الأساس كانت غزواتهم في نجد وخارج نجد من اليمن والحجاز وضواحي سوريا والعراق

كل بلد يدخلونها حرباً فهو حلال لهم ، إن أمكنهم البقاء بها الحقوها بأملأكمهم ، وإن لم يمكنهم البقاء اكتفوا بما يصل إلى أيديهم من الغنيمة ، وهنا يجيء الخلاف بينهم وبين معارضهم ، فإن غيرهم يقول إن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم ماله ودمه ، أما هم فيقولون إن القول لا عبرة به ما لم يدعمه العمل ، فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو لا يزال يدعو الموتى ويستغيث بهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فهو كافر مشرك ، حلال الدم والمال ، ولا عبرة بقوله ، ولهم على هذا أدلة كثيرة من الكتاب والسنة ليس هنا موضع تفصيلها

والجهاد أو إعلان الحرب من حقوق الإمام ينظر فيه إلى المصلحة أو دفع المضرة ، فإن رأى المصلحة تعين عليه إعلان الجهاد ووجب على سائر رعيته متابعتها

والدخول في سلك الجسدية ، وعلى هذا كانت الروايات القديمة والحديثة معتبرة من الجهاد الشرعي

سادساً ، الاجتهاد : للشيخ محمد بن عبد الوهاب مصر رسائل في الدعوة إلى الاجتهاد والرد على أهل التقليد والعمالدين ، اسند في أكثرها إلى ما كتبه ابن القيم في أعلام الموقعين

ولكن الشيخ محمد وإن كان له مصر مسائل اجتهادية مثل حل دية المسلم ٨٠٠ ريال بدل مائة ناقة فبها في الحقيقة بخطوط الإمام أحمد ، ويعتمد على كتب المروءات المؤلفة على طريقتة

ومما لا شك فيه أن علماء نجد في بدء النهضة الإصلاحية كانوا أكثر إحاطة بالسنة وعلماً بالشريعة ، وأوسع مدارك ، وأبعد نظراً في نظم الأحكام

إن الحكومة العربية الحاضرة - وهي الحكومة القائمة على أساس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - اضطرت إلى اقتباس كثير من القوانين التجارية وسمتها نظاماً ، لأن كتب الفقه لم تتناول كثيراً من المعاملات التجارية التي يتعامل بها أهل هذا الجبل ، كما اضطرت إلى تشكيل محكمة تجارية سميتها المجلس التجاري للظرفي المنازعات التجارية ؛ ولا أعلم لماذا لا تلحق هذه النظم بأبواب الفقه كي يدرسها الطلاب - أوة بالمسائل الفقهية الأخرى التي أصبحت ملحقة بالتاريخ ، مادام هنالك يقين بأن هذه النظم لا تتعارض مع أحكام الكتاب والسنة

إن هنالك محالاً واسعاً للإصلاح الديني وإدخال كثير من التعديلات على أبواب الفقه ، ولكن بعوز ما حمة العلماء ورعية الأمراء.

• • •

والتحديرون يحرصون أشد الحرص على تعبد أحكام الشريعة في تحريم لبس الحرير للرجال وتحليمهم بالذهب ، كما يحرمون التدخين ، ويحصدون المدخنين أربعين

جلدة ، ومما لا شك فيه أن حكومتهم الأولى كانت أصرم في هذا من الحكومة الحالية

ولقد كانت مسألة الدخان من المسائل التي دار البحث فيها بين الحكومة المصرية والحكومة العربية سنة ١٩٢٦ م ، ومال مفتى مصر فيها إلى الكراهة ، كما أنه أورد رأى فريق من العلماء ممن يرى التحريم

لقد روى بالبحر في رحلته إلى نجد سنة ١٨٦٢ م أنه سمع من بعض النجدين أنهم يرون أن شرب الدخان أشد لديهم من الخمر والزنا ، وبعض المحرمات المنصوص عليها ، ولا شك أن هذه الرواية قد سمعها من جاهل ، فقد سمعت شيئاً قريباً من هذا من بعض النجدين المقيمين بالكويت ، ولكنهم لم يكونوا من العلماء ولا يعبرون عن رأى علماء نجد الذين يعدون مثل هذا القول جرأة على الدين إن علماء نجد وإن أجمعوا على تحريم الدخان فلم أسمع أحداً من علمائهم يقول مثل هذا القول ، كما أنى لم أقف على شيء مثل هذا فيما كتبه متقدموهم أو متأخروهم وعلماء نجد يحرمون التصوير ويكرهون الموسيقى ، ولا يقبلون أى تأويل في ذلك

ما ينسب إلى النجدين وهم أبرياء منه

لا شك أن الحرب النجدية المصرية في القرن الماضي وما أعقب ذلك من خلاف بين آل سعود والأتراك قد صحبه كثير من الدعايات ضد النجدين وكثير من الأشياء التي نسبت إليهم مكدوبة

(١) لقد نسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب والآخذين بدعوته كراهية النبي صلى الله عليه وسلم ، والخط من شأنه وشأن سائر الأنبياء والأولياء والصالحين لقد نسب هذا إلى الإمام ابن تيمية وإلى تلاميذه ، كما لا يزال ينسب إلى

كثير من العقلاء والمصلحين في الهند وغيرها حتى ممن ليست لهم أى صلة بنجد وأهلها

إن منشأ هذه النسبة هو أن النجديين استناداً إلى حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » ، يرون أن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يعملها أحد من الصحابة أو التابعين ولم يأمر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سبق ابن تيمية وابن عبد الوهاب طوائف كثيرة من العلماء المتقدمين بهذا الرأي

(٢) إن النجديين يمنعون استقبال قبر الرسول عند الدعاء ، كما يمنعون السجود عند قبره وقبر غيره ، ويمنعون التمسح والترغ عند القبر ، كما يمنعون كل ما من شأنه الاستغانة أو الطلب مما شاع عمله عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور الصالحين في مصر و بغداد والهند وكثير من الأمصار

(٣) هدم القباب والأبنية المقامة على القبور وإبطالهم لسائر الأوقاف التي رصدت على القبور والأضرحة

(٤) إنكارهم على البوصيرى قوله في البردة :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
وقوله : « ومن علومك علم اللوح والقلم »
وقوله :

إن لم تكن فى معادى آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم
فإن هذا القول مجازفة وغلو ، وفيه مخالفة صريحة لنصوص القرآن والأحاديث الصحيحة ، وهم فوق هذا يعتقدون أن من اعتقد هذا على ظاهره فهو مشرك كافر ، فاتهمهم خصومهم بكراهية النبي ونسبوا إليهم أقوالاً هم أبرياء منها ، نسبوا إليهم القول بأن العصا خير من النبي إلى غير ذلك من التهم غير الصحيحة . ولقد

سمعت في نجد أن حكام نجد الشمالية أثناء خصومتهم مع آل سعود كانوا يكتبون إلى الأتراك أن آل سعود اتخذوا راية شعارها : لا إله إلا الله محمد رسول (محذوف ميم محمد) أى لا أحد رسول الله ، وهذا كله تنفير للأتراك من خصومهم ، وهم يعلمون حق العلم أن هذا كذب

ولقد حضر إلى مكة أثناء الحرب الحجازية النجدية في سنة ١٩٢٥ م بعض أفاضل السنغاليين وتيطوان ، وكانوا أثناء حديثهم سيكون لشدة تأثرهم ؛ لقد أخبرونا أنهم سمعوا في الإسكندرية أشياء كثيرة تنسب إلى النجديين لم يجدوا لها أثراً في الحجاز ، لقد سمعوا من بعض الناس أن الوهابيين هدموا الكعبة لأنها حجر ، وسمعوا أنهم في الأذان يقولون أشهد أن لا إله إلا الله فقط ولا يقولون وأشهد أن محمداً رسول الله

إن النجديين أحرص الناس على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم يكرهون الغلو ويقاومون البدع مهما كان نوعها ، ومهما كان الدافع لها ، ويقولون إن المحبة هي الاهتداء بهدى الرسول وأتباعه ، أما الابتداع وتعطيل الشريعة وتقديم الأهواء فهو كراهة لا محبة ، وفي القرآن الكريم « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني »

ومما ينسب إلى أهل نجد تكفيرهم من عداهم ، وهو بلا شك تزوير من خصومهم ، وإن وقعت بعض أشياء من بعض جفاة الأعراب والجهال فليس من الإنصاف أن ينسب ذلك إلى أهل نجد

أما الشيخ ابن عبد الوهاب وتلاميذه فإنهم لا يكفرون من صحت ديانته ، واشتهر صلاحه وحسنت سيرته وإن أخطأ في بعض المسائل ، ولكنهم يكفرون من بلغته دعوة الحق ووضحت له الحجة وقامت عليه وأصر مستكبراً ، هذا في الأفراد ، أما في البلاد (ما يعتبر منها بلاد إسلام ثم بلاد كفر) فإننا نقبس ما كتبه

العلامة الشيخ أحمد بن عتيق من رسالته التي وصمها عن مكة : هل هي بلاد كفر أو بلاد إسلام ؟ هنالك إعلان لا اعتبار للبلد مسلمة :

(١) التوحيد : وهو أن يكون الله معبود الخلاق لا سواه ، والتوحيد لا يصح مع وجود الشرك

(٢) طاعة النبي في أمره وتحكيمه في دقيق الأمور وجليلها وتعظيم شرعه ودينه والإدعان لأحكامه في أصول الدين وفروعه

فإذا تحقق وجود هذين الأصلين علماً وعملاً ودعوة وكان هذا دين أهل البلد ، أى بلد كان ، بأن عملوا به ودعوا إليه ، وكانوا أولياء لمن دان به ، ومعادين لمن خالفهم ، فهم موحدون

أما إذا كان الشرك فاشياً مثل دعا النكبة والمقام ودعا الأنبياء والصالحين ، وفشا مع ذلك الزم والظلم ، وندت السن ، وفشت البدع والضلالات ، وصار التحاكم إلى الظلمة ، وصارت الدعوة إلى غير القرآن والسنة ، فلا شك أن هذا البلد يعتنق بلاد كفر ولا عبرة بالصلاة والحج والصوم والصدقة

إن التوحيد قد تقرر في مكة بدعوة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، واستمر أهل مكة عليه ردحاً من الزمن ، ثم فشا فيهم الشرك فصاروا مشركين وصارت بلادهم بلاد شرك ، مع أنهم قد كانوا على بعض أشياء من الدين ، فكانوا يمجون ويتصدقون على المحتاج وغير المحتاج

أثر التمسك بالشريعة الإسلامية في الحياة العامة

وأثر الانصراف عنها

إن العقيدة الراسخة عند التجدين أمرائهم وعلماهم : أن الله مكنهم في جزيرة العرب ، وأن سلطانهم في تلك الجزيرة لإحياء معالم الشريعة وإظهار دين الله ،

وجعل سلطان التوحيد في الجزيرة هو السلطان الأول ، وإزالة كل أثر من آثار الشرك

ولقد قال الإمام سعود في خطبته بعد دخوله مكة سنة ١٢١٨ هـ : إنا كنا من أضعف العرب ، ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا إليه ، وكل يهزأ بنا ويقاثلنا

ولا يزال الملك عبد العزيز في كل مناسبة يشير إلى هذا ذا كراً فضل الله عليه وعلى أجداده من قبل ، وأن ما وقع على آل سعود في أيامهم الأولى لم يكن إلا عقوبة من الله لتهاونهم في أمر المحافظة على الدين والانصراف إلى أمور الدنيا ولذا فإن المشايخ من وقت لآخر ما زالوا يقدمون النصيحة لإمامهم ويوصونه بالمحافظة على الدين ، والأخذ على أيدي التهاونين إذا رأوا شيئاً من التراخي والتهاون من ذوى النفوذ والسلطان

ففي أيام الإمام فيصل كان الشيخ عبد الرحمن بن حسن وولده الشيخ عبد اللطيف لا يتوانيان عن النصيحة ولفت نظره إلى عماله ورعاياه ، وتذكيره بعاقبة التفريط ، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .



المراجع العربية

- أخبار مكة للأزرق
تقويم البلدان
معجم البلدان
رحلة ابن بطوطة
رحلة ابن جبير
القاموس المحيط
تاريخ ابن غنام
تاريخ ابن بصر
لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب « نسخة خطية بالملكية البريطانية »
مقدمة ابن خلدون
تاريخ الخبرتي
المغنى والشرح الكبير
فتح الباري شرح صحيح البخاري
مجموعة المسائل والرسائل النجدية
تاريخ مكة
العقد الثمين
الاعلام باعلام بلد الله الحرام
تاريخ العصامي
مسالك الأبصار
لأبي الفداء
لياقوت الحموي
للأفريزبادي
« نسخة مخطوطة بالملكية البريطانية »
مطبوع بمكة
« نسخة خطية بالملكية البريطانية »
للأبيد دحلان
للغاسي
لقطب الدين المكي
لابن فضل الله العمري

الكتب الانجليزية

- Travels through Arabia M. Niebuhr 1792 Vol 2
Notes on the Beduins and Wahabiays J. S. Burckhardt 1831
Vol 1
Travel in Arabia J. S. Burckhardt 1829 Vol 2
A. Brief History of Wahaby sir H. J. Brydges 1834 (One Vol)
Historical Geography of Arabia. C. Fastei 1844 (Two Vol)
Central and Eastern Arabia. W. G. Palgrane 1877
The Southern Arabia J. T Bent 1900
The Penetration of Arabia. T. G. Hagarth 1904
History of Arabia Andrew Crichton 1833 (Two Vol)
The Heart of Arabia |
Arabia of the Wahhabis | H. stj B Phiby
Arabia Deserta Charls Daughty
In unknown Arabia. R E Cheesman 1926 (One Vol)
The Persian Gulf Sir A. Welson 1928 (One Vol)
Revolt in the Arabia T. E. Lawrance 1927
The independen Arab young 1933
Northern Negd A. Mucil 1928
Hand book of Arabia 1920

وهذا غير المجلات والصحف

ذيل

خاص بالوثائق والمعاهدات التي جاء ذكرها في مواضع من الكتاب

المعاهدة الانجليزية مع ابن السعود

في ٢ كانون أول (يناير) سنة ١٩١٥ ميلادية

النص

بسم الله الرحمن الرحيم

بين الحكومة البريطانية من جهة ، وبين عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود أمير نجد والاحساء والقطيف وجبيل وجميع المدن والمرافق التابعة لهذه المقاطعات من جهة أخرى

الحكومة البريطانية باسمها وعبد العزيز باسمه وباسم ورثته وأخلافه ورجال عشيرته ، عينت الحكومة البريطانية الكولونيل السير برسي كوكس معتمداً في سواحل خليج العجم مفوضاً لأجل أن يعقد معاهدة مع عبد العزيز بن عبد الرحمن فيصل السعود ضمن المقصد الآتي :

توطيد وتوكيد الصداقة الموجودة بين الطرفين منذ زمن طويل وتأيد منافعهما المتقابلة : ان الكولونيل السير برسي كوكس وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود المعروف بابن السعود اتفقا وتعاقدا على المواد الآتية :

أولاً : إن الحكومة البريطانية تعترف وتقبل بأن نجداً والاحساء والقطيف وجبيل وملحقاتها التي تعين هنا ، والمرافق التابعة لها على سواحل خليج العجم — كل هذه المقاطعات هي تابعة للأمير ابن سعود وآبائه من قبل وهي تعترف

بابن سعود حاكماً مستقلاً على هذه الأراضي ورئيساً مطلقاً على جميع القبائل الموجودة فيها ، وتعترف لأولاده وأعقابهم الوارثين من بعده على أن يكون خليفته منتخباً من قبل الأمير الحاكم ، وأن لا يكون مخصصاً لانبجلا بوجه من الوجوه أى أنه يجب أن لا يكون ضد المبادئ التى قبات فى هذه المعاهدة

ثانياً : إذا تجاوزت إحدى الدول على أراضي ابن سعود أو أعقابهم من بعده دون إعلام الحكومة البريطانية ودون أن تمنح الوقت المناسب للمخاطبة مع ابن سعود لأجل تسوية الخلاف ، فالحكومة البريطانية تعاون ابن سعود ضد هذه الحكومة ، وفى مثل هذه الظروف يمكن للحكومة البريطانية بمساعدة ابن سعود أن تتخذ تدابير شديدة لأجل محافظة وحماية منافعهم

ثالثاً : يتعهد ابن سعود أن يمتنع عن كل مخاطبة أو اتفاق أو معاهدة مع أية حكومة أو دولة أجنبية ، وعلاوة على ذلك فإنه يتعهد بإعلام الحكومة عن كل تعرض أو تجاوز يقع من قبل حكومة أخرى على الأراضي التى ذكرت آنفاً

رابعاً : يتعهد ابن سعود بصورة قطعية أن لا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا بصورة من الصور يقبل بترك قطعة أو التخلي عن الأراضي التى ذكرت آنفاً ، ولا يمنح امتيازاً فى تلك الأراضي للدولة الأجنبية أو لتبعية دولة أجنبية دون رضا الحكومة البريطانية وأنه يتبع نصائحها التى لا تضر بمصالحه

خامساً : يتعهد ابن سعود بأن يبقى الطرق المؤدية إلى الأماكن المقدسة مفتوحة وأن يحافظ على الحجاج أثناء ذهابهم إلى الأماكن المقدسة ورجوعهم منها

سادساً : يتعهد ابن سعود كما تعهد والده من قبل بأن يمتنع عن كل تجاوز وتداخل فى أرض الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية انجلترا والذين لهم معاهدات معها

سابعاً : الحكومة البريطانية وابن سعود يتفقان فيما بعد بمعااهدة على التفاصيل التى تتعلق بهذه المعاهدة

المعاهدة المفقودة

بين السيد الإدريسي وبريطانيا العظمى

في ٣٠ نيسان (ابريل) سنة ١٩١٥

(١) إن هذه المعاهدة التي هي معاهدة صداقة وولاء قد وقع عليها المساجور جنرال شو Shaw المعتمد في عدن باسم حكومة بريطانيا العظمى والسيد مصطفى ابن السيد عبد الله باسم حضرة السيد محمد علي بن محمد بن أحمد بن إدريس — السيد الإدريسي وأمير « صبيا » وأطرافها

(٢) المقصد من هذه المعاهدة هو اعلان الحرب على الأتراك وتوطيد عرى الصداقة ما بين حكومة بريطانيا والسيد الإدريسي المذكور آنفاً وأعضاء قبيلته

(٣) الإدريسي يتعهد بقتال الترك وأنه سيجتهد لطردهم من مواقعهم في اليمن وأن يتعقبهم ، وله أن يوسع أراضيه على حساب الأتراك

(٤) عمل السيد الأساسي يتجه ضد الترك فقط ويمتنع عن كل حركة عدائية ضد الإمام يحيى ما دام هذا لا يضع يده بيد الترك

(٥) تتعهد الحكومة البريطانية بالحفاظة على أراضى السيد الإدريسي من كل اعتداء يقع من قبل أى عدو كان على السواحل ، وبضمانه استقلاله فى أراضيه الخاصة ، وباستعمال كل الوسائط السياسية عند ختام الحرب فى سبيل تأليف مطالب السيد الإدريسي مع الامام يحيى أو أى خصم آخر

(٦) إن الحكومة البريطانية لا تقصد توسيع أراضيه فى غرب البلاد العربية ، ولكنها تمنى بصورة صريحة أن ترى رؤساء العرب فى حالة سلمية وأخوية ، كل منهم فى منطقته وكل موال للحكومة البريطانية

(٧) إنه كدليل على تقدير الحكومة البريطانية للأعمال التى سيقوم بها

السيد الإدريسي فهي ستعاونه بأمال والمؤونة ، وتستمر على معاوته طول الحرب ، وستكون هذه المعاونة متناسبة مع ما يقوم به السيد الإدريسي من الأعمال

(٨) تسمح الحكومة البريطانية للإدريسي أثناء الحصار البحري المنعروب على سواحل تركيا في البحر الأحمر أن يتاجر مع عدن وسواحلها ، وهي تضمن استمرار هذه الحالة ما دامت العلاقات الحسنة موجودة بين الطرفين

(٩) تكون هذه المعاهدة نافذة المنعول على أثر موافقة الحكومة الهندية عليها

يوم الجمعة ٣٠ نيسان (ابريل) سنة ١٩١٥
الموافق ١٥ جادى الثانية سنة ١٣٣٣

التوقيع

B. G. L. Shaw
معمد بريطانيا فى عدن

التوقيع

السيد مصطفى بن السيد عبد العلى

توقيع

هارديج

حاكم الهند العام

ملحق : تعطى جزيرة فرسال للإدريسي منماً لمطالب إيطاليا

معاهدة سايكس بيكو سنة ١٩١٦

ترجمة عن الانكليزية

قد تم التفاهم بين كل من الحكومتين الفرنسية والبريطانية

(١) إن فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا بحكومة عربية مستقلة أو حكومات عربية متحدة أو مستقلة أو تؤيداها في الأماكن المشار إليها بحرف (A) وحرف (B) على الخريطة الملحقة بهذا ، وأن تكون هذه الحكومة أو الحكومات تحت سيادة زعيم عربي ، وأن يكون لفرنسا في المكان المشار إليه بحرف (A) ولبريطانيا العظمى في المكان المشار إليه بحرف (B) أولية الحق في المشاريع والقروض المحلية ، وأن كلا من فرنسا في حرف (A) وبريطانيا في حرف (B) تقدم وحدها المستشارين والموظفين الأجانب الذين تطلبهم الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة

(٢) يسمح لكل من فرنسا في المنطقة الزرقاء وبريطانيا في المنطقة الحمراء أن تنشئ من الإدارة أو الحكومات مباشرة أو غير مباشرة ، ما تريد أو ما ترى تديره موافقاً مع الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة

(٣) أن ينشأ في المنطقة الخضراء إدارة دولية مشتركة يقرر شكلها بعد استفتاء روسيا أولاً ، ثم استفتاء الحلفاء الآخرين واستفتاء مندوبي شريف مكة

(٤) أن يعطى لبريطانيا العظمى ثغر حيفاء وثغر عكاء ، ويضمن لها المقدار الكافي من مياه دجلة والفرات في منطقة (A) لإرواء منطقة (B) وتتعهد حكومة جلالة الملك أن لا تخبر في زمن كان دولة من الدول للتنازل لها عن جزيرة قبرص بلا موافقة حكومة فرنسا

(٥) تكون الاسكندرونة ميناء حراً فيما يتعلق بتجارة الامبراطورية

البريطانية ، وأن لا يكون فيها تمييز في تعيين ضرائب الميناء أو التسهيلات فيما يتعلق بالبضائع أو السفن البريطانية ، وأن يكون للبضائع البريطانية حرية المرور في الاسكندرونة وفي سكك الحديد التي في المنطقة الزرقاء سواء كانت هذه البضائع صادرة عن المنطقة الحمراء أو المنطقة حرف (B) أو المنطقة حرف (A) أو واردة إليها ، وأن لا يكون تمييز سواء كان ذلك مباشرة أو غير مباشرة ضد البضائع البريطانية على أية سكة حديد كانت أو ضد البضائع البريطانية والسفن البريطانية في أى ميناء من الموانى المذكورة سابقاً لهذه المناطق ، وأن تكون حيفا ميناء حراً فيما يتعلق بتجارة فرنسا وممتلكاتها ومحيطاتها ، وأن لا يكون فيها تمييز بتعيين ضرائب الميناء أو التسهيلات فيما يتعلق بالسفن الفرنسية والبضائع الفرنسية ، وأن يكون للبضائع الفرنسية حرية المرور في حيفا وفي السكك البريطانية التي في المنطقة الحمراء سواء كانت هذه البضائع صادرة عن المنطقة الزرقاء أو المنطقة حرف (A) أو المنطقة حرف (B) أو واردة إليها ، وأن لا يكون تمييز سواء كان ذلك مباشرة أو غير مباشرة ضد البضائع الفرنسية على أية سكة حديد كانت ، أو ضد البضائع والسفن الفرنسية في أى ميناء من موانى المناطق المذكورة آنفاً (٦) أن لا تمتد سكة حديد بغداد جنوباً في منطقة (A) إلى ما وراء الموصل ولا تمتد شمالاً في منطقة (B) إلى ما وراء سامرى إلى أن يتم إنشاء سكة حديد تصل ما بين بغداد وحلب في وادي الفرات وذلك بموافقة الحكومتين (٧) أن يكون لبريطانيا العظمى وحدها الحق بأن تنشئ وتدبر وتملك سكة حديد توصل حيفا بالمنطقة (B) ويكون لها الحق الدائم في نقل الجيوش عليها في أى وقت كان . والمفهوم بين الحكومتين أن هذه السكة هي لتسهيل المواصلات بين بغداد وحيفا . والمفهوم أيضاً أنه إذا حالت الصعوبات الهندسية والنفقات دون إنشاء هذا الخط في المنطقة الحمراء وحدها فإن الخطوط الآتية وهي : بانياس .

نيس معرب . صلخد . تذا . صدى ومسمية تصل إلى المنطقة (B)

(٨) تبقى الرسوم الجمركية معمولاً بها عشرين سنة في جميع أنحاء المنطقتين

الزرقاء والحمراء كذلك في المنطقة (A) والمنطقة (B) ، ولا تزداد الرسوم إلا بعد اتفاق الحكومتين

ولا تضرب رسوم داخلية تكون عاتقة بين المناطق المذكورة آنفاً . أما الرسوم على البضائع الواردة فتؤخذ في الميناء التي تصل إليها البضائع ، وتسلم إلى حكومة المنطقة الواردة إليها

(٩) لا يجوز للحكومة الفرنسية في أي زمن من الأزمان أن تخبر دولة ثانية في أمر التنازل لها عن حقوقها ، ولا يحق لها التنازل عن هذه الحقوق لغير الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة إلا إذا وافقت الحكومة البريطانية على ذلك . وعلى الحكومة البريطانية مثل هذه العهود للحكومة الفرنسية فيما يتعلق بالمنطقة الحمراء

(١٠) تتعهد كل من حكومة فرنسا وحكومة بريطانيا العظمى أن لا تمتلك أرضاً في جزيرة العرب ، وأن لا توافق على امتلاك دولة ثالثة لأرض هناك سواء كان ذلك على السواحل الشرقية منها أو جزر البحر الأحمر على أن هذا لا يمنع من تعديل حدود عدن بسبب اعتداء الترك

(١١) أن المحادثات مع العرب لوضع حدود للحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة يستمر كما كان بالنيابة عن الحكومتين الفرنسية والبريطانية

(١٢) قد وقع الاتفاق على أن الوسائل اللازمة للسيطرة على توريد السلاح إلى الأراضي العربية تستشار فيها الحكومتان

كتاب من أمير نجد إلى الشريف حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جناب الأجل الأثم يمينا الشيم أمير مكة المكرمة سيدنا الشريف
حسين باشا بن السيد علي دام مجده وعلاه آمين

بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن
شريف خاطرهم العاطر لا زلتم بكلال الصحة والسرور حازرين الأوصاف الحميدة .
أحوالنا من كرم الله جميلة ، وتقدم لسعادتكم قبل هذا كتاب نرجو أنه وصل وأتم
مسرورين . ثم نعرض لدولتكم العزيزة أنه بموجب شفقتكم وعلو هممكم وأنظاركم
العالية قدمنا أخينا عبد العزيز عبد الله السعود لموجب خدمتكم وأحبينا المصاوغة
معه لموجب التبرك بإقدامكم ، وأرسلنا معه الصقلاوية والحمداني وكحيلان ، ولا والله
قصدنا في إرسالها لأنكم بحاجة ولا شك في عايتنا نبي تقرب أنفسنا منكم
فاننا هنا حاسبين أنفسنا من خواصكم ، والله ثم لكم ، وإلا هديتنا لحضرتكم
رءوسنا وما تحت أيدينا ، ولكنها هي صوغه للأولاد والكرام ، وحررنا هذا
الكتاب لموجب التعرض لخدمتكم وما يبدو منه اللازم وإلا أمرك علينا تام على
كل حال ، ومهما تفعلونه معنا وتحيطون أنظاركم علينا تجدونه إن شاء الله مضاعفاً
بالخدمات والسمع والطاعة . هذا ما لزم تعريفه والولد برسم الخدمة مع إبلاغ السلام
حضرة الإخوان السادات الكرام على وفيصل وزيد ، ومن عندنا أولادنا محمد
وسعود وكافة السعود يسلمون ودمتم محروسين ما

١٨ س سنة ١٣٢٨

خادم الدولة والملة والوطن

أمير نجد ورئيس عشائرها

عبد العزيز السعود

(ختم)

من أمير نجد الى الشريف حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جناب الأجل الأتجد الأتقم بهي الشيم أمير مكة المكرمة سيدنا الشريف الحسين باشا ابن السيد على دام مجده وعلاه آمين
بعد إهداء مزيد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف خاطركم العاطر لا زلتم بكل الصحة ووافر السرور حائزين الأوصاف الحميدة ، أحوالنا من كرم الله جميلة بأشرف وقت أخذنا مشرفكم المكرم فسرنا ما تضمنه من صحة أحوالكم واعتدال أوقاتكم ، وما عرف جنابكم كان لدى ابنكم معلوم مخصوصاً ما عرف جنابكم من جهة عتيبه والقصيم وانهم يلقون إليكم من الأكاذيب الذي ليس لها حقيقة ، ويتظلمون عند حضرتكم فنحن نقول عما قالوا سبحانه هذا بهتان عظيم ، فأما من جهة نظركم علينا وعليهم فهذا هو شأن مثلكم وهو مقامكم العزيز ، ونحن متيقنين إن حنا بأنفسنا أقرب منهم ومن غيرهم لسعادتكم وأدنى جواب يصدر منكم إلينا بمنع السوء عنهم إذا كان صادر من شيء فنحن نمثل به لموجب رضا الله ثم لخدمة سعادتكم مع ما إني ما والله أعلم أن أحد من أهل نجد يطلب مني مثقال حبة من خردل من ظلم إلا إن كان عدو ضعيف جاني ولجنايته سبب ، وقول العدو ما يؤخذ في عدوه ، وإلا أدام الله وجودكم نجد يوم جيته ما فيه من جميع مأموريته أحد كلها مناصيب لابن رشيد ، وولانا الله عليه بهداية الله ثم هدايتكم ، وأمرنا كل في منصبه ؛ فمنهم من أطاع واستقر وإلى الآن بمكانه ، ومنهم من ظلم الرعية وبنا غدر وأعانا الله عليه وأحسننا فيه ، فالآن ابنكم وخادمكم ومملوك فضلكم ثاني نفسه سامع مطيع لله ثم لحضرتكم لأدنى واحد من أهل القصيم أو من عتيبه يدعى على بأدنى شيء منه ظلم فكما تأمرون افعل امتثالاً

لأمر الله ثم أمركم ، وجميع ما زوروه على حضرتكم دواء الكذب المقابل ؛ فإن كنت المجرم فأنا تحت أمركم كما تأمرون افضل ومصطبر لأدبكم فأت كانوا هم الكاذبين وتحقق عند جنابكم ذلك ، فنحن قد دحنا لهم من الزلات أكثر وحقنا على جنابكم أن تكونوا على حذر من أقوال الفاشين للإسلام والمسلمين ، وأنا والله وبالله وتالله إن رضاكم وامثال خدمتكم عندى أعز من رضا عبد الرحمن وخدمته ، ثم أنا معطيكم عهد الله وأمان الله ، أنى ولد لك سامع مطيع ما أخلف شوفتك فى جميع أمر ، وأنا تحت أمركم إن كان تريدون المقابلة بينى وبين المزورين فى أى وقت تبونه أحضر ، فإن كان تحبونه من بعيد فالمراجعة بيننا ونحن تحت تدبير الله ثم تدبيركم ، وإنما لا يزورون على حضرتكم أنى مستغزى أهل نجد قصدى محاربكم أو مكابرتكم لا والله لا والله لا والله إنى ما استغزيتهم إلا لموجب بنى خينا وبعض الفساد إلى ما يخفى جنابكم . ولا يقطع عقلكم أن قدومى بها الحل قصدى محاربة أو أمر يفضب خواطرهم ألا إنما هو تقرب لخدمتكم وعن البعد الذى يحصل به الاتحاد للأعداء ، ويزورون أعظم مما زوروا سابق ، واجبنا تعجيل الطارش لموجب رد جوابكم العزيز ، ونحن بانتظار تدبير الله ثم تدبيركم ، وتحت الأمر هذا ما لزم . والرجاء ابلاغ سلامنا للاخوان السادات السكرام ومن عندنا أولادكم محمد وسعود ، وكافة السعود يقبلون أياديكم ودمتم محروسين ما

١٥ ل سنة ١٣٢٨

خادم الدولة والملة والوطن
أمير نجد ورئيس عشائرها

عبد العزيز السعود

(ختم)

مشروع الوحدة العربية كما يفهمها الملك حسين

(صورة وثيقة)

الأساسات المتعلقة بنجد التي يتمكن معها سكّون البلاد وصياتها من كل موانع الترقى والسعادة والفلاح المطلوبة لها حسب فكرى المخصوص ، فالأصل الأصيل الذى يمكن قبله تقرر عمل هو تفريق سكان القطر والارطاوية والفروثى وفريثان ونحوهم من المنازل التي يسكنها الزمرة الموسومة بالإخوان الحادثة من سنتين التي هي عبارة عن معسكرات ، وقبل هذا والتعهد به أى بتفريق سكّنة تلك المنازل ، وأن كل شخص يذهب إلى قبيلته المنسوب إليها لا ثمة لأى عمل كان كما أشير برقيمنا ١٢ الحجة سنة ١٣٣٦ هـ ، ومع ذلك فعلى سبيل المعلومات والتسهيل لا بأس من الإتيان بما سيذكر أدناه على وجه الاختصار

(١) الأحكام بكتاب الله وسنة رسوله

(٢) أمراء نجد يكن تعيينهم على تعاملهم وقاعدتهم الجارية المعروفة

(٣) لغو الضريبة التي تؤخذ على جمال المتسعة بصورة كلية وهو المعروف بالباج

(٤) أمير نجد له حق تعيين صنف المأمورين فى داخل إمارته

(٥) لا حق لأمر نجد أن يخبر أى دولة كانت فى أى مسألة كانت بأى

شكل وصورة ، وهذه أيضاً من حقوق المركز وعائد إليه ، وتكن برأيه وواسطته واستحسانه

(٦) الحدود من الجنوب والجنوب الشرقى والغربى الجبل المعروف بالعرض

وما سامتة والشقرا ومسكة وتربه ووادى الدواسر تكن جميعها تابعة للمركز ، والغرب والغرب الشمالى حدود عنيزة والقصيم والشمال والشرق معلومة

(٧) القبائل السهول وسبيع الأسفلين تابعون للمركز

(٨) لا يمنع القبائل التابعين للمركز ولا سواهم من أى أرض يحتلوها للرعى

أو أن يمتاروا من أى قرية من القرايا التابعة لأمير نجد وإن وقع من القبائل المذكورة تعدى فى الحال يرفع خبره للمركز لاجراء مقتضاه

(٩) أمثال أوامر المركز وتنفيذها فى حق من يرد إلى داخل حدود الإمارة المذكورة ممن لم يكونوا من أهلها

(١٠) كل من يرد من أهالى نجد إلى المركز أو إلى أى بلاد فى داخلية المملكة يعاملوا بمثل معاملة أهالى تلك البلاد فى كل شئونهم

(١١) المحافظة على كل حقوق وكافة معاملات من يكونوا فى الخارج من أهالى نجد أى فى بلاد أجنبية فهى عائدة للمركز ومن حقوقه

(١٢) المركز يتعهد بحفظ كيانه وصيانة أدنى حقوقه من كل تعدى

(١٣) يجتنب بكل حذر واهتمام ما يوجب القلاقل والشغب فى داخلية أو فيما جاوره من المملكة

هذا يكن دستوراً لكافة الأمراء ومن يكونوا أمثال أمير نجد على أن الإدريسى حدوده قضاء صبية المعروفة فى زمن الترك ، وكذا إمام صنعاء ما كان

يتصرف فيه من الأراضى فى زمنهم هذا ملخصه . ولكل من تأمل مسلكى وخطى فى ظرف هذه الأعوام نحو الإمارة المذكورة رغماً عن عجرفاتها وخطى عند

ما توجهت لأبها ، ونهج ابنى فيصل على ذلك الأثر عند توجهه إلى تهائم عسير لعين تلك الغاية التى توجهت إليها يدرك لأول وهلة سلامتنا من شوائب المقاصد بما

تدون أعلاه . أما عنيزة والقصيم أى بريدة وملحقاتها فلم الرأى ينتخبوا ابن سعود للالتحاق به أو ابن الرشيد أو يكونوا مستقايين على أنفسهم الخيار لهم فى ذلك ، ولزيادة

الاقناع والسلامة من الشوائب فانهم إذا انتخبوا المركز فهو لا يقبأهم وعلى أى حال فهم تحت ماذكر من الشرائط على أن مسألة تفريق سكان الغطفط والارطاوية

القرايا المذكورات أعلاه من أمهات المواد المتعلقة بقبول البقاء فى رئاسة البلاد

صورة بلاغ من المعتمد البريطاني بجدة

عما أشاعه الأتراك من تقسيم البلدان العربية

جدة في ٨ فبراير سنة ١٩١٨

جلالة صاحب السيادة العظمى ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم
بعد بيان ما يجب بيانه من الاحترام والتوقير ، قد أمرني جناب فخامة نائب
جلالة الملك أن أبلغ جلالتهم البرقية التي وصات إلى فخامته من نظارة الخارجية
البريطانية بلندن ، وقد عنوتها حكومة جلالة الملك ملك بريطانيا العظمى باسم
جلالتهم ، وهذا نصها بالحرف الواحد :

إن الرغبة والصرحة التامة التي اتخذتموها جلالتهم في إرسالكم التحريرات
التي أرسلها القائد التركي في سوريا إلى سمو الأمير فيصل وسمو الأمير عبد الله إلى
جناب نائب جلالة الملك كانت لهما أعظم التأثير الحسن لدى حكومة جلالة ملك
بريطانيا العظمى ، وإن الإجراءات التي اتخذتموها جلالتهم في هذا الصدد لم
تكن إلا رمزاً يعبر عن تلك الصداقة والصرحة التي كانت دائماً شاهد العلاقة
بين كل من الحكومة الحجازية وحكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى ، ومما
لا يحتاج إلى دليل أن السياسة التي تنسج عليها تركيا هي إيجاد الارتباب والشك
بين دول الحلفاء والعرب الذين هم تحت قيادة وعظيم إرشادات جلالتهم قد بذلوا
الهمة الشماء ليظفروا بإعادة حريتهم القومية . إن السياسة التركية لا تفتأ تفرس
ذلك الارتباب بأن توسوس للعرب أن دول الحلفاء يرغبون في الأراضي العربية
وتلقى بأذهان دول الحلفاء أنه يمكن إرجاع العرب عن مقصدهم ، ولكن أقوال
الدسائسين لن تقوى على إيجاد الشقاق بين الذين اتجهت عقولهم إلى فكر واحد
وغرض واحد

إن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وحلفاها ما زالت واقفة موقف
الثابت لكل نهضة تؤدي إلى تحرير الأمم المظلومة وهي مصممة أن تقف بجانب
الأمم العربية في جهادها ، لأن تبنى علماً عربياً يسود فيه القانون والشرع
بدل الظلم العثماني ، ويتحد التنافس الصناعي الذي أحدثته الصفات الرسمية التركية
إن حكومة ملك بريطانيا العظمى تكرر وعدها السالف بخصوص تحرير
الأمم العربية ، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك
التحرير وتقصد أن تستمر عليه بكل استقامة وتصميم بأن تحفظ العرب الذين
نحروا من السقوط في وهدة الدمار ، وتساعد الذين لا يزالون تحت نير الظالمين
لبنالوا حريتهم

وفي الختام أتمس قبول خالص التحيات وعظيم الاحتشامات والتعنيات ما

نائب المعتمد البريطاني بمدة

الكولونيل باست

صورة ما تحرر لفخامة نائب الملك بمصر

من الملك حسين وشرح أغراضه من الثورة العربية

ما رأيته خصوصاً بهذا الاثناء عن اعتناء فخامتكم وتأكيدها في إزالة أسباب دواعي سوء التفاهم الذي لا ارتاب بأن المقصود بذلك الاعتناء هو صيانة تأثير حسيات مخلصكم خاصة لذا ولما تكون المواد البسيطة أيضاً من ذلك المعنى رأيت أن أتبين من حكومة جلالة الملك في الأساس المقرر مع عظمتها في النهضة وما بنيت عليه من مواد الاتفاق المقدم طيه بيانها بأني ما طلبت للبلاد أمام حكومة جلالة الملك ما طلبته من المواد التي تعهدت عظمتها بها رغبة مني في تأسيس حكومة أو تشكيل دولة لاستأثر بحاكميتها أو حرصاً على جاهها أو رياستها، ولكن عند ما دعنتى بريطانيا إلى ما دعنتى إليه، وعلمت أن مقاصدها بهذا أيضاً تأمين مصلحة المساميين عامة والعرب خاصة لم يسعني إلا الإجابة وطلبها أقله تلك المواد المؤدية في اعتقادي لما يأتي :

أولاً — لحفاظة الكيان الإسلامى بالنظر لما حل وما سيحل بتركيا

ثانياً — صيانة العظمة البريطانية من الاستهداف مما سترعى به عكس مقاصدها

ثالثاً — سلامتى من الاتهام بالتواطؤ معها ضد الأساس المقصود بالنهضة

نعم إنى لم أجد من جناب الفاضل الأديب المستر استورس عند اجتماعى بحضرته فى السنة الأولى بجدة ، ثم بعده بحضرة الشهم الهمام السير مارق سايكس ثم فى السنة الماضية بالقمندان الهمام هوغارت الموقر ما يشير إلى ما يخالف أو يخل بتلك المقررات غير أن ما فى طبيعة مشروعا وتماه الحياتية من الرقة وما يتصادف من بعض حالات يستدعى سياقها زيادة تعيين الأمر وتأكد الحقيقة عن الحدود

فقط وإلا باقى المواد ، فانا نعجز عن أداء شكر الوفاء بها شكراً يملأ الخافقين خصوصاً أمر الاعانة عما لو فهمت الغلط فى مقرراتنا المذكورة أساساً ، أو حدث ما يوجب تعديلها الأمر الذى لا أقول إنه يمس كيان العالم الإسلامى ، ولكن أظن وبعض الظن اثم أنه لا يخلو من شىء من ذلك هذا على فكرى الخصوصى فتمى أضفنا عليه تظاهر عجزى بعدم حصول ما كان يؤمل من النتائج يتحتم على الانسحاب من الأمر والتنازل عنه ، لاعتقادى الشخصى أن تعديل مقرراتنا المذكورة ، بصرف النظر عما فى إخلاله بالغايات المقصودة وعرضتنا لحذر موادنا الثلاثة آفة البيان وطمس صحيفة تاريخى ، فهو يزيل ويسقطنى من ثقة واعتماد بلادى وأقوامى الأقربين ، حينما يظهر لهم عكس تلك المقررات التى أعلنتها لهم ، وصرحت به شفاهاً وتحريراً فى ظرف هذه المدة وأسست عليه الأعمال ، وأكون خدعت نفسى وغششتكم يا أصدقائى بما وراء هذا من اضطراب البلاد بالفتن والثورات ونحوه ، مما لا يمكن لى معه حتى الاستفادة لذاتى وما يزيل كل ظن حكومة جلالة الملك بى ، وأكيد إخلاصى يجبرنى أن أقول من الآن إن مبادئ هذه الخطرية على وشك التحسب بها بالنسبة للطلبات المتكررة المختلفة عن أمرهم بإعلان استقلال بلادهم ، ولم أجد ما أدفعهم به إلا قولى إن استقلالى هو استقلال عموم أنحاء البلاد ، ولكنهم يقيموا الحجة على دفعى هذا بأوجه آخر ، وعليه فإن كان ولا بد من التعديل فلا لى سوى الاعتزال والانسحاب ، ولا اشتبه فى مجد بريطانيا بالألا يتلقى هذا منا إلا أنه أمر يتعلق بالحياة لا لقصد عرضى أو فكر غرضى ، وإنها لا ترتاب فى أنى وأولادى أصدقائى الذين لا يتغير ولاؤهم وإخلاصهم ، ثم تعينوا البلاد التى تستحسن إقامتنا فيها للسفر إليها فى أول فرصه وإن رأت ذلك ، ولكن مشاكل الحرب الحاضرة تقضى بتأجيله إلى ختامها ؛ فعروفها وجميل مكارمها يفرض علينا الثبات أمام ما سيتضاعف علينا من

المهمات ونحوه من العموم مما لا مقاومة لدينا أمامها إلا حسن النية فالأمر إليها .
أما عطف الأمر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأن لا علاقة لنا به
ولا مناسبة بيننا وإياه حتى ننتظر منه سلباً أو إيجاباً ، ولو قرر المؤتمر المذكور أضعاف
مقرراتنا وكان ذلك عن غير وساطتكم وقبائناها فنكن من المطرودين من رحمة
البارى جل شأنه الرقيب على قولى هذا الذى أتوسل إليه الآن أن يتولانا
جميعاً بعنايات رأفته الأحذية ، وقبول ما أقدمه لفخامتكم فى الختام من جزيل
احتشاماتى هو من سجايا شيمكم ؟

٢١ ذى القعدة سنة ١٣٣٦

٢٨ أغسطس سنة ١٩١٨

الإعانة الانكليزية

جدة في ١٣ ابريل سنة ١٩١٩ — ١٢ رجب سنة ١٣٣٧

صاحب السيادة العظمى جلالة ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم
صاحب الجلالة

بعد بيان ما يجب بيانه لجلالتكم من التوقير أتشرف باحاطة علم جلالتكم بأن
حكومة جلالة الملك قد رخصت بدفع مبلغ ١٠٠,٠٠٠ جنيه (مائة ألف جنيه)
لإعانة شهر ابريل ، وهذا بتنقيص ٢٠,٠٠٠ جنيه (عشرين ألف جنيه) ، أما
الثمانين ألف جنيه الشهرية فجارى دفعها طبعاً إلى دمشق علاوة على المائة ألف .
ومن حيث هذا التخفيض لا يخفى على جلالتكم أنه عند ما تشرفت بالبحث مع
جلالتكم في مسألة الإعانة في شهر فبراير الماضى قد أخبرت جلالتكم أن حكومة
جلالة الملك رغبت في عمل تخفيض عظيم في إعانة شهر مارس بناء على ما كنتم
جلالتكم قد وافقتم عليه مع ذلك طلبتم جلالتكم أن إعانة شهر مارس يجب أن
تبقى كما كانت بلا تعيير إلا أنكم وعدتم بتنقيص كبير في ابريل فعرضت رغائب
جلالتكم على حكومة جلالة الملك فصارت موافقة خصوصية على صرف إعانة شهر
مارس بتمامها ، مع العلم بأنه كان مفهوماً أن تنقيصاً عظيماً قد عمل لشهر ابريل بناء
على وعد جلالتكم ، وعند ما كنت بمصر كانت حكومة جلالة الملك قد عينت هذا
التخفيض إلى أربعين ألف جنيه ، إلا أن فخامة نائب جلالة الملك رأى أنه لمناسبة
الأحوال الحاضرة يحتمل أن جلالتكم تفضلون أن يخصم من ابريل عشرين ألف
جنيه فقط ، وقد صارت الموافقة بذلك من قبل حكومة جلالة الملك على شرط أن
جلالتكم تعملون كل سعى لتخفيض مبلغ شهر مايو إلى ثمانين ألف جنيه وأن

تعطوني الميزانية ببيان مطالب جلالكم المتنوعة ، وإني قد أخبرت حكومة جلالة الملك منذ بضعة شهور أن جلالكم قد وعدتوني بالميزانية بعد سقوط المدينة مباشرة وأؤمل أن جلالكم تتمكنون من إعطائي التفاصيل عن الإيراد والمصاريف المنتظرة للحجاز عند ما أتشرف بمواجهة جلالكم قريباً . وعندئذ أستطيع أن أرفع طلبات جلالكم بصورة فعلية ، وإني سوف أستطيع طبعاً البحث مع جلالكم في جميع التفاصيل ، إلا أن الميزانية المطلوبة من قبل حكومة جلالة الملك لا تشمل مثل تلك المفردات كتصليح الخط والاحتياجات الخصوصية (خلاف الادارية) للمدينة وخلافها التي لا تدخل في ميزانية اعتيادية ولكنها تكون في الواقع ونفس الأمر مختصة بقروض مخصوصة وما شا كل ذلك ، ولا تشمل أيضاً مصاريف الإدارة العربية بدمشق ، لأن تلك الادارة تتناول اليوم مائة وخمسين ألف جنيه شهرياً ، وإني لمطلع باشتياق لمشاهدة جلالكم ثانياً ، وأرجو الله أن تكونوا جلالكم بضعة جيدة ، وتفضلوا بقبول خالص تمنياتي الطيبة وعظيم احتراماتي ما

مخلصكم
ولسن باشا

جدة في ١٧ يونيه سنة ١٩١٩ موافق ١٨ رمضان سنة ١٣٣٧
صاحب السيادة العظمى جلالة ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها العظم
صاحب الجلالة

بعد بيان مايجب بيانه من التوقير قد اندهشت جداً عند تلقي تحرير جلالتم
نمرة ١٥٣٤ بتاريخ ١٦ يونيه وإني لم أفهم السبب الذي جعل جلالتم تكتبون
أنكم يلزمكم طلب الاستقالة والانسحاب رداً على خطابي بخصوص الإعانة ، وإني
قد أبرقت لجلالتم عند ما اطاعت على برقيتكم لسمو الأمير زيد اتى تقولون فيها
أن لا إعانة تدفع بعد الشهر القادم ، وذلك أكدي أن خطابي لم يكن كامل
الوضوح أو غير ظاهر العبارات الأمر الذي أبدى مزيد أسفى عليه . وأن جلالتم
تذكرون أن حكومة جلالة الملك رغبت في تنقيص الإعانة وجعلها ثمانين ألف
جنيه في شهر ابريل الماضى ، وسألتكم عن تفصيلات لميزانية الحجاز ، وقد
أعطيتمنى جلالتم ذلك وقد أرسلت إلى لندرة ، وبعد ذلك قررت حكومة
جلالة الملك عدم جعلها ثمانين ألف وصدقت على استمرارها مائة ألف جنيه إلى
نهاية شهر يوليو ، وهذا ما قصدت أبداء لجلالتم في تحريري ، وهذا لا يدل على
أنه بعد شهر يوليو لم يكن فيه إعانة كما ذكرتم جلالتم في برقيتكم لسمو الأمير
زيد ، وعليه أتمس أمركم بأنى أرفع العبارة الخاصة بالإعانة من البرقية ، وإنا اليوم
في وقت حرج ، ولذا أرجو جلالتم رجاء صميما أن تطرحوا فكرة طلب الاستقالة
في هذا الوقت الذي فيه بلادكم ، وأمر الاسلام في أشد الحاجة لكم ، وأحب أن
أطلب من جلالتم أن تستمروا على انتمائكم لحكومة جلالة الملك ولفخامة الجنرال
النبي ولنفسى كما فعلتم على الدوام ، وقد طلبت نفس هذا الطلب في خطابي بتاريخ
أمس ، فرغماً عن عظيم ارتياحى لاشتغالى لأجل النهضة العربية ، ثم وعظيم سرورى
لاشتغالى في هذه السنين كلها مع جلالتم ، كما ورغماً عن افتخارى بتمثيل بريطانيا

العظمى مع جلالكم ، فأننى مشتاق للتمكن من القيام للاجازه والاستراحة قليلا ،
ولكن هو واجبى أن أبقي كل ما أمكن من الزمن ، وبذلك أوئل أن أكون
مقدماً بذلك بعض الخدمات الصغيرة لجلالكم ، نعم إنه بعد عناء الثلاثة سنين
الماضية الشديدة ، أنا أعلم أنه من التعب جداً لجلالكم ملاقة هذا الوقت الحرج
الحالى ، ولكننى أطلب من جلالكم طلباً صميماً أن تطرحوا ظهرياً كل فكرة
خاصة بترككم مركزكم العظيم مهما صعبت الوضعية ، ولا شك حيث إن جلالكم
قائد النهضة العربية العظيم بل وحليف بريطانيا العظمى المخلص إذا تنازلتم عن
الأعمال فى الآونة الحاضرة كان فى ذلك البلية العظمى ، وقد عرفتمونى جلالكم
هذا الزمن الطويل ، وأنا على يقين أن جلالكم تعتقدون فى صدق اخلاصى ،
وأن هذا الخطاب لم يكتب إلا بكمال الاخلاص المحض ، ومالى إلا أن أرفع أكف
الرجاء إلى حضرة ذى الجلال أن يمن على جلالكم بالقوة والمقدرة على الاستمرار
على العمل . وفى خاتمة خطابى أتمس قبول خالص تمنياتى وعظيم احتشاماتى القلبية
الخالصة ؟

مخلصكم

ولسن باشا

مذكرة المستر لويد جورج

رئيس الوزارة البريطانية

عن الاحتلال المؤقت لسورية وفلسطين والعراق ريثما يبرم أمر الانتداب

- (١) تتخذ التدابير اللازمة حالاً لانجلاء الجنود البريطانية عن سورية وكيليكية ومن جملتها نفق جبال السلسلة (طوروس)
- (٢) لقد أعلن كل من الأمير فيصل والحكومة الافرنسية أن في القدرة الشروع في الانجلاء عن سورية وكيليكية في أول نوفمبر سنة ١٩١٩
- (٣) إن المسؤولية في وضع الحاميات في المقاطعات التي يتم إخلاؤها يكون على مقتضى عهود وتصريحات الحكومة البريطانية والحكومة الافرنسية ليس فقط بينهما بل بين كل منهما وبين العرب
- (٤) تستبدل على مقتضى ذلك حاميات سورية في غربى خط (سايكس - بيكو) وحاميات كيليكية بجنود فرنساوية ، وتستبدل حاميات دمشق وحمص وحماة وحلب بجنود عربية
- (٥) إنه بعد انجلاء الجنود البريطانية لا تبقى مسؤولية ما على الحكومة البريطانية ولا على القائد البريطاني العام في المناطق التي أخلتها الجنود
- (٦) المقاطعات التي تبقى فيها الجنود البريطانية هي فلسطين وتكون حدودها مطابقة للحدود القديمة المسماة (دان إلى بئر السبع) ، والعراق ومن جملتها الموصل فيكون هذا الاحتلال مطابقاً للاتفاق المعقود في ديسمبر سنة ١٩١٨ بين الموسيو كليمنصو والمستر لويد جورج

- (٧) إن الحكومة البريطانية مستعدة في أى وقت كان أن تبحث في أمر الحدود بين فلسطين وسورية ، وإذا وقع خلاف بشأن هذه الحدود فالحكومة

البريطانية مستعدة أن تقبل تحكيم (حكم) يعينه الرئيس ولسون
(٨) إنه بمقتضى مبادئ اتفاق (سايكس بيكو) يحق للحكومة الفرنسية
أن تعترض على منح الحكومة العربية للحكومة البريطانية الحق في إدارة وإنشاء
وامتلاك خط حديد يوصل ما بين حيفا والعراق وذلك في طريق تقرر بدل
التخطيط في أى جهة كانت إلى موازاة (دير الزور) شمالاً، ويحق كذلك للحكومة
البريطانية أن تنشئ أنابيب للبترول، كما يحق لها إنشاء سكة الحديد، ويكون
للحكومة البريطانية علاوة على ذلك حق دائم في جميع الأزمدة للقيام بتحسين
التسهيلات للسكة المذكورة والأنابيب وأن تنقل الجيوش على السكة الحديدية،
ويمكنها أن تتمتع بهذه الحقوق حتى في زمن الحرب، وذلك بدون خرق حياد
الحكومة الفرنسية والحكومة العربية؛ وإذا وقع خلاف في رسم الطريق لسكة
الحديد وأنابيب الزيت (البترول) فالحكومة البريطانية مستعدة أن تقبل تحكيم
(حكم) يعينه الرئيس ولسون

(٩) الحكومة البريطانية تعلن الحكومة الفرنسية والأمير فيصل أن
غايتها الإسراع في الرسم لتجد طريقاً إن أمكن للسكة الحديدية ولأنابيب البترول
في الأراضي التي هي تحت الوصاية البريطانية حتى تجتلب بذلك التمتع بالحقوق
المذكورة آنفاً (أى حتى لا تستعمل حقها في المرور في الأراضي العربية)

(١٠) إنه إلى أن تقرر الحدود بين فلسطين والعراق يكون للقائد العام
البريطاني الحق في احتلال مخافر أمامية على الحدود التي تدعيها الحكومة البريطانية
(١١) لما كانت الحكومة الفرنسية قد اتخذت على عاتقها حماية الشعب
الأرمني فالحكومة البريطانية توافق على إرسال جنود فرنساويين حالاً عن طريق
مرسين والاسكندرونة لهذا الغرض

رد سمو الأمير على مذكرة المستر لويد جورج الأولى

« النص »

لندن في ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩

حضرة صاحب الفخامة :

لى الشرف بأن أضع بين يدي فخامتكم خلاصة جوابي على المذكرة التي تفضلتم باعطائي صورة منها يوم الجمعة في ١٩ سبتمبر ١٩١٩ وذكركم أنكم رفعتم للمسئور كمنصو في ١٣ سبتمبر نسخة منها أيضاً ، وكذلك للمندوب الأميركي المستر فولك في ١٥ منه فأقول :

(١) إن هذا الاتفاق الأخير مجحف تماماً بحقوق العرب ويخاف ما كانوا يتوقعون من الحكومتين الجليلتين خاصة ومن العالم المتمدن عامة بعد الذي قاموا به من مقاتلة الخلافة وجعل البلاد المقدسة ميداناً للحرب انتصاراً لمبدأ جاهر به الحلفاء رسمياً وفي محافلهم وكتاباتهم الماثورة

(٢) إن العرب الذين جرى الاتفاق على بلادهم وبدون علم منهم البتة لا يمكنهم أن يعترفوا بما وقع ولا أن يتحملوا تبعه الرضى بما يفرض إلى بوارهم على غير ما أتم اجترحوه

(٣) إن معاهدة سنة ١٩١٦ التي جعلت دعامة هذا الاتفاق ليست معروفة رسمياً عند العرب ولا هي مما يسوغ أن يعول عليه بعد الذي وقع من اجماع الحلفاء والدول المشتركة على محو المعاهدات السرية وبعد الذي تلقاه العرب بشأنها من وزارة خارجية جلالة الملك نفسها رداً على اعتراض والذي عليها عند ما وقعت إليه نسخة منها منشورة في جريدة (المستقبل) الباريسية نقلاً عن صحف

الشام التي أذاعها فيها جمال باشا التركي في يونيو سنة ١٩١٨ لإثارة الخواطر ، وهذا نص البرقية :

« إن البولشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية في بترغراد معاهدة معقودة ، بل محاورات ومحادثات مؤقتة بين إنجلترا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب لمنع المصاعب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك ، وذلك قبل النهضة العربية ؛ وإن جمال باشا إما من الجهل أو الخبث غير في مقصدها الأساسى وأهمل شروطها القاضية لضرورة رضى الأهالى وحماية مصالحهم . وقد تجاهل ما وقع بعد ذلك من أن قيام الحركة العربية ونجاحها الباهر وانسحاب روسيا قد أوجد حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية منذ أمد مضى »

وقد زكى هذا القول المنوط برضى الشعب ومشيتته ما فعلته الدولتان المعظمتان (إنجلترا) و (فرنسا) من تأكيد ذلك بالمنشور الذى أصدرتاه معاً في نوفمبر سنة ١٩١٨ ، فضلاً عن قانون جمعية الأمم الذى لم ينضب مداده بعد ، وآخرها بلاغ الكولونيل ماينس هارجن بحضور المسيو لافوكارد : « إن الحكومة البريطانية لا ترغب أى شعب على قبول انتداب لا يريده »

(٤) إن القائد العام الذى يقود جيوش الحلفاء المشتركة قد بلغنا رسمياً في أوائل احتلال سورية وغيرها مرة عن طريق المندوبين السياسيين بالقول والكتابة أنه المسئول الرسمى الوحيد عن إدارة البلاد جميعها باسم الحلفاء ولدى مؤتمر السلام بواسطة نظارة الحربية البريطانية ، وقد أيد هذا القول الضابط السياسى الأعلى البريطانى الكولونيل (ماينس) أثناء الاجتماع الرسمى في الشام يوم الثلاثاء في ٩ سبتمبر سنة ١٩١٩ بحضور المعتمد الافرنسى المسيو لافوكارد . وقد دام هذا الاحتلال سنة كاملة ولا أرى من الأسباب الكافية ما يدعو إلى تغيير هذا النظام في هذه البرهة القصيرة الباقية لعقد الصلح — كما تقولون — مع تركيا

(٥) يأتى العرب أن يعترفوا بأمر لا علم لهم به وباجتماع لم يشهده أحد منهم

وبقرار لم يشتركوا فيه في الوقت الذي تستوى فيه مسئولية الجميع لدى القائد العام لجيوش الحلفاء

(٦) إن المعروف رسمياً أن التدابير الحاضرة المتخذة في سورية مؤقتة . وقد جاء في تلك (المذكرة الملحقة) أيضاً أن التدابير المقصودة مؤقتة ، فها معنى استبدال أمر مؤقت بمثل ، وما الفرق بين التدبيرين حتى يقوم أحدهما مقام الآخر ويعمل بموجبه في وقت غير مناسب ومع سهولة إبقاء الحالة حتى القرار الأخير ؟ وإني أحذر أولى الشأن من قادة الأمم أن تنفذ هذه الخطة الجديدة سيؤدي إلى ما لا تحمد عقباه في البلاد العربية وتقع المسئولية على عاتق الذي أبرم ذلك القرار الظالم المعقوت (٧) جاء في الفقرة الثالثة من المذكرة الملحقة بأن هذا التدبير والتفسير في

مواقع الحاميات العسكرية قد جرى على مقتضى عهود وتصريحات إنجلترا وفرنسا ليس فقط بينهما بل بين كل منهما وبين العرب . وبما أنني لا أملك نسخة من هذه العهود والتصريحات القاضية بتمزيق وحدة البلاد ولا سيما بين العرب وفرنسا مباشرة ، فأرجوكم أن تفضلوا باعطائي نسخة منها موقعة فانه لا علم لي بغير المعاهدة المعقودة بين بريطانيا العظمى والعرب وعلى خلاف ما يقضى به الاتفاق الأخير وبالتصريح الذي أصدرته الحكومتان معاً لإعطاء الشعب حرية الاختيار (١٩١٨)

(٨) ومع أن المعاهدة تذكر أن التدبير مؤقت فإني أحتج بشدة على ما ورد في المذكرة الملحقة بشأن التخوم وتحديداتها ، وإني أرى في ذكر الحدود واستعداد الحكومة البريطانية لقبول التحديد برهاناً قاطعاً على تجزئة البلاد ودخولاً لا مسوغ له في شأن مصيرها قبل أن يصدر أي قرار من مؤتمر السلام عنه

(٩) إني أسأل بريطانيا العظمى التي صرحت أنها لا تقبل انتداباً في سورية عما جرى بعهداها السابق الذي بنت عليه معاهداتها مع العرب فإنها أكدت لهم (أنها تعترف باستقلال العرب وتأخذ بناصره) ، فهل ترضى بريطانيا العظمى أن

تقول للعرب لا شأن لى معكم بعد فإن مصالحى اليوم غير مصالحى بالأمس ، وهى التى قد طالما جاهرت بانصاف الشعوب المظلومة وقاتلت دون الضعيف المستهدف للمطامع الخسيسة الأشعبية ؟ ذلك ما أترك الحكم فيه لوجدان فخامتكم وللرأى العام البريطانى الكريم

(١٠) إذا كان لابد من (انسحاب) الجيوش البريطانية فى سورية فلماذا لا تنسحب أيضاً سائر الجيوش الأوربية وتترك المسئولية للحكومة العربية المستعدة لقبول تلك المسئولية لدى الحلفاء والدول المشتركة معهم لحماية الأمن العام فى البلاد ريثما يبرم مؤتمر السلام قراره بشأن مصير سورية

(١١) هذه هى الملاحظات الابتدائية التى أردت بسطها لفخامتكم وفى الختام أطلب إلغاء ذلك التدبير المقترح بين فرنسا وإنجلترا بالكيفية ، لأنه يخالف المراد من قانون جمعية الأمم ويناقض العهود المبنية على أساس الشرف القومى ؛ وإنه فوق ذلك رجوع غير عادل إلى سياسة الاستعمار الأشعبي الذى ينبغى هدم بنيانه بعد هذه الحرب هدماً لا قيام بعده ، وسيضطر العرب من أن يدافعوا عن وحدتهم ووجودهم بأقصى ما لديهم من قوة وحماية ، ثم انهم لا يعدمون وسيلة ينشرون فيها للعالم المتمدن أجمع ما جرى من تمزيق المعاهدات وتبديل الخطة الموضوعة مهما قيل فى شأنها أنها مؤقتة فإن الحالة النفسية لأهالى البلاد تحملهم على الاعتقاد بأن هذا الترتيب مقدمة إلى تقسيم واقع ، ولن يقبلوا فى ذلك معذرة أو حجة ، ولا أدرى كيف رضى القائد مع معرفته بتلك الحقائق أن يعرض البلاد التى ساعد على تحريرها إلى قلاقل مؤكدة ، ولا جرم أنه من الأنفع ترك الحالة على ما هى عليه أو انسحاب الجيوش الأوربية برمتها ريثما يبرم القرار الأخير

هذا ما أردت بيانه لفخامتكم تخلصاً من كل مسئولية لديكم ولدى العالم أجمع وتقبلوا بقبول فائق احتراماتى وتعظيماتى ما

التوقيع

نص الكتاب الاضافى

لندن فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٩

رئيس الوزارة البريطانية المعظم :

حضرة صاحب الفخامة :

لى الشرف أن أقدم لفخامتكم الملحوظة التالية — علاوة على المذكرة التى

قدمتها لفخامتكم بالأمس والمؤرخة ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩

استدعانى حضرة القائد العام للجيش المتحالفة فى سورية ، وسألنى بالأمس

أن أبحث معه بشأن (انسحاب) الجيوش البريطانية من البلاد ، وقد أنبأت فخامته

بأنى أرفض البحث فى هذا الموضوع ، وبينت الأسباب الموجبة لذلك الرفض

وها أنى أذكر فخامتكم أيضاً بأن الجنرال البريطانى فى بيروت عند ما أجبر

الجيوش العربية على الانسحاب من المنطقة الساحلية قد كتب لقائدها العربى

الجنرال شكرى باشا بأن الموجب لهذا التغيير عسكرى محض ومؤقت إلى أن يصدر

قرار مؤتمر السلام بشأن مستقبل البلاد . والقوات البريطانية هى التى تولت بنفسها

انزال الأعلام العربية المرفوعة على بنايات الحكومة وغيرها بواسطة الأهالى

ولهذه الأسباب أطلب أحد أمرين : إما إعادة السواحل إلى الجيوش العربية

كما كانت عليه الحالة فى أوائل الاحتلال ، وهى تتولى مسئولية الأمن وحماية

البلاد إلى أن تبرم النهاية ، وإما ابقاء الحالة على ما هى عليه الآن إلى الحين المذكور .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والاجلال

التوقيع

.....

كتاب آخر من الأمير فيصل لرئيس الوزارة البريطانية

١٩ أكتوبر سنة ١٩١٩

رئيس الوزارة البريطانية المعظم :

حضرة صاحب الفخامة :

لقد تفضلتم فأنبأتمونا عند اجتماعنا في (جيلدهول) منذ يومين أن الأزمة الأخيرة حالت بينكم وبين الرد على مذكري المؤرخة في ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩ وأنكم عازمون على ارسال الجواب في أقرب مدة ، فأشكركم على ذلك اللطف الجزيل ، وإنما لما كانت الأزمة قريبة الوقوع تجاسرت على تقديم هذا الكتاب سلفاً وإني أضع فيه أمامكم المطالب الآتية :

لقد بسطت لكم سابقاً آرائي عن الوفاق الأخير في باريس ، ولا أقصد الآن إلا أن أؤكد لكم بأنني لم أزل على ذلك الرأي ، ومهما يكن في ذلك الوفاق من حسن أو قبح ، فالواقع أنه سينظر إليه من جمهور السكان بسخط عظيم والأرجح أن انسحاب الجيوش البريطانية من سورية يؤدي إلى كارثة عظيمة يكون فيها القضاء على العالم العربي وعلى المشروع العمومي الذي يزود عنه الحلفاء ، وإني شديد الرغبة أن أتجنب كل ما يؤدي إلى احراج المركز أو مايؤول إلى اضطراب الحبل بين الحلفاء والعرب وما يمكن أن يفضي أيضاً إلى جعل التسوية على قاعدة مقبولة من المستحيل ، وأريد أن أبذل جهدي لأؤيد الوفاق المكتوب بالدم المراق من الجميع نصرة للحق والعدل . ورغبة في منع أي حادث يؤدي إلى زيادة الخطورة في المركز رأيت أن أعرض لفخامتكم ما يأتي :

(١) إلغاء القرار الباريسي أو في الأقل إرجاء العمل به

(٢) أن تعرض المسألة كلها على مؤتمر السلام لتسويتها النهائية بدون تأجيل

والتنظر فيها من قبل المؤتمر بأجمعه أو من لجنة أخرى فرعية يعينها المؤتمر تؤلف من أعضاء بريطانيين وفرنساويين وعرب تحت رئاسة أحد الأمريكان للبحث في هذه المسألة الخطيرة ولتقديم قرار عن ذلك إلى مؤتمر السلام

إني أعتبر إلغاء ذلك القرار الباريسي من الأوليات الحيوية للوصول إلى حل مرضى وأنه إن لم يعمل بذلك فالكارثة في سورية يعجل وقوعها ، وربما تطرأ أمور تمنع المباحثات الودية ، ولذلك فأنا أثق بأن مطالبى هذه التى هى جوهرية لمصالح الجميع تقابل من فخامتكم بالاستحسان ، وإني معتمد على مساعدة الحكومة البريطانية لتأكيد هذا . وأرجو من فخامتكم أن تتكرموا علىّ بالجواب فى أسرع أوان ، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

التوقيع

.....

صورة الكتاب الوارد من رئيس الوزارة البريطانية

١٠ دوننج ستريت

(لندن) ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٩

يا صاحب السمو :

وصلنى كتابكم المؤرخ فى ١٩ أكتوبر الذى ترثأون فيه أن الاقتراحات عن احتلال سورية بعد الانسحاب البريطانى ينبغى أن تلغى أو على الأقل تؤجل وأن القضية كلها تعرض على مؤتمر الصلح أو على مؤتمر فرعى يعينه المؤتمر لأجل التسوية النهائية بدون تأخير

لا أظن أنه يجب علىّ أن أبحث مرة ثانية فى الدواعى التى حملت حكومة

جلالته على عرض الاقتراحات المذكورة في المذكرة ، لأنها قد أوضحت كفاية في الكتاب المرسل إليكم من قبل وزير الخارجية . ولتلك الأسباب المذكورة لا يظهر لي أن الاقتراح الذي تبدوونه الآن يمكن العمل به ، فحكومة جلالته قد أقرت عزمها على أنه يستحيل عليها أن تداوم على احتلال سورية بالجيوش البريطانية ، وقد أعلنت منذ ستة أشهر مضت لمؤتمر السلم ولذاتكم أيضاً أنها لا تقبل انتداباً في سورية في أية حال من الأحوال ، فاحتلالها للبلاد الذي كبدها نفقات طائلة قد طال أكثر ما كان في انتظارها على أمل أن مؤتمر السلام يقدر على مباشرة البحث في القضية التركية بعد بضعة شهور ، ومرض الرئيس واسون المكدر الذي بدون مشاركته بالعمل معنا لا يمكن الوصول إلى بت نهائي سيؤجل عوضاً عن أن يعجل البت في هذه القضية . وعليه فن المستحيل لحكومة جلالته أن تسحب الاقتراحات التي أبدتها للعمل في القضية السورية أثناء التأجيل إلى أن يفصل فيها مؤتمر السلام

على أنها تسر جداً بأن تدبر سريعاً اجتماعاً بين ذاتكم ومفوض فرنساوى وأمريكانى وبريطانى لتسوية القضايا المتعلقة بالانسحاب المنوى وقوعه للجيوش البريطانية في أول نوفمبر على أحسن طريقة حبية مرضية للجميع

وكما أنباتكم قبلاً أنى أرغب في استماع مطالعات سموكم شخصياً في مواجهة ثانية عن هذه المسألة نهار الاثنين القادم الساعة الرابعة في ١٠ دوننج ستريت ، وإن لى الشرف أن أكون خادم سموكم المطيع

لويد جورج
رئيس الوزارة البريطانية

مذكرة من وزارة الخارجية الانكليزية للأمير فيصل

نظارة الخارجية البريطانية

لندن في ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٩ :

يا صاحب السمو :

لى الشرف أن أنبثكم بوصول الملاحظات الابتدائية التى تفضاتم بتعليقها على مذكرة رئيس الوزارة التى قدمها للموسيو كليمنصو ولشخصكم عن الاحتلال العسكرى فى سورية وفلسطين والعراق ريثما يبرم مؤتمر السلام قراره بشأن الانتداب ولقد أرسلنا نسخاً منها أيضاً إلى كلِّ من المستر فولك مندوب الولايات المتحدة الأميركية وإلى السنيور تيتونى مندوب المملكة الايطالية

وبناء على ما يلوح لنا من أن هنالك سوء تفاهم فى مغزى المذكرة فانى أريد قبل كل شىء أن أئين أن تلك الوثيقة المذكورة لا تمثل بأى وجه من الوجوه اتفاقاً بين الحكومتين الافرنسية والبريطانية ، بل تشتمل على مقترحات قدمتها الحكومة البريطانية من تلقاء نفسها عن الاحتلال العسكرى فى الولايات التى كانت فيما سبق من الزمن تابعة لتركيا — إلى أن يقرر مؤتمر السلام مسألة مستقبلها نهائياً وهذه المقترحات التى تمسك بها الحكومة البريطانية لم تضعها إلا بعد أن قررت أنه يستحيل عليها أن تستمر على احتلال سورية بالجيش البريطانى ، وقد دعيتكم الحكومة البريطانية إلى أوربا وأسرعت فى تدبير أمر سفركم قبل أن تبلغ هذا القرار للحكومة الفرنساوية أو المؤتمر ، ووضعت تلك المقترحات فى يديكم للنظر فيها على أثر وصولكم

ويظهر أن سموكم تنظرون إلى هذا التدبير المقترح لاستبدال الجيش البريطانى

بالفرنسية والعربية كأنه من بعض الوجوه مغاير للعهود التي عقدتها حكومة جلالة الملك مع والدكم الجليل جلالة الشريف حسين ملك الحجاز . ودفعاً للحصول أدنى سوء تفاهم بشأن هذا الأمر فإنى أبعث إليكم بالمراسلات التي دارت بين والدكم الجليل ملك الحجاز وبين نائب جلالة الملك بمصر وأدّت بموجب الشروط التي تشتمل عليها إلى دخول العرب في الحرب ضد تركيا . وهذه الأوراق تحتوى على جميع المكاتبات المختصة بهذا الموضوع وهي في حيازة حكومة جلالة الملك أما الوثيقة التي قدمتموها لسموكم لرئيس الوزارة في الاجتماع الذي انعقد منذ بضعة أيام فهي فقط خلاصة الشروط التي طلبها الملك حسين في وقت سابق ولكنها لم تؤخذ بعين الاعتبار ولم تُقبل ، ولذلك لا دخل لها في المسألة الموضوعة على بساط البحث

وإنه لمن الواضح لسموكم من المكاتبات المرسلة طيه أن حكومة جلالة الملك بَيَّنَّتْ من الأول أنه في رأيها أن مقاطعات مرسين واسكندرونة وبعض أقسام سورية الواقعة إلى غرب مقاطعات دمشق وحمص وحماة وحلب لا يمكن أن يقال عنها إنها عربية خالصة وإنه ينبغي إخراجها من الحدود المقترحة والتخوم التي كانت الحكومة البريطانية مستعدة أن تعترف باستقلال العرب فيها ، ولها ملء الحرية أن تتصرف فيها بما لا ينافي مصالح حليقتها فرنسا — وهذه الفقرات واردة في كتاب السر هنرى مكماهون إلى جلالة الشريف بتاريخ ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٥ وقد أجاب جلالة الشريف حسين عن هذا الكتاب في ٥ نوفمبر بقوله : « إنه يتنازل عن الحاحه بإدخال ولايتي مرسين واطنة في المملكة العربية » ولكنه صرّح بأن :

« ولاية حلب وبيروت وسواحلها إنما هي ولايات عربية خالصة »

وردًا على هذا الكتاب قال نائب جلالة الملك بمصر في ١٤ ديسمبر ما يأتي :

« إنه يرحب بموافقة جلالة الشريف على استثناء ولاية مرسين وأطنه من حدود الأمصار العربية »

وزاد على ذلك ما يأتي :

« أما فيما يختص بولاية حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد نظرت بعين الاعتبار إلى ملاحظتكم . ولكن بما أن مصالح حليفتنا داخلية في هذه المسألة فيقتضى لذلك اعتبارات مهمة ومراسلات أخرى عن الموضوع تقدم لكم في حينها »
وأما الحاجة إلى مكاتبة جديدة فقد استغنى عنها لورود كتاب من جلالة الشريف حسين مؤرخ في أول يناير سنة ١٩١٦ يقول فيه :

« إنه بخصوص الأقسام الشمالية وسواحلها قد أوضحنا قبلاً في كتابنا السابق ما يمكننا القبول به من التغييرات ، وقد وجب ذلك لاتمام المطالب التي بلوغها منوط بمشيئته سبحانه وتعالى ، إن هذا الشعور ذاته وهذه الرغبة التي تبعثنا على تجنب كل ما يمكن أن يضر بالمعاهدة بين إنجلترا وفرنسا والاتفاق المعقود بينهما مدة الحرب ورزاياها ، على أننا نجد أنه من واجبنا أن نؤكد لحضرة الوزير أنه عند سnoch أول فرصة بعد انتهاء الحرب نطالبكم بما نغض النظر عنه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها »

وقد شرح جلالته ذلك الرأي بقوله فيما بعد :

« من المؤكد أن الأهلين في بيروت لن يقبلوا هذه الاستثناءات وربما أجبرونا أن نتخذ أموراً جديدة قد تعود على بريطانيا العظمى » بما لا يقل عن مشاكلنا الحاضرة ، لأننا نعتقد ونؤكد أن مصالحنا متبادلة ، وهذا الأمر هو الذي جعلنا أن لانخاطب دولة غيركم ، ولذلك يستحيل علينا أن نسمح بأي تحوير يخول فرنسا أي نفوذ أو أي شبر واحد من الأرض في تلك البقاع »

وفي ٢٥ يناير أجاب نائب الملك بمصر بما يأتي :

« أما عن الأقسام الشمالية فقد لاحظنا بمزيد الرضى أنكم ترغبون أن تتجنبوا كل ما يضر بالمعاهدة بين بريطانيا العظمى وفرنسا ، لأن ذلك كما تعلمون عززنا الأكيد ، وأنه لا يمكن أن يطرأ أى شخص يخفف ولو في الأقل الدرجات تضامننا على مداومة الحرب إلى نتيجة النصر . وعلاوة على ذلك فالصداقة بين بريطانيا العظمى وفرنسا متى تقرر النصر تزيد رسوخا وثباتاً لأنها تكون موثقة بدماء الانجليز والفرنسيين الذين ماتوا جنباً لجنب ذائدين عن العدل والحرية »
تلك كانت آخر المكاتبات التي دارت عن هذا الموضوع قبل المهاجمة المشتركة التي انتهت في نوفمبر سنة ١٩١٨ باندحار الجيوش التركية التام

ويتضح من هذه المراسلات أمران :

الأول : « أن الحكومة البريطانية مرتبطة بمواثيقها مع الملك حسين أن تعترف بتأسيس مملكة عربية مستقلة تشمل حدودها على المدن الأربع ، وهي الشام وحماة وحمص وحلب »

الثاني : « أن الحكومة البريطانية قد أوضحت بلا إبهام لجلالة والدكم قبل دخول العرب في الحرب أنهم يعتبرون أن لفرنسا حقوقاً خاصة في البقاع الواقعة إلى غرب هذه المدن الأربع »

وحكومة جلالته تحب أن تزيد على هذا أنه في سنة ١٩١٦ حينما اقتضت المصلحة الحريية العمومية أن يبرم اتفاق مع فرنسا وروسيا على احتلال الولايات التركية عند سقوط تركيا ألحت حكومة جلالة الملك على الاحتفاظ باستقلال العرب في الولايات التي وعدت أن تحتفظ بها في مراسلاتها مع الملك حسين ولم تبلغ هذا الاتفاق للملك حسين لأنه كان مطابقاً للعهود التي دخلت معه بموجبها من قبل وقد كان موقف حكومة جلالة الملك في كل هذه الخبرات واضحاً دائماً وغير

متبدل ، وقد دخلت مع حليفها الفرنسيين والعرب بموجب شروط لا تتفاير بل كل واحد منها متمم للآخر . وحكومة جلالاته تعلق اهتماماً عظيماً على صداقة حليفها واشتراكهما في العمل ، وتنوى أن تقوم بتعهداتها لكل واحد منهما

وأما الآن فأقول شيئاً عن سؤال سموكم عن السبب الموجب لنهاية الاحتلال العسكري البريطاني لسورية عوضاً عن تأجيله حتى يتقرر الصلح مع تركيا وحلفائها إن حكومة جلالة الملك يسرّها أن تعترف اعترافاً تاماً بالمساعدة التي لم يكن غنى عنها والتي بذلها الملك حسين وشخصكم الكريم والجيش العربي الباسل تحت قيادتكم تأييداً لقضية الحلفاء ، فان حماسة ونشاط جيوش سموكم كانت عضداً مهماً في الحرب التي انتهت بقهر الاستبداد التركي . ولكن حكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تنسى أن الحصّة الكبرى في قهر تركيا قد كانت من نصيب المملكة البريطانية ، فانها منذ البداية إلى النهاية قد أرسلت إلى ميدان الحرب الشرق ما ينيف على مليون وأربعمائة ألف جندي ، وأنفقت سبعمائة وخمسين مليوناً من الجنيهات . وقد كانت هذه الأثقال علاوة على الضحايا الكبرى التي اضطرت إليها في أوروبا لحطم قوة الألمان التي كانت تدعم الامبراطورية العثمانية . فشعوب الامبراطورية البريطانية قد خسرت أكثر من تسعمائة وخمسين ألف نسمة في ذلك السبيل ، وجرّت على نفسها ديناً فادحاً يبلغ تسعة آلاف مليون جنيه لتأييد حرية أمم أوروبا والشعوب التي كانت من قبل تئن تحت النير التركي . وقد تمكنت شعوب الامبراطورية البريطانية بهذه النفقات من مساعدة الشعوب العربية والأمم الأوربية المستبد بها وحطمت نير المستبد ، لتسير في الطريق المؤدية إلى النجاح والاستقلال والنفوذ في العالم ؛ وعلاوة على هذا الجهد أثناء الحرب فالامبراطورية البريطانية قد تركت حاميات في الولايات المحتلة مدة سنة منذ إمضاء الهدنة واحتملت الأثقال العظيمة والمتعبة لتأييد النظام والسلام في البلاد التي تحررت من

الحكم الأجنبي ، راجية أن مؤتمر الصلح يأتي بحلٍ مرضٍ عاجلاً لجميع المشاكل الصعبة المتعلقة بمستقبل الشرق الأوسط ، ولكنه ليس من الإنصاف أن يسأل « المكلف » الانجليزى بأن يتحمل أكثر مما تحمل من أثقال احتلال الولايات التى لا تنوى الامبراطورية أن تقبل فيها مسئولية دائمة . وقد جاهرت حكومة جلالتة فى مارس الأخير لمؤتمر السلام ولذاتكم أيضاً أنها لا تقبل انتداباً فى سورية فى أية حالة كانت . والآن بناء على تأجيل الولايات المتحدة الأمريكية قرارها باستعدادها لقبول أو رفض المشاركة فى تأييد خير ونجاح شعوب الشرق الأوسط فلا أمل فى تقرير سلم نهائى مع تركيا قبل مضى بعض الوقت من السنة المقبلة وعلى هذه الحالة قد قررت حكومة جلالة الملك أنه يستحيل عليها إبقاء جيوشها بعد فى سورية وأعلنت المؤتمر بذلك وهى تنوى سحبهم فى أول نوفمبر القادم وقد ذكرتكم سموكم فى مذكرة أخرى مؤرخة فى ٢٣ سبتمبر مسألة الشروط التى عليها أخلت القوات العربية مدن الساحل حين تقدم الجيش ، لحكومة جلالتة لا تريد أن تفكر بأن سموكم تعتبرون امتثال أوامر القائد العام الذى كنتم تحت أمره (وهى أوامر كانت عنده قوة كافية لإنفاذها) نتيجة مقابلة . أما ان سموكم قد اعتقدتم أن الاحتلال البريطانى سيدوم إلى إمضاء السلام فأمر أفهمه جيداً ، لأن ذلك كان أيضاً فى رأى حكومة جلالتة فى ذلك الوقت ، وقد أطالت أجل الاحتلال البريطانى أكثر مما كانت تظن هى أو غيرها فى الأرجح ، لكن بالنظر إلى العبء الفادح الواقع عليها فمن حقها أن تلجأ أن احتلالها ينبغى أن ينتهى ، وهى عند ما أنبأت مؤتمر السلام بما سبق ذكره عن عزمها على سحب جيوشها حالاً عرضت حكومة جلالتة مشروع الاحتلال المؤقت للبقاع التى كانت سابقاً تركية كما هو منشور فى المذكرة ، وهى لا ترى أن هنالك اقتراحاً يمكن العمل به فى خلال هذه المدّة . ولا يوجد رجل ثقة يعتقد بقدرة الشعب السورى على القيام

بشئون نفسه في الوقت الحاضر ، فتجربة هذا الحل الذي تشيرون به يكون مضرًا
لترقي الشعب السوري سريعاً — وبجلاء الحرية — وبالنتيجة لاستقلال الشعوب
السورية والعربية ، وعلاوة على ذلك فإنه ينبغي ريثما يتقرر الصلح مع تركيا أن تحتل
قوة أوربية من الدرجة الأولى البقاع الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الأناضول ،
وبعرضها هذا الاقتراح كما هو مفصل في المذكرة قد نظرت حكومة جلالة الملك
إلى التعهدات التي تحملتها نحو حلفائها العرب والافرنسيس وهي تعهدات كما سبق
إيضاحه قد يُبنت للملك حسين قبل دخوله في الحرب ، وهي لم تستطع إلا بعد
صعوبة أن توطد لسموكم تأسيس مملكة عربية مستقلة في ذلك القسم من سورية
المشتمل على دمشق وحماة وحمص وحلب كما سبق الوعد للعرب مع الملك حسين
أما فيما يتعلق باحتلال فرنسا لبقية سورية فهي تسأل سموكم أن تذكروا أن
العرب مديونون بنيل حريتهم بدرجة عظمى للضحايا العظمى التي تكبدتها الأمة
الفرنساوية في هذه الحرب ، وتحقيق أن المساعدة الفرنسية في سورية عنيها
لم تكن عظيمة لاشتغال فرنسا في العراق في جهات أخرى غيرها ، ولكنها في
ميادين الحرب الحيوية في أوربا قد خسرت مليون وأربعمائة ألف جندي ، وتكبدت
دينًا لا يقل عن الدين الذي تكبدته بريطانيا العظمى لسحق القوة التي أيدت
الاستبداد التركي والتي لولا معوتها لم تستطع القوة الحربية التركية أن تدوم أكثر
من بضعة أسابيع ، ولذلك فحكومة جلالة الملك تؤمل من سموكم أن ترضوا
بالاقتراحات التي بَيَّنَّتها في مذكرتها عن احتلال سورية ريثما يتم الصلح مع تركيا ،
وأما الاعتبارات التي تذكرونها عن مستقبل الشعب السوري والعربي ستطلب بإلحاح
من مؤتمر السلام الذي أنتم أحد أعضائه الموقرين والذي يكون له القوة التامة للبت
في المسألة العربية كلها والذي لا يقتصر في أعماله على رأى سموكم ورأى الشعب
العربي فقط ؛ بل يتناول سائر التعهدات والمجاهرات الصادرة من الدول العظمى

وإن حكومة جلالة الملك لا تشك أبداً في أن أحسن الطرق للشعب العربي هو أن يقبل التدبير المؤقت المقترح ، وأن يدخل في تدابير حبية عملية لأجل انفاذها مع حليفتيه بريطانيا العظمى وفرنسا ، وهي كما أشارت سابقاً تلح الآن بأن سموكم تبحثون حالا في هذه التدابير مع الحكومة الفرنسية ، وحكومة جلالته تعمل ما في وسعها بكل سرور لتسهيل اتفاق مرض حي بين حليفها فيما يتعلق بالاحتلال سحابة هذه المدة

وتعتبر الحكومة البريطانية أنها مقصرة بواجبها نحو حلفائها العرب إذا لم توضح بحرص وبكل مودة أنها لا تقدر أن تتصور شيئاً أشد مثلاً لآمال العرب ونجاحهم في مؤتمر السلم وبعده من طريقة المقاومة العسكرية الملمح إليها في كتاب سموكم ، وهي بصفتها صديقة العرب الخاصة والمريدة لهم كل خير تدعوهم إلى قبول التدبير المقترح

وعلاوة على ذلك أرجو أن يكون هذا الكتاب معيناً على نجاح محادثاتنا في المستقبل مع سموكم ، والتي أتطلع إليها بكل سرور ، وإني أثق أنه يكون وسيلة لتمهيد العلاقات بين هذه البلاد وحليفها الفرنسيين والعرب

وإني أتمنى من سموكم أن تثقوا بأن للحكومة البريطانية العاطفة والاعجاب بالشعب العربي اللذين حملاها على تأييد جلالة الملك حسين في ثورته ضد الترك ، واللذين يمثلان طرق العلاقة مع سموكم في الحرب العظيمة الظافرة التي اشتركتكم سموكم في الجهاد فيها زمناً طويلاً

ولي الشرف أن أكون خادم سموكم الخاضع المطيع

اللورد كرزون أوغ مدلتون
وكيل خارجية حكومة جلالة الملك

مذكرة

إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام في فرساي

استدعاني فخامة رئيس الوزارة البريطانية من دمشق في خلال شهر سبتمبر لمفاوضة الدول العظمى في المسألة السورية وسلمني فخامته في لوندرة مذكرة تحتوي على تغييرات معينة في الادارة الحالية في سورية ، وقال إن نسخاً منها سلمت لمندوبي فرنسا وأمريكا وإيطاليا ، وقد فهمت من المكاتبات والمعاملات التي تبعت ذلك أن المذكرة المشار إليها لم تكن مبنية على اتفاق بين بريطانيا العظمى وأية دولة أخرى ، وإنما هي بيان لقرار اتخذته بريطانيا العظمى لأسباب اقتصادية فيما يتعلق بانسحاب جيوشها من بعض الولايات العربية ، ويقال إن المسألة كلها اتفاق عسكري مؤقت وليس له صفة إدارية أو سياسية ، وإنما اتخذ لحفظ النظام إلى القرار النهائي الذي سيصدره مؤتمر السلم عن حكومة البلاد المستقبلية

فأنعمت النظر في هذه المكاتبات ، ولما كنت أراقب عن كثب الحالة العامة في البلاد العربية منذ عقدت الهدنة مع الترك (ولا يخفى على حضرتكم أني في موقف يؤهلني للحكم بأحوال بلادى) فقد وصلت إلى النتيجة الآتية :

إن تنفيذ هذا المشروع مخالف لحقوق الأمم ، ومجحف بحقوق شعبي وبلادى ، ومخل بالأمن العام في الشرق كله ، وإني واثق أن الدول العظمى ذات المصالح في الشرق يصيبها من الضرر بقدر ما لها من المصالح هناك ، وأن الدولتين لا يمكن أن تكونا عاملتين بالمشاكل التي قد تقع من تغيير الحالة الحاضرة المؤسسة منذ الاحتلال لأن هذا الاتفاق يغير الادارة المؤقتة منذ الاحتلال بلا اتخاذ تدبير مؤقت يقوم مقامه لما أخبرتنى الحكومة البريطانية عن هذا المشروع الذي يسمونه (مشروعاً مقترحاً) مبنياً على معاهدة سايكس — بيكو سنة ١٩١٦ احتججت ودونت

الأسباب التي دعتني إلى ذلك . فلما تحققت الحكومة البريطانية حرج الموقف قبلت اقتراحي بتعيين لجنة أمريكية و بريطانية وفرنسوية وعربية للنظر في المسائل المتعلقة في الجلاء الآتي ، ولتأسيس إدارة واحدة مؤقتة تقوم مقام الادارة الحاضرة فلما عرض هذا الاقتراح على الحكومة الفرنسية أخبرني اللورد كرزون وزير خارجية بريطانيا العظمى أن المسيو كلينصو لم يستحسن هذا الاقتراح ، وأعرب عن رغبته في أن يراني في باريس ، وعلاوة على ذلك فإن الحكومة الفرنسية رفضت الموافقة كما هي أخبرتنى بنفسها على اقتراح بريطانيا إلا فيما يختص بجلاء الجيوش البريطانية في أول نوفمبر ، فالحكومتان نظرتا فقط إلى ما يختص بمصالحهما في المسألة ولم تقدرا التقدير اللازم لما يكون لذلك من التأثير في الشعب السوري ، ولما كانت على مسؤولية سلامة ونجاح بلادى فقد أخبرت الحكومة الفرنسية كذلك عن الأسباب التي تمنعني عن الموافقة على هذا الاتفاق ، وأعدت عليها الاقتراح بتأليف اللجنة المختلطة ، ف رئيس الوزارة الفرنسية في رده على رفض قبول أى اقتراح من اقتراحاتي اعتقاداً منه أن المجلس الأعلى قد اتخذ قراراً في هذا الأمر ، وقال إن الجنود الفرنسية مستعدة لحفظ النظام في منطقتها ومساعدتي على ذلك في منطقتي حالما أطلب ذلك منها ، وأظن أن المسيو كلينصو يعتقد أن الحركة التي نخشاها يكون سببها المحرضون ، وليس انفجار ذاتي لشعور وطني . وإني في ريب من أن المجلس الأعلى والرأى العام في العالم المتمدن أجمع يوافق على اتخاذ الوسائل لاختاد الحركات الوطنية المشروعة مما لا يكون من نتائجه إلا سفك الدماء ، وقد فهمت أن المجلس الأعلى لم يتخذ أى قرار في هذا الأمر ، والذي أعلمه أن غاية ما فعله أنه دون هذا الاتفاق في ١٥ سبتمبر . ويظهر أن المجلس الأعلى فهم أن هذا المشروع المقترح لم تكن الغاية منه سوى استبدال الجيوش ، وأنه لم يشمل أى تغيير سياسى أو إدارى في بلاد العدو المحتلة

التي تدار شئونها الآن باسم الحلفاء ، فمن الواضح إذن أن المشروع المقترح لم يوافق عليه أولو الأمر المناط بهم ذلك ، ويجب أن يعاد النظر والمناقشة فيه في المجلس الأعلى ، وإني أعرض فيما يأتي الأسباب الجوهرية التي قد تدفع الشعب إلى اليأس من مستقبله ، والتي أبني اعتراضى عليها على الاقتراح :

(١) يصعب على أن أفهم أن المشروع عسكرى محض ، ويظهر لى أنه يحتوى على أمور اقتصادية وسياسية لا يمكن البت فيها إلا في مؤتمر السلم ، فإن مجرد نزع السلطة العليا في الإدارة من يد واحدة ، وقسمة البلاد إلى ثلاث مناطق مختلفة مرجع كل منها حكومة دون غيرها ، وكل منها تعمل على نظام مختلف لهو بلا ريب تغيير ذو شأن لا يمكن أن يقال إنه إجراء عسكرى ، فإن بعض المسائل كالاتفاق على السكك الحديدية ومناطق النفوذ وغير ذلك لا تدخل في جملة الوسائل المتخذة لحفظ النظام حتى يصدر القرار النهائي في المسألة السورية من قبل مؤتمر السلم

(٢) إنه بموجب التدبير المقترح تقسم الولايات العربية إلى ثلاث مقاطعات : واحدة منها تحت الإدارة البريطانية ، والثانية تحت الإدارة الفرنسية ، والثالثة تحت الحكومة العربية ، ومعنى ذلك أن الأمة السورية التي قد ظالما تآقت إلى وحدة الإدارة قد تقطعت أوصالها وجعل لكل جزء منها حكومة خاصة ؛ فالضرر الناشئ عن ذلك هو ضربة قاضية على البلاد ؛ فإن المنازعات بين سكان المقاطعات المختلفة التي قد تكون تحت رحمة ، أو جهل الموظفين الذين قد ينشطوا منها ، أو تزداد المراحة بين الحكام المختلفين ؛ فيقف ذلك في سبيل الفوائد التي تنجم عن وضع البلاد تحت إدارة واحدة

ثم إن الجزء الذي ترك للحكومة العربية يقال إنه ولاية عربية مستقلة ، ومع ذلك فقد وضع تحت نفوذين مختلفين ، أحدهما بريطاني والآخر فرنسى ، وكل

مساعدة لأحد هذين الجزأين يجب أن تطلب من الدولة التي لها النفوذ هناك .
فهل سمع في تاريخ العالم أن أمة من الأمم أمكنها الرقي في أحوال معاكسة كهذه ؟
ولا شبهة أن هذا التدبير يثبط عزائم الأمة ، ويكون مدعاة لحقها فتزول ثقها
بالحلفاء ، وتبذل جهدها في الدفاع عن وحدة البلاد . نعم إن الأمة ضعيفة ويتعذر
عليها المقاومة الطويلة ، لكنها لا تحجم عن الموت في سبيل مطالبها العادلة ؛ فمن
يكون مسؤولاً أمام العالم المتعدين عن مسؤولية كهذه ، ولا يستطيع أحد أن يوقع
الأمة أنها على ضلال فيما قد وضعته نصب أعينها . وكل من اختبر الشعور الغالب
على الأمة لا بد من أن يعتقد بأن الأمن العام ممكن توطيده بدون إراقة الدماء

(٣) قد اقترح سحب الجيوش البريطانية على أساس لا يعترف به العرب
ولا حكومة الولايات المتحدة التي أعلنت عند دخولها الحرب أنها لا تعترف بأى
اتفاق سرى ، وأنا أشير بهذا إلى اتفاق سايكس — بيكو المبرم سنة ١٩١٦ م
الذي تصرف بالبلاد كأنها ضيعة من الضيع أو سلعة من السلع في زمن كان فيه
فتيانها يهرعون من سورية إلى الصحراء لبذل نفوسهم في سبيل استقلالها ، فإن
كل عمل يكون أساسه غير معترف به في مؤتمر السلم لا يمكن تنفيذه بلا مناقشة
خاصة في ذلك المؤتمر

(٤) لما احتل الحلفاء سورية أمرنى القائد العام أن أستدعى عمالى من
السواحل ، وصرح للشعب السورى أنه يريد احتلال البلاد وتأسيس حكومة
موحدة فيها باسم الحلفاء ، وأن تبقى إدارته المشكلة على هذا النمط معمولاً بها إلى
أن يحين الزمن الذى يمضى فيه مؤتمر السلم قراره النهائى ، وقد اعتبر السوريون
هذا التصريح عهداً من الحلفاء ، وإن بلادهم تكون أمانة في ذمة القائد نيابة عن
الحلفاء ، وإن ذلك يكون أساساً لحكومة واحدة ، وعد على القيام بها كما ذكر
آنفاً ، وإنى أعتقد أنه لا يمكن تغيير القواعد الأساسية في هذا التدبير قبل حلول

الأجل أو قبل إنشاء إدارة أخرى مبنية على المبادئ عينها . أما بريطانيا العظمى فإنها تعترف بهذا العهد ، ولكنها تقول إنها لم تكن تحسب حساباً لطول الزمن إلى أن يمضى مؤتمر السلم قراره ، فهل هذا التأخير واقع ذنبه على الأمة العربية السورية ، أو هل ظهر منا أقل إخلال بولائنا نستحق هذا العقاب ، فقد كنا دائماً على تمام الولاء للحلفاء من اليوم الذى ثرنا فيه على الترك ، وأقل ما نرجوه هو القيام بوعد القائد العام

(٥) إن ثورة العواطف الشاملة الآن الولايات العربية وجميع الولايات الإسلامية فى تركية الأسيوية التى أعظم أسبابها المداخلة الأجنبية بلا تروى لم تعد خافية على أحد ، وكل من له أقل إلمام بما هو جار فى المقاطعة السورية هو فى أشد الاقتناع أنه لا بد من وقوع المشاكل وفى أماكن متعددة إذا تغيرت الحالة الراهنة فى الإدارة الحاضرة

فانى لذلك أتوسل إليكم باسم الإنسانية وحفظاً للسلام وباسم الأمة العربية وباسم المصالح المتعددة التى لفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وأمريكا فى الشرق أن لا تفتح أبواب جديدة لمشاكل أخرى التى قد ترى أوائلها ولا يعلم أواخرها إلا الله ، وإن حوادث أزمير وغيرها لا تزال حديثة العهد ، وأنا أخشى أن يمتد الشر إلى جميع العالم الإسلامى ظناً من الناس أن هنالك غاية معلومة للنكاية بالإسلام ، ولعلكم تفكرون أن قيام العرب بزعامة والذى الملك كانت الضربة الأولى على سياسة التعصب الذميمة ، فالعرب حاربوا الترك المسلمين لأنهم كانوا ظالمين ، وانضموا إلى صفوف الحلفاء لاعتقادهم أنهم يحاربون دفاعاً عن الحق والعدل بلا نظر إلى الأديان ، وطالما حاربت التعصب فى كل زمان ومكان مدة الحرب ، فاجتمع العرب حولى بكل صوب ودين وكان اتحادنا وطنياً لا دينياً ، وعدد كبير من العاملين معى الآن فى سبيل الوطن ليسوا من دينى ، هذا كاف ليرهن لكم

مقدار أسنى إذا انحطت هذه الفكرة الوطنية وتحولت إلى نزاع دينى بسبب سوء التفاهم والتدبير فينبغى إذن أن توافقتونى على قولى : إن من مصلحة الجميع حفظ السكينة التامة فى الزمن القصير الباقى قبل القرار النهائى فى المؤتمر لإثارة الفتنة لسبب غير معقول ، وأرى أنه يجب أن تعلم الدول العظمى خطورة الموقف ليتخذ الحلفاء أصحاب المصالح وإخواننا فى الحرب التدبير اللازم للنظر فى مصلحة كل حكومة على مقتضى مبادئ العدل التى اشتركنا فى الدفاع عنها ، وأصر على طلبى أن أعرض بنفسى بياناً وافياً عن قضيتى التى تهتم ببلادى أكثر من سواها ، لأن نتائج كل عمل يقام به ، تقع على وعلى بلادى سواء كان ذلك شراً أو خيراً

التوقيع : (فيصل)

قرار

أشغال كلييكيا وسورية العسكرية

لقد قبل موسيو كلنصو باسم الحكومة الفرنسية اقتراحات موسيو لويدي جورج بجلاء الجيش البريطانى عن سورية وكلييكيا واستبدال هذه القوى بجنود فرنسية فى كلييكيا ، وفى غرب خط سايكس بيكوفى سورية . ومن المفهوم الصريح أن الحكومة الفرنسية بقبولها هذه الاقتراحات لم تتعهد بقبول أى قسم آخر من الاتفاقات المقترحة فى مذكرة لويدي جورج المؤرخة فى ١٣ ايلول سنة ١٩١٩ والمتعلقة باحتلال سورية وفلسطين والعراق حينما يصدر القرار بقضية الانتداب

فالمؤتمر دون هذا الاتفاق المنوه عنه بصفة اتفاق مؤقت لا غير لتسوية الاحتلال العسكرى فقط ، وهو لا يؤثر على حل قضايا الانتداب والحدود التى يجب رؤيتها بصفقتها جزء من قضية الصلح العامة مع تركيا

صورة البرقية المرسلة إلى جلالة الملك في مكة

٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩

الحكومة الفرنسية رفضت اقتراحي باسم جلالتيكم بشأن سورية مع أن انجلترا قبلته ، وهي مصرة على اشغال أقسام مهمة من مقاطعات دمشق وحلب تمسكا بمذكرة لويد جورج التي قدمها للمؤتمر في ايلول وأخبرت جلالتيكم عنها ، ولما كان هذا مخلا بالحقوق والعهود بين بريطانيا وجلالتيكم عزمتم على تبليغ الدول بأن جيشكم في سورية سيقاوم كل تجاوز يخل بحدود المناطق الحاضرة ، وإني حررت لحكومة بريطانيا اليوم أوكد لها عظم ثقتنا باخلاصها ، وأذكرها بعهودها لجلالتيكم في ٢٤ أكتوبر . أننا لا نريد إلا أن نكون على وفاق تام مع حليفتنا الأولى بريطانيا التي هي سند نجاحنا ومع سائر الحلفاء ، وفرنسا أيضاً إذا رضيت باقتراحي الأخير الذي لا حياة بدونه الآن وهو ابقاء الحدود الحاضرة كما هي ، وتأليف لجنة تحفظ وحدة الادارة بين المناطق الثلاث حتى قرار المؤتمر النهائي ؟

الموضوع : احتجاج على احتلال البقاع

من : سمو الأمير فيصل المعظم

إلى : رئيس وزارة فرنسا المسيو كليمنصو

التاريخ : ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٩

(النص)

فخامة الوزير :

أخبرني المسيو غورو اليوم شفهيّاً الساعة الثالثة بعد الظهر أنه على أثر حادثة ضابط الارتباط الفرنسي ، وجرح جاويشه بتاريخ ١٤ ديسمبر مشّت الجنود

الافرنسية فى اليوم الثانى للحادثة نحو بعلبك بحجة تأمين النظام والأمن ، ولعمري إن هذا القرار الذى اتخذه الجنرال غورو دون أن يدع لحكومة دمشق فرصة لاتخاذ التدابير اللازمة بهذا الشأن مما يخالف الاتفاق المعقود بيننا ، والذى ينطبق صراحة بأن القوة الموجودة فى تلك الجهات إذا كانت غير كافية يؤتى بالمدد من دمشق تأميناً للنظام وإعادة الأمن الذى تسأل عنه الحكومة العربية دون سواها .
إنى واثق بأن الحكومة الافرنسية لا يمكنها أن ترضى عن مثل هذا العمل الذى يناقض علناً نص اتفاقها ، وإنى لا أشك أبداً أن الحكومة الافرنسية لابد أن تعمل بما يوحى إليها شرف تعهدها ، وأن تصدر الأوامر اللازمة للجنرال غورو لیسحب هذه الجنود من الأماكن المحتلة خلافاً لاتفاقنا السابق ، وحباً بالمحافظة على مواده ، ومع أنى أرجو أن تطمنونى عن هذا الأمر ، فلى الشرف أن أقدم لفخامتكم فائق تحياتى ما

المخلص

فیصل

صورة كتاب

من الميسو برتلو إلى سمو الأمير فيصل

باريس — بلا تاريخ

أخذ يوم الجمعة ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩

مولاي

أريد أولاً أن أبين لكم السرور الذي خامر رئيس مجلس الوزارة عند ما أخذ علماً بالاتفاق الذي أوصلتنا روح التآلف المتبادل بشأن اللجنة العسكرية التي ينبغي أن تفصل في الاختلافات التي قد تحدث بين مناطق الاحتلال المختلفة وبشأن الموقف المؤقت في البقاع

أما من حيث هذه النقطة الأخيرة فإني أعتبر أن الصراحة التامة التي ينبغي أن تكون رائد محادثاتنا تقتضي أن يكون معلوماً فيما بيننا أنه مقابلة لرغبة شخصية أظهرتموها ، واحتراماً لعواطفكم الودية الخالصة التي أبديتها ، تنازلت الحكومة الفرنسية مؤقتاً عن حقها الذي صادق عليه المؤتمر بخصوص احتلال أراضي البقاع بجنود فرنسية

وإذا لم يؤكد هذا الاتفاق المؤقت الذي وصلنا إليه باتفاق مرض وقاطع إلى ثلاثة أشهر فليكن معلوماً أن الفريقين يستأنفان حرية العمل ، ومع هذا فإني لا أشك في أن روح الائتلاف التي يشعر بها الفريقان لا تسمح لهذا الاتفاق القاطع إلا أن يبرم لخير منافع الجميع قبل انتهاء هذه المدة

وأرجو أن تعتقدوا يا مولاي بشعائر الاحترام العالي والعاطفة الحبية التي أدين

بها لسموكم الملكي

برتلو

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى المسيو برتلو مدير الأمور السياسية العام
في نظارة الخارجية الفرنسية — باريس ٢٦ نوفمبر سنة ٩١٩

عزيزى حضرة المدير

أتشرف بإبلاغكم طيه نص البرقية التى أرغب إرسالها إلى الأمير زيد وفقاً
لمنطوق اتفاقنا

وإنى أشكركم على المساعى التى بذلتموها فى سبيل الوصول إلى ائتلاف صميم
بين فرنسا وسوريا ، وفى هذا الصدد لا يسعنى إلا أن أرجوكم بأن تفضلوا
وتخبروا حضرة رئيس مجلس الوزارة باعترافى بحميلة لقبوله اقتراحاتى بخصوص
قضية الاستبدال

وإنك يا عزيزى المدير لا تشك بأننى سعيد لتمكنى بفضل معاونتكم الناجعة
من الوصول لهذا الائتلاف الأول الذى أؤمل أن يتبعه فى القريب العاجل ائتلاف
أعم ونفع أعظم لخير الجميع ؛ وإنى لم أزل منذ وصولى إلى باريس أصر كما هو
معلوم لديكم على هذه النقطة ، وهى أن قصدى كان الوصول إلى عقد ائتلاف مع
الحكومة الفرنسية التى مع قبولى ما يضمن للشعب السورى سيادته الوطنية
ستمنح للبلاد بطلب منى معونتها المالية ومستشارين بقصد التعاون الودى مع
الحكومة الوطنية المؤسسة من قبل الأهلين

وتقبل يا حضرة الرئيس بيان احترامى العالى ما

فيصل

صورة البرقية

المرسلة بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٩

إلى سمو الأمير زيد في دمشق

أخبركم بكل ارتياح وسرور أن الحكومة الفرنسية قبلت بتأليف اللجنة التي طلبتها والتي ستكون مؤلفة من فرنسي وإنجليزي وعربي لأجل تسوية المشاكل التي قد تحدث بين المناطق ، وابتغاء لتطمين أهالي سورية بأن الاتفاق الأخير هو عسكري محض ومؤقت ، فالجنود الفرنسية لا تحتل البقاع ولا محلا آخر من منطقتنا الحاضرة ، والجنود العربية سوف تنسحب من البقاع دليلا على ثقتنا المتبادلة ، ويبقى الدرك العربي هناك مكافأً بحفظ النظام والأمن تحت أوامر القائمقام ، وعند اللزوم يوثى بمفرزات دركية من دمشق ، هذا إذا كانت القوى الموجودة غير كافية

وسيعهد إلى هيئة مؤلفة من ثلاثة ضباط فرنسيين وثلاثة عرب معاً أن تلاحظ بالاتفاق حسن تنفيذ وظائف الشرطة والدرك في تلك الجهة ، وترفع تقريرها إلى القائمقام

المفاوضات جارية مع الحكومة الفرنسية باخلاص وثقة متبادلة ، فليطمئن الأهليون وليهدأ بالهم ، وقد بلغت الحكومة الفرنسية هذا الاتفاق إلى الجنرال غورو

فيصل

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى المسيو برتلو مدير الأمور السياسية العام
في نظارة الخارجية الفرنسية

باريس ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩

حضرة المدير العام

تشرفت بإعرابي لكم في كتابي الأخير بتاريخ ٢٦ الجاري عن امتناني
وشكري على الاتفاق الذي مكثنا بفضل وساطتكم السعيدة من حل المشكلة التي
نجمت عن انسحاب الجيش البريطاني ، وقد بعثت إليكم بصورة البرقية المحتوية
على التعليمات التي أرسلتها لأخي زيد واقترنت بموافقتكم

وإني بهذه المناسبة أسمح لنفسي بتذكيركم بأن البرقيات التي أرسلت إلى
سورية لم يرد فيها مسألة سحب المفرزة المدفعية الفرنسية التي يجب أن تنسحب مع
الجيش البريطاني من دمشق في وقت واحد

وعلى كل أكون لكم شاكرًا إذا بلغتم الجنرال غورو معتمد الجمهورية العالي
كي يأمر بتنفيذ هذا الانسحاب

إن هذا كله هو في الحقيقة فال خير يؤملني بأن الائتلاف الذي ألحتم إليه في
برقيتكم المرسلة إلى الجنرال غورو ، وإن لم تتعرض له حتى الآن ، فإنه لا يلبث
أن ينجلي بفضل مذاكرات تؤدي بنا إلى اتفاق مبنى على منافعنا المشتركة

وتفضلوا يا حضرة المدير بقبول فائق احترامي ما

فيصل

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى المسيو برتلو

باريس في ٤ ديسمبر سنة ١٩١٩

حضرة المدير العام

لى الشرف أن أقدم لكم طى هذا الكتاب برقية لأخى الأمير زيد فأرجوكم
أن تتلطفوا بإرسالها إلى الشام وأن توصوا بإبلاغى جوابها سريعاً
وإنى مع الانتظار أكون لكم شاكرًا إذا تفضلتم بإعطائى ما لديكم من
المعلومات التى تهمنى بشأن الحالة الحاضرة فى سورية
وتفضلوا يا حضرة المدير العام بقبول فايق احترامى ما

فيصل

صورة البرقية

الأمير زيد — دمشق

إن خبر إبعاد الجنرال الهاشمى استوجب عظيم استغرابى . انتظر بكل سرعة
المعلومات المفصلة ما

فيصل

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى المسيو كلنصو

باريس في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٩

يا حضرة الرئيس :

لا أزال تحت حسن تأثير الاستقبال الجليل الذي تلطفتكم به على ، وإني أحسب من أعز واجباتي أن أشكركم على ذلك

وقد وافقت امتثالاً لرغبة حضرتكم على تأخير سفرى إلى أن يعود المسيو برتلو ، وذلك أملاً أن نحل في هذه البرهة مسألة حدود لبنان ، وإني كنت سعيداً جداً لتمكنى من أن أقدم في هذه المناسبة دليلاً جديداً على رغبتى القوية في الوصول إلى اتفاق حقيقى

ولا شك أن العطف والاهتمام اللذين أظهرتموهما لى بعثالى جسارة على أن أعرض بكل اخلاص على سعادتكم ما يخامرنى من القلق الذى لم تكن وضعية الجنرال غورو في البقاع إلا لتزيده شدة ، ورغماً عن محاذرتى في إضاعة وقتكم الثمين فانى لا أرى مندوحة عن أن أخلص ل حضرتكم الموقف الحاضر كما هو :

إنه من مقتضى الاتفاق الذى عقدناه في الخامس والعشرين من الشهر المنصرم أن « لا تحتل الجنود الفرنسية البقاع ، وأن تنسحب منه الجنود العربية ولا يبقى محلياً وخاصة في بعلبك وحاصبيا وراشيا إلا الدرك التابع لأوامر القائمقاميين ، وستؤلف بعثة تفتيشية من ثلاثة ضباط عرب وثلاثة ضباط فرنسيين يرسلون معاً إلى تلك النواحي كي يلاحظوا بالاتفاق حسن تنفيذ وظائف الدرك والشرطة المسؤولين عن الأمن ، وإذا وجد ضباط العرب والفرنسيون قوة الدرك الموجودة

هناك غير كافية فتعزز بقطعات دركية أخرى يؤتى بها من دمشق »

فهل التجاوز الذى وقع على الضابط الفرنسى وجاويشه يبرر الاخلال بهذا الاتفاق ويميز القرار الذى اتخذته الجنرال غورو ؟ خصوصاً أن السلطة المحلية هي المسئولة وحدها عن ارجاع الأمن ، وأن جلب القوى من دمشق عند الضرورة منصوص عنه فى الاتفاق !

لذلك فانى أرى من واجبى أن أصر على لزوم الاحتفاظ بهذا الاتفاق الذى هو أول اتفاق عقد بيننا ليكون له وقع حسن فى نفوس الأهلىن ، وليسهل لى القيام بمهمتى ، ويزيد فى الثقة المتبادلة بيننا ، اللازمة لتنمية مناسباتنا المستقبلية

وقبل أن ننظر فى فصل مسألة حدود لبنان التى نعمل الآن على حلها ، فان حضرتكم إذا أعطيتم أمراً بسحب الجنود من المحلات التى احتلتها خلافا لاتفاقنا تكونون قد أظهرتم دليلاً جديداً على اهتمامكم العالى بنجاح مذاكراتنا ، وخففتهم بذلك عنى عبئاً ثقيلاً

وأرجو بأن يجد طلبى هذا قبولا حسناً لدى سعادتكم ، فانى أرجوكم أن تتفضلوا بقبول فائق شعائر احترامى الخالصة

فيصل

مشروع المعاهدة الهاشمية — الانكليزية

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كان صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين الناهض بأقوامه العرب مؤسس الدولة العربية الهاشمية ومليكها حامى حمى بلد الله الأمين ومدينة جده سيد المرسلين ، وجلالة ملك البلاد المتحدة بريطانيا العظمى وارلندا والأملاك البريطانية فيما وراء البحار وامبراطور الهند بالاصالة عن نفسيهما وبالنيابة عن وراثتهما وخلفائهما مدفوعين بالرغبة الخالصة لتوطيد وتقوية عرى الصداقة والولاء المؤسسة بين بلادهما أثناء الحرب التى اقتحماها معاً على الدول الجرمانية وتركيا محمولين أيضاً برغبة تمكين مصالحهما وتأييد السلام الدائم والاتحاد بين الشعوب العربية

ولما كان صاحب الجلالة الهاشمية قد سعى وعين صاحب السمو الملكى الأمير زيد وحضرة صاحب الاقبال الشيخ فؤاد الخطيب وكيل خارجية جلالته الهاشمية مفوضين من قبل جلالته لعقد معاهدة مع صاحب الجلالة البريطانية للوصول إلى هذه الأغراض

ولما كان صاحب الجلالة البريطانية قد سعى وعين جناب الميجر و . ا . مرشال M. E. R. A. M. C. معتمد وقنصل جلالته بمجدة مفوضاً من قبل جلالته لعقد معاهدة للوصول إلى هذه الأغراض مع صاحب الجلالة الملك حسين قد اتفق صاحب السمو الملكى الأمير زيد والشيخ فؤاد الخطيب وجناب الميجر مارشال على المواد الآتية وتعاقدا عليها :

المادة الأولى — سيكون السلام والمودة دائماً بين صاحب الجلالة الهاشمية وصاحب الجلالة البريطانية وورثتهما وخلفائهما ، وقد اتفق كل من الفريقين العالين المتعاقدين على استعمال جميع الوسائل التى تبيحها قوانينه لمنع استخدام بلاده

كقاعدة لحركات موجهة ضد مصالح الآخر الحالية أو المستقبلية وقد وعدوا بذلك
المادة الثانية — تتعهد الحكومة البريطانية العالية بأن تستعمل نفوذها في
المساعدة على تسوية أى خلاف على الحدود يحدث بين صاحب الجلالة الملك حسين
وأحد جيرانه الذين بينهم وبين صاحب الجلالة البريطانية صلات معاهدة ، وسيكون
صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين حراً في كل الأوقات أن يطلب وساطة صاحب
الجلالة البريطانية في حالة حدوث مثل هذا الخلاف

المادة الثالثة — تتعهد الحكومة البريطانية العالية بأن تمتنع بجميع الوسائل
السلمية المتيسرة لديها — وخصوصاً بإيقاف الإعلانات من أى نوع كان — كل
تعد على بلاد صاحب الجلالة الهاشمية من المقاطعات المجاورة التي بينها وبين صاحب
الجلالة البريطانية صلات معاهدة

المادة الرابعة — قد بلغت لجلالة الملك حسين المعاهدات المعمول بها الآن
بين الحكومة البريطانية العالية والسيد عبد محمد بن علي الإدريسي ، وكذا بين
الحكومة البريطانية العالية ، والسيد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود
يعترف بهذا جلالة الملك حسين بالمعاهدات المذكورة الموجودة الآن بين
الحكومة البريطانية العالية ، والسيد محمد بن علي الإدريسي ، وكذا بين الحكومة
البريطانية العالية ، والسيد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود ، ويتعهد
جلالته بأن يمتنع عن الإتيان بأى عمل يعرقل أو يمكن أن يعرقل تنفيذ هذه
المعاهدات الكلى بواسطة الطرفين المتعاقدين

المادة الخامسة — يتعهد جلالة الملك حسين بأن يحافظ بكل ما في وسعه
وقوته على السلام والصلات الودية مع جيران جلالته الذين بينهم وبين صاحب
الجلالة البريطانية صلات معاهدة ، وأن يمتنع عن التعدي بدون موجب فعلاً
أو شكلاً على هذه البلدان المجاورة ، وأن يعارض ويمنع بقدر استطاعته أى

مؤامرة أو دسيسة داخل بلاد جلالته الهاشمية تكون موجهة ضد هذه البلدان أو ضد مصالح حكامها

في المسائل الهامة التي تحدث بين حكومة صاحب الجلالة الهاشمية والمقاطعات المجاورة يكون لصاحب الجلالة الملك حسين الخيار في طلب وساطة صاحب الجلالة البريطانية كما ذكر في المادة الثانية

المادة السادسة — اتفق وتواعد كل من الفريقين المتعاقدين العالين على قبول معتمد الآخر والاعتراف به ، فيجوز لجلالة الملك حسين أن يعين معتمداً للحكومة العربية الهاشمية في لندن ، ولصاحب الجلالة البريطانية أن يعين معتمداً بريطانياً يقيم في جدة أو أى مدينة أخرى على ساحل بلاد صاحب الجلالة الهاشمية ولا يعين صاحب الجلالة البريطانية معتمداً بريطانياً بمكة المكرمة والمدينة المنورة احتراماً لصفتهما الماثورة

وكذا سيكون لجلالة الملك حسين إذا أراد ذلك أن يعين وكيلًا قنصلياً في إنجلترا والقطر المصري والهند ، ولصاحب الجلالة البريطانية أن يعين وكيلًا قنصلياً في جدة وفي موانئ أخرى لصاحب الجلالة الهاشمية التي تراها الحكومة البريطانية من آن لآخر مناسبة ، وسيتمتع هؤلاء المعتمدون والوكلاء القنصليون بالامتيازات السياسية والقنصلية المعتادة

المادة السابعة — يعترف بهذا جلالة الملك حسين بالاحتياجات المؤقتة للكورتينا التي اتخذتها الحكومة البريطانية العالية في القمران كما تقتضيه شروط الاحتياطات الطبية السنونة في العقد الدولي الصحى لعام ١٩١٢ أو أى عقد صحى آخر يكون مقيداً للحكومة المذكورة

ومن جهة أخرى فإن بريطانيا توافق على الاعتراف بالاحتياطات التكميلية التى يلزم اتخاذها في جدة وفي موانئ أخرى من بلاد صاحب الجلالة الهاشمية تطبيقاً

للمنصوص الطبية الواردة في الاتفاق أو الاتفاقيات المذكورة ، وذلك بمقتضى لوائح يصدرها جلالة الملك حسين

المادة الثامنة — تتعهد الحكومة البريطانية العالية بأن لا تتدخل بأى حال من الأحوال فى الإجراءات التى يتخذها جلالة الملك حسين لراحة الحجاج والاعتناء بهم داخل بلاد جلالته الهاشمية مع مراعاة ما جاء فى المادة العاشرة

ويتعهد جلالة الملك حسين من جهته بأن يساعد كل مجهود يبذله الرعايا البريطانيون المسلمون ، والأشخاص أو الجمعيات المشمولون بحماية صاحب الجلالة البريطانية للاشتراك فى سبيل رفاة الحجاج فى الحجاز ، وصحتهم وتموينهم كما يفعل جلالته فيما يختص بعين زبيدة

المادة التاسعة — قد اتفق كل من الفريقين العالين المتعاقدين على أن يحدد مبلغ معين على كل حاج بصفته رسوم ، وأن يعين مقداره لغاية أول يوم من جمادى الأولى من كل سنة ، وذلك للاحتياجات الصحية التى يتخذها كل منهما ، وستكون هذه الرسوم شاملة لمصروفات جميع الاحتياجات الصحية لحين يوم نزول الحجاج إلى البر ، وتكون داخلة فى ثمن تذكرة السفر التى تصرف من شركات الملاحة المختلفة

ويستولى الملك حسين على الرسوم المفروضة للاحتياجات التى تتخذ فى موانئ جلالته الهاشمية ، وبالمثل تستولى الحكومة البريطانية العالية على الرسوم المفروضة للاحتياجات التى تتخذ فى القمران

المادة العاشرة — وافقت الحكومة البريطانية العالية على أن تعترف بالتبعية الهاشمية لجميع رعايا جلالة الملك حسين الذين يوجدون فى أى وقت كان داخل بلاد صاحب الجلالة البريطانية ، أو البلاد المشمولة بالحماية البريطانية ، أو الواقعة تحت الانتداب البريطانى شرطاً أن يكون هؤلاء الرعايا الهاشميون حائزين على أوراق صادرة من جلالة الملك حسين تثبت التبعية الهاشمية لحاملها

ووافق جلالة الملك حسين على أن يعترف بالتبعية البريطانية لجميع رعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يوجدون في أى وقت داخل بلاد صاحب الجلالة الهاشمية ما دامت أسماء هؤلاء البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية بريطانيا العظمى مسجلة في قنصلية بريطانية في البلاد الهاشمية

ومع ذلك فإن أحكام هذه المادة لا تسرى على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جده وغيرها من الموانئ التي يمكن أن يعين صاحب الجلالة البريطانية وكيلًا قنصليًا فيها

المادة الحادية عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن تمتلك الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المتمتعين بحماية صاحب الجلالة البريطانية تسلم في حالة موتهم في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية إلى الممثل البريطاني فيها أو إلى أى سلطة يعينها لهذا الغرض ليتصرف فيها حسب القوانين التي تنطبق على الحالة ، ويراعى ممثل بريطانيا في البلاد المذكورة أن الرسوم والضرائب الواجبة على تلك الممتلكات بمقتضى الشرائع الهاشمية تسدد في حينها

المادة الثانية عشرة — وافق بهذا صاحب الجلالة الملك حسين على أنه في جميع القضايا التي تنشأ في البلاد الهاشمية ، ويكون أحد الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية مدعيًا فيها أو مدعى عليه يحضر ممثل قنصلي بريطاني في الحاكم الهاشمية أثناء سماع القضايا ، وفي الأحوال التي يظهر فيها المعتمد البريطاني رغبته في إجراء مخابرات سياسية مع صاحب الجلالة الهاشمية ، فلا تذاع الأحكام ولا تنفذ خلال مدة المخابرات المذكورة ، ولا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية

صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانئ التي يعين صاحب الجلالة البريطانية وكيلًا قنصليًا فيها

المادة الثالثة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن يأمر بتسليم الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية المقبوض عليهم بأمر من الحكومة الهاشمية إلى السلطة القنصلية البريطانية في الأحوال التي تضمن فيها السلطة المذكورة استحضارهم متى طلبتهم منها الحكومة الهاشمية

ولا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانئ التي يمكن أن يعين صاحب الجلالة البريطانية وكيلًا قنصليًا فيها

المادة الرابعة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن تنظر السلطة القنصلية البريطانية في القضايا التي تقع بين الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية حضرة صاحب الجلالة البريطانية ، والتي لا تمس مصالح الرعايا الهاشميين

ولا تسرى أحكام هذه المادة في الأحوال التي يرغب فيها الفريقان المتقاضيان أن يرفعا القضية إلى المحاكم الهاشمية كالمصوص في المادة الثانية عشرة ، وكذا لا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في البلاد الهاشمية خارج جدة أو الموانئ التي يمكن أن يعين فيها صاحب الجلالة البريطانية وكيلًا قنصليًا

المادة الخامسة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن يشعر المعتمد البريطاني في جميع الأحوال التي يحتاج فيها إلى نفي أحد الرعايا البريطانيين أو شخص متمتع بحماية صاحب الجلالة البريطانية من بلاد جلالة الهاشمية ، وأن المعتمد البريطاني يكون مسئولاً عن نفي الشخص المعين في مدة معقولة

المادة السادسة عشرة — وافق صاحب الجلالة البريطانية على أن يتنازل في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية عن جميع الامتيازات والاستثناءات التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون أو الأشخاص المشمولون بحماية صاحب الجلالة البريطانية بمقتضى الامتيازات الأجنبية بين بريطانيا العظمى والحكومة العثمانية إلا ما ذكر في هذه المعاهدة

المادة السابعة عشرة — يعترف جلالة الملك حسين بموقف صاحب الجلالة البريطانية الخصوصى في العراق وفلسطين ويتعهد أنه في المسائل الواقعة تحت نفوذ جلالته الهاشمية في تلك البلاد يفرغ استطاعته لمساعدة صاحب الجلالة البريطانية المادة الثامنة عشرة — تثبت بهذا الحكومة البريطانية العالية اعترافها بعلم صاحب الجلالة الهاشمية شرطاً أن المراكب غير مراكب الحكومة الهاشمية التي ترفع العلم المذكور تكون مسجلة في جدة أو ينبع أو في أى ميناء محدد معلوم من بلاد صاحب الجلالة الهاشمية وأن تكون حائزة على أوراق صادرة من جلالة الملك حسين وتنطبق بصفة عامة على الشهادات والأوراق الرسمية التي تعطيها عادة الممالك البحرية الرئيسية لمراكبها

ويثبت جلالة الملك حسين من جهته بهذا اعترافه بالأعلام التي ترفعها المراكب التجارية التابعة لأى قسم من أملاك صاحب الجلالة البريطانية أو البلاد المشمولة بالحماية البريطانية أو الواقعة تحت الانتداب البريطانى ، بشرط أن المراكب التي ترفع هذه الأعلام تكون حائزة على الشهادات والأوراق الرسمية التي تعطيها عادة الدول البحرية الرئيسية إلى مراكبها

المادة التاسعة عشرة — يصرح بهذا كل من الفريقين المتعاقدين العالين أنه أثناء مدة هذه المعاهدة لا يدخل في أية معاهدة أو اتفاق أو تفاهم مع فريق ثالث يكون الغرض منه موجهاً ضد مصالح الفريق الآخر المتعاقد العالى

المادة العشرون — لا يتغلب أى شرط من الشروط الواردة فى هذه المعاهدة على أى قيود تكون قيدت بها أو ستقيد فى المستقبل أحد الفريقين المتعاقدين العالين بأحكام عهد عصبة الأمم أو بأى عهد آخر يكون لعصبة الأمم أن تتخذه ويدخل فيه أحد الفريقين

المادة الحادية والعشرون — يعمل بهذه المعاهدة من تاريخ التوقيع عليها وتبقى نافذة المفعول مدة سبع سنوات من ذلك التاريخ . وإذا لم يخبر أحد الفريقين العالين المتعاقدين الآخر قبل مضى السبع السنوات المذكورة بستة شهور بعزمه على فسخ المعاهدة فيستمر معمولاً بها لحين مضى ستة شهور من اليوم الذى يرسل فيه أحد الفريقين العالين المتعاقدين إعلاناً كهذا

حررت هذه المعاهدة الحالية باللغتين العربية والإنجليزية ، وستحفظ صورة من كل منهما فى سجلات الحكومة الهاشمية وأيضاً صورة من كل منهما فى سجلات حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، وقد وقع عليها بمجدة المفوضون المذكورون بعالیه فى اليوم الحادى والعشرين من شهر اكتوبر سنة ألف وتسعمائة واحد وعشرين ميلادية الموافق لليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة ألف وثلاثمائة وأربعين من التاريخ الهجرى

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمد الله وتوفيقه نحن الحسين بن على الناهض بأقوامه العرب مؤسس الدولة العربية الهاشمية ومليكها حامى حمى بيت الله الأمين ومدينة جده سيد المرسلين ، نسدى السلام على من يقرأ هذه الوثيقة

لما كان قد عقدت معاهدة بيننا وبين دولة بريطانيا العظمى تشتمل على إحدى وعشرين مادة ووقع عليها فى مدينة جدة فى اليوم التاسع عشر من شهر

صفر عام ألف وثلاثمائة وأربعون هجرى الموافق لليوم الحادى والعشرين من شهر
اكتوبر عام ألف وتسعمائة وواحد وعشرون ميلادى حضرة صاحب السمو الملكى
الأمير زيد وحضرة صاحب الاقبال الشيخ فؤاد الخطيب وكيل الخارجية اللذان
خولناهما الإذن بذلك

فنحن بعد إنعام النظر فيها تؤكد التوقيع عليها بالاصالة عن أنفسنا وبالنيابة
عن وراثتنا، ونعد أننا سنرعى بكل إخلاص وأمانة الأمور المدونة فى تلك المعاهدة،
وأنا لا نتحمل أن ينقصها أحد أو يتعدى عليها بأى حال من الأحوال ما دام ذلك
فى طاقتنا

وتزكية لجميع ذلك وتأكيداً لقانونيته قد أمرنا بإمضاء هذه الوثيقة بختمنا
ووقعنا عليها بيدنا الملوكة

حرر فى ديواننا الملوكة فى جدة فى اليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة ألف
وثلاثمائة وأربعون هجرية الموافق لليوم الحادى والعشرين من شهر اكتوبر سنة
ألف وتسعمائة واحد وعشرون ميلادية م

نمرة ١٥٢١ م — ٥١

الوكالة البريطانية

سرى

جدة فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢١

إلى صاحب السعادة الشيخ فؤاد الخطيب وزير الخارجية بمكة
سيدى :

أتشرف بأن أرسل لكم طى هذا نسخة عمرية من المعاهدة كما حضرناها
نحن ونسخة انجليزية من كتابكم إلى الكولونيل ت . ا . لورنس حسب طلبكم
ولى الشرف أن أكون ياسيدى خادمكم المطيع م

و . ا . مارشال

وكيل بريطانيا وقنصلها

من وزير الخارجية بمجدة

إلى الكولونيل ت . ا . لورنس

أتشرف بأن أرسل لكم للاطلاع نسخة من محاضر المناقشات التي جرت بين الأمير علي نائباً عن الملك حسين وبينكم في ٧ سبتمبر سنة ١٩٢١ م

نجد :

أقام الأمير علي البرهان على أن رانيه وخرمة وتربة وبيشة وما حولها تابعة لمقاطعة الحجاز ، فتقبل الكولونيل لورنس هذه الحجج ، ووافق على عرضها على وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات لإرسالها لابن سعود لإبداء ملاحظاته ، وإذا سلم بصحة هذه الحجج لإعلانه أن هذه الأماكن كانت تابعة وتتبع الآن للحجاز ، وأنه إذا كان لا يزال له ممثلون هناك فسيسحبهم ، وبعد ذلك فأى السكان أبى الطاعة للحكومة الهاشمية فيعامل ككائن ، وإذا رفض ابن سعود أن يقبل هذه الحجج فالحكومة البريطانية تبلغ رده للملك حسين ليبدى ملاحظاته عما يرى اتخاذه من الخطط

اليمين :

أبان الكولونيل لورنس الموقف الحالى فى اليمن وشاطئ البحر الأحمر بين عدن والحجاز ، والظروف التي احتل فيها السيد الأدريسى الحديدة ، وأن احتلاله للحديدة مؤقت كوصى على حقوق الحلفاء إلى أن تقرر مصيرها الأخير بمعاهدة الصلح مع تركيا ، وأن الحكومة البريطانية تكون سعيدة أن ترى حداً مشتركاً بين الحجاز واليمن بالطرق الدبلوماسية ، وقال الأمير علي : إنه يعتقد أن هذه

النتيجة تتم متى احتلت الحكومة العربية الهاشمية ثانية خرمة ورائيه وبيشه وأوضح الكولونيل لورانس أن بريطانيا العظمى لم تعترف ولن تعترف الآن بأى سيادة فى عسير ، وليست مرتبطة بأى شىء ، يحدد حريتها فى هذا الصدد سوى مادة واحدة فى المعاهدة مع السيد الإدريسى تقره على كل أرض أخذها من الأتراك فى أثناء الحرب . وقال الأمير على : إن هذا التأخير سيعطى الحكومة العربية الهاشمية الفرصة لمد نفوذها جنوباً بالطرق السلمية

بلاد العرب :

وقال الأمير على إنه ليس هناك مسائل متعلقة بشاطئ بلاد العرب من عدن إلى أعلى الخليج الفارسى ، لأن معظم هذه الأماكن تشملها معاهدات عقدت مع حليفته بريطانيا العظمى تضمن لها استقلالها

فلسطين :

أثار الأمير على مسألة أهالى فلسطين العرب ، فأجابه الكولونيل لورانس بأن الوفد الإسلامى المسيحى يتناقش فى هذه اللحظة مع الحكومة البريطانية فى مصيرهم السياسى ، وأنه لا يمكن أن يعمل أى تصريح عن فلسطين إلى أن تظهر نتيجة هذه المناقشات ، فإذا حصل الوفد على حل مرض لهم فلا تبقى مسئولية على الملك حسين ، فوافق الأمير على على ذلك ، وقال : وإذا أخفق الوفد فالملك حسين يستأنف الدفاع عن مطالب العرب القومية فى تلك البلاد لأن أهالى فلسطين طلبوا منه المساعدة ، ومبدأه هو تأييد رغبات الأهالى بصرف النظر عن الأشخاص

ابن رشيد :

قال الأمير علي : إن أمير جبل شمر الجديد محمد بن رشيد قد دخل في علاقات ودية مع الحكومة الهاشمية فأشار عليه الكولونيل لورنس بأنه إذا كان قد حصل اعتراف أو اتفاق رسمي فيجب على الحكومة العربية الهاشمية أن تبلغه للدول مباشرة

الوحدة :

قال الكولونيل لورنس إن الحكومة البريطانية ترحب بأي خطوات يتخذها العرب لتوحيد البلاد العربية ، ولكن يجب أن يكون القائم بهذه المسألة هم العرب أنفسهم

أكد الأمير علي أهمية عقد معاهدة تسليم مجرمين بين الحكومة العربية الهاشمية وابن سعود بمجرد تقرير حدودها

العلاقات النجدية — الحجازية

نمرة ٢٣٤ م — ١١/٧/١

جدة في ٢ مارس سنة ١٩٢٣

حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم أيده الله
بعد أداء فايق التحية وعظيم التوقير فقد وصاني يا مولاي خطاب جلالتم
نمرة ٧٤ رقم ٨ رجب سنة ١٣٤١ الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٣ ، ووردتني أيضاً
مكاتبة وكيل الخارجية وضمنها البرقية المرسلة إلى أعتابكم من قبل أمير جهينة ،
وها أنا أبلغ فخوى الاثنين للجهات الاختصاصية . وإني أشكر جلالتم على تفضلكم
بإفادتي عما وقع وعما تخشون أن يقع في المستقبل . وأما عن أولئك الذين كانوا
يعتدون على بلي فالحمد لله على ما رجعوا مقهورين خاسرين ، ولكن اعذرني
يا مولاي إن قلت إن ذلك ليس بعداء بريطاني كما يصفه وكيل الخارجية . إن
بريطانيا العظمى لا ترجح من أي اعتداء في شبه الجزيرة ولكن بالعكس ، فإنه
من صالح بريطانيا العظمى أن يسود السلام في جميع بقاعها ، وأن تلتئم تلك المراكز
التي فرقها النزاع في الوقت الحاضر بفضل العلاقات الودية . وإنه لا ينبغي على
جلالتم مقدار شدة الاهتمام ورغبة حكومة جلالة الملك بأن نرى أن مسائل الخلاف
فيما بين جلالتم ونجد قد انحلت وأن صحيفة جديدة في التاريخ العربي قد ابتدأت ،
فهل تمنى ذلك شيء سخيف أو غير مرغوب فيه أو هل من المستحيل أنجازه ؟

إن هناك بعض أشخاص يفتكرون أن مصالح شبه الجزيرة وسلامها وخيرها
أهم بكثير جداً من هذا الشرط أو ذلك الشرط ، وإن أولئك الذين يفتكرون
ذلك لا يسعهم إلا التأسف عند ما يرون أن الآمال من المفاوضات والمباحثات

التي قد تنشأ منها فائدة عميمة نهائية تتحطم دائماً عند عقبة الشروط . وتذكرون
جلالتكم ما قيل وكتب حينما أعطى لحجاجهم امتياز زيارة مكة في العام الماضي .
وإني لا أريد أن أدعى أن ليس لجلالتكم الحرية في التمسك بالرأى بأن إيفاء
الشروط التي تضعونها أهم بكثير من أى شىء ينتج من المفاوضات بين الحجاز
ونجد ، بل إن لجلالتكم الحرية التامة في التمسك بهذا الرأى أو استنكار التسليم
بغيره ، إلا أن جلالتكم تضعون ثقة في نتيجة البحث مع ابن سعود في مصالح شبه
الجزيرة وحدود البلاد وخلافه ، وإن تضعوا ثقة في عدالة الحكم الذي إن
احتاج الأمر إليه فإن حكومة جلالة الملك يكون لها السرور والفخر بإيفاده ،
وأن تكون هذه المباحثات أو هذا التحكيم العرفي بسيطة ومباشرة وليست متوقفة
على الاصرار بإجراء هذا الشىء أو ذاك أولاً ، وأن يتقدم سلام وخير بحيث
الجزيرة كل اعتبار آخر . فهل في ذلك عدم لياقة بالكرامة أو جبن ؟ أو هل هو
عرضة لتأويلات الأعداء ؟ أما عن الأولى والثانية فلا ، وأما عن الثالثة فنعم .
ولكن جميع الأعمال العظيمة عرضة لتأويلات ، وإني لأعتقد أن عملاً كهذا من
جلالتكم يكون له أعظم شأنًا وأجمل وأبدع مكانة من أعظم الأعمال العربية في
الحرب . وتفضلوا يامولاي بقبول خالص احترامى وعظيم أشواقى .

نائب معتمد وقنصل بريطانيا

وكيل قنصل

جرافتى سميث

العلاقات النجدية — الحجازية

نمرة ٥٤٢ م — ٢/٢

(مستعجل)

جدة في ٧ يونيو سنة ١٩٢٣ م

حضرة صاحب الاقبال وكيل الخارجية بمكة المحترم

سلاماً واحتراماً وبعد ، أتشرف بأن أخبركم بوصول تلغرافكم نمرة ٦٧ الذى وصلنى ليلة أمس عن موضوع حجاج نجد . إن هذه المسألة المهمة كانت موضوع خطاب الميجر مارشال نمرة ٨٤ بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ م الذى فيه قد تبلغتم إقبالكم بأنه خارجاً عن الموضوع . إن حكومة جلالة الملك تضغط بأى كيفية على ابن سعود لتخفيض عدد الحجاج النجديين حتى إلى سنة أخرى . فكم سنة الآن مُنِعَت أهالى نجد من أداء هذه الفريضة المقدسة بناء على الطلب الشخصى من صاحب الجلالة الهاشمية . وإنى لا أحتاج أن أجمل شرح المساعى والباحث التى عملتها حكومة جلالة الملك للتشجيع على تسوية حبية فى المسائل المعلقة بين حكومتكم وحكومة ابن سعود ، وأن هذه الجهود التى كانت لتربية الصلات السلمية فى شبه الجزيرة لم تحرم من ملاقة عقبه من جراء إصدار حكومتكم بأن المسائل التى تحت البحث يجب الحكم فيها مقدماً قبل أن تصير موضع تحكيم ما . وليس فى ذلك مبالغة بأن يقال أن الإرجاء المستمر لأى سعى للمفاوضات الحبية مباشرة مع ابن سعود من أشد علائم تثبيط العزم بالأمور السياسية العربية الحاضرة . وإنى أذكر هذه النظرة السياسية فى الموضوع لأنها هى التى يظهر أنها تضيف على هذا البحث ، بحث الحج النجدى ، إحساسات واعتبارات خارجة عن صفته الدينية المستثناة . وإنى أرجوكم أن تعتقدوا بأنى لست أكتب هذه الأسطر بروح المعارضة

الصرفة أو كنعصحة وعظ . فإن الموضوع أكبر من أن يكون موضوع شعراء
واهم من أن يجعل في كلمات خفيفة الوزن . وهل هناك برهان على نموذج الكمال
في الاتحاد العربي أعظم من أنه يفوق ويسمو كل إدراك ، وأنه يحصل في النظرة
بصفة تشمل شبه الجزيرة ليست تقصر على أقاليم . وهل هناك حدود صارمة جداً
بحيث تحول بين المسلم وتأدية فريضة الحج المقدسة ؟

وتقبلوا عظيم التوقير ما نائب ومعتد وقنصل بريطانيا في جده

وكيل قنصل

جرافتي سميث

قاموس الأعلام

— ١٥٨ — ١٥٦

— ١٦١ — ١٦٠

— ١٨٨ — ١٧٤

— ٢١٨ — ٢١٢

— ٢٣٢ — ٢٢٨

— ٢٣٦ — ٢٣٢

— ٢٧١ — ٢٣٨

— ٢٧٨ — ٢٧٥

— ٢٨١ — ٢٨٠

— ٢٨٣ — ٢٨٢

— ٢٨٦ — ٢٨٤

— ٢٩٠ — ٢٨٨

— ٢٩٦ — ٢٩٢

— ٢٩٩ — ٢٩٧

— ٣٠٢ — ٣٠٠

— ٣٠٧ — ٣٠٤

— ٣١٥ — ٣١٠

— ٣٢١ — ٣١٦

— ٣٢٤ — ٣٢٣

— ٣٢٧ — ٣٢٥

— ٣٥١ — ٣٥٠

٤١٣ — ٣٦١

٢٦٨

١٤٨

٢٢٩ — ٢٢٨

١٤٩

١٥٨

٢٥٨

٢٦٩

٤٨ — ٤٥

(تابع)
ابن السعود

ابن سيهان
ابن عبد الوهاب
(الشيخ)
انظر (محمد)

ابن غنام
ابن القيم (الامام)

ابن مساعد

ابن معمر

ابن مهنا

أبو عريش

❖ | ❖

— ٢٥٤ — ١١٨ /

٢٥٧ /

١٢٨

— ٣٢٣ — ٣٢٢ /

٣٢٥ — ٣٢٤ /

٢٥١

٣٦ — ٢٥

٣٣٢

— ٣٣١ — ١٤٩ /

— ٣٣٣ — ٣٣٢ /

٣٣٥

٢٦١

٣٢ — ٣١ — ٢٠ /

٣٦ —

٣٢٤ — ١٥٨

— ١٤١ — ٨٢٨ /

١٤٢

٢٦٥

١٢٣

٣٠٩

— ١٨٣ — ٦٦

— ٢٧١ — ٢٣٥

— ٢٧٣ — ٢٧٢

— ٢٧٨ — ٢٧٤

٣٦١ — ٣٥٨

— ١٠١ — ٣٢

— ١٢٥ — ١٢١

— ١٣٩ — ١٣٦

١٤٥ — ١٤٤

— ١٥٢ — ١٤٧

ابراهيم باشا

ابراهيم بن جميعه

ابن بنجاد

ابن بشر

ابن بطوطه

ابن تويرت

ابن تيمية (الامام)

ابن ثنيان

ابن جبير الأندلسي

ابن جلوي (الأمير)

ابن خلدون

ابن خليفة

ابن داود (الشيخ)

ابن رفاده

ابن الرشيد

ابن السعود

(جلالة الملك)

انظر (عبد العزيز)

١٦١ — ١٥٨ —		٥٥	أبو السكباش
١٦٤ — ١٦٢ —		٤٧ — ٤٥ — ٤٤	أبها
٢٣٤ — ١٧٤ —		١٤٩ —	
٢٦٠ — ٢٤٣ —		٢٢ — ٢١ — ١٦	
٢٦٥ — ٢٦٢ —		— ٣٤ — ٣٢ —	
٢٦٧ — ٢٦٦ —	(تابع)	٤٧ — ٤٤ — ٤١	
٢٧٢ — ٢٦٩ —	الاحسا	— ٩٢ — ٤٩ —	
٢٧٦ — ٢٧٥ —		١٠٠ — ٩٩ — ٩٦	
٣٠٦ — ٢٧٨ —		١٤٣ — ١٣٦ —	
٣١٨ — ٣١٧ —		١٥٣ — ١٤٤ —	
٣٢٥ — ٣٢٠ —		— ١٧٢ إلى ١٦٦	
٣٣٦ — ٣٣٤ —		— ١٧٦ — ١٧٤	
١٠١	احمد بن جابر	— ١٧٩ — ١٧٨	
— ٣٣٩ — ١٤٩	احمد بن حنبل	— ١٨٣ — ١٨١	
٣٤٢	(الامام)	— ١٨٦ — ١٨٤	
٢٢٨	احمد بن سعيد	— ١٩٠ — ١٨٩	
	(الشريف)	— ١٩٢ — ١٩١	
٣٢	احمد السنوسي	إلى ٢١٠ — ١٩٣	
	(السيد)	— ٢٣١ — ٢١٣	
٥٠ — ٤٩ — ٤٥	الادارسة	— ٢٣٤ — ٢٣٢	
٤٨ — ٤٧ — ٤٦		— ٢٥٨ — ٢٣٥	
— ١٦٩ — ١٢٨		— ٢٦٠ — ٢٥٩	
— ٢٥٢ — ٢٣١	الادريسي	— ٢٦٢ — ٢٦١	
— ٢٦١ — ٢٥٣		— ٢٦٧ — ٢٦٦	
٤١٤		— ٢٧٥ — ٢٧١	
— ١٨٢ — ١٧٩	أرثر مكماهون	— ٢٨٦ — ٢٧٦	
١٨٦ — ١٨٤	(السير)	— ٣٥٦ — ٢٨٩	
٣٢٨ — ٣١٨	الارطاوية	— ٣٦٢ — ٣٦١	
٣٨	اريجيا	٣٦٧	
٣١	الأزرق	— ٨ — ٤ — ٢	
٣٩٣ — ٩٦	أزمير	٥٤ — ٥١ — ١٢	
٩٦ — ٣٦ — ٢١		— ٧٩ — ٧٨ —	
— ١٧٠ — ٩٩ —		٨٢ — ٨١ — ٨٠	
— ١٧٦ — ١٧٢	الآستانة	— ٨٥ — ٨٣ —	
— ٢٤١ — ١٩٠	(استنبول)	٩٣ — ٨٨ — ٨٧	
— ٢٥٤ — ٢٥٢		١٠٦ — ١٠٥ —	
٢٧١		١٢٢ — ١١٨ —	
٣٦٤	استورس	١٣٧ — ١٣٦ —	
	(المستر)	١٤٨ — ١٤٣ —	
			الاحساء

— ٢٧٠ — ٢٥٢ } ٢٩٠ }	إيران	— ٣٥٤ — ١٨٠ } — ٣٧٢ — ٢٥٥ } ٣٨٢ }	اسكندرونة
٣٨٩ — ٣٥٣ ٤٨	إيطاليا الايطاليون	— ١٩٤ — ١٥١ } ٢٣٣ — ٢٤٥ } ٢٣	اسكندرية
✱ ب ✱		٢٨٣ — ١٨٥	اصطبل عنتر اطنه
١٠	بابل	٢٧٥ — ٦١ — ٥١	الافلاق
٣٦٣ (الكولونيل)	باست (الكولونيل)	٤٨	الأقصر
— ١٧٤ — ١٧٣ } — ١٩٤ — ١٧٥ } — ١٩٦ — ١٩٥ } — ٢٠٢ — ١٩٨ } — ٢٠٥ — ٢٠٤ } — ٣٩٠ — ٣٧٨ } ٤٠٢ — ٣٩٨ }	باريس	— ١٧٩ — ٨٨ } — ١٨٦ — ١٨٤ } ٢٧٦ }	الألمان
— ٧٨ — ١٥ — ٨ ٨٦ — ٨٥ — ٨٤ — ١٠٣ — ٩٦ — — ١٠٥ — ١٠٤ — ١٠٨ — ١٠٦ إلى ١١٣ — ١٠٩ — ١٢٦ — ١١٩ — ١٣٠ — ١٢٩ — ١٣٧ — ١٣٥ — ١٤٠ — ١٣٨ — ١٤٨ — ١٤٤ — ١٥٧ — ١٥٠ — ١٦١ — ١٥٨ — ١٦٥ — ١٦٤ ٢٦٥ — ٢٦٣ ٥٩	البحرين	١٩٣ — ١٩١ — ٣٨٩ — ١٩٨ } ٣٩٣ } ٢٣ — ١٧ ١١٣ ٢٩٨ }	ألمانيا أمريكا أملج أم نعان أمين الحسيني (السيد)
— ١٠٩ — ٦١ } ١١٦ — ١١١ }	البدع البديع	— ١٧٦ — ١١٤ } — ٣٧٤ — ١٩٣ } ٣٩٥ }	أنجلترا
— ٢٠٤ — ٢٠٣ } — ٣٩٨ — ٣٩٧ } ٤٠٢ }	برتلو (مسيو)	٩٩ — ٤٩ — ١١ ١٧٧ — ١٦٥ — ١٨١ — ١٧٨ — ١٩٠ — ١٨٨ — ١٩٣ — ١٩١ — ٢٠٢ — ١٩٤ — ٢٢٥ — ٢١٣ — ٢٣٢ — ٢٢٦ — ٢٣٤ — ٢٣٣ — ٢٨٢ — ٢٧٩ — ٣٠٣ — ٢٨٧ — ٣٠٦ — ٣٠٤ — ٣٨٤ — ٣٢٢ — ١٤٢ ١٩٤	الأنجليز الأندلس انطاكية

٢٦٢ — ٩٧	بوشهر	— ٢٨٠ — ٨٥	برسى كوكس
— ١٧٢ — ١٥١		٣٥٠ — ٢٨٢	(سير)
— ١٩٤ — ١٧٤	بيروت	٤٧ — ٤٤ — ٤٣	البرك
٣٨٣ — ٣٧٧		١٦٨	بركهوت
٣٢٧	بيسكو (الكولونيل)	— ١١٧ — ١١٦	بروس (مستر)
٤٤ — ٤٣	بيشه	٦٩ — ٢٤ — ٣	
١٩٤	بيلان	— ٧١ — ٧٠ —	بريدة
		— ٢٦٩ — ٧٥	
		٣٢١	
		١١٢	بساتين
		٨٣ — ٧٨ — ٣٥	
٢٢ — ٢١ — ٢٠	تيوك	— ٩١ — ٨٨ —	
— ٢٣٤ — ٤٤		٩٦ — ٩٥ — ٩٣	
— ٢٨٦ — ٢٨٠	تره	١٠٦ — ٩٩ — ٩٧	
٣١٥ — ٢٨٨		١٣١ — ١١٧ —	
٢٥٩ — ٢٥٨	تركي بن عبد الله	١٣٧ — ١٣٦ —	البصرة
— ١٩٦ — ١٩١		١٤١ — ١٣٨ —	
— ٢٩٨ — ١٩٧		١٦٥ — ٢٥٢ —	
— ٣٦٢ — ٣٥٣		١٨١ — ١٧٤ —	
— ٣٨٢ — ٣٦٤	تركيا	١٩٣ — ١٨٧ —	
— ٣٨٦ — ٣٨٥		٢٧٠ —	
٣٨٧		٢٠٣	بعلبك
٤٣	تعمر	٧٧ — ٧٦ — ٣٦	
٦٥	تعامية	— ٩٦ — ٩٤ —	
٦٧	تبر	— ١٤٢ — ٩٩	
٤٢	تخيه	— ١٥٣ — ١٥٢	
٤٢	تنومه	— ١٧٢ — ١٦٦	بغداد
		— ١٩٠ — ١٨١	
١٦ — ١٤ — ٦		— ٢٦٧ — ٢٦٦	
— ٤١ — ١٧ —		— ٢٨٥ — ٢٨٠	
٤٧ — ٤٥ — ٤٢	تهامة اليمن	٣٥٥ — ٣٤٤	
٣٠٠ —		٢٦٢ — ٢٦١	بلجريف (الرحالة)
٦٨ — ٦٧	التويم	٢٢٦ — ٢١٨	بلقور (اللورد)
٣٨١ — ١٩٧	تيتوني (السنور)	— ٢٦٢ — ٩٧	بلي (الكولونيل)
		٢٦٣	
٧٦ — ٧٥ — ٣٨	تياء	١٠٩	توري

— ١٧٠ — ١٦٨
— ٢٥٠ — ٢٣٣
— ٢٩١ — ٢٩٠
— ٣٢١ — ٢٩٤
— ٣٦٣ — ٣٦٢
— ٢٦٧ — ٣٦٤
— ٤٠٩ — ٣٦٩
— ٤١٢ — ٤١١
٤١٣

(تابع)
جدة

﴿ ث ﴾

٥٨ — ٥٦ نادق
٦٦ — ٦٥ ثرمدا
١٣ ثكنة جروول
٢٨ الثنية

﴿ ج ﴾

٢٧٠ — ١٠٠ } جراح بن صباح (الشيخ)
١١٣ } الجزيرة (النبي صالح)
— ١١١ — ١٠٧ } جزيرة البحرين (أوال)
— ١١١ — ١٠٨ }
— ١١٣ — ١١٢ } جزيرة المحرق
١٤٤ — ١٤٠ }
٨٦ الجش
٦٨ — ٦٧ جلاجل
٣٢٩ } جلوب (المفتش الادارى)
— ١٩٣ — ١٧٧ } جمال باشا
١٩٥ }
٣١٤ — ٩٥ — ٩٤ الجمهرة
٥٧٦ — ٧٦ — ٥١ } الجوف
١٥٨ — }
٦٤ الجوير
٤٦ — ٤٥ — ٤٣ } جيزان
٤٧ — }

٩٨ — ٩٧ — ٩ } جابر بن عبدالله (الشيخ)
١٥١ — }
— ١٥٥ — ١٠١ } جابر بن مبارك الصباح (الشيخ)
— ١٦١ — ١٦٠ }
٢٧٨ }
٩٦ جابر العتي
— ٧٢ — ٣ — ٢ } جبل أجا
٧٥ — ٧٤ — ٧٣ }
٤ — ٢ الجبل الأصفر
٧٧ جبل الدروز
٢٣ جبل رضوى
١٦ جبل السراة
٧٤ — ٧٣ — ٧٢ } جبل سلمى
٧٥ — }
— ١٠ — ٦ — ٣ }
٥٣ — ٥٢ — ٥١ }
— ٧٢ — ٦٩ — }
٧٧ — ٧٦ — ٧٥ }
٢٥٧ — ٩٨ — }
٧٨ }
٤ — ٢ }
٨٥ }
٥٩ — ٥٨ — ٥٥ }
١١٠ }
— ١٧ — ٧ — ٥ }
٢٦ — ٢٥ — ١٨ }
— ١٤٣ — ٤٥ — }
— ١٦٧ — ١٦٦ }

﴿ ح ﴾

١٧ الحائط
١١٢ حالة أبو ماهر

جدة

— ٢٩٠ — ٢٨٧
— ٢٩٢ — ٢٩١
— ٢٩٥ — ٢٩٤
— ٢٩٧ — ٢٩٦
— ٣٠٠ — ٢٩٩
— ٣١٨ — ٣٠٥
— ٣٢٥ — ٣٢١
— ٣٣٦ — ٣٢٩
— ٣٤١ — ٣٣٧
— ٣٦٢ — ٣٤٥
— ٣٦٩ — ٣٦٧
— ٤٠٧ — ٣٨٢

٤١٣

١١٣

١٠٠ — ٤٩ — ٤٧
٥٥ — ٥٢ — ٥١
— ٦٠ — ٥٩ —
٦٥ — ٦١
٥٨ — ٥٦

٢٨ — ٢١ — ١٣
— ٤٩ — ٤٤ —
— ١٥٥ — ١٤٤
— ١٦٩ — ١٦٣
— ١٧٦ — ١٧٠
— ١٧٨ — ١٧٧
— ١٨٦ — ١٨٥
— ١٩٢ — ١٨٨
— ١٩٤ — ١٩٣
— ١٩٨ — ١٩٧
— ٢١٠ — ٢٠٢
— ٢١٣ — ٢١٢
— ٢٢٥ — ٢١٨
— ٢٢٧ — ٢٢٦
٢٢٨ — ٢٢٧ هامش
٢٣١ — ٢٣٠ —
— ٢٣١ هامش
— ٢٣٣ — ٢٣٢
— ٢٣٥ — ٢٣٤
— ٢٣٨ — ٢٣٧

(تابع)
الحجاز

الحد
الحديدة
الحريق
حريملة

حمين بن علي
(الملك)

٥٤ — ٥٣ — ٧ — ٣
٧٥ — ٧٤ — ٥٦
١٥٨ — ١٠٠ —
٢٦٨ — ٢٦٧ —
٢٧٧ — ٢٦٩ —
٣٢٥ — ٣٠٢ —

٢١ إلى ١٤ — ١٢
— ٢٦ — ٢٣ —
٣٩ إلى ٣٥ — ٣١
— ٤٩ — ٤١ —
٥٤ — ٥١ — ٥٠
— ١٢٢ — ٧٧ —
— ١٢٩ — ١٢٦
— ١٣١ — ١٣٠
— ١٣٣ — ١٣٢
— ١٤٣ — ١٣٦
— ١٥٠ — ١٤٤
— ١٦٠ — ١٥٩
— ١٦٣ — ١٦٢
إلى ١٦٦ — ١٦٤
— ١٧٦ — ١٧١
— ١٨٩ — ١٨٨
— ٢٠٧ — ١٩٠
— ٢١٤ — ٢١١
— ٢٢٦ — ٢٢٥
— ٢٢٨ — ٢٢٧
— ٢٣١ — ٢٣٠
— ٢٣٧ إلى ٢٣٣
— ٢٤٠ — ٢٣٩
— ٢٤٥ — ٢٤١
— ٢٥٠ — ٢٤٩
— ٢٥٢ — ٢٥١
— ٢٥٦ — ٢٥٥
— ٢٦١ — ٢٥٩
— ٢٦٣ — ٢٦٢
— ٢٧٩ — ٢٧٠
— ٢٨٢ — ٢٨٠
— ٢٨٤ — ٢٨٣
— ٢٨٦ — ٢٨٥

حبل

الحجاز

✱ خ ✱

٢٦٠ — ٢٥٩	خالد بن سعود
— ١٢٣ — ١٢٢	خالد بن لؤى (الشريف)
— ٢٨٩ — ٢٥٢	
٣١٧	
٥٥ — ٥١ — ٢	الحرج
٦١ — ٦٠ — ٥٩	
— ٢٦٤ — ٢٦٢	
٢٧٥	خميس مشيط
٤٥	
٢٢ — ١٧ — ٥	
٣٨ — ٢٤ —	خبير

✱ د ✱

٦٧	الداخلة
٢١	دار الحمراء
٨٦	داروس
٦٥ — ٦٤	دام
٦٥	الداهنة
٢٢٩ — ١٦٨	دحلان (السيد)
٥٧ — ٥٦ — ٥٥	الدرعية
— ٢٢٩ — ٨٣	
— ٢٤٤ — ٢٤٣	
— ٢٤٧ — ٢٤٥	
— ٢٥٣ — ٢٤٨	
— ٢٥٥ — ٢٥٤	
— ٢٥٩ — ٢٥٧	
— ٣٣٦ — ٢٧٠	
٣٣٨ — ٣٣٧	الدم
٢٦٠ — ٦٠ — ٥٩	
١٠٩ — ٨٦	الدمام
— ١٧٢ — ٣٦	دمشق
— ١٨٣ — ١٨٠	
— ١٩٨ — ١٩٤	
— ٢٠٤ — ٢٠٢	
— ٢٠٧ — ٢٠٥	

— ٢٤١ — ٢٤٠	إلى
— ٢٧٦ — ٢٤٢	
— ٢٨١ — ٢٨٠	
— ٢٨٣ — ٢٨٢	
— ٢٨٦ — ٢٨٤	
— ٢٩٢ — ٢٨٩	(تابع)
— ٣٥٨ — ٣٥٧	
— ٣٦٤ — ٣٦٠	
— ٣٨٣ — ٣٨٢	
— ٣٨٧ — ٣٨٥	
— ٤٠٤ — ٣٨٨	حسين بن علي (الملك)
— ٤٠٧ — ٤٠٥	
— ٤٠٩ — ٤٠٨	
— ٤١١ — ٤١٠	
٤١٤ — ٤١٣	

٤ — ٣

حضر موت

— ١٧٢ — ٩٦	حلب
— ١٨٧ — ١٨٠	
— ٢٠٠ — ١٩٨	
— ٢٠٩ — ٢٠٢	
— ٣٧١ — ٣٥٥	
— ٣٨٤ — ٣٨٢	حلي
٣٨٧ — ٣٨٥	
٤٦ — ٤٤ — ٤٣	
— ١٨٠ — ١٧٢	
— ٣٧١ — ١٩٨	
— ٣٨٤ — ٣٨٢	حماء
٣٨٧	
— ١٨٠ — ١٧٢	
— ٢٤٣ — ١٩٨	
— ٣٧١ — ٢٧٩	
٣٨٤ — ٣٨٢	حمس
١٠١	
٢٤ — ١٧	
٦٧ — ٦٠ — ٥٩	
١٧	
— ٣٥٥ — ٣٥٤	حمض
٣٧٢	

حمض
الحناكية
الحوطة
الحويطة
حيفا

٢٥٨ — ١٤٩		٢١٠ — ٢٠٨	
٢٦١ — ٢٦٠		٢٤٥ — ٢٣٤	
٢٦٤ — ٢٦٢		٣٣٤ — ٣٣٣	
٢٦٦ — ٢٦٥		٣٦٨ — ٣٦٧	(تابع)
٢٦٨ — ٢٦٧		٣٨٢ — ٣٧١	دمشق
٢٧٢ — ٢٦٩		٣٩٦ — ٣٨٧	
٢٧٥ — ٢٧٣	(تابع)	٣٩٨ إلى ٤٠١	
٢٨٩ — ٢٨٨	الرياض	٤٠٣	
٣٠١ — ٢٩٠		٨٧ — ٦٥ — ٧	الدواسر
٣٠٨ — ٣٠٥		٢٦٦	
٣١٨ — ٣٠٩		٢٧٠	الدورة
٣٢٥ — ٣٢١		٢٨٣ — ١٠١	
٣٢٨ — ٣٢٦		٣٢٢ — ٣٢١	
٢٠٩	رياق	٣٢٥ إلى ٣٢٤	الدويش
✱ ز ✱		٣٢٨	
١١٧ — ١١٥	الزماره	٣٢٨ — ٣٢٧	ديكسون
١١٤ — ١١١	الزلاق		(السكرولونيل)
٦٧ — ٨ — ١	الزلفي	✱ ر ✱	
٦٨			
٣٢ — ٢٩ — ٢٨	زمنم	٢٩٣ — ٢٤ — ١٧	رابع
٣٣		٢٦٣ — ٦١ — ٥	الربع الخالي
٢١٢ — ٢٠٢		١٥٢ — ١٠٠	رجب النقيب
٣٦٩ — ٣٥٧		٢٧١	(السيد)
٣٩٩ — ٣٩٨	زيد بن حسين	٢٩٧ — ١٧٢	رشيد رضا
٤٠٤ — ٤٠١	(الأمير)	٢٩٨	
٤١٢		١١٠	رفاع الشرق
✱ س ✱		١١٠	رفاع الغربى
١٠٢ — ١٠١ — ٩	سالم بن مبارك	١٠٠	الروس
١٦١ — ١٦٠ —	(الشيخ)	٣٧٤ — ٣٥٤	روسيا
٢٧٩ —		٣٨٤	
٢٦٦	سبيع	٦٧ — ٦١ — ٥٦	الروضة
١١٣	سترة	٥٦ — ٥٥ — ٧	
٥٢ — ٥١ — ٤		٦٠ — ٥٩ — ٥٧	
٦٧ — ٦٥ — ٥٥	سدير	٩٧ — ٨٧ — ٦٩	الرياض
٢٧٥ — ٢٥٧		١٢٢ — ٩٩ —	
		١٣٠ — ١٢٤	

٣٨٤ — ٣٧٤ — } ٤٠١ — }	(تابع) الشام	٢١١	سسل (اللورد)
— ٢٣٤ — ١٦		٢٣١	سعد بن عبد الرحمن
— ٢٧٩ — ٢٣٩		— ٢٤١ — ١٢٨	
— ٢٨٥ إلى ٢٨٠	شرق الاردن	— ٢٤٥ — ٢٤٣	
— ٢٩٠ — ٢٨٧		— ٢٤٩ — ٢٤٧	
— ٣١٤ — ٣١١		— ١٥١ — ٢٥٠	سعود (الأمير)
٣١٨		— ٢٥٣ — ٢٥٢	
٦٥ — ٨ — ١	شقرا	إلى ٢٦٢ — ٢٥٦	
٦٦ — }		— ٢٧٠ — ٢٦٧	
٤٣	الشفيق	٣١٨ — ٣٠٩	
٣٥٢	شو (الجنرال)	٢٦٦	سلطان الدويش
٢٩٨	شوكت على (مولانا)	٦٠ — ٥٩	السلمية
		٦٢	الليل
		١١١	سنايس
(ص)		٦٩ — ١٨ — ١٠	
٩٩ — ٩٧ }	صباح بن جابر	— ١٧١ — ٧٧	
	(الشيخ)	— ١٩٠ — ١٨٤	
٤٨ — ٤٧ — ٤٥	صبا	— ١٩٦ — ١٩٥	
٢٧١	الصريف	— ١٩٨ — ١٩٧	
٢٩	الصفاء	— ٢٠٠ — ١٩٩	
١٧	الصفراء	— ٢٠٨ إلى ٢٠٢	
٤٦	صعدة	— ٢١٨ — ٢١٠	
٥٥	صلبوخ	— ٢٦٢ — ٢٤٣	سوريا
— ٤٤ — ٧ — ٥		— ٣٤١ — ٢٩٣	
— ٢٩٩ — ٤٦	صنعا	— ٣٧١ — ٣٦٢	
٣٦١ }		— ٣٨١ إلى ٣٧٥	
		— ٣٨٦ — ٣٨٥	
		— ٣٨٩ — ٣٨٧	
		— ٣٩٥ — ٣٩٢	
		— ٤٠٠ — ٣٩٩	
		٤٠١	
		٨٤	سيهات
(ض)			
٥٩	الضبيعة		
(ط)			
١٨ — ١٦ — ١٣			
— ٤٠ — ٣٩ —			
٤٧ — ٤٤ — ٤١	الطائف	١٤٢ — ٥٤ — ٧	
١٢٣ — ١١٨ —		— ١٨٠ — ١٧٧ —	الشام
٢٣٣ — ١٧٠ —		٢٤٦ — ٢٠٠ —	
		٣٣٢ — ٣٣١ —	

١٧ — ٥ — ٢
 إلى ٤١ — ٣٧ —
 ٦١ — ٥٠ — ٤٧
 ١٩٠ — ١٧١ —
 ٢٢٨ — ٢٢٧ —
 ٢٦٢ — ٢٣١ —
 ٣٠٠ — ٦٩٩ —
 ٣٦١ — ٣٠٩ —
 — ١٧ — ٥١٦ }
 ٧٧ — ٢١ }
 ٧٥
 ٨٨ — ٨٥ } هامش
 ٢٧٩ — ١٠٦ — }
 ٢٣ — ٥
 — ٢١١ — ١٦٦ }
 — ٢١٨ — ٢١٤ }
 — ٢٤٢ — ٢٣٧ }
 — ٢٩١ — ٢٩٠ }
 ٣٨٣ — ٣٥٧ }
 ٥٥
 — ٦ — ٤ — ٢
 — ٨٤ — ٧٨
 — ١٢٥ — ١٠٦
 — ١٣١ — ١٢٩
 — ١٥٠ — ١٣٧
 — ١٦١ — ١٥٧
 — ١٦٥ — ١٦٤
 — ٢٦٢ — ٢٤٤
 ٢٦٣
 ٧٠ — ٦٦ — ٣
 — ٢٦٥ — ٧١
 — ٣٦٠ — ٢٦٩
 ٣٦١
 ٥٢ — ٥١ — ٧
 — ٥٩ — ٥٥ —
 — ٦٥ — ٦٠
 ٢٥٧

— ٢٥٣ — ٢٣٤ }
 — ٢٨٨ — ٢٨٦ }
 ٣٠٤ — ٢٨٩ }
 ٢٥٥ — ٢٥٢
 ٥٨ — ٥٥ — ٥٢ }
 ٦٧ — ٦٢ — }
 * ع *
 العقبة
 عقدة ٨٢ — ٦٩ — ٤٠ }
 ٢٦٧ — ٢٣١ — }
 العقير ٣٥٨ — ٢٨٨ — }
 العلا — ٢٧٤ — ٢٧٣ }
 ٢٧٥ }
 على بن الحسين
 (الملك) — ٤٩ — ٥ — ٢ }
 ٣٥٣ }
 ١١١
 العمارية ٣٩ — ١٠ — ٨
 — ٨٨ — ٦٩ —
 — ١٠٦ — ١٠٠
 — ١٩٠ — ١٣١
 — ١٩٩ — ١٩٥
 عمان — ٢٠٦ — ٢٠٠
 — ٢٣٨ — ٢١٠
 — ٢٤٣ — ٢٣٩
 — ٢٦٢ — ٢٤٤
 إلى ٢٨٠ — ٢٧٩
 — ٢٨٧ — ٢٨٥
 — ٣١٤ — ٣١١
 عنيزة — ٣٢٠ — ٣١٨
 — ٣٢٦ — ٣٢١
 — ٣٢٩ — ٣٢٧
 — ٣٧١ — ٣٤١
 العارض ٣٨١ — ٣٧٢
 ١٠٩

(تابع)
 الطائف

طوسون

طويق

عتيبة

عجلان

عدن

عراد

العراق

عسكر

١٠٠ — ٧٤	عبد العزيز الرشيد	٢٦١	عباس باشا الأول
٢٧١ — ٢٣١	(انظر ابن رشيد)	١٤٠ — ٢٦٦	
٢٠٦ — ١٦٩		٢٧٢ — ٢٧٠	عبد الرحمن بن فيصل (الامام)
٢١٤ — ٢١١		٣٠٢ —	
٢٣٤ — ٢٢٧	عبد الله (الأمير)	٢٠ — ١٥ — ١١	
٢٤٠ — ٢٣٦		٣٣ — ٣٢ —	
٢٤٨ — ٢٤٧		٥٠ — ٣٩ — ٣٧	
٣٦٢		٦٠ — ٥٦ —	
١١٧ — ١١٦	عبد الله بن احمد (الشيخ)	٨٥ — ٨٣ — ٧٠	
٢٩٨ — ٢٩٧	عبد الله بن بليهد (الشيخ)	١٠٢ — ٩٩ —	
١٢٢ — ٨٧		١٢٢ — ١٢١	
٢٧٥ — ٢٦٠	عبد الله بن جلوي	١٢٧ — ١٢٤	
٣١٧		١٣٣ — ١٢٩	
٢٥٣ — ١١٨	عبد الله بن سعود	١٣٦ — ١٣٥	
٢٥٧		١٤٠ — ١٣٧	
٢٦٦	عبد الله بن صباح	١٤٩ — ١٤٢	
١١٦	عبد الله بن طريف (الشيخ)	١٦٣ — ١٥٢	
٨٣ — ٢٦٢		١٦٥ — ١٦٤	
٢٩٨ — ٢٦٧	عبد الله بن فيصل	٢٢٩ — ٢٢٨	عبد العزيز بن سعود (الملك)
٣١٧		٢٣١ — ٢٣١	
٢٢ — ١٧	العويرض	٢٣٥ — ٢٣٤ —	
١١٧ — ١١٦	عيسى بن علي (الشيخ)	٢٤٢ — ٢٣٧ —	
٢٦١		٢٤٤ — ٢٤٣ —	
٧١	العيون	٢٤٩ — ٢٤٥ —	
٣٥	عين زيدة	٢٧٠ — ٢٦٤ —	
١٩	عين الزرقاء	٢٨٧ — ٢٧٦ —	
٢٦	عين الوزيرية	٣٠١ — ٢٩٥ —	
٥٨ — ٥٥	العينة	٣٠٥ — ٣٠٣ —	
٢٥٧		٣٠٧ — ٣٠٦ —	
		٣١٧ — ٣١٢ —	
		٣٢١ — ٣١٨ —	
		٣٣٠ — ٣٢٥ —	
		٣٤٧ — ٣٣٨ —	
		٣٥٧ — ٣٥٠ —	
		٤٠٥ — ٣٥٩ —	
٦٨ — ٦٧	الفاط	٢٢٩ — ٢٢٨	عبد العزيز الحصيني (الشيخ)
٢٢٩ — ١٦٨	غالب الشريف		

✽ غ ✽

* ك *	كبر	١٩	قباء
		٢٥	قبة حواء
٩٣		٤٣ — ٤٥	القرنية
— ١٧٧ — ١٧٦	كشتر (اللورد)	٥١	قريات الملح
١٧٨		٦٥	القصب
— ١٠٠ — ٢١		٧٢	قصبة
— ٣٨٨ — ١٩٨	كرزون (اللورد)	٢ — ٣ — ٧	
٣٩٠		٨ — ٥١ — ٥٢	
٣٠ — ٢٨ — ٢٧		— ٥٣ — ٥٤	
— ٣٣ — ٣١ —	الكعبة	— ٦٥ — ٦٦	
— ٣٤٤ — ٣٥		٦٩ — ٧١ — ١٢٩	
٣٤٥		— ١٥٨ — ٢٣٠	القصيم
٣٠٤	كلايتون (الجزال)	— ٢٥٧ — ٢٦٨	
— ١٩٩ — ١٩٥	كليكيه	— ٢٦٩ — ٢٧١	
٢٠٠		— ٢٧٥ — ٣٢٣	
— ١٩٨ — ١٩٥		— ٣٥٨ — ٣٦٠	
— ٢٠٠ — ١٩٩	كليمنصو (مسرو)	٣٦١	
— ٣٧٣ — ٣٧١		— ٩ — ١٠٣	
٣٩٠ — ٣٨١		— ١٠٦ — ١١٥	
— ٩ — ٨ — ٤		— ١١٨ — ١٢٤	قطر
٨٠ — ٧٨ — ١٥		— ١٥٧ — ٢٦٢	
— ٨٨ — ٨٦ —		٢٧٢	
٨٩ — ٨٨ — ٨٩		— ٤ — ٣٥ — ٧٩	
— ١٠٢ إلى ٩٠ —		— ٨٣ — ٨٤	
— ١١٧ إلى ١١٤		— ٩٦ — ١٠٣	
— ١٢٩ — ١٢٦		— ١٠٦ — ١٠٧	
— ١٣٥ — ١٣١		— ١١٤ — ١١٨	
— ١٤٠ — ١٣٨	الكويت	— ١٥٨ — ١٦٢	اللطيف
— ١٤٤ — ١٤٣		— ١٦٤ — ١٧٤	
— ١٤٨ — ١٤٧		— ٢٥٨ — ٢٦٠	
— ١٥١ — ١٥٠		— ٢٦٩ — ٢٧٧	
— ١٥٧ — ١٥٥		— ٣١٨ — ٣٢٠	
— ١٥٩ — ١٥٨		٣٢٥	
— ١٦٤ — ١٦٢		٧٥	قفار
— ٢٦٠ — ٢٣٩		١١٢	فلانو
— ٢٦٦ — ٢٦٣		١٦ — ٤٣ — ٤٧	القنفذة
— ٢٧٢ إلى ٢٦٩			

٦٨ — ٦٧	مجمعه	٢٧٧ إلى ٢٨٣	
٢٧ — ٢٥ — ٢٢	محايل	٢٨٧ — ٢٨٥	(تابع)
٥٦	المحرقة	٣١١ — ٣٠٢	الكويت
— ١١٣ — ١١٢	المحرف	٣١٨ — ٣١٤	
١٢٠		٣٢٦	
— ٢٦٩ إلى ٢٦٦	محمد بن رشيد		
— ٣٠٣ — ٣٠٢			
٢١٥			
— ١٣٥ — ١٣٢	محمد بن سمود	١٩٤	اللاذقية
— ٣٣٧ — ٣٣٥	(الامام)	٣٧٤	لافوكارد (م.بو)
٣٣٨		١٩١	لانداي (اللورد)
— ١٣٤ — ٥٦		٢٩ — ٢٥	اللجنة
— ٢٢٩ — ٢٢٨		٣٦٩ — ٢١٢	المتني (اللورد)
— ٢٤٤ — ٢٤٣		— ١٩٦ — ١٠٦	
— ٢٤٧ — ٢٤٥		— ٢٦١ — ١٩٨	لندن
— ٣٣١ — ٢٥٠	محمد بن عبد الوهاب	٣٨٩ — ٣٦٢	
٢٣٦ — ٢٣٥	(الشيخ)	٢١٨ — ٢١٨	لوراس
٣٣٨ — ٣٣٧		٤١٣ — ٤١٢	(الكلونيل)
٣٤٠ — ٣٣٩		٤١٥ — ٤١٤	
٣٤٣ — ٣٤٢		١١٩ — ١٩٥	
٣٤٥		— ٣٧١ — ٢٠٢	
		— ٣٨٠ — ٣٧٣	لويد جورج
		٣٩٥	
٢٩٨	محمد أبو زيد المصري	١٧ — ١٦ — ٥	البيت
	(الشيخ)	٤٧ — ٢٦ —	
— ٢٢٧ — ٢٩	محمد الادريسي		
— ٣٠٠ — ٢٩٩	(السد)		
٢٠٥	(انظر الادريسي)		
١١٦ — ١١٥	محمد آل خليفة		
	(الشيخ)		
— ٤٤ — ٢٦		— ٢٥٠ — ٢١٨	مارك سايكس ييكو
— ٢٢٩ — ١٦٨		٣٦٤	
— ٢٥٦ إلى ٢٥٣	محمد علي باشا	٣٧٤	ماينس هارجن
— ٢٦٠ — ٢٥٩		٩٩ — ٩٨ — ٩١	
٢٩٨		١٠١ — ١٠٠ —	
٢٦٩ — ٢٦٥	محمد فيصل	١٥١ — ١٤٤ —	مبارك الصباح
٢٧٥ — ٥٦ — ٥٥	المحمل	١٥٨ — ١٥٥ —	(الشيخ)
٢٧٩	المحرقة	٢٧٠ — ١٦٠ —	
٤٨ — ٤٧	الخلاف السناني	٢٧٨ — ٢٧٢ —	
		٨١ — ٧٩	المبرز

— ٢٢٧ — ١٩٣		— ١٧٤ — ٨٣	مدحت باشا
— ٢٥٢ — ٢٣٥		٢٦٦	
— ٢٥٦ — ٢٥٣		٦ — ٣ — ٢	مدین
— ٢٦٧ — ٢٦١		— ٧ — ٥ — ٢	
— ٢٨٧ — ٢٨٦		٣١ — ٢٤ — ١٨	
— ٢٩٤ — ٢٩١	(تابع)	— ٣٥ — ٣٤ —	
— ٢٩٨ — ٢٩٥	مصر	— ٣٩ — ٣٨ —	
— ٣١٨ — ٣٠٩		— ١٣٣ — ٤٠	
— ٣٤٣ — ٣٣٢		— ١٤٩ — ١٤٣	
— ٣٦٤ — ٣٤٤		— ١٦٨ — ١٦٧	المدينة
— ٣٨٢ — ٣٦٧		— ١٩٢ — ١٧٤	
٣٨٤		— ٢٥١ — ٢٢٨	
٤٣	الضایا	— ٢٨٦ — ٢٥٣	
٣٩	المطری	— ٢٩٧ — ٢٩١	
١١٠	المعاصر	— ٣٠٧ — ٣٠٤	
١٦ — ١٦	معان	— ٣٤٠ — ٣١٨	
٢٩ —		٤٠٦	
١٧ — ٧ — ٥		٦٧ — ٦٦	المذنب
٢٠ — ٢٥ — ٢٧		— ١٨٥ — ١٨٠	
٢٧ — هامش		— ٣٧٢ — ١٨٧	مرسین
٣٤ — ٣١ — ٢٩		٣٨٣ — ٣٨٢	
— ٣٨ — ٣٥ —		٢٩	المروة
٤٦ — ٤٤ — ٤٠		٢٧ — ٢٦ — ٢٠	المسجد الحرام
— ٦٠ — ٤٩ —		٣٦ — ٣٣ — ٣٢	
— ١٢٦ — ١٢٣		— ١١٦ — ٩٦	
— ١٤٣ — ١٢٧		— ١١٨ — ١١٧	مسقط
— ١٦٢ — ١٤٥		٢٦٣	
— ١٧٠ — ١٦٦	مكة	— ٢٥٨ — ٢٥٧	مشارى بن سعود
— ١٧٧ — ١٧٦		٢٥٩	
— ١٨٥ — ١٧٩		٦٤	مشرف
— ٢٢٥ — ١٩٠		— ١٠ — ٨ — ٧	
— ٢٢٩ — ٢٢٨		٢١ — ٢٠ — ١٨	
— ٢٣٢ — ٢٣١		— ٣٤ — ٢٦ —	
— ٢٤٠ — ٢٣٣		— ١٠٦ — ٦٩	
— ٢٤٩ — ٢٤٥		— ١٦٦ — ١٣٧	مصر
— ٢٥١ — ٢٥٠		— ١٦٩ — ١٦٧	
— ٢٦٠ — ٢٥٣		— ١٧٣ — ١٧٢	
— ٢٨٦ — ٢٨٥		— ١٨٤ — ١٧٦	

— ١٢٩ — ١٢٦
إلى ١٣٥ — ١٣٢
— ١٣٩ — ١٣٧
— ١٤٩ — ١٤٣
إلى ١٥٦ — ١٥٠
— ١٦١ — ١٥٩
— ١٦٤ — ١٦٢
— ١٦٩ — ١٦٨
— ١٨٨ — ١٧١
إلى ٢٣٠ — ٢٢٩
— ٢٤٣ — ٢٣٩
— ٢٤٩ — ٢٤٤
إلى ٢٥٢ — ٢٥٠
— ٢٦٦ — ٢٦٤
— ٢٦٩ — ٢٦٨
— ٢٧٢ — ٢٧١
إلى ٢٨٠ — ٢٧٥
إلى ٢٨٧ — ٢٨٢
— ٢٩٣ — ٢٩١
— ٢٩٥ — ٢٩٤
— ٣٠٣ — ٣٠٠
— ٣٠٦ — ٣٠٥
— ٣١٤ — ٣١٢
— ٣١٨ — ٣١٦
— ٣٢٢ — ٣٢١
— ٣٢٥ — ٣٢٣
إلى ٣٢٩ — ٣٢٧
إلى ٣٣٥ — ٣٣١
إلى ٣٤١ — ٣٣٨
— ٣٥٠ — ٣٤٥
إلى ٣٥٨ — ٣٥٧
٣٦١

(تابع)
نجد

٢٨٢ — ٢٨١ } نو كس
(السكرولونيل)

✽ ه ✽

٣٥٣ هاردينج
٢٩٦ هاشم بك الأناسي
٣١١ هجرة الأرطاوية

— ٢٩٠ — ٢٨٩
— ٢٩٣ — ٢٩١
— ٢٩٦ — ٢٩٥
— ٣٠٢ — ٢٩٧
— ٣٠٨ — ٣٠٤
— ٣١٦ — ٣٠٩
— ٣٢٠ — ٣١٧
— ٣٤٠ — ٣٣٠
— ٣٤٦ — ٣٤٥
— ٣٥٤ — ٣٤٧
— ٣٥٨ — ٣٥٧
— ٣٦٧ — ٣٦٢
— ٤٠٤ — ٣٦٩

(تابع)
مكة

٤١٣

٥

١٨٥

١٩

٥٩

— ١١٠ إلى ١٠٧
١٢٠ — ١١٢

٥٩

١٨٩

٤٣

— ١٩٣ — ١٨٧
٣٥٥

٢٢ — ١٧

٤٩ — ٤٧ — ٤٦

✽ ن ✽

— ٤ — ٢ — ١
إلى ١٢ — ٩ — ٨
٤٤ — ٤٢ — ١٦
إلى ٥٠ — ٤٩ —
٦٩ — ٦٠ — ٨٦
— ٩٧ — ٨٥ —
— ١٠٥ — ١٠٢
— ١١٧ — ١٠٦
— ١٢٢ — ١٢١

نجد

١٧	وادی فستق (مر الظهران)	٢٢٥	عربت صمويل (السیر)
٧٨	وادی فیروق	٨١ — ٨٠ — ٧٩	المقوق
٦٧	وادی المشجر	٢٦٥	
٢٢ — ١٧	الوج	١٨ — ٨ — ١	
٦٥ — ٥٢ — ٥١	الوشم	٢٩ — ٢٦ — ٢٠	
٢٥٧ — ٦٦ — ١	وسيقر	٦٩ — ٣٦ —	
٦٦ — ٦٥	الوقف	٩٠ — ٨٨ — ٨٤	
٦٥	ولامين	١٠٦ — ٩٦	
٦٤	ولسن باشا	١٢٦ — ١١١	الهند
٣٧٠ — ٣٦٨	ولسن (الرئيس)	١٦٥ — ١٣٩	
٣٨٠ — ٣٧٢	وهيب بك	٢٨٦ — ١٩٢	
٧٦	ويژمن (الدكتور)	٢٩٤ — ٢٨٧	
٢٢٢		٢٩٦ — ٢٩٥	
		٤٠٤ — ٣٤٤	
		٣٦٤	عوغارت

(ي)

(و)

٢٢٨ — ٤٩	يحي (الامام)	٦٥ — ٤٥	وادی بيشه
٣٥٢ — ٣٠٠		٢٤ — ٢٢	وادی الحنص
٥٩ — ٣٨ — ١٤	اليامة	٥٦ — ٥٥ — ٢	وادی حنيفة
٦١ — ٦٠ — ٢٦٢		٦٩ —	
٥ — ٣ — ٢		٤٤ — ٤٢ — ٤	
١٦ — ١٤ — ٧		— ٥٢ — ٥١ —	وادی الدواسر
— ٣٨ — ٢٥ —		٦٣ — ٦٢ — ٦١	
٤٦ — ٤٤ — ٤١		٣٦٠ — ٢٦٣ —	
— ١٣٦ — ٦١ —		٤١	وادی رايه
— ١٥٠ — ١٤٣	الين	٦٧ — ٣ — ٢	وادی الرمه
— ١٩٠ — ١٧١		٧٢ — ٧٠ —	
— ٢٤٣ — ٢٢٧		٢٤	وادی ريديه
— ٢٤٩ — ٢٤٤		٧٦	وادی السرحان
٢٩٩ — ٢٩٨		٤١	وادی شهران
٣٤١ — ٣٣٨ —		٤١	وادی العميق
٤١٣ — ٣٥٢		٢٣	وادی عين
٢٣ — ١٩ — ١٧	ينبع		
٢٥٢			

محتويات

سطر	صفحة	حظا	صواب
١٤	٩	وتطر	وتطر
١٤	٩	على رعاياهم البدو	على رعاياهم
١٢	١٧	ومناء الغلاة	والعلاء
٢٣	٢٩	وفع بهذا النطر كلمة " صحیح مسلم " وهي في غير موضعها	
١٢	٣٣	حواله	حسداله
١٣	٣٣	وقد كفيهم	وقد كفتهم
١٣	٣٤	بيوت مكة	النصواب وضعها في شطر ٢٠
٩	٤٧	البرك	البرك
٨	٦٢	ومستعمرة السليل	وواحة السليل
١٠	٦٢	ومستعمرة السليل	ومساحة الواحة
١١	٦٣	مستعمرة مخادم	واحة مخادم
٤	٦٥	أشجار الأثل	أشجار الأثل
١٠	٧٠	(العامل)	(العامل)
١٨	٧٦	وقادة	وقارة
٤	٨١	قلعة صاهور	قلعة صاهود
٧	٨٥	النجان	المعجان
٥	٩٢	إذا جاء المطر	إذا جد المطر
١٢	٩٢	»	»
٢٠	٩٢	المواز	المواز
١٣	١١٠	الحنين	الحنين
١٤	١١١	التجارية	التجارية
١١	١١٢	فلاني	فلاني
١٠	١٢١	الشيخ	الشيخ
١١	١٣٢	الدمعة	الدمعة
٥	١٣٣	اسجع	اشجع
٢١	١٦١	الهندوس	الهنديين
١١	١٦٤	ومواصله	ومواصلته
١٠	١٧٨	في كل ثمانية	من كل سائبة
١١	١٨١	دائمة	دائمة

سطر	صفحة	خطأ	صواب
٦	١٨٤	إليهم	١١
١٧	١٨٧	حصن	١٢
٥	١٨٨	استقلالاً	استقلالاً تاماً
٧	١٨٩	الجنرال مور	الجنرال مود
٢٠	١٩١	لانسداى	لانسدون
٢١	١٩٢	سايسكى بيكو	سايسكى بيكو
٦	١٩٣	أما عطف الأمير	أما عطف الأمير
١١	١٩٤	أشارت المملكة العربية المتحدة	أشارت الحكومة البريطانية
١٦	١٩٤	توجهه	توجهه
١٦	١٩٦	والأحرار	والأحرار
١٤	٢٠٠	العالية	الثالية
٤	٢٠٤	بانتداب	بالانتداب
٥	٢٠٤	الادارات	الادارات
٢٢	٢٠٨	لاستعمار	الاستعمار
٢٢	٢١٢	عادية	مادية
١٠	٢١٩	التي كانت	ما كان
١٩	٢١٩	سنة ١٩٢١	سنة ١٩٢٢
١	٢٢٠	حدى	إحدى
٦	٢٤٨	٣٠ أو ٤٠	٣٠٠ أو ٤٠٠
١٧	٢٤٨	البلح	التمر
٢١	٢٤٩	تمكنوا	تمكن
١٥	٢٥٨	بن سعيد	بن سعود
٤	٢٥٩	سنة ١٢٢٤	سنة ١٢٣٤
٢٠	٢٦٢	بسيادة الأتراك	بسيادة الأتراك الأسخيه
٥	٢٦٤	بالعصب الدينى	بالعصب والشدّة
٨	٢٦٥	الحجازيين	المحاربين
١٨	٢٦٩	سنة ١٣٠٠	سنة ١٣٠٩
٢١	٢٦٩	(١٨٩٥ م)	(١٨٩٨ م)